



الخرطوم عبر العقود:
النشأة والتطور

(1821م - 1970م)

(مع ملحق الأحياء المضافة حتى نهاية الألفية الثانية)

أ.د. سعد محمد احمد سليمان

الطبعة الثانية

37 كتاب الخرطوم الجديدة



ملخص السيرة الذاتية للمؤلف

- ولد المؤلف بمدينة الخرطوم في13 من ديسمبر 1949 م.
- تلقى كل مراحل تعليمه في مدينة الخرطوم بدء من الأولي بمدرسة الديم شرق الأولية والمتوسط بمدرسة الديوم الغربية الوسطى ثم مدرسة الخرطوم الأهلية الوسطى والثانوي بمدرسة الخرطوم الثانوية (القديمة) انتهاء بالجامعي - جامعة الخرطوم.
- حصل على درجة البكالوريوس في الهندسة الميكانيكية من كلية الهندسة بجامعة الخرطوم في1974 م.
- حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه من معهد قرانفيلد بإنجلترا في1981 م و1988 م.
- عمل مهندسا للإنتاج بمؤسسة الغزل والنسيج (السودان)، ومحاضرا بجامعة الملك سعود (المملكة العربية السعودية)، وأستاذا مساعدا ثم أستاذا مشاركا وحاليا أستاذا لعمليات ونظم التصنيع بجامعة البحرين (مملكة البحرين).
- **نشر للمؤلف:** أقباط السودان: الماضي والحاضر؛ وحكاوي وحكم وأشعار الأرباب عبد السلام حسين؛ والألعاب الشعبية للأولاد والبنات في السودان.
- كما نشرت له العشرات من الأوراق العلمية في مجال تخصصه الأكاديمي.



هيئة الخرطوم للثقافة والنشر السودان - الخرطوم - الرياض - شارع عبد الله الطيب - مربع (٢١) - منزل رقم (٣٠٣)



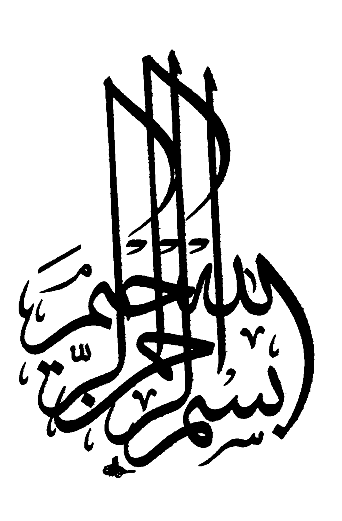
مدينة الخرطوم عبر العقود: النشأة والتطور

(١٨٢١-١٩٧٠م)

الطبعة الثانية

(مع ملحق عن الأحياء المضافة للمدينة حتى نهاية الألفية الثانية)

أ. د. سعد محمد أحمد سليمان


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم
دفعاً لحركة الفكر والثقافة،
ورعاية للقيم السودانية،
واهتماماً بترسيخ المبادئ الوطنية،
تصدر هذه السلسلة
عن دار
هيئة الخرطوم للثقافة والنشر
ووزارة الثقافة والإعلام والسياحة
ولاية الخرطوم

مدينة الخرطوم عبر العقود: النشأة والتطور
(١٨٢١-١٩٧٠م)

الطبعة الثانية

(مع ملحق عن الأحياء المضافة للمدينة حتى نهاية الألفية الثانية)

أ. د. سعد محمد أحمد سليمان



يصدر عن هيئة الخرطوم للثقافة والنشر

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر – السودان

962.62 أ.د سعد محمد أحمد سليمان ،

س.ح

الخرطوم عبر العقود: النشأة والتطور (1821-1970)/ أ.د سعد محمد أحمد سليمان. – ط1. -الخرطوم:دار السداد ، 2006م.

152 ص ايض؛ 24 سم

ردمك: 99942-830-7-3

1. الخرطوم تاريخ.

أ. العنوان

الناشر: 

السودان - الخرطوم - الرياض - شارع عبد الله الطيب - مربع (٢١) - منزل رقم (٣٠٣)

Email.khartoumbook@gmail.com

مقدمة الناشر

يأتي مشروع طباعة (المائة كتاب) الذي أطلقته هيئة الخرطوم للثقافة والنشر من ضمن الأهداف الثقافية الكبرى التي تضطلع بها ولاية الخرطوم بإعتبارها الولاية القومية الممثلة لوسطية السودان الجغرافية والإجتماعية والثقافية إلى جانب مكانتها السياسية والإدارية التي حازتها منذ أنْ صارت عاصمة للبلاد في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي.

هدفت الهيئة بإطلاق هذا المشروع الثقافي الرائد إلى إبراز دور الولاية في خدمة قضية الثقافة بسد جزء من الفراغ الذي تعاني منه المكتبة السودانية، عن طريق رفدها بعناوين جديدة من الكتب واعادة طباعة أمهات المؤلفات السودانية لإنعاش الذاكرة الثقافية الوطنية فضلاً عن رعاية وتشجيع المبدعين الشباب على نشر أعمالهم الثقافية المتميزة.

ولكي تطمئن الهيئة على جودة وجدوى ما تطبع من الكتب، فقد أوكلت مهمة اختيارها وقبولها وتقييمها لفريق استشاري مقتدر من المختصين في مجالات التأليف والطباعة والنشر، وهو الفريق الذي أطلقت عليه الهيئة اسم (اللجنة الاستشارية للنشر)، وقد استطاع هذا الفريق المؤهل أنْ ينجز في وقت قياسي اختيار وتقييم وإجازة نشر المائة الأولى من الكتب التي تمت طباعتها جميعاً في العام ٢٠١٦م.

أمّا في العام ٢٠١٧م فقد فرغ الفريق الاستشاري من تجهيز المائة الثانية من الكتب توطئة لنشرها جميعاً خلال العام ٢٠١٨م.

إنَّ هيئة الخرطوم للثقافة والنشر إذ تتصدى لهذا المشروع الثقافي القومي الرائد، تتشرف بأنْ تكون هي المؤسسة الوطنية الأولى - منذ استقلال السودان- التي تتمكن من نشر هذا الكم المقدر من الكتب، يضاف إلى ذلك أنَّها أول جهة تتولى تقديم خدمات تشجيعية متميزة للمؤلفين.

.. وهكذا فإن الكتاب السوداني الذي ظل يعاني من عيوب الشروط المجحفة للناشرين إلى جانب ضعف الامكانيات الفنية والتحريرية والطباعية، قد وجد في الهيئة حاضنةً رؤوم تمكنه من الانتشار ومنافسة المطبوعات العربية والأجنبية.

وهيئة الخرطوم للثقافة والنشر إذ تتشرف بوضع هذا الجهد الثقافي بين يدي القارئ الكريم ، تتطلع إلى مزيدٍ من تجويد الأداء، وتسعى بكل إمكاناتها وخبراتها إلى إزالة كافة المعوقات التي تحول دون انتشار الكتاب السوداني، كما أنَّها لن تدخر وسعاً من أجل أنْ تدفع بمشروعها الثقافي هذا إلى أرحب الآفاق.

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ» .(لقمان الآية ٢٠)

أهدي هذا المطبوع:

إلى أسرتي الصغيرة زوجتي ست البنات أحمد محمد حسن وأبنائي سالي وأحمد وسارة ومحمد وسماح وعبد السلام لمساندتهم ومؤازرتهم التي لولاها لما أنجز هذا الكتاب.

إلى حفيداتي جودي وجوانا وسيرين وسيلارا ويارا.

إلى أبناء شقيقي فيصل: شذى ومحمد الفاتح وحفيدته جيداء.

إلى ابن شقيقي التلب: جوليس.

إلى أبناء شقيقي جمال: محمد وأحمد وبتول ومصطفى.

إلى أشقائي وشقيقاتي: فيصل ومحاسن والتلب ومحمود وجمال وسناء.

إلى أرواح المغفور لهم بإذن الله والدي ووالدتي وشقيقي أحمد وشقيقاتي فاطمة وهدى.

إلى عشيرتي وأصدقائي وأهل الخرطوم جميعاً.

سعد محمد أحمد سليمان

كلمة شكر

واجب على المؤلف أن يخص الرواة الذين أمدوه بالكثير من المعلومات الواردة في هذا الكتاب بالشكر الجزيل والعرفان لإسهاماتهم القيّمة التي حاول جاهداً إبرازها حسب ما جاء في رواياتهم بعد محاولات التثبت التي قام بها. والشكر موصول للذين أوصلوه إلى هؤلاء الرواة. والشكر أيضاً للدكتور سمير عبيد نقد لمراجعة مسودة الطبعتين والدكتور صلاح بشير موسى لمراجعة مسودة الطبعة الأولى وللمقترحات القيمة التي أتحفا المؤلف بها.



الخرطوم عبر العقود.. نموذج مثالي للتاريخ الاجتماعي[1]

البروفيسور عبد الله حمدنا الله

كثيرون كتبوا عن مدينة الخرطوم، لكن ما كتبه الأستاذ الدكتور سعد محمد أحمد سليمان في كتابه الخرطوم عبر العقود، فيه ما في تلك الكتب وزيادة. وسعد محمد أحمد خرطومي صميم، وُلد ونشأ وتلقى كل مراحل تعليمه إلى أن تخرج في كلية الهندسة، في الخرطوم، لم يغادرها إلا لدواعي الكسب والرزق، مما جعله يحمل حباً غير محدود لمدينة الخرطوم، فهي عنده عروس المدائن. ومع ذلك لم تحظ بالتوثيق التفصيلي اللازم، حيث ضاعت من خلال الحديث الجوانب العامة للعاصمة المثلثة، مما أضاع خصوصيتها كمدينة من بين تلك المدن.

والحق أنَّ الذين كتبوا عن الخرطوم نظروا إلى تاريخها، وقليل منهم من التفت إلى حاضرها، والذين التفتوا إلى ذلك الحاضر تناولوه في اقتضاب شديد، وحصروا أنفسهم في جوانب بعينها، مع الاعتماد على المصادر المكتوبة، أو الخبرة الذاتية، وهي كتابات قيمة ومفيدة، لكنها ناقصة تحتاج إلى تتمة، شمولاً وإحاطة، وهذا ما فعله سعد محمد أحمد في كتابه.

ثم إنَّ ما كتبه يندرج تحت التاريخ الاجتماعي، وهو التاريخ الذي ظللنا ندعو إليه ومعنا آخرون، بعد أن شبعنا من التاريخ السياسي حتى بشمنا، دون أن يكشف لنا ذلك التاريخ غير جانب واحد من الحياة السودانية، وغابت عنا بقية نشاطات الإنسان السوداني وإبداعاته، ولن نمل القول بأنَّ تاريخ أي مجتمع هو

---

١ لبروفيسور عبد الله حمنا الله، الخرطوم عبر العقود .. نموذج مثالي للتاريخ الاجتماعي، الصحافة، ٢٠٠٦/٨/٩م، العدد ٤٧٣٢.

تاريخ كل مكوناته وليس تاريخ حكامه فحسب. كتاب الخرطوم عبر العقود نموذج مثالي للتاريخ الاجتماعي، فهو يتناول تاريخ الخرطوم من حيث النشأة والتطور، ولا تستغرقه خلال الدراسة مرحلة بعينها، فهو يريد أن يصل إلى الخرطوم في شكلها الراهن في أواخر القرن العشرين، ولا تستغرقه أيضاً ظاهرة بعينها بل يوثق لشتى الظواهر في صبرٍ وعزيمة، وكأنَّه يريد أن يضع خريطة ناطقة بكل شبر في الخرطوم، لا تغيب فيها دقائق التفاصيل ولا صغار الحوادث.

في هذا الكتاب تجد أحياء الخرطوم، وشكلها العمراني وأسواقها، وشوارعها ومشارعها، وسكانها، في كل عصر من العصور السياسية التي حكمت الخرطوم، وتجد أيضاً غوصاً في التفاصيل عن عمارة الخرطوم جنوب، وما بعد الخرطوم جنوب، في الديوم، والسجانة، والمايقوما، والحلة الجديدة، والمقرن، وحي الزهور، فضلاً عن الأحياء الراقية في حي المطار والخرطوم بنمره المتتابعة. وقد أعان المؤلف في حديثه عن العمارة أشياء، منها كونه مهندساً له بصر ومعرفة بطرائق الهندسة في التخطيط للمدن، وهو إن لم يكن متخصصاً في هذا المجال، إلاَّ أنَّه ليس عاطلاً عن عمومياته شأن من يتصدى لظاهرة دون أن يتخذ لها أدواتها، وأعانه على الحديث عن المنطقة الواقعة جنوب الخرطوم، كونه من أبنائها، يعرفها معرفة دقيقة، وعميقة، وليس معرفة العابر، وحديث العهد، الذي يتحدث عن الظاهرة من خارجها، أو الذي يلم بالحواشي فيظن أنَّه نفذ إلى اللباب، ومن بعد لا حب إلا بعد معرفة. ولقد أحب الكاتب الخرطوم حباً وصل به إلى الغيرة من حب أبناء أم درمان لأم درمان، وكتابتهم عنها في مختلف جوانبها، وأدت به تلك الغيرة إلى الكتابة عن الخرطوم، وفي سبيل ذلك بذل جهداً مضنياً، وكأنَّه يقوم بفرض كفائي عن كل أبناء الخرطوم.

في الكتاب فصول عن المرافق العامة والخدمات، والمواصلات والنقل، والصحة، والنشاط الاقتصادي، والملامح الحياتية لمجتمع الخرطوم، والأفراح

والمناسبات الدينية والأتراح، والحياة الأدبية والفنية والرياضية، وهذه الفصول ليست عناوين فارغة عن محتواها، أو لافتات لا تفيدك معرفة أكثر من العنوان ذاته، بل هي مواعين ضخمة، أودع فيها الباحث توثيقاً لجوانب قلما تخطر بذهن باحث، ومن تلك الجوانب تعليم الخلاوى، والتعليم الحديث بكل أنماطه، والترماج وبصات النقل الأهلي، والتاكسي، والمعديات والشوارع، فضلاً عن مرافق الخدمات الحكومية، والطواحين والطوابين، والمطاعم، والفنادق، واللكوندات، ودور العبادة، والطعام والملابس، ووسائل الترفيه، والمولد النبوي الشريف، والأتراح والمدافن، وتوثيق كامل للحركة الأدبية في الخرطوم، ومنابرها، ومنتدياتها، والحركة الفنية، وفرقها، وأندية كرة القدم، والروابط مع رصد دقيق لشخصيات الخرطوم في أكثر هذه المجالات.

للباحث في هذا السفر القيم هدف ومنهج، فهدفه كما عبَّر عنه، تناول المواضيع التي لم يتم تناولها البتة، أو تم تناول جزئيات منها، مع عدم الوقوف عند الموضوعات التي تطرق إليها البِاحثون، والغرض هو إبراز الدور الحضاري والثقافي والاجتماعي لمدينة الخرطوم، ومنهجه قائم على التتبع الدقيق، ورصد الظواهر في تطورها وثباتها، وقد اتبع هذا المنهج بصراحة، واستعان في سبيل ذلك .بمصادر تتجاوز الخبرة الذاتية، والمصادر المنشودة، إلى مقابلات مع شخصيات خرطومية لها معرفة تامة بالخرطوم مما زاد الكتاب ثراءً.

كنت قد اطلعت على الكتاب مخطوطاً، فوجدت فيه مادة عرفت من خلالها عن الخرطوم كما لم أعرف من قبل، بل اكتشفت أيضاً أن الخرطوم هي المدينة القريبة القصية، فمع وجودنا داخلها ومعرفتنا وسطها، فإنَّ الكاتب يمد لسانه لنا من سطحية تلك المعرفة، أما ما بعد الوسط فما على المؤلف إلَّا أن يمد رجليه من جهلنا المطبق. الكتاب أزال أميتنا عن الخرطوم، وأنار جهلنا بها، ونستطيع أن نقول باطمئنان إنَّه مضى الوقت الذي كانت الخرطوم فيه سطراً باهتاً في

تاريخنا الاجتماعي، بعد أن أصبح لها كتاب تستطيع أن ترفعه بقوة وتقول هاؤم اقرأوا كتابيه.

نحيي الكاتب لا لتوثيقه للخرطوم فحسب، بل لتقديمه نموذجاً رائعاً لكتابة التاريخ الاجتماعي، وهو من هذه الناحية يدعم حجة الداعين لكتابة التاريخ الاجتماعي لأهل السودان بعد أن أُرهقنا بتاريخ الحكام دون المحكومين.

بلغني أن الكاتب لو استقبل من أمره ما استدبر، ما كان ليدرس الهندسة، قلت ذاق فعرف فلزم.

بعد مضي حوالي العشر سنوات من طباعة النسخة الأولى من كتاب «الخرطوم عبر العقود: النشأة والتطور» ونفادها من المكتبات وسؤال الكثيرين عن الكتاب خاصة من أبناء الخرطوم في دول الاغتراب، إذ لا يمضي أسبوع دون أن أتلقى مهاتفة من أحدهم يسأل عنه. فقد لمس فيهم الإحساس بالحب النبيل تجاه كل ما هو جميل في مدينتهم التي نشأوا وترعرعوا فيها، فكانت لهم بمثابة الأم الرؤوم والحنون التي لا تبخل على فلذات أكبادها بكل ما هو عزيز لديها لينعموا بحضن دافئ وعيش هانيء ومستقبل زاهر. وهذا ما فعلته الخرطوم مع أبنائها فقد وفرت لهم كل السبل لتحقيق ذلك من سكن وصحة وتعليم وتثقيف وترفيه وسبل للعيش الكريم.

لا شك أن أياً منا يحمل في حناياه محبة دافقة نحو المدينة أو القرية التي وُلد وترعرع ونشأ فيها، وكل هذا حدث لي في الخرطوم إضافة إلى كونها المرابيع التي نلت فيها كل مراحل تعليمي، كما أجملت في تمهيد الطبعة الأولى، بدءاً بالخلوة ومروراً بالأولية والوسطى والثانوي وانتهاءً بالجامعة. فلا غرو إذن أن تكون الخرطوم الفلك الذي أسبح فيه بلا منتهى رغم أن سبل كسب العيش نأت بي عنها منذ إكمال الدراسة وحتى اليوم. لكنها ظلت حاضرة ليس فقط في بطاقة هويتي ولكن في وجداني أهفو وأشتاق إليها في حلي وترحالي خلال السنوات الأربعين الأخيرة من عمري. كل هذا إضافة إلى ما سقته من أسباب في تمهيدي للطبعة الأولى جعل مدادي يرسم لوحة من الكلمات تعبر عن هذا الحب الكبير للخرطوم (يا الخرطوم يا العندي جمالك جنة رضوان ... طول عمري ما شفت مثالك في أي مكان) تَمَثَّلت في هذا المطبوع الذي يحكي عن

إنسانها وإبداعاته في شتى مناحي الحياة، فهو سجلٌ أتمنى أن يجد كل من ينتمي إلى هذه المدينة نفسه فيه.

ذكرت في محاضرة لي في مملكة البحرين عن الخرطوم في بداية هذه الألفية بأن الستينيات والسبعينيات مثلت العصر الذهبي للخرطوم، فسألني الأخ العزيز الدكتور عمر هارون (أسأل الله أن يرده لأسرته سليماً معافى) «هل الخرطوم تتجه نحو عصر ماسي أم أنَّها تحتضر؟» حتماً هي لا تحتضر ولكن أقول إنها شهدت بعد السبعينيات تراجعاً وانحساراً ملحوظاً في جميع المجالات. إذ أنَّ فترة السبعينيات كانت فترة ازدهار ثقافي وحضاري للخرطوم ومجتمعها، شهدت فيه حراكاً غير مسبوق في شتى مجالات الحياة من أدب وفن وموسيقي وسينما ورياضة وإعلام مرئي ومسموع ومقروء. ومقارنة تلك الحقبة بما قبلها وما بعدها من حقب مرت بالمدينة، نجدها تميل لصالح تلك الحقبة، لذا استحقت أن توصف بالحقبة الذهبية للخرطوم، وكما يصفها معاصروها بالزمن الجميل. ورغم أن ما جاء بعدها من حقب لا يدلل على أنَّ المدينة تتجه إلى حقبة ماسية فحتماً هي لا تحتضر، كما يتمنى الشامتون، إذ إنَّ أهلها لديهم طموح مشروع ولا محدود في بلوغ حقبة ذهبية أخرى تنطلق بعدها نحو الحقبة الماسية. والخرطوم جديرة بذلك فأهلها ينطبق عليهم نظم الشاعر كامل عبد الماجد:

«كنا أرقى الناس وأجمل في عيون الكون ده كلو
ما في أصلو أتنين تدانوا بعدوا وفاتوا وتخلوا
والعفاف كان سوقو عامر وليه ما بنفض سامر
كنا بي رقتنا نزهو وكنا بالتهذيب نفاخر
الصغير كان كلو طاعة والكبير كان ناهي آمر
والوداد كان البشكل العلاقات والأواصر»

ومن كانوا بهذه الصفات من مكارم الأخلاق لن يحتضروا ولن تسقط لهم راية.

سؤال البعض عن الكتاب ومناشدة العديد منهم وبعض دور النشر لإعادة طباعته دفعني إلى الاستجابة، ولكن اشترطت على نفسي أن يتم ذلك بعد تنقيح ما جاء في الطبعة الأولى حسب إفادات وصلتني من بعض القراء ومعلومات إضافية حصلت عليها نتيجة استبيان صممته خصيصاً لهذا الغرض ووزعته على نفرٍ كريم من الأحياء المستهدفة على دراية بتفاصيل هذه الأحياء للمساعدة في عملية التنقيح والإضافة. أيضاً لاحقني الكثيرون بالاستفسار لماذا لم يشمل الكتاب كل أحياء الخرطوم الراهنة؟ وقد أجبت على هذا التساؤل في الطبعة الأولى من الكتاب، فقد أوضحت أمرين الأول: أنَّ الكتاب يغطي فترة زمنية محددة تنتهي بنهاية الستينيات، والثاني: أنَّ التغطية شملت الحدود الإدارية لمجلس بلدي الخرطوم في تلك الفترة. و لم يك ضمن تلك الحدود الكثير من الأحياء التي أُلحقت بالخرطوم في زمن لاحق مثل توتي والبراري والجريف والرميلة والشجرة ومن ثم أُلحقت الكلاكلات وسوبا. وقد ارتأيت أن أضمن هذه الطبعة ملحقاً يحتوي على كل هذه الأحياء (عدا الكلاكلات وسوبا) بالإضافة إلى المقرن والقوز، بجانب التوسع في تفاصيل الامتدادات السكنية التي تمت الإشارة إليها في الطبعة الأولى واشتملت على العمارات وامتداد الدرجة الثالثة والصحافة وأركويت والرياض والطائف والمعمورة وجبرة، عدا الأزهري وأبو آدم.

كتب الحبيب الأب فيلو ثاوس فرج في مقالة له بعنوان «الخرطوم عبر العقود» في صفحة «رأي» بجريدة الصحافة بتاريخ الرابع عشر من أغسطس في عام ستة وألفين (العدد ٤٧٣٧) مثنياً ومعلقاً على الطبعة الأولى من الكتاب، وقد عَتَبَ عليَّ في مقاله عدم ذكر دور الأقباط في نشأة وتطور الخرطوم وكان ردي

على ذلك العَتَب إصداري لكتاب بعنوان «أقباط السودان: الماضي والحاضر».
وأعود في هذا التمهيد للطبعة الثانية لكتاب الخرطوم إلى ذلك المقال وأقول إنَّ كتاب الخرطوم لم يشر لدور القبائل والطوائف في نشأة وتطور الخرطوم، إذ أن كل القبائل والطوائف حتى الجاليات الأجنبية من غربية وعربية كان لها إسهامات مقدرة في ذلك الشأن. أما بالنسبة لما أشار إليه العزيز الأب فيلو ثاوس بأنَّ قائمة من أخذت عنهم من الرواة لم تشمل نيافة الأنبا المتنيح دانيال مطران الخرطوم، فقد كان من سوء حظي وحظ الكتاب أن لم أوفق في ذلك فحتماً لو سعدت بلقائه لازدادت القيمة المرجعية للتوثيق. وأعترف بأنَّ ذلك حدث لجهلي وعدم إدراكي بما أشار إليه في المقال عن موسوعية الأنبا دانيال في تاريخ الخرطوم. وأود أن أشير هنا إلى أنَّه قد أُفردت فقرة كاملة عن المدارس القبطية في الطبعة الأولى، وتم تصحيح الفقرة في هذه الطبعة. كما تمت إضافة فقرة عن الدور الذي كانت وما زالت تقوم به المكتبة القبطية كمنبر من منابر الأدب والثقافة منذ نهاية العقد الأول من القرن الماضي. هذا بجانب دورها المميز المذكور في الطبعة الأولى في المناشط الرياضية في مدينة الخرطوم.
في ختام هذا التمهيد أود أن أعبر عن امتناني وشكري وتقديري لمن ساهموا في تصحيح وإضافة بعض المعلومات التي وردت في الطبعة الأولى، وأولئك الذين أمدوني بالمعلومات الواردة في ملحق هذه الطبعة عن الأحياء المضافة.

هنالك عدة دوافع دفعتني إلى الكتابة عن مدينة الخرطوم، أولها وأهمها هو أنَّ الخرطوم لم تحظ بتوثيق تفصيلي وشامل لمختلف جوانب الحياة فيها خاصة بعد الحكم الثنائي، حيث نجد أنَّ ما كُتب عنها يتعلق ببعض الجوانب العامة للخرطوم الكبرى أي العاصمة المثلثة مما أضاع خصوصيات عروس المدائن الخرطوم. فالهدف الرئيسي من هذه المحاولة هو التوثيق لمحاور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والتعليمية والدينية والثقافية لمدينة الخرطوم مع التركيز على الفترة من سنة ١٩٢٠م إلى ١٩٧٠م والمرور خطفاً على ما قبل تلك الفترة. ذلك بافتراض أنَّ الفترة من سقوط أم درمان إلى سنة ١٩٢٠م كانت تمثل مرحلة تخطيط وتحديد لمعالم خرطوم القرن العشرين أي أنَّها بمثابة فترة المخاض للولادة الثانية للخرطوم. يسبق كل هذا استعراض موجز لحال المدينة منذ إنشائها في سنة ١٨٢١م.

هنالك دافعٌ آخر للكتابة عن الخرطوم هو حبي اللا محدود لهذه المدينة الأم، فقد ولدت ونشأت وتلقيت كل مراحل تعليمي بها فهي موطني ومهد صباي. ومن هذا المنطلق دفعني للكتابة عنها نزعتي العصبية تجاهها مجاراة لعصبية أهل أم درمان تجاه مدينتهم. كانت ومازالت لي الكثير من الصداقات وصلات الرحم بالعديد من أهل أم درمان القديمة، أعني بيت المال وأبوروف وود نوباوي والعرضة وحي الأمراء وبانت. وكانت تستفزني ولا زالت عصبيتهم الشديدة لأم درمان. إنَّ تعصب مواطني أم درمان لمدينتهم أمر متجذر فيهم ولعله نابعٌ جزئياً من حقيقة أنَّ أم درمان هي أول عاصمة وطنية للسودان بحدوده المعروفة حالياً، وللمرارات التي تركها الحكم الثنائي البريطاني المصري بإسقاطه لدولة

المهدية ولنقل العاصمة للخرطوم عوداً لما كانت عليه أثناء الحكم التركي المصري للسودان. يظهر هذا التعصب والتحيز لأم درمان في العديد من الكتب والكثير من المقالات والقصائد التي طبعت ونشرت عن أم درمان خلال النصف الثاني من القرن المنصرم. تبيّن جل تلك المطبوعات بجلاء ما ذهبت إليه من التعصب لأم درمان، إذ أنَّ كل سطر وكل بيت شعر منها لا يؤرخ ويوثق فقط لأم درمان بل يمجدها ويزهو ويفاخر بها.

من بين الذين خصوا أم درمان بالكتابة شعراً ونثراً خليل فرح ومصطفى حامد الأمين وعبد المنعم عبد الحي وأحمد المرتضى البكري أبو حراز والتجاني يوسف بشير ومزمل سليمان غندور ومحمد الواثق وصديق المجتبى وشوقي إبراهيم بدري. بينما نلحظ فيما كُتِبَ عن الخرطوم وتاريخها محاولات خجلة للتأصيل للمدينة وفي الغالب يستشف من بين السطور الإذعان بأنَّ الأصالة والوطنية تعني أم درمان و»بس». ونذكر من الذين كتبوا عن الخرطوم د. أحمد أحمد سيد أحمد ومحمود القباني وسليمان كشة وابن أم درمان المبارك إبراهيم وحديثاً أحمد عبد الوهاب محمد سعيد. بينما نجد البعض قد كتب عن الخرطوم الكبرى أي العاصمة المثلثة وبالتالي عن المدينتين معاً مثل محمد إبراهيم أبوسليم.

وقد يقول قائلٌ بأنَّ مبعث كل هذا التعصب والتحزب هو التصدي للمستعمر، وفي هذا شئ من الصحة وليس كل الصحة، إذ أنَّ التنافس بين المدينتين الذي استمر لعدة عقود في منتصف القرن الماضي قد بلغ ذروته بُعَيد نيل الاستقلال في أواخر الخمسينيات وطوال الستينيات من ذلك القرن. ولكن مما لا شك فيه أن لهذا التنافس الكثير من الإيجابيات فقد أدى إلى إثراء ملحوظ للأنشطة الثقافية بشتى ضروبها الأدبية والفنية والرياضية والاجتماعية. تمثل ذلك في انتشار الصالونات والمجمعات والمنتديات الأدبية في المدينتين. ظهرت في الخرطوم مجموعة أبو الريش صاحب مكتبة النهضة ويحيى الفضلي

ومحمود الفضلي ومجموعة منير صالح عبد القادر وعبد السلام كشة وإبراهيم كشة وجماعة المحجوب وعبد الحليم محمد بعد انتقالهم إلى الخرطوم وجماعة محمد المهدي المجذوب وجماعة محمد أحمد السلمابي. أما في أم درمان فقد ظهرت جماعة ندوة عبد الله حامد الأمين ومجموعة أبوروف الأدبية وعلى رأسها إسماعيل العتباني صاحب جريدة الرأي العام ومجموعة محمد عشري وعبد الله عشري الصديق وجماعة الصفا ومن بين أعضائها محمد حجاز مدثر وعبد المجيد حاج الأمين والحَسِين الحسن وعبد الكريم الكابلي. أما التنافس الفني فقد تمثل في بزوغ العديد من نجوم الطرب بمدينة الخرطوم من بينهم علي الشايقي وعبد الحميد يوسف وحسن سليمان وحسن عطية وعثمان حسين وحسن درار ورمضان حسن ومنى الخير ومحمد وردي وغيرهم. بينما ظهر في أم درمان محمد أحمد سرور وكرومة وإبراهيم عوض والتاج مصطفى وعثمان الشفيع وعبد الدافع محمد عثمان وصلاح محمد عيسى وعبيد الطيب وصلاح مصطفى وغيرهم. وهنالك أيضاً من تقاسمته المدينتان مثل إبراهيم الكاشف وعائشة الفلاتية وأحمد المصطفى وسيد خليفة. أدى التنافس أيضاً إلى إحياء الحركة الرياضية وكانت الغلبة في نشاط كرة القدم لأندية أم درمان بينما تصدرت أندية الخرطوم الأنشطة الرياضية الأخرى مثل السلة والتنس والسباحة والملاكمة. وكما جاء في بداية هذه الفقرة أدت هذه الروح التنافسية إلى النهضة الثقافية التي شهدتها العاصمة المثلثة خلال حقبة الستينيات من القرن الماضي.



مصادر المؤلف

اعتمد المؤلف في الحصول على المعلومات لهذا العمل التوثيقي على مصدرين، المصدر الأول للمعلومات هو المطبوعات التي توفرت والمضمنة في قائمة المراجع المرفقة في نهاية الكتاب، ومنها كتاب «تاريخ الخرطوم» للبروفيسور محمد إبراهيم أبوسليم (١٩٩١م) أحد مراجع المؤلف الأساسية في استعراض نشأة الخرطوم، وكتاب «تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري ١٨٢٠ - ١٨٨٥» للدكتور أحمد أحمد سيدأحمد استَخدَمه المؤلف كأحد المراجع الأساسية لسيرة الخرطوم خلال حقبة الحكم التركي، وكتاب «التعليم الأجنبي في السودان ١٨٩٨-١٩٥٦م» للدكتورة سعاد عبد العزيز أحمد (٢٠٠٢م) وهو ما استند عليه المؤلف في جانب تعليم المدارس الأجنبية، وكتاب «سلسلة قضايا الإسكان في السودان: أعمال سعدالدين فوزي ٢»، إعداد وتحقيق فاطمة بابكر (١٩٩٦م) استَخدَمه المؤلف - بجانب المصدر الثاني للمعلومات الذي سيأتي ذكره لاحقاً - في وصف الديوم القديمة، وكتاب «ملامح من المجتمع السوداني» لحسن نجيلة الذي رجع إليه المؤلف كثيراً في التوثيق للحياة الأدبية. هذا بجانب بعض المراجع الأخرى الوارد ذكرها في الهوامش.

أما المصدر الثاني والأساسي للمعلومات الخاصة بوصف أحياء الخرطوم وشوارعها وأسواقها وسكانها وأسلوب حياتهم في الفترة الممتدة من العشرينيات إلى الستينيات من القرن العشرين فتَمَثل في الرواة، حيث أجرى المؤلف ما يربو على الخمسين مقابلة خلال الفترة من ٢٠٠٢م إلى ٢٠٠٤م مع أفراد عَيِنَة مختارة من مواليد الخرطوم أو من الذين وفدوا إلى الخرطوم في مطلع العشرينيات من القرن الماضي. شملت عينة الرواة من ولد في العقد

الأول والثاني ومنهم من ولد في العقدين الثالث والرابع وقليل من مواليد العقد الخامس. حرص المؤلف في عينة الرواة، بجانب تفاوت أعمارهم، أن تمثل قطاعات مختلفة في المجتمع وأحياء مختلفة في المدينة. ويجد القاري قائمة بأسماء الذين أسهموا بتزويد المؤلف بالمعلومات التي أعتمد عليها في كثير من مواضيع هذا الكتاب مدرجة ضمن المصادر والمراجع في نهاية هذا التوثيق.

تركيبة الكتاب

يتكون الكتاب من أربعة أبواب تحتوي على أربعة عشر فصلاً. تمثل الأبواب الأربعة المحاور الرئيسية التي يتناولها الكتاب وهي بالترتيب نشأة وإعمار الخرطوم، والخدمات من تعليم ومواصلات وصحة وغيرها، والنشاط الاقتصادي والحياة الاجتماعية، ثم البعد الثقافي. يوثق الباب الأول والذي يضم خمسة فصول لنشأة وإعمار الخرطوم. يستهل الفصل الأول هذا المحور بفذلكة تاريخية موجزة عن سيرة الخرطوم قبل مجيء الأتراك لحكم السودان، ثم يصف سيرتها في ظل حكمهم حيث أصبحت عاصمة للبلاد وأخذت الشكل العمراني الحضري. يتعرض الفصل الثاني خطفاً لما آلت إليه الخرطوم في فترة المهدية من خرابٍ ودمارٍ عندما انتقلت إدارة الدولة منها إلى أم درمان. خصصت الفصول من الثالث إلى الخامس للفترة التي تمتد من سقوط دولة المهدية وحتى فترة ما بعد الاستقلال. نجد في الفصل الثالث وصفاً لإعادة إعمار الخرطوم شمال (الخرطوم عموم) وهي مدينة الخرطوم بحدودها التي عرفت بها في فترة الحكم التركي، بينما نجد في الفصلين الرابع والخامس وصفاً تفصيلياً للمراحل التي مر بها عمران منطقة الخرطوم جنوب.

يوثق الباب الثاني لجانب المرافق العامة والخدمات المتوفرة في المدينة في حقبتي ما قبل وما بعد دولة المهدية من تعليم ومواصلات وصحة ومياه وكهرباء وبريد

واتصالات سلكية ولاسلكية ودورعبادة وطواحين وطوابين ومطاعم وفنادق ولكوندات. نرصد في جانب التعليم في الفصل السادس تطور التعليم في المدينة بشقيه الحكومي والأهلي وانتشاره في أرجاء المدينة المختلفة، ومن لهم الدور الريادي في تعليم أبناء الخرطوم. أما في جانب المواصلات والنقل فنجد في الفصل السابع تفصيلاً لوسائل المواصلات المتاحة لأهل المدينة من ترماج وبصات نقل أهلي وتاكسي ومَعَدِيَات، ومرافق نقل أخرى مثل السكة حديد والمطار. نقدم في الفصل الثامن توثيقاً للخدمات الصحية في مدينة الخرطوم حيث نتناول الصرف الصحي والمستشفيات والاجزخانات، هذا بالإضافة إلى الخدمات الأخرى مثل أماكن دور العبادة من مساجد وزوايا وكنائس، ومرافق المياه والكهرباء، ومرافق البريد والتلغراف والهاتف.

يوثق الباب الثالث للنشاط الاقتصادي والحياة الاجتماعية في المدينة في حقبة الحكم التركي المصري و حقبة ما بعد دولة المهدية. يستعرض الفصل التاسع الجانب الاقتصادي للمدينة وسبل كسب العيش فيها بشيء من الإيجاز والذي يشتمل على قطاعات التجارة والصناعة والبستنة والقطاع المصرفي. الملامح الحياتية لمجتمع الخرطوم هو موضوع الفصل العاشر، ونتناول فيه عادات وتقاليد سكان المدينة في المأكل والمشرب والملبس ووسائل الترفيه المتاحة لهم من قهاوي ودور ملاهي ومنتزهات ومتاحف. أما الفصل الحادي عشر فيصف عادات وتقاليد السكان في الأفراح والأتراح والأعياد والمناسبات الدينية.

لن تكتمل صورة الخرطوم دون إضافة بعدها الثقافي، والذي يشمل شتى أنواع الإبداع في مجالات الفن والأدب والرياضة وهذا ما يوثق له الباب الرابع والأخير. نستعرض في الفصل الثاني عشر الحركة الأدبية في المدينة ونتعرف على منتدياتها الثقافية: نشأتها وتطورها ونتاجها من الإبداع والمبدعين. وفي الفصل الثالث عشر يتم استعراض ضروب فن الغناء في المدينة، والمبدعين في

هذا المجال، والفرق والورش الفنية التي أسهمت في تطوير الأغنية. أما مجال الحياة الرياضية فهو موضوع الفصل الرابع عشر الذي نتناول فيه أندية الخرطوم الرياضية والأنشطة التي تمارسها، وروابط الناشئين لكرة القدم، والأنشطة الرياضية الأخرى التي عرفتها المدينة.

يحتوي الكتاب علي مجموعة من الخرائط والصور الفوتوغرافية لمدينة الخرطوم. ويتذيل الكتاب قائمة بالمصادر والمراجع التي ورد ذكرها في الهوامش.

الباب الأول

نشــأة وإعمــار الخرطــوم

الفصل الأول: النشأة الأولى لمدينة الخرطوم

الفصل الثاني: الخرطوم في عهد دولة المهدية

الفصل الثالث: إعادة إعمار الخرطوم شمال (الخرطوم عموم)

الفصل الرابع: عمارة الخرطوم جنوب (الديوم القديمة)

الفصل الخامس: عمارة الخرطوم جنوب (ما بعد الديوم القديمة)



الفصل الأول

النشأة الأولى لمدينة الخرطوم

الخرطوم في فترات ما قبل الحكم التركي المصري

لم يرد ذكر الخرطوم في عهد مملكة النوبة المسيحية العليا (علوة) (٥٨٦ق.م – ١٥٠٤م) وكذلك في عهد السلطنة الزرقاء (سِنَّار) (١٥٠٤م – ١٨٢١م)، بينما جاء ذكر قَرِى والحلفاية على لسان العديد من الرحالة أمثال بروس وبونسيه الفرنسي. دلت بعض الشواهد التي صاحبت حضور الأتراك إلى السودان بأن اسم الخرطوم كان اسماً للموضع قبل إنشاء المدينة. وكان الموضع يعرف أيضاً برأس الخرطوم و لم يكن به سوى بعض الأكواخ المتناثرة لصائدي الأسماك وسط المستنقعات التي يخلفها موسم الأمطار وفيضان النيل كما جاء في كتابات كايو وإدوارد بارون فون كالو الذي عرف بأرسلان بك[٢].

هنالك العديد من الروايات حول اسم الخرطوم ومصدره، فالبعض يرجعونه إلى اللغات النوبية والمروية والبعض يرجعونه إلى لغات إفريقية وآخرون إلى اللغة العربية. فيرجع كل من قرانت وأسبيك، وهم من مكتشفي منابع النيل الاسم إلى نبات القرطم والذي تكثر زراعته في مصر. وأرجع البعض الاسم إلى لغات القبائل النيلية ويدل على المكان الذي تجتمع عنده العيون والأنهار. كما أرجعه آخرون ومنهم البروفيسور محمد إبراهيم أبوسليم إلى النوبة القديمة وأستدل على ذلك بقرب المكان من سوبا عاصمة مملكة النوبة المسيحية العليا وظاهرة تكرار الأسماء النوبية فهنالك قرية بهذا الاسم

٢ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ الخرطوم، ١٩٩١م.

في النوبة المصرية على مقربة من كلابشة[3]. ويعتقد الكثيرون أنَّ سبب التسمية هو امتداد الموضع داخل الماء في شكل يشبه خرطوم الفيل أي أن أصل الكلمة عربي، وهذا هو الأرجح فقد استخدم الاسم في مواضع شبيهة في عهد السلطنة الزرقاء كخرطوم البشاقرة في منطقة الجزيرة[4].

تُوثِق المصادر نشأة الخرطوم كقرية بعد عبور ولي من أولياء محس جزيرة توتي (ويدعى أرباب العقائد)[5] النيل الأزرق في نهاية القرن السابع عشر (١٦٩١م) وأنشأ على مقربة من الشاطئ الجنوبي للنهر خلوة لتدريس طلاب العلم، وكانت تلك هي النواة التي قامت عليها قرية الخرطوم. وعند مجيء الأتراك اتخذوا من الخرطوم عاصمة لهم عوضاً عن سِنَّار وذلك لأسباب جغرافية فالخرطوم أقرب إلى وسط السودان من سِنَّار، ولأسباب بيئية فمنطقة سِنَّار كانت موبوءة بالملاريا، ولأسباب سياسية وهي إزالة كل الرموز الدالة على السلطنة الزرقاء. وقد أشار إدوارد بارون فون كالو إلى أهمية الموقع كتقاطع لطرق القوافل مما دعاه إلى اقتراح إنشاء مدينة تجارية بالموقع[6]. بدأ العمران التدريجي للخرطوم فأصبحت تنمو كمدينة حضرية واستمرت كذلك طوال فترة حكمهم للسودان حتى قيام دولة المهدية التي هدمت كل ما شيده الأتراك وأُنشأت أم درمان بدلاً عنها وذلك لمحو أثار حقبة الحكم التركي المصري وما اتصف به حكامها من ظلم وجور وتعسف وفساد. وبعد ذلك جاء الحكم الثنائي ليعيد للخرطوم سيرتها الأولى عاصمة للبلاد ويعيد لها ألقها ومجدها الغابر، وسنستعرض فيما يلي سرداً تاريخياً موجزاً لنشأة الخرطوم المدينة.

---

٣ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ الخرطوم، ١٩٩١م.

٤ محمد النور ضيف الله، طبقات ود ضيف الله، تحقيق يوسف فضل، الخرطوم، ١٩٧١م.

٥ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ الخرطوم، ١٩٩١م.

٦ نفس المصدر السابق.

يتضح مما سبق أن الخرطوم، أو بالأصح موضع الخرطوم، لم يكن لها دور أو شأن يذكر في فترات ما قبل قدوم الأتراك للسودان، والمعلم الوحيد الذي رادف ذكر الخرطوم في تلك الفترات هو خلوة أرباب العقائد التي أقام حولها مجموعة من الصيادين. وهناك بعض الخلاف في تاريخ بداية الخرطوم المدينة.

بدأت المدينة حسب رواية المبارك إبراهيم[٧] في سنة ١٨٢٤م عندما اتخذها الأتراك مقراً لرئاسة حكمهم عوضاً عن سِنَّار التي تفشت فيها الملاريا والدسنتاريا. كما أورد نفس المصدر أنَّ ميلاد المدينة بدأ بإقامة الأتراك لمعسكر دائم لهم جنوب قرية الخرطوم في سنة ١٨٢٢م، ثم توسع المعسكر وتوسعت معه المدينة حتى صارت عاصمة في ١٨٣٠م. وقريباً من هذه الروايات ما ذُكِر من أن تأسيس المدينة كان على يد عثمان بك جركس البرنجي ما بين عام ١٨٢٠م و ١٨٢٣م، واتخذ منها مقراً لقيادته عندما عين حاكماً على السودان في ١٨٢٤م. ذكر عبد الله حسين – ١٩٤٧ صاحب كتاب «السودان القديم والجديد» أن الأتراك اتخذوا من الخرطوم معسكراً لجيشهم في سنة ١٨٢٢م، ثم أعلنها علي خورشيد باشا عاصمة للسودان في سنة ١٨٣٠م. وقد شارك عبد الله حسين في هذا القول الدكتور محمد صبري – ١٩٣٠ في كتابه «الإمبراطورية المصرية في عهد محمد علي». يتضح من كل ما سبق أن بداية مدينة الخرطوم كانت في الفترة من ١٨٢٠م إلى ١٨٢٣م ثم بدأت في النمو إلى أن اتُخِذَت عاصمة للسودان في ١٨٣٠م.

---

٧ المبارك إبراهيم، تاريخ مدينة الخرطوم، ١٩٤٠م.

الأحياء والشكل العمراني

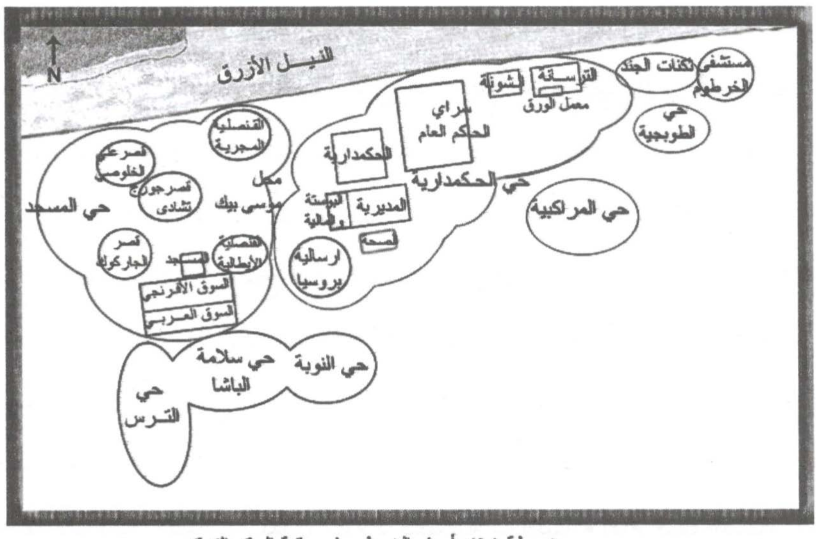
عندما قرر الأتراك اتخاذ الخرطوم مركزاً لقيادتهم بنوا دواوين حكمهم ومساكن موظفيهم وثكنات جندهم في موقع السكة حديد الحالي أي إلى الجنوب بحوالي الميل من قرية الخرطوم التي أسسها أرباب العقائد التي كان موقعها في منطقة جامع فاروق الحالي. عندها بدأ الأهالي من المناطق القريبة التجمع حول هذا المركز وشيدوا منازلهم في المنطقة الواقعة إلى الشمال منه وعرفت بعد ذلك بحي سلامة الباشا. وهكذا بدأت المدينة في الاتساع والنمو تدريجياً ناحية الشمال وذلك في السنوات الأولى من عمر الخرطوم، أي النصف الأول من عشرينات القرن التاسع عشر. وزاد توسع المدينة في تلك الناحية حين أنشأ علي خورشيد باشا أواخر عام ١٨٢٩م مسجد الخرطوم العتيق في نفس الموقع الذي يحتله اليوم جامع فاروق أي في موقع حلة الخرطوم القديمة وتزامن مع ذلك تعمير المنطقة التي حول المسجد وذلك بتشجيع من خورشيد باشا حيث قام بمد الأهالي بالأخشاب ومواد البناء الأخرى. ونتج عن كل ذلك عمارة حي المسجد الذي أصبح أرقى أحياء المدينة خاصة الجزء الشرقي منه المواجه لحي الحكمدارية والذي عرف بعد عهد خورشيد بمحل موسى بك وبه منازل الطبقة الراقية من موظفي الإدارة. واحتوى حي المسجد فيما احتوى بجانب محل موسى بك على قصور وجهاء المدينة من تجار وأعيان وأجانب أمثال علي الخلوصي والجاركوك والخواجة جورج تشيادي. شيد علي الخلوصي قصره في الموقع الذي تحتله الآن جنينة السيد على الميرغني، كما شيد الجاركوك قصره جوار المسجد بينما أقام جورج تشيادي قصره جوار الموقع الذي تشغله الآن استراحة الري المصري[٨].

شهد هذا الحي ومحل موسى بك بصفة خاصة خلال السنوات التي

٨ خريطة (١)

تلت إنشاء المسجد قيام عدد من القنصليات والإرساليات حيث نجد القنصلية المجرية في أقصى الشمال الشرقي من الحي تطل على النيل الأزرق، والقنصلية الإيطالية إلى الشرق من المسجد. افتتح بلودون القنصلية البريطانية في عام ١٨٤٩م وخلفه عليها جون بتريك الذي عين نائب قنصل في عام ١٨٥٩م ثم قنصلاً بعد ذلك. وافتتح البارون ميلر أول قنصلية للنمسا في عام ١٨٥٠م وخلفه عليها تيودور فون هوجلين ثم الدكتور ناترر ثم هنزل. توجد أيضاً القنصلية الفرنسية التي تعاقب عليها المسيو ثيبو والطبيب البيطري وتاجر الصمغ العربي لافار ثم جاء من بعده فوسيون ثم البير ماركيت. كذلك من القنصليات التي شهدتها تلك الفترة قنصلية سردينيا وأقام فيها المسيو فوديه وخلفه براون روليه.

أما بالنسبة للإرساليات فنجد الإرسالية الكاثوليكية قد احتلت مساحة شاسعة في الموقع الذي شغلته مديرية الخرطوم (مبنى مجلس الوزراء الجديد) والري المصري ومكتب النائب العام (وزارة العدل)، بينما شغلت الإرسالية البروسية المربع الواقع إلى الغرب من المحطة الوسطى، أما الكنيسة القبطية فقد احتلت الناحية الشمالية الغربية من الحي ومازالت تشغل ذات الموقع إلى يومنا هذا. من الأسباب التي زادت من أهمية هذا الحي وجود سوق المدينة في الناحية الجنوبية من المسجد.



خريطة (1) أحياء الخرطوم في حقبة الحكم التركي

تَكَوَن هذا السوق من شقين إفرنجي وعربي تماماً كما هو عليه الحال الآن وكان الشق الإفرنجي يعرف بين الأهالي بسوق الدكاكين وهو الأقرب إلى المسجد، وقد تخللت المساحات التي يغطيها أربعة شوارع تفتح عليها المحال التجارية. أما الشق العربي فقد كان يعرف بسوق الشمس إذ لم تكن به مبانٍ في أول عهده ويتم البيع فيه تحت الرواكيب.

يمثل حي الحكمدارية (حي المباني الحكومية) الحي الرسمي في الخرطوم في العهد التركي المصري ويقع إلى الشرق من حي المسجد، واشتمل على دواوين الحكومة ومنازل كبار الموظفين وثكنات الجنود. والراجح أنَّ انتقال هذه المرافق من موقعها الأول في جنوب المدينة إلى هذا الحي الواقع إلى الشرق من حي المسجد تم في عهد على خورشيد باشا بعد بنائه للسرايا في موقع القصر الجمهوري الحالي واتخاذه من الخرطوم عاصمة لحكم البلاد بصفة نهائية في عام ١٨٣٠م. شهد الحي بعد ذلك توسعاً ملحوظاً في عهود كلٍ من الحكمدار عبد اللطيف باشا (١٨٤٩م – ١٨٥٢م) وأحمد ممتاز باشا (١٨٣٨م – ١٨٤٣م) وإسماعيل

أيوب باشا (١٨٧٣م – ١٨٧٧م). ومن أهم معالم هذا الحي، بجانب السرايا التي اتُخذت سكناً للحكمدار، مبنى الحكمدارية الذي يقع إلى الغرب من السرايا في موقع وزارة المالية الحالية. وبنيت الحكمدارية في عهد أحمد ممتاز باشا (١٨٣٨م – ١٨٤٣م) لتصبح المقر الرسمي للحكم. ونجد إلى الجنوب من الحكمدارية مربعاً يشتمل على مباني المديرية التي بنيت في عهد خورشيد، بجانب مباني البوستة (البريد) والمالية في الناحية الشمالية الغربية من المربع، وأحيطت كل هذه المباني بسور واحد يضم فناءً واسعاً تقام فيه الحفلات الرسمية. كما نجد في هذه الجهة من حي الحكمدارية مباني مصلحة الصحة التي شغلت المساحة الواقعة إلى الجنوب من مربع المديرية في الموضع الحالي لديوان المراجع العام. ونجد إلى الجنوب من مباني المديرية الثكنة القديمة للجنود.

يوجد إلى الشرق من السرايا مبنى الشونة[٩] (مخازن الغلال) في موقع وزارة الأشغال سابقاً ومصلحة المساحة حالياً، التي عمل بها أحمد الحاج أبوعلي المشهور بكاتب الشونة. ويلي مبنى الشونة من الشرق الترسانة وقد احتلت حيزاً مقدراً من المساحة وذلك لأهمية إستراتيجية النقل النهري لدى حكام السودان الأتراك آنذاك، فقد كان الوسيلة الوحيدة المتاحة لربط السودان بمصر. وتمثل الترسانة في الواقع مجمع الورش الأميري الذي يشتمل على كل الحرف الصناعية المعروفة آنذاك من ميكانيكا وحدادة وبرادة ونجارة، وعرفت الترسانة بمنطقة الصناعة. أُلحق بالترسانة في عهد إسماعيل أيوب (١٨٧٣م – ١٨٧٧م) مطبعة كانت تسمى بمعمل الورق استخدمت لطباعة مستلزمات الحكومة من المطبوعات. واحتلت ثكنات الجند المربع الواقع إلى الشرق من الترسانة الذي كان يمثل الحد الشرقي للمدينة قبل إنشاء مستشفى الخرطوم في عهد أحمد ممتاز باشا، وعرفت هذه الثكنات بحي العرضة. وقد أضاف إسماعيل أيوب في فترة

٩ شونى كلمة قبطية، وشنوت هيروغليفية وتعني مخزن الغلال.

لاحقة معمل البارود (مصنع الذخيرة) لمجمع ثكنات الجند. بدأ أحمد ممتاز باشا في بناء المستشفى في أقصى شرق حي الحكمدارية وبالتالي أقصى شرق مدينة الخرطوم، واكتمل البناء وتوسع في عهد إسماعيل أيوب ليتسع لمائتين وسبعين سريراً، وكان خورشيد قد شرع في بناء مستشفى في موقع غير هذا الموقع.

أما الأحياء الشعبية فكانت تقع في الأطراف، من أشهرها وأقدمها حي سلامة الباشا ويقع في الناحية الجنوبية الغربية من المدينة وجنوب السوق العربي آنذاك وكان معظم سكان هذا الحي من الدناقلة و نوبة الشمال، وسمي كذلك اعترافاً بما أسداه الباشا لسكانها من تسهيلات في وسائل التعمير. ونجد إلى الشرق من حي سلامة الباشا حي النوبة وترجع تسميته إلى أصول ساكنيه الذين وفدوا من جبال النوبة وعملوا في الجيش ثم تمَّ الاستغناء عنهم. هناك أيضاً حي الترس من الناحية الجنوبية الغربية من المسجد ويمتد قليلاً إلى الجنوب، وسمي بحي الترس لوجود ترس ترابي في الناحية الغربية منه لحماية المدينة من فيضان النيل الأبيض. سكن هذا الحي خليط من الأهالي (من المحس والجعليين والفتيحاب) والمصريين والأقباط. كان الأقباط يقيمون في الجزء الشمالي من الحي وتمتد منطقة سكنهم لتشمل الناحية الغربية من حي المسجد. أيضاً من الأحياء الشعبية الصغيرة حي الكارا الخاص بالعسكر من السودانيين والمصريين، وحي الطوبجية[10] وسكانه من المصريين والأتراك ويقع إلى الجنوب من ثكنات الجنود (حي العرضة)، وحي هبوب ضرباني الذي يعد من أفقر أحياء المدينة. كما نجد حي المراكبية في الناحية الجنوبية الشرقية من المدينة إلى الجنوب من الترسانة، وتأتي التسمية نسبة إلى المهنة التي اشتهر بها سكان هذا الحي وهي مهنة قيادة المراكب والسفن، ومعظم سكان هذا الحي من الدناقلة الذين يعملون في التجارة. هنالك أيضاً بري المحس في أقصى شرق المدينة في الموضع الذي

١٠ الطوبجية تعني جنود المدفعية.

تحتله الآن مستشفى العيون وداخليات البركس التابعة لجامعة الخرطوم. ونجد في الناحية الجنوبية الغربية من حي سلامة الباشا منطقة عصارات السمسم، كما نجد السلخانة في أقصى جنوب الحي.

وكانت المدينة في آخر عهد خورشيد باشا تضم حوالي خمسمائة منزل غير الثكنات والمخازن والمستشفى، وكانت عمارتها من الطين، وجدران منازلها بغير طلاء لندرة الجير في المنطقة المحيطة بالمدينة. بنيت السرايا من الطين في شكل مربع يشبه الحصن. وهي البناء الوحيد، بالإضافة إلى منزل قائد الحامية، الذي استخدم الزجاج في نوافذهما. تمثلت زينة المدينة في مباني المديرية والمسجد والسوق فهي الأبنية الوحيدة في المدينة المشيدة من الآجر الذي نقل من مدينة سوبا القديمة.

شهدت المدينة الكثير من التغيير العمراني بعد عهد خورشيد باشا دفعت إلى ذلك عدة عوامل منها السياسة العمرانية للإدارة التركية في البلاد، وشخصية بعض الحكمداريين اللامعين العاملين على تطوير المدينة، والتقدم التجاري الذي كان في تطور مستمر بمرور الزمن. وظل محل موسى بك مكان سكن الطبقة الراقية من الموظفين الأجانب والأتراك في تطور مستمر، فقد أصبحت طرقه أكثر طرق المدينة استقامة وتخطيطاً، ومنازله مبنية بالآجر وبغرف واسعة وسقوف مرتفعة، وتحيطها الأفنية الخضراء والحدائق الزاهرة التي تروى من ماء الآبار المحفورة بها، وتقوم في أطرافها دورات المياه والمطابخ والمخازن. وكان يلاحظ قلة استخدام الزجاج في تلك المنازل وذلك لغلائه وصعوبة نقله من مصر.

ذاك هو حال منازل أغنياء المدينة ووجهائها الذين يسكنون حي المسجد. أما منازل الأحياء الشعبية فكانت مربعة الشكل مبنية من اللّبن، وذات أفنية ترابية وضيقة وتحيط بها أسوار منخفضة من الطين. وأقصى ما يحتويه المنزل ثلاثة

غرف وكثيراً منها بغرفة واحدة. وهذه الغرف ضيقة ومظلمة وبفتحات صغيرة خالية من النوافذ وذات سُقفٍ منخفضة. لا تتعدى محتويات الغرف العناقريب وأدوات المطبخ في معظم الأحيان. أما مسالك هذه الأحياء فهي في الغالب أزقة ضيقة و متعرجة.

توسعت الخرطوم كثيراً وبلغت أقصى مداها بنهاية حقبة الحكم التركي المصري حيث غطت تقريباً المنطقة الواقعة ما بين حديقة الحيوان أي شرق قاعة الصداقة وما بين وزارة الصحة (موقع مستشفى الخرطوم آنذاك)[11]. غطت المساحات الواقعة مباشرة إلى الغرب من المدينة على امتداد النيل الأزرق حدائق وبساتين عرفت بسواقي المحس[12]، وما يليها إلى المقرن منطقة منخفضة يغمرها الفيضان.

ومن أبرز علامات مدينة الخرطوم كما يقول د. أحمد أحمد سيدأحمد: «السوق الكبيرة ومئذنة الجامع العالية وسرايا حاكم البلاد الضخمة الملفوفة في بياض الجير. وقد وصفت المدينة في ذلك الوقت بأنَّها أكبر وأنظف من كل مدن مصر العليا ما عدا أسيوط.»[13]. ظهرت في المدينة في منتصف الخمسينيات من العقد التاسع عشر معالم معمارية لم تكن معروفة من قبل تمثلت في المباني ذات الطابقين وظهور الشرفات وتخصيص البوابين على أبواب بعض المنازل في حي المسجد خاصة في محل موسى بك. كانت بالمدينة منطقة فضاء منخفض تفصل محل موسى بك عن حي الحكمدارية بعمق يزيد على المائة متر وينتهي في ناحيته الجنوبية الغربية بسوق الشمس، وفي ناحيته الجنوبية الشرقية بميدان الاحتفالات والعدالة حيث يتم تنفيذ حكم الإعدام على المجرمين. ضمت المدينة عدداً من الميادين المخططة، أهمها ميدان المديرية الواقع جنوب السرايا مباشرة، وميدان

١١ كما توضحه خريطة (١)

١٢ كانت هذه البساتين مملوكة للمحس قبل أن يشتريها اصحابها الجدد في العهد التركي.

١٣ د. أحمد أحمد سيدأحمد، تأريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المسجد الكائن حول المسجد، وميدان تدريب الجنود الواقع جنوب الثكنات. أما مقبرة المدينة فقد احتلت الناحية الجنوبية الشرقية منها.

السرايا والحكمدارية

أقام محو بك (١٨٢٥- ١٨٢٦م) بناءً من اللبن في نفس موقع القصر الجمهوري الحالي خصصه لأقلام الحكومة ولسكنه في نفس الوقت. عرف هذا البناء منذ ذلك الحين إلى نهاية الحكم التركي المصري بالسرايا، وكانت عبارة عن منزل مربع من الطين. نقل خورشيد (١٨٢٦- ١٨٣٨م) مكاتب الإدارة من السرايا إلى مبنى المديرية الذي أقامه غربها، وبذا أصبحت السرايا بعد إدخال بعض التحسينات عليها منزلاً لإقامة الحكمدار وأسرته منذ ذلك الحين. وكانت السرايا مكونة من قاعة واسعة للاستقبال ذات سقف من عروق خشبية وأرضية ترابية مدكوكة ترش بالماء من حين لآخر، وتحتوي على زيرين كبيرين وعدد من قلل الفخار فوق رف بجدارها. وأقيم على ثلاثة جوانب من القاعة دِيْوان[١٤] من الطين مغطى بألواح خشبية ومفروش بسجاد فاخر ومساند حريرية.

جاء الحكمدار عبد اللطيف (١٨٤٩- ١٨٥١م) وهدم السرايا وأعاد بناءها مستعيناً بالآجر المنقول من أنقاض مدينتي سوبا وأبي حراز وأحاطها بسور من اللبن. كما أدخل أحمد ممتاز (١٨٧١- ١٨٧٣م) في بناء السرايا الكثير من العمارة والتعديلات التي لم تكتمل إلا في عهد إسماعيل أيوب (١٨٧٣- ١٨٧٧م). يصف د. أحمد أحمد سيد أحمد السرايا بأنّها «بناء ضخم من طابقين ومكحل بالحجارة وبه أجنحة خاصة بالحريم وجناح للزوار. وهو يطل على النيل من الأمام وعلى ميدان المديرية من الخلف، وتحيط به الأشجار من الشرق والغرب والجنوب الذي تحتله حديقة كبيرة تعج بالنخيل والأعناب،

١٤ مكان ينظر فيه في أمور الدولة وقضايا الحكم.

ويقوم بجواره من الجهة المواجهة للمدينة حصن مزود ببعض المدافع يقف بينه وبين شارع المديرية- الذي يفصل بينه وبين مبنى الحكمدارية- حائط حجري ضخم». [15]



خريطة مدينة الخرطوم في نهايـــة العهد التركي كما رواهـــا سلاطين

١ ــ مخزن البارود
٢ ــ حلة توتي
٣ ــ قبة الشيخ خوجلي
٤ ــ طابية الشرق
٥ ــ قصر راسخ
٦ ــ حلة برى
٧ ــ طابية برى
٨ ــ مستشفى الخرطوم
٩ ــ مخازن سلاح
١٠ ــ مصنع خرطوش ومهمات عسكرية
١١ ــ القشلات
١٣ ــ الترسانة
١٣ ــ الشونة
١٤ ــ السراى
١٥ ــ قصر الحكمدارية
١٦ ــ القنصلية النمسوية
١٧ ــ البوستة والمالية
١٨ ــ المديرية
١٩ ــ الصحة
٢٠ ــ الكنيسة الكاثوليكية
٢١ ــ كنيسة الاقباط
٢٢ ــ حدائق
٢٣ ــ طابية المقرن
٢٤ ــ حلة الكلاكلة
٢٥ ــ حلة شجرة محو بك
٢٦ ــ القنصلية الفرنسية
٢٧ ــ القنصلية الايطالية

الخرطوم في أواخر حقبة الحكم التركي المصري

وجاء في وصف القباني لمبنى الحكمدارية التي بنيت في عهد أحمد ممتاز لتصبح

١٥ د. أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المقر الرسمي للحكم بأنّه "من الحجارة البيضاء الجميلة المنحوتة وذو منظر يضارع أعظم مباني القاهرة بنوافذ شمالية تطل على النهر وحولها أشجار باسقة. ويرتفع عن سطح الأرض بأكثر من ثلاثة أمتار. ومدخل إيوان الحكمدار من الجهة الجنوبية بثلاثة أبواب كبيرة يدخل منها الأهالي لمقابلته. وفي شرق الإيوان رواق مستطيل تصطف الغرف على جانبيه، وله باب شرقي يدخل منه الحكمدار من وإلى السرايا ويعرف (بباب السر)، والغرف التي بجانب هذا المدخل أحدها مكتبة والأخرى مكاتب القلمين الإفرنجي والتركي. وفي المبنى جناح غربي يضم غرفة وكيل الحكمدار والأقلام العربية"[١٦].

الأسواق

أُنْشِئَ سوق الخرطوم والذي عرف بسوق الدكاكين عند أول تأسيس المدينة في الناحية الجنوبية من المسجد على عهد خورشيد (١٨٢٦ – ١٨٣٨م). وامتد بعد إنشائه تدريجياً في جميع الاتجاهات حتى وقفت الأحياء من حوله وبالتحديد حي المسجد وحي الترس وحي سلامة الباشا والثكنة القديمة مانعاً من امتداده أكثر من ذلك وثبتت رقعته عند عام ١٨٦٠م. وكانت من أهم الإضافات التي تمت لمباني السوق تلك التي حدثت عام ١٨٥١م على عهد عبد اللطيف باشا عندما أُعْلِنَت حرية التجارة في النيل الأبيض فأنشئت مخازن التجارة الكبيرة التي لم يعرفها السوق منذ إنشائه وذلك لاحتكار الحكومة لتجارة الصادر. وقُدِرَ عدد محلات سوق الدكاكين بألف محل في عام ١٨٦٢م عندما بلغت تجارة الخرطوم مع جنوب السودان ذروتها.

يصف د. أحمد أحمد سيد أحمد سوق الدكاكين فيقول "ويقوم السوق حول

---

١٦ محمود القباني، مدينة الخرطوم، القاهرة.

الجامع الذي تخرج من ميدانه (قصيريتان)[١٧] إحداهما تعرف بالقصيرية الكبيرة والأخرى بالقصيرية الصغيرة، وكل منهما تضم ثلاثة أو أربعة ممرات مغطاة أسقفها بالحصر والقش وأغصان الأشجار الجافة والقماش السميك. وتضم القصيرية الكبيرة المحلات الفاخرة التي تذخر ببضائع مصر والهند وتركيا بل أمريكا، ومن هذه البضائع المنسوجات والملابس الجاهزة والأحذية والأوعية من الصيني والأدوية. ويسيطر الهدوء على تلك القصيرية، ويجري فيها الهواء الطلق المعطر بالبخور. أما القصيرية الصغيرة، فأكثر محلاتها تتاجر في البقالة بجميع أصنافها وكذلك الخمور، وهي أكثر حياة وصخباً من زميلتها الكبيرة لتردد الكثير من الأسر المتوسطة والفقيرة عليها. ومحلات السوق صغيرة بشكل عام، وهي تتجاور على كلا جانبي الممرات وأمام كل منها مصطبة ارتفاعها حوالي قدمين. وكان صاحب المحل يجلس على عتبته وحوله البضائع مكومة في داخل المحل وعلى المصطبة، مما كان يزيد من ضيق ممرات السوق. ومن سمات التجارة في السوق أنَّ البضائع المستوردة غالية الثمن ومن نوع رديء في معظم الأحيان، وأن المضاربين يستغلون فرصة نضوب معينها من السوق- وخاصة في موسم المطر- ويرفعون أسعارها بدرجة جنونية، وأنَّ اليونان هم سادة تجارة البقالة، وكانت محلاتهم تتقدمها صالات مسقوفة يسمرون فيها مع الأصدقاء ويتعاطون الخمر»[١٨].

يعتبر سوق الدكاكين بمثابة السوق الإفرنجي لمدينة الخرطوم أما سوقها العربي فيتمثل في ما عرف بسوق الشمس، ويقع إلى الجنوب الشرقي من سوق الدكاكين وإلى الجنوب من الثكنة القديمة ويمتد إلى شرقها. وقد أُسِسَ هذا السوق منذ دخول الأتراك إلى السودان أي قبل سوق الدكاكين في نفس هذا

١٧ القصيرية تعني السوق كما ورد في «قاموس اللهجة العامية في السودان»، د. عون الشريف قاسم، ٢٠٠٢م.

١٨ د. أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الموقع. ويتكون سوق الشمس من جزئين جزء مظلل عرف بسوق البقالة، وآخر غير مظلل أكبر مساحة من الجزء الأول وعرف بسوق القش.

اشتمل سوق البقالة على أربعة شوارع تقوم على جانبيها رواكيب من فروع الشجر والحصير والبروش. تباع في هذا السوق الحبوب (ذرة وقمح وشعير وسمسم) والبقوليات والخضروات والفواكه واللحوم والأسماك والزبد واللبن والحلوى وحتى مشروب المريسة[١٩]. أيضاً يباع فيه الدهن والودك والأدوات المنزلية الخشبية والحديدية والنحاسية والحبال ولوازم المرأة من أدوات زينة وحناء وكحل.

أما سوق القش فيقع في الناحية الغربية من السوق جنوب الثكنة القديمة حيث يباع القش والحصير ومواد البناء البلدي وأخشاب الدُخّان وأخشاب الحريق والصمغ والجلود في العراء، كما يوجد مكان صغير لبيع الأغنام.

كانت سوق الشمس تمد الأهالي بكل احتياجاتهم تقريباً إذ كانت تمدهم بأصناف الأطعمة والعلف والأخشاب بجانب المصنوعات المحلية البسيطة من أواني الفخار وأواني القرع والأقمشة القطنية الخشنة وأعمال السعف من حصير وبروش وقفف إضافة إلى الحبال والعناقريب. أما سكان الخرطوم من الأجانب فيعتمدون اعتماداً كلياً على المصنوعات المستوردة بجانب بعض صناع الأحذية والثياب من المصريين وبعض الجنسيات الأخرى.

مع اتساع حي المراكبية في الناحية الجنوبية الشرقية من المدينة خاصة بعد ازدهار التجارة مع جنوب السودان قامت سوق صغيرة في الحي عرفت بسوق بت عينة تمد أهالي الحي بمستلزماتهم من الطعام ولوازم الحملات لتجارة الجنوب من مصنوعات جلدية وحبال وإصلاح الخيام.

ونجد إلى الغرب من حي سلامة الباشا وراء الترس السوق الكبير للماشية ويسمى

١٩ مشروب بلدي مُسْكِر من الذرة الرفيعة.

بسوق الأربعاء نسبة إلى يوم عمارته، كما يوجد سوق صغير للماشية والأغنام بجوار السلخانة الواقعة في أقصى الجنوب الغربي من الحي. وكانت السلخانة قد نقلت إلى هذا الموقع في ما بين عام ١٨٤٠ و١٨٦٠م من موقعها الأول الذي كان يقع في أقصى شرق المدينة على ضفة النيل الأزرق.

وبالتجوال في أسواق الخرطوم يجد كل من يريد التسوق حاجته سواء من سوق الدكاكين أو سوق الشمس بشقيه سوق البقالة وسوق القش أو سوق بت عينة أو سوق الأربعاء أو السلخانة أو من التجار المتجولين والسماسرة الذين يعقدون الصفقات التجارية في شتى البضائع وفي جميع أنحاء السوق ومقاهي المدينة. ولهذا جرى على السنة أهالي الخرطوم عبارة «شنو المعدوم في سوق الخرطوم».

كان التعامل بالبيع والشراء في أسواق الخرطوم يتم عبر كثير من العملات المتداولة في مصر حينها مثل الريال المجيدي والمحمودية التركية وريال ماريا ثريتا القُشَلي والسافريتا النمساوية والمصفاني وجنيه البنتو الفرنسي والبيوظة المصرية. وكانت أقل عملة متداولة قيمتها خمس بارات[٢٠] (ثُمن القرش) وأثمنها الجنيه المصري وأكثرها تداولاً الريال والقرش.

أما بالنسبة للموازين والمكاييل والمقاييس المستخدمة فهي نفس الوحدات التي كانت تستخدم آنذاك في مصر فوحدات الموازين هي القنطار والأقة والرطل والأوقية، ووحدات المكاييل هي الأردب والكيلة والملوة والقدح، ووحدات المقاييس هي الذراع والقدم.

منطقة الصناعة (الترسانة)

عرفت الترسانة حتى حكمدارية غردون (١٨٧٧ - ١٨٨٠م) بإدارة النيل

---

٢٠ البارة عملة معدنية صغيرة استعملها الأتراك ومنهم انتقلت إلى البلاد العربية والبارة جزء من أربعين جزءاً من القرش، وهي فارسية الأصل بنفس المعنى كما ورد في «قاموس اللهجة العامية في السودان»، د. عون الشريف قاسم، ٢٠٠٢م.

الأبيض عندما غير اسمها إلى ترسانة الخرطوم، أمَّا الاسم الغالب عليها عند الأهالي فهو المنجرة نسبة لنجارة السفن. وتقوم الترسانة بصناعة وصيانة وإصلاح سفن أسطول الحكومة بجانب إصلاح سفن الأهالي. وقد تم إنشاء الترسانة في عام ١٨٣١م بواسطة خورشيد باشا عندما قام بنقلها من موقعها الأول على النيل الأبيض جنوب الخرطوم إلى المنطقة الواقعة بين المدينة والمقرن على شاطئ النيل الأزرق، وقامت بجوارها حلة الريس عمر لسكن عمال الترسانة. وقد أعدت الترسانة بالمدقات[٢١] والمخارم وغيرها من الآلات التي تساعدها على إنجاز مهماتها. وقام غردون أيام حكمداريته الأولى بنقلها إلى شرق السرايا ليجنبها فيضانات النيل. تعاقب على إدارة الترسانة عدد من المهندسين الأجانب وكان آخرهم المهندس الإيطالي سبادا.

الشوارع والمشارع

كما سبق ذكره فأن شوارع الأحياء الشعبية كانت غير مستقيمة كثيرة التعاريج والانحناءات بجانب ضيقها وعدم انتظام عرضها، وغالباً ما تنتهي هذه الطرق عند جدار منزل وأحياناً عند فضاء وأخرى عند طريق آخر، وتتردى في حفرة هنا وترتفع هناك نتيجة منزل منهار. كانت هذه الشوارع والفسحات تمتلئ بالقاذورات التي يرمى بها سكان تلك الأحياء. أمَّا في أحياء الخرطوم الراقية (حي المسجد ومحل موسى وحي الحكمدارية) التي تقع جميعها في الناحية الشمالية للمدينة بموازاة النيل الأزرق فالأمر جد مختلف حيث نجد الشوارع تقطع هذه الأحياء من الشمال إلى الجنوب مبتدئة من طريق ضفة النيل (شارع النيل). يمتد طريق ضفة النيل في محاذاة النيل بعرض لا يزيد عن عشرة خطوات يزداد ضيقاً في بعض أجزائه بسبب انهيار أسوار بعض الحدائق أثناء الفيضانات

٢١ المدق ما يُدَقُّ به.

ذات المناسيب العالية. ويطل الجزء الشمالي من السرايا على طريق ضفة النيل، وهو المبنى الوحيد الذي يطل عليه بينما بقية المباني تطل إلى داخل المدينة وتفصلها عن هذا الطريق الحدائق والبساتين.

وفي طريق ضفة النيل توجد المشارع[٢٢] للعابرين إلى بر أم درمان وجزيرة توتي والحلفاية. تتصل هذه المشارع بداخل المدينة بشوارع يمكن تسميتها مجازاً بشوارع وطرق المشارع. وتقطع هذه الشوارع وهي متجهة جنوباً سواقي المحس ثم تتقاطع بعد ذلك بشارع رئيسي يمتد من الغرب إلى الشرق بطول المدينة موازياً للنيل الأزرق. كان هذا الشارع أطول شوارع المدينة وأكثرها استقامة واتساعاً، ويطل عليه الكثير من منازل علية القوم ووجهائهم من الوطنيين والأجانب. بعد تقاطع الشوارع القادمة من الشمال بهذا الشارع الرئيسي تمتد ناحية الجنوب لتعبر وسط المدينة في استقامة إلى أنَّ تعبر حي المسجد ومحل موسى بك وحي الحكمدارية. يتغير الحال عند دخول هذه الشوارع والطرق للأحياء الشعبية حيث تصبح في معظمها أزقة ضيقة متعرجة أحياناً ومستقيمة أحياناً أخرى لينفذ بعضها إلى الطرف الجنوبي للمدينة وينتهي البعض الآخر في وسط تلك الأحياء عند جدران بعض المنازل أو عند فسحات مغلقة.

عند استعراض طرق المشارع من الغرب إلى الشرق، نبدأ بالشارع الممتد من مشرع أرباب العقائد ويمثل المدخل الرئيسي للمدينة من الناحية الغربية، وهو مدخل أهالي جزيرة توتي إلى حي المسجد حيث المسجد والسوق. ويليه من ناحية الشرق شارع مشرع التبيداب نسبة إلى آل تبيدي من أشهر صاغة المدينة وكانت محلاتهم تقع على هذا الشارع. ويأتي بعد ذلك شارع مشرع القاضي الذي استخدمه سكان جزيرة توتي مع شارع مشرع التبيداب للوصول إلى

٢٢ جمع مُشْرَع وهو مورد الشاربة ومكان رسّو السفن.

جامع وسوق الخرطوم لقصرهما مقارنة بشارع مشرع أرباب العقائد. ويقع شارع مشرع موسى بك إلى الشرق من طريق مشرع القاضي، ويمتد هذا الشارع في استقامة جنوباً عبر محل موسى بك إلى الثكنة القديمة للجنود. ويقوم شارع مشرع المديرية إلى الشرق من الشارع السابق ويمر بين مبنى الحكمدارية والسرايا وينتهي جنوباً عند ميدان الإحتفالات والعدالة. ثم نجد طريق مشرع الشونة إلى الشرق من السرايا وهو يوصل بين ضفة النيل ومخازن الحكومة حيث الشونتين الكبيرتين بجانب ربطه ضفة النيل وجنوب المدينة. يأتي بعد شارع مشرع المديرية شارع مشرع المستشفى وهو طريق أهالي الحلفاية إلى الخرطوم بعد عبورهم المشرع، ويمر هذا الشارع إلى الشرق من المستشفى العسكري والحدائق الواقعة خلفه ليصل ضفة النيل بحلة المراكبية. وآخر طرق المشارع في الناحية الشرقية من المدينة هو طريق مشرع المحس والذي يستخدمه أهالي بري المحس للوصول إلى ضفة النيل ثم العبور إلى بر الحلفاية.

لم تعرف شوارع الخرطوم الرصف أو التسوية والدك وإن كانت الحكومة تعتني بنظافة تلك التي تقع في القطاع الشمالي والأوسط من المدينة، فقد كانت تكنس وترش بالماء صباح كل يوم. ويلاحظ أنَّ شوارع المدينة خالية من التشجير عدا طريق ضفة النيل الذي تظلله أشجار النخيل التي كانت تملأ الحدائق والبساتين على ضفة النيل. كذلك يلاحظ خلو المدينة من الميادين الخضراء.

إضافات لمراحل تطور المدينة

كانت الأراضي المطلة على النيل مرغوبة في بداية العهد التركي المصري لغرس البساتين لسد حاجة سكان المدينة من الفاكهة والخضروات، ولكن عندما كثر عدد الأجانب من أثرياء الأوروبيين أصبحت هذه الأراضي تشترى لبناء المنازل وارتفعت قيمتها لتبلغ الجنيهين والثلاثة جنيهات للمتر الواحد منها. أما قيمة

الأراضي في داخل المدينة فلم تكن بهذا الغلاء، فكانت الحكومة تبيع الأراضي بأسعار منخفضة لتشجيع سكان المدينة على العمارة وخاصة في الأحياء الشعبية مثل حي سلامة الباشا وحي النوبة حيث تبيعهم المتر الواحد بقرش صاغ مع تقديم الأخشاب اللازمة لسقوف المنازل.

لحماية الجزء الشمالي من المدينة من فيضانات النيل الأزرق، فكر محمد بك راسخ مدير الخرطوم في ١٨٦١م في عمل رصيف لوقاية المدينة. وتم تنفيذ هذه الفكرة في عهد الحكمدار جعفر مظهر (١٨٦٥- ١٨٧١م)، وأصبحت صيانة هذا الرصيف بعد ذلك موضع عناية الحكمداريين الذين أعقبوا جعفر مظهر. كما أقيم ميناء الخرطوم على ضفة النيل الأزرق في أقصى غرب المدينة حيث ترسو السفن التجارية المتجهة إلى الجنوب على طول رصيف الميناء ويُوصل لتلك السفن بواسطة سلم حجري يتخلل الرصيف.

هطلت على الخرطوم أمطار غزيرة في عام ١٨٦٦م أصابتها بكثير من الأضرار بجانب فيضان النيل الذي اجتاح معظم الأجزاء الشمالية للمدينة مما فاقم في الأضرار التي أصابت مباني المدينة. وأدت هذه الكارثة إلى تفكير الخديوي إسماعيل باشا في نقل العاصمة إلى جزيرة توتي وذلك لعلو وسطها وميلان سطحها بطريقة لا تسمح بتراكم المياه. ولكن كان للحكمدار جعفر مظهر (١٨٦٥- ١٨٧١م) رأي آخر إذ يرى أنَّ بالإمكان إصلاح ما خربته الطبيعة وتجديد المباني الأميرية باستخدام عمال الحكومة. ووافقه الخديوي على هذا الرأي ووجهه بتنظيم المدينة على أسس جديدة و"ألا يدع مياه الأمطار تتراكم في المدينة بل عليه أن يجعل لها مصارف تسيل منها إلى البحر .... وإنشاء قوة من القواصة الضبطية برئاسة مأمور للإشراف على نظافة المدينة".[٢٣] نجح مظهر باشا في إعادة بناء المنشآت الحكومية بالآجر والجير، وشَقْ طرق جديدة

٢٣ د. أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وتوسيع القائم منها وردم الحفر والمنخفضات التي تتخلل سطح المدينة.

تواصلت عملية تطوير مدينة الخرطوم بعد انتهاء ولاية مظهر باشا في عهدي الحكمدار أحمد ممتاز (١٨٧١- ١٨٧٣م) والحمكدار إسماعيل أيوب (١٨٧٣- ١٨٧٧م). فقام إسماعيل أيوب بتوسيع شوارع العاصمة ومن أهم التوسعات التي قام بها توسعة شارع الترس وتوسعة شارع مشرع القاضي. كما أكمل تجديد بناء الحكمدارية الذي بدأه أحمد ممتاز، وتحويل ميدان المديرية إلى حديقة غناء مليئة بالأزهار والرياحين. وقام أيضاً بردم الحفر والبرك داخل المدينة وحفر المجاري لتصريف مياه الأمطار.

وبهذا ترك كل من جعفر مظهر وإسماعيل أيوب بصمات واضحة في الصورة التي بدت عليها مدينة الخرطوم في آخر العهد التركي المصري بعد أن تطورت منذ عام ١٨٣٠م حين كانت تضم حوالي الثلاثين منزلاً فقط من الطين وباقي منازلها من القطاطي المبنية من القش إلى مدينة منازلها كلها من اللبن بعد أقل من عقدين من الزمان ثم إلى مدينة تضم ثلاثة آلاف منزل بحلول عام ١٨٨٠م.[٢٤]

السكان

اختلف المؤرخون في تقدير عدد سكان مدينة الخرطوم في أواخر العهد التركي، فمنهم من قدرهم بخمسين ألف نسمة ومنهم من قدرهم بمائة ألف نسمة حتى إنَّ هنالك من ادعى أنَّ تعداد السكان بلغ نحو ٢٥٠ ألف نسمة[٢٥،٢٦]. علماً بأنَّ عدد سكان المدينة في بداية ذلك العهد لم يتعد الستمائة بجانب جند الحكومة حتى آخر عهد محو بك (١٨٢٥ - ١٨٢٦م). إذ يورد د. أحمد أحمد سيدأحمد في هذا الشأن ما يلي «وبتحليل هذه التقديرات

٢٤ د. أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٥ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ الخرطوم، ١٩٩١م.
٢٦ سليمان كشة، تأسيس مدينة الخرطوم و المهدية، ١٩٦٦م.

نجد أنَّ سكان المدينة من المدنيين كانوا ستمائة فقط سنة ١٨٢٧. ثم ارتفع هذا العدد في آخر عهد خورشيد إلى خمسة عشر ألفاً. واستمر العدد ثابتاً حتى انخفض إلى ثلاثة عشر ألفاً سنة ١٨٤٣، وهي السنة الأولى من فترة تمتد إلى آخر سنة ١٨٤٥ أصبحت فيها الخرطوم عاصمة لمديرية بعد أن كانت عاصمة لكل البلاد. وبعد رجوع الحكمدارية إلى الخرطوم بدأ عدد السكان في الزيادة تدريجياً. و لم يفت[٢٧] في هذا العدد رجوعها كعاصمة لمديرية للمرة الثانية بين يناير ١٨٥٧، مايو ١٨٦٢، لاتجاه أعداد كبيرة من المغامرين والبحارة والتجار إليها في هذه الفترة للاشتراك في تجارة الجنوب، الأمر الذي وصل معه عدد سكانها إلى حوالي أربعين

ألفا سنة ١٨٦٠. ثم زاد في السنوات الأخيرة من الحكم المصري حتى وصل إلى سبعين ألفا سنة ١٨٨٢.»[٢٨]

تتكون الخريطة السكانية لمدينة الخرطوم في عهد الحكم التركي المصري من خليط لأجناس كثيرة، ولكن يستطيع كل من يطالع هذه الخريطة أن يتعرف بسهولة على مجموعات ثلاث تشكل هذا الخليط وهي الجالية الشرقية والجالية الأوروبية والأهالي. وتمثل الجالية الشرقية السواد الأعظم من سكان المدينة، وتكونت في غالبها من المصريين الأقحاح خاصة من جهة أسنا وأسوان والأتراك المتمصرين ثم الشوام من سوريين ولبنانيين بجانب أعداد مقدرة من الأقباط. ونلحظ أنَّ أغلب مناصب الدولة كانت حكراً على المصريين عدا المناصب الرفيعة التي كانت وقفاً على الأتراك. أما مجموعة الأقباط فكانوا محتكرين تقريباً لأعمال الدولة الحسابية بجانب اشتغالهم في التجارة مثلهم في ذلك مثل الشوام الذين اشتهروا بالتجارة بمجاليها الداخلي والخارجي.

---

٢٧ غير واضح ماذا يقصد. أحمد أحمد سيد أحمد بهذه الكلمة!

٢٨ د. أحمد أحمد سيدأحمد، تأريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بدأ توافد الجالية الأوروبية، خاصة الإيطاليين والفرنسيين، لشغل الوظائف الفنية في الجيش التركي المصري، فكان منهم الأطباء والمهندسون والفنيون. توالى توافد الأوروبيين بعد ذلك بغرض العمل في المجال التجاري المحتكر من قبل الحكومة. زاد عدد هؤلاء الأوروبيين بصورة ملحوظة عندما ألغى أحمد أبو ودان (١٨٣٨م - ١٨٤٣م) احتكار الحكومة للتجارة حيث جاءت إلى الخرطوم أعدادٌ غفيرة من الأوروبيين خاصة الإيطاليين والأغاريق. و قُدِرَ عدد الأوروبيين المقيمين في الخرطوم في أواخر العهد التركي: «بنحو ٢٤٥ أسرة منهم ١٠٠ أسرة يونانية و٤٠ أسرة ألمانية و٤٠ أسرة نمساوية و٢٠ أسرة فرنسية و٢٠ أسرة روسية و١٥ أسرة إيطالية و١٠ أسر من الأرمن، ولم تكن هنالك أسر إنجليزية»٢٩. يفسر هذا الوجود الأوروبي وجود العديد من القنصليات الأوربية في الخرطوم مثل القنصليات الفرنسية والنمساوية والبروسية والمجرية والإيطالية والبريطانية رغم ضآلة الوجود البريطاني آنذاك. وسيطرت الجالية الأوروبية على التجارة كما توسعت على أيديهم تجارة الرقيق وبلغت شأواً لم تبلغه من قبل ولا من بعد في هذه المنطقة. وكان من أسباب ذلك ما لهذه الجالية من نفوذ له صداه وتأثيره في مصر مركز اتخاذ القرار.

أما المجموعة الثالثة من سكان الخرطوم فهم الأهالي، وقد كانت غالبيتهم في بادئ الأمر من مواطني الأقاليم القريبة من الخرطوم. ووفدت إلى المدينة مع مرور الزمن جماعات كبيرة من الجعليين والشايقية والدناقلة بجانب أعداد مقدرة من نوبة الجبال ومن القبائل النيلية. وقد تركز أبناء كل قبيلة في حي من الأحياء الشعبية. قُدِرَ عدد الأهالي في أواخر العهد التركي المصري بنحو عشرة آلاف نسمة أي حوالي خمس سكان المدينة، يعمل جلهم في المهن الوضيعة ذات الدخول المتدنية، كما أنَّ أعداداً كبيرة منهم كانوا عسكراً في

٢٩ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ الخرطوم، ١٩٩١م.

الجيش التركي (باشبوزق وجهادية). كان للأهالي تقسيمهم الخاص لسكان المدينة إذ يقسمون أنفسهم إلى عرب وزنوج ويقسمون الأجانب إلى ترك ونصارى. فالعرب من الأهالي هم سكان شمال السودان، وأما الزنوج فهم سكان الجنوب. أما الأجانب فيطلق الأهالي عليهم ترك إذا كانوا مسلمين وهؤلاء يشملون سائر رعايا الإمبراطورية العثمانية من ترك ومصريين وغيرهم من المسلمين ذوي البشرة البيضاء. ويطلق الأهالي على الأجانب البيض من غير المسلمين نصارى وهؤلاء يشملون الأقباط والأوروبيين على وجه العموم.

ضمت الخرطوم في العقدين الأخيرين عدداً من الوجهاء والأسماء اللامعة في مجتمعها من هؤلاء إبراهيم بك خليل من الأقباط وامتلك الكثير من العقار في حي المسجد، والزبير باشا رحمة وأبوبكر الجاركوك وخالد العمرابي وعلي الخلوصي والمطران دانيال كمبوني والخواجة جورج تشيادي والدكتور بتيه الفرنسي وديفيد النقاش الإيطالي وهاك ماخبر النمساوي وكاموسكي الساعاتي الروسي وبطرس بك سركيس الأرمني.

الفصل الثاني

الخرطوم في عهد دولة المهدية

فتح المهدي وجيشه مدينة الخرطوم في ٢٦ يناير ١٨٨٥م، وقام بمصادرة أموال ومصالح الميري[٣٠] وأموال أعيان المدينة وكبار الموظفين وقصورهم. كان الناتج من الغنائم جد كثير رغم أنَّ الكثيرين يقولون إنَّ معظم كنوز المدينة دفنها أصحابها في باطن الأرض وبذلك لم يصل إليها الفاتحون. شهد يوم فتح الخرطوم قتل الكثير من أهل المدينة رغم الأمر الصريح الصادر من المهدي بعدم الاعتداء على السكان، ونجم عن عدم التقيد بهذا الأمر امتلاء شوارع الخرطوم بالقتلى. من بين الذين قتلوا الشيخ محمد حتيك قاضي القضاة، والشيخ موسى مفتي المحاكم الشرعية، والشيخ حسين المجدي رئيس أساتذة المدرسة الأميرية والمدرس بجامع المدينة، والشيخ فايد الأحمدي. تمَّ أسر العديد من القادة منهم فرج باشا الزيني وسرور بك بهجت وقد حوكما بالإعدام فيما بعد، ومن الذين أسروا أيضاً إبراهيم باشا فوزي محافظ الخرطوم وحسن بك البهنساوي وإبراهيم البردنين. أما بالنسبة لنساء المدينة، فقد أصدر المهدي أمراً منع بموجبه الأنصار من الزواج بحرائر الخرطوم ورد كل من لها زوج إلى زوجها وكل من لها ولي إلى وليها، وأصدر أمراً آخر بتوقيع عقوبات صارمة على من يعتدي على حرائر الخرطوم. حُصِرَ الذين نجوا من القتل من أهالي الخرطوم في الناحية الجنوبية من المدينة وعُين خالد العمرابي مسئولاً عنهم.

بُعَيد انجلاء معركة الخرطوم خُصِصَت قصور الدولة وقصور الأعيان في حي المسجد لكبار الأنصار، فنزل المهدي بقصر الجاركوك، ونزل الخليفة

---

٣٠ بمعنى الحكومة أو الحكومي.

عبد الله في السرايا، ونزل الخليفة شريف في مبنى الكنيسة الكاثوليكية، بينما نزل القائد أبوقرجة في مبنى المديرية. قام المهدي بتعيين بعضٍ من أنصاره لتولي شئون المصالح الأميرية والبساتين التي كانت موجودة في الخرطوم مثل الترسانة ومعمل البارود (مصنع الذخيرة) ومعمل الورق (المطبعة).

استمرت الخرطوم بترتيباتها الجديدة لفترة قصيرة، إذ جاء أمر الخليفة في مايو ١٨٨٥م بإخلاء المدينة وانتقال سكانها إلى أم درمان مع الإبقاء على منازل الخرطوم دون هدمها. وتم إكراه الأهالي على الانتقال إلى أم درمان و لم يبق فيها إلا قلة غفل عنهم الأنصار. رغم هذا الأمر الواضح بدأ هدم وتخريب منازل وأسواق الخرطوم تحت بصر وسمع الأنصار، وتمَّ نقل جُلَ مواد هذه المنازل لتعمير مدينة أم درمان. كل هذا أدى إلى خراب الخرطوم حتى بدت بعد فترة وجيزة من فتحها أطلالاً ينعق فيها البوم، وانطوت بذلك حقبة من حقبها بكل ما فيها من إشراقات وظلمات.



خرابات الخرطوم في نهاية حقبة دولة المهدية

الفصل الثالث

إعادة إعمار الخرطوم شمال (الخرطوم عموم)

مقدمة

بهزيمة الخليفة عبد الله التعايشي وانعقاد الأمر للجيش الغازي، فكر الإنجليز في نقل العاصمة من أم درمان إلى الخرطوم لأنّهم رأوا في استمرارها في أم درمان عدم استقرار للنظام الجديد وذلك لأنّ المهدية من الناحية الروحية لم تنته، وشجعهم على النقل وجود السرايا في الخرطوم وهي تمثل رمزاً لإحياء ذكرى غردون.

تعتبر الخرطوم بعد سقوط المهدية ظاهرة بالنسبة لبقية المدن السودانية كما أشار إلى ذلك البروفيسور محمد إبراهيم أبوسليم[31] (أبوسليم ١٩٩١م)، إذ إنّها أول مدينة سودانية من حيث التخطيط المسبق والنمو حسب خطة معدة سلفاً خلافاً للعمران الأول للخرطوم، وهي في ذلك شأنها شأن بغداد والقاهرة. وقد هدف كتشنر قائد جيش الفتح إلى إنشاء مدينة على النمط الأوروبي وقد صرح بذلك أحد أعوانه بعد الانتهاء من القداس على روح غردون باشا الذي جرت مراسمه داخل أطلال السرايا بُعَيد انجلاء معركة كرري حيث صرح الجنرال استانتن الذي أشرف على إنشاء المدينة بأنّها ستكون في مصاف القاهرة والإسكندرية إن لم تكن أرقى وأعظم مدن القارة الأفريقية على الإطلاق. كما تعتبر الخرطوم ظاهرة بالنسبة لمعظم مدن العالم إذ يندر أن تُهْجَر مدينة وتدمر بالكامل، كما حدث بالخرطوم أثناء عهد المهدية، وتقوم مدينة أخرى بجوارها ثم يكتب لهذه المدينة المندثرة أن تُعَمَر من جديد ويعود إليها ألقها الغابر وأزيد كما حدث للخرطوم بعد مجيء الحكم الثنائي.

٣١ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ الخرطوم، ١٩٩١م.

عند بداية التخطيط لإعادة تعمير مدينة الخرطوم كان لكتشنر وأتباعه العديد من الأفكار والصور حول الشكل الذي يجب أن تكون عليه الخرطوم الجديدة. ومن بين هذه الأفكار الآتي:

أن تكون الخرطوم مدينة سكنية للحكام الجدد وللأثرياء من السودانيين فقط.

أن يقيم الوطنيون على الإطلاق في أم درمان.

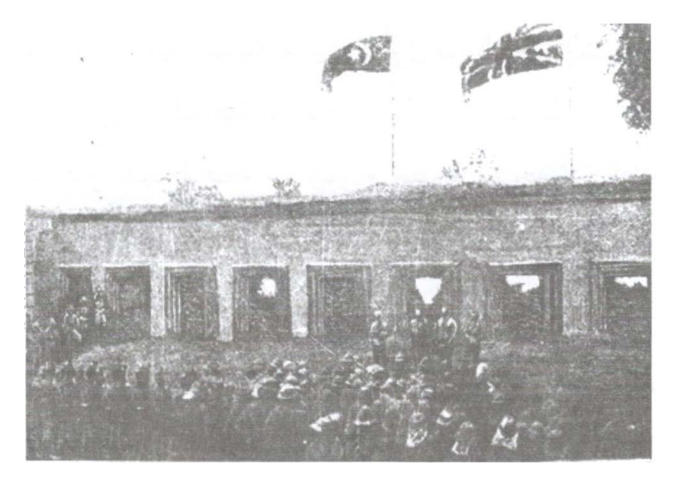
أن تقيم الطبقات العاملة في مدينة الخرطوم بحري التي بدأت تنمو إلى الغرب من محطة السكة حديد.

بناء السوق والحي التجاري في الخرطوم بحري على الضفة الشمالية للنيل الأزرق (الموضع الذي يقع بين الكبري وفندق قصر الصداقة، أي الموضع الذي تحتله مصالح النقل الميكانيكي والمخازن والوابورات حالياً).

وقد غلب على هذه الأفكار في النهاية شكل المدينة الشاملة بأحيائها السكنية الراقية والشعبية والتجارية والصناعية بجانب دواوين الحكومة.

كانت مدينة الخرطوم في بداية القرن الماضي (١٩٠٠- ١٩٠٤م) عندما اتُخذَت عاصمة للبلاد عبارة عن أطلال وبقايا مباني العهد التركي، وقد اتخذ المواطنون من هذه الأطلال سكناً لهم. وعندما شرع الإنجليز في تخطيط وتعمير الخرطوم، خُيرَ الناس بين شراء الأراضي التي كانوا يسكنون في مبانيها المهدمة بسعر يتراوح بين المليم والنصف مليم للمتر المربع، شريطة أن يلتزم المشترون ببناء منازلهم حسب مواصفات تم تحديدها لكي تأخذ الخرطوم الشكل والرونق الذي أراده الحكام الجدد للعاصمة. أما الخيار الثاني الذي طرح على المواطنين الذين كانوا يقطنون في أطلال المدينة فهو الانتقال إلى المنطقة الواقعة جنوب خط استحكامات المدينة (السكة حديد حالياً) منطقة الخرطوم نمرة (٢) الآن والتي عرفت حينذاك بالديوم.

عليه نجد أنَّ الخرطوم قسمت إلى قسمين أساسيين منذ بداية القرن الماضي حتى قبيل منتصفه، قسم يقع شمال خط الاستحكامات في العهد التركي المصري (خط السكة حديد حالياً) وعرف بالخرطوم شمال ويشتمل على كل الخرطوم القديمة (خرطوم التركية السابقة) وقسم يقع جنوب خط الاستحكامات وعرف بالخرطوم جنوب، ويتبع لهذا القسم من الناحية الشرقية منطقة البراري، تبعية جغرافية واجتماعية أكثر من كونها تبعية إدارية.



رفع العلمين الإنجليزي والمصري فوق السرايا

تخطيط الخرطوم شمال

قسم كتشنر مدينة الخرطوم التي عرفت بالخرطوم شمال وأيضاً بالخرطوم عموم إلى مربعات كبيرة بواسطة عشرة شوارع رئيسية، خمسة منها من الشرق إلى الغرب وخمسة من الشمال إلى الجنوب٣٢. تشمل الشوارع الممتدة من الشرق إلى الغرب شارع كتشنر (شارع النيل) وشارع غردون الذي يعرف أيضاً بشارع الخديوي (شارع الجامعة) وشارع السردار ويعرف أيضاً بشارع ونجت باشا (شارع الجمهورية) وشارع عباس (شارع البلدية) وشارع

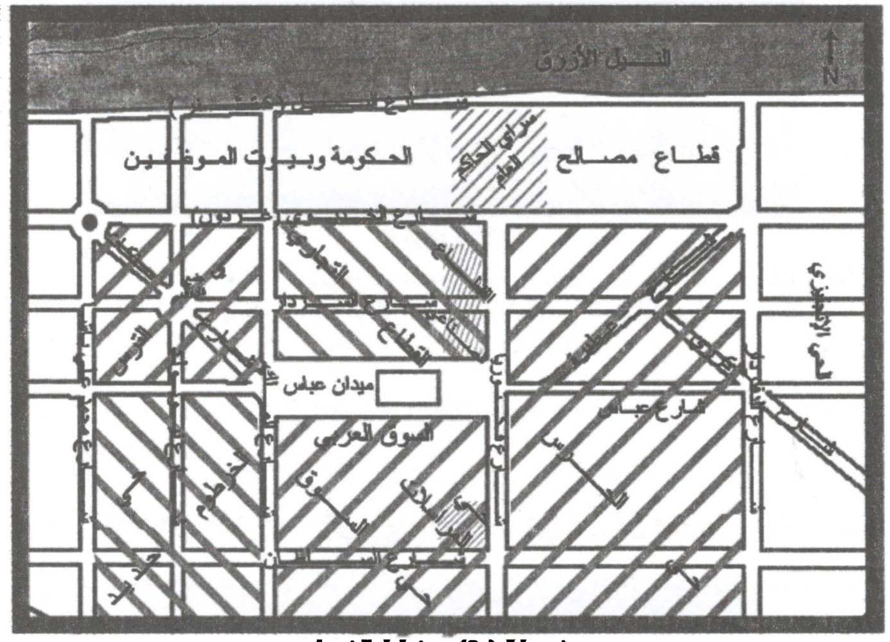
٣٢ خريطة (٢)

السلطان (شارع السيد عبد الرحمن). بينما تشمل الشوارع الممتدة من الشمال إلى الجنوب شارع الدفتردار (شارع الملك نمر) وشارع فيكتوريا (شارع القصر) وشارع الملك فؤاد (شارع عبد المنعم محمد) وشارع نيوبولد (شارع الحرية) وشارع محمد علي باشا ويعرف أيضاً بشارع إسماعيل باشا (شارع علي عبد اللطيف). بجانب هذه الشوارع تم التخطيط لثلاثة شوارع ركنية (قطرية) تعتبر من الشوارع الرئيسية. اثنان منهما يبدآن من طرفي شارع الخديوي وينتهيان عند شارع عباس في وسط المدينة تقريباً، الأول من الناحية الشرقية وأطلق عليه شارع عطبرة والثاني من الناحية الغربية وسمي شارع سنكات. أما الثالث فيبدأ من شارع السردار عند تقاطعه مع شارع عطبرة ويتجه إلى الناحية الجنوبية الشرقية ليعبر شارع عباس وينتهي في شارع الطابية (شارع الإمام المهدي) وقد سمي بشارع كرري (شارع النجومي حالياً).

اعتمد التخطيط المبدئي للمدينة على تقسيمها إلى عدد من القطاعات هي قطاع المصالح الحكومية وبيوت الموظفين، وما عرف لاحقاً بحي الدولة، ويقع بين النيل الأزرق وشارع الخديوي. ويليه إلى الجنوب القطاع التجاري الذي يقع بين شارع الخديوي وميدان عباس (عرف بميدان الأمم المتحدة لاحقاً) وبين المسجد الكبير (جامع فاروق حالياً) غرباً وشارع فيكتوريا شرقاً. ويحتل القطاع الصناعي الجزء الشرقي من القطاع التجاري حيث يوجد تجمع الصناعات الخفيفة. أما القطاع الرابع فيمثله قطاع السوق العربي الذي يقع إلى الجنوب من ميدان عباس. تحيط بهذه القطاعات من الناحية الشرقية والغربية والجنوبية قطاعات الأحياء السكنية للجاليات الأجنبية وللمواطنين.

كان تخطيط المدينة ينتهي بخط الاستحكام القديم من الناحية الجنوبية الذي يمتد شرقاً ليلتقي مع النيل الأزرق عند بوابة بري أما من ناحية الغرب فيمتد إلى أن يلتقي بالنيل الأبيض في منطقة المقرن. ونجد ثكنات الجيش الإنجليزي قد

شيدت على ضفة النيل الأزرق من الناحية الجنوبية عند بوابة بري وفي الجهة المقابلة من الناحية الشمالية. أما الجيش المصري فقد شيدت ثكناته جنوبي خط الاستحكام عند بوابتي المسلمية والكلاكلة (إشلاق توفيق وإشلاق عباس) وعند موقع القيادة العامة الحالي (إشلاق إسماعيل باشا).



خريطة (2) مخطط الخرطوم

كانت هنالك حلتان صغيرتان من الناحية الغربية إحداها تعرف بديم أبوحشيش وقد نمت حول الترسانة الحكومية القديمة (الأسكلة٣٣) وسكنها عمال الترسانة. أما الحلة الأخرى فهي حلة المبخرة وتقع إلى الغرب من ديم أبوحشيش، وكانت مرسى للسفن الشراعية ومنطقة لصناعتها، كما كان أهلها يقومون بزراعة المنخفضات الجنوبية الغربية بعد الفيضان. كما كانت هنالك حلة بري المحس خارج حدود المدينة من الناحية الشرقية في موقع مستشفى

٣٣ الأسكلة تعني الميناء الصغير و أصل الكلمة إيطالي كما ورد في «قاموس اللهجة العامية في السودان»، د. عون الشريف قاسم، ٢٠٠٢م.

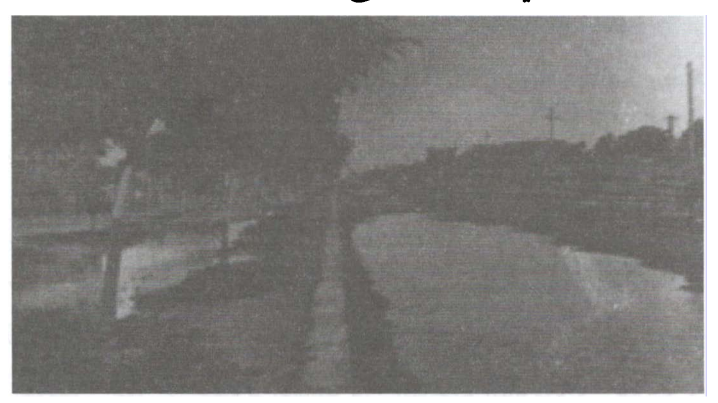
النهر (مستشفى العيون الحالي) وقد نقلت من هذا الموقع إلى موقعها الحالي عندما تقرر إنشاء ثكنات الجيش الإنجليزي.



بداية إعادة إعمار الخرطوم في العقد الأول من القرن الماضي

أحياء الخرطوم شمال

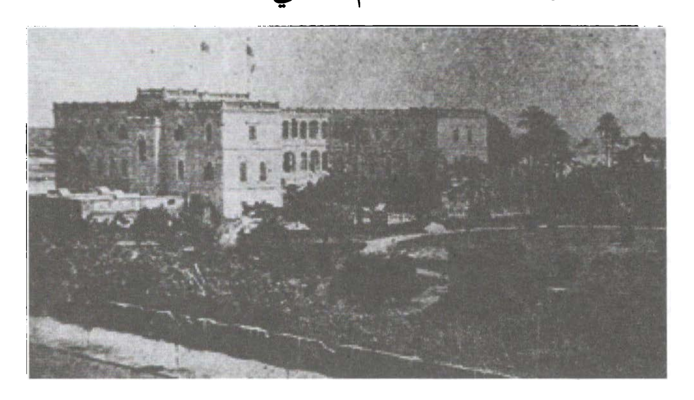
تكونت المدينة من عدة أحياء هي حي الدولة وحي الحرس وحي السوق العربي وحي الخرطوم جديد وحي المراسلات وحي الترس وحي ستة بيوت. وكانت كل هذه الأحياء عدا حي الدولة تخضع إدارياً لعمدة الخرطوم.



شارع فيكتوريا (١٩٢٧م)

حي الدولة

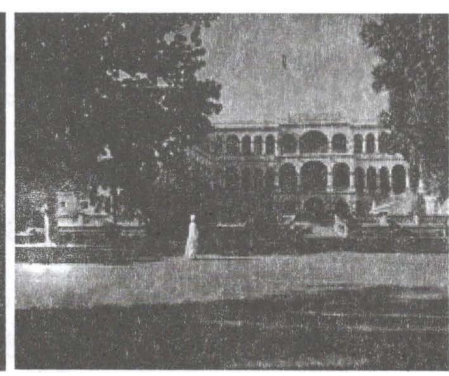
شغلت مباني دواوين الحكومة وسكن كبار المسؤولين المنطقة الواقعة بين النيل الأزرق وشارع الخديوي (شارع الجامعة). كانت هذه المنطقة حكراً على الإنجليز حيث يوجد بها سرايا الحاكم العام رأس الدولة ومباني معاونيه الثلاثة السكرتير الإداري الذي شغل مبنى وزارة الحكومات المحلية (الحكم المحلي حالياً)، والسكرتير المالي وشغل مبنى وزارة المالية، والسكرتير القضائي وشغل مبنى القضائية (دار القضاء حالياً)، إلى جانب مدير المديرية وشغل مبنى المديرية (المجلس البلدي) ومعه مفتشي المراكز. سكن معاونو الحاكم العام الثلاثة ومدير المديرية كل بجوار مقر عمله. حيث سكن السكرتير الإداري في المنزل الذي أصبح وزارة الإسكان الآن، وسكن السكرتير المالي في منزل جنوب موقع إدارة الطيران المدني الحالي، أمَّا السكرتير القضائي فسكن في منزل يقع شمال الهيئة القضائية. ويمكن تسمية هذا الجزء من المدينة مجازاً بحي الدولة كما كان يطلق عليه أثناء الحكم التركي.



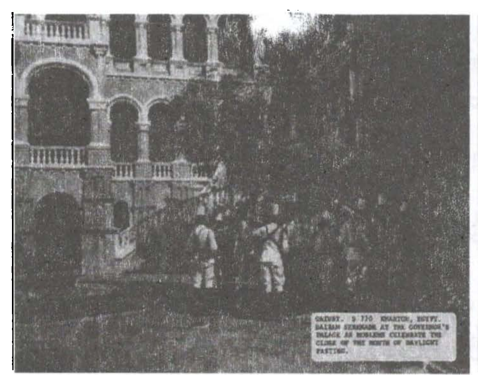
السرايا بعد إعادة إعمار الخرطوم

شغلت هذه المنطقة بعد الاستقلال الوزارات والدوائر الحكومية تماماً كما عليه الحال الآن مع تغيُّر مواقع بعض الوزارات من موقع إلى آخر ومن حين إلى آخر. ففي حقبة الخمسينيات إلى منتصف الستينيات كنا نجد على شارع النيل أغلب

وزارات مصالح الدولة بالإضافة إلى العديد من معالم المدينة الهامة حيث يصادفنا من الشرق إلى الغرب وزارة التربية والتعليم وسينما النيل الأزرق ومستشفى العيون ثم كبري النيل الأزرق وجامعة الخرطوم ومصلحة الجيولوجيا ووزارة الصحة والكنيسة الكاثوليكية وسودان كلوب (نادي السودان) ووزارة الأشغال والقصر الجمهوري ووزارة المالية ووزارة الداخلية ووزارة الحكومات المحلية ووزارة الخارجية ورئاسة مجلس الوزراء وجنينة السيد علي والفندق الكبير وفندق السودان ثم حديقة الحيوانات.

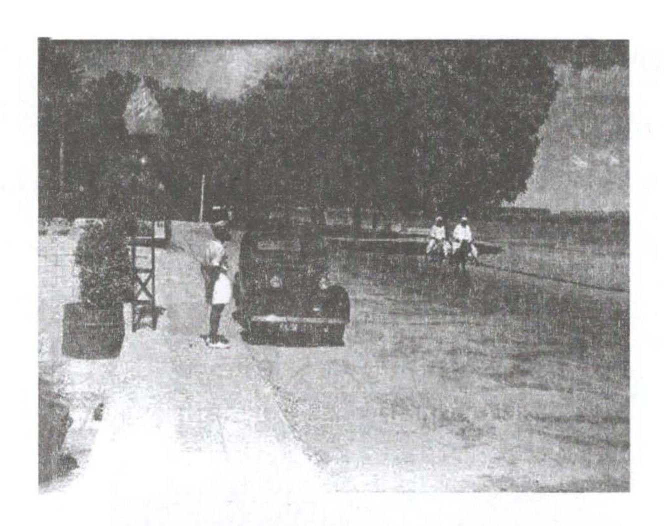


قصر الحاكم العام



القصر الجمهوري

أما أهم معالم شارع الجامعة فتبدأ بجامعة الخرطوم ثم المتحف الطبيعي ومصلحة التشييد ودار الثقافة ووزارة التجارة الخارجية وجلاتلي هانكي (الخارجية في فترة لاحقة) والبريد والبرق والإحصاء والجمعية الماسونية ووزارة الاستعلامات والعمل (وزارة الثقافة والإعلام لاحقاً) وفرع بنك باركليز ووزارة الزراعة وبنك السودان والقضائية والبرلمان والري المصري وعمارة برسميان وجلاتلي هانكي وميتشل كوتس والمجلس البلدي والكلية القبطية ومكتب الأراضي ومكتب الحركة ومصلحة المقاييس والموازين فشركة الماء والنور (الإدارة المركزية للكهرباء والمياه لاحقاً) ثم السفارة المصرية.



شارع النيل وعربة الفورد



شارع السردار والترام في نهاية الأربعينات (شارع الجمهورية)

الحي الإنجليزي

اصطلح سكان مدينة الخرطوم على تسمية المنطقة الواقعة إلى الشرق من شارع الدفتردار (شارع الملك نمر) والممتدة شرقاً إلى شارع الطابية وجنوباً إلى شارع السلطان (شارع السيد عبد الرحمن) بالحي الإنجليزي.

وكانت هذه المنطقة سكناً لمجمل الإنجليز من مساعدي السكرتاريين ومدراء المصالح الحكومية من الإنجليز، ومديري الشركات والبنوك الإنجليزية ونوابهم ومساعديهم، وأيضاً ضباط وصف ضباط الجيش الإنجليزي، بالإضافة إلى أساتذة كلية غردون التذكارية (كلية الخرطوم الجامعية لاحقاً) من الإنجليز.



المحطة الوسطى في الربع الثاني من القرن الماضي(المرجع رقم ٥)

عمودية الخرطوم

أما المنطقة التي تقع جنوب منطقة مباني دواوين الحكومة أي المنطقة الممتدة من شارع البرلمان الحالي جنوباً إلى خط الاستحكام (محطة السكة حديد) فقد كانت تخضع لعمدة الخرطوم الذي يتبع إدارياً لمأمور المركز الذي يرأسه المفتش ثم مدير المديرية. وأول من تولى عمودية الخرطوم العمدة محمد علي كرم الله (ود كرم الله) من المحس ومنزل أسرته قائم إلى اليوم في الجانب الشمالي من شارع الحرية. عُزِلَ العمدة ود كرم الله لفترة من الزمن تولى خلالها المرضِي الخضر عمودية الخرطوم وبعد وفاته خلفه ابنه علي لفترة وجيزة عادت بعدها العمودية لود كرم الله واستمر عمدة على الخرطوم حتى وفاته عام ١٩٤٧م. وألغيت العمودية بعد ذلك وأنشئت المجالس البلدية.



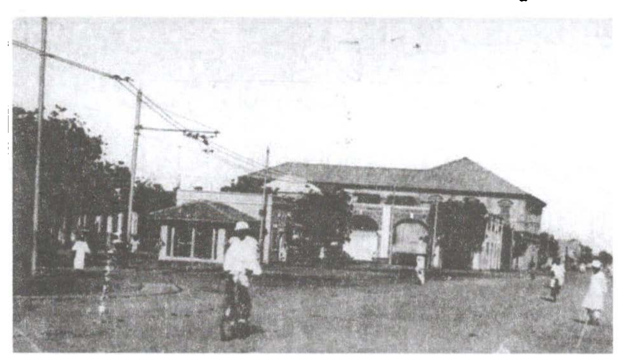
شارع فكتوريا من عند الجندي المجهول (نهاية الخمسينات)

قُسِمَت عمودية الخرطوم إلى أربعة مشايخ تعرف بالأرباع، امتد الربع الأول من المحطة الوسطى إلى شارع البلدية جنوباً وإلى منطقة ملهى سان جيمس شرقاً وجعل عثمان منصور والد حسين عثمان منصور صاحب جريدة "الصباح الجديد" شيخاً عليه وهو من الكنوز. وكان يسكن هذا الربع الكثير من الأجانب بجانب القليل من السودانيين. ويقع الربع الثاني إلى الجنوب من الربع الأول ويمتد جنوباً ناحية مستشفى الخرطوم الحالي مشتملاً على منطقة مدرسة الاتحاد الحالية (School)Unity) وما حولها ونُصِبَ حسن هلالي الكنزي شيخاً عليه. أما الربع الثالث فيشمل ناحية السوق العربي وكان تحت شياخة محمد نصر الدنقلاوي. وأخيراً الربع الرابع وهو من أكبر الأرباع حيث امتد من الموقع القديم للمدرسة الأهلية الواقع إلى الشمال من حي الخرطوم جديد إلى ناحية الغرب عند شارع علي عبد اللطيف تحت شياخة صالح أَبٍّ اديَّة والد كل من عبد الوهاب وكامل وحسن فار من أوائل سكان ديم التعايشة بالديوم الشرقية.



تقاطع شارع الجامعة مع شارع عبد المنعم محمد (نهاية الخمسينات)

اشتملت عمودية الخرطوم على عدد من الأحياء السكنية منها أحياء كبيرة مثل حي الحرس وحي السوق العربي وحي الخرطوم جديد ومنها أحياء صغيرة مثل حي المراسلات وحي الترس وستة بيوت.



شارع الجمهورية في منتصف القرن الماضي

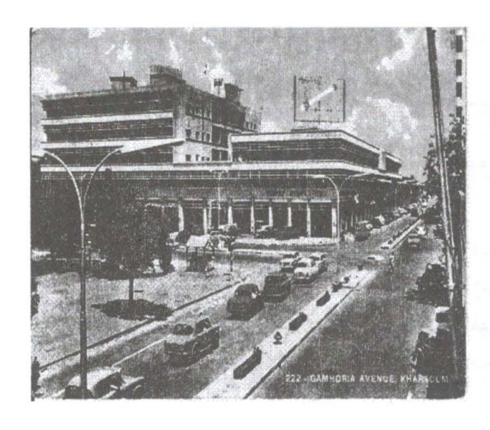
حي الحرس

يقع حي الحرس الذي يعرف أحياناً بالحي الإفرنجي في الجانب الشرقي من الخرطوم شمال في المنطقة الواقعة بين شارع الجامعة شمالاً إلى شارع السيد عبد الرحمن جنوباً، وبين شارع القصر غرباً إلى شارع الملك نمر شرقاً، ويقع في الجزء الجنوبي منه حوش ملاعب مدرسة كمبوني. وسمي الحي بالحرس لوجود

منازل حرس سرايا الحاكم العام (القصر الجمهوري) في الناحية الشمالية الشرقية منه. واشتمل هذا الحي في أواخر الثلاثينيات على نادي الخريجين والنادي العربي وسينما كلوزيوم في الجانب الغربي منه وإلى الجنوب من مقابر حكام الحقبة التركية (القباب).

وكان هذا الحي سكناً للعديد من الجاليات الشرقية والغربية من أشهرها الجالية الإغريقية، وهي من أكبر الجاليات الأجنبية، والجالية الأرمنية والإيطالية والشامية واليهودية. ومن الأسر التي سكنت هذا الحي آل ازمرليان وآل برسميان وآل بودريان وهم من الأرمن، وآل قرنفلي وآل مرهج وآل المراشي وآل كافوري وآل معلوف وهم من الشوام، وآل مراد إسرائيل العيني وآل سولومون ملكا وآل شريدان وآل داؤود إسحاق وآل جولدينبرج وآل قاوون وآل سيروسي وآل دويك وآل حبيب كوهين وهم من اليهود. وسكن الحي من الإغريق إستفنيدس وجورج كللنجي وأنجلو كباتا. ويلاحظ أنَّ غالبية هذه الأسر تعمل في التجارة، كما أنَّ من بين أفراد هذه الجاليات المهنيين كالمهندسين والأطباء والخبراء الزراعيين والبياطرة والصيادلة والفنيين والحرفيين الذين استعان بهم المستعمر في تسيير دولاب الحياة والأنشطة الاقتصادية والتجارية بجانب المواطنين.





شارع الجمهورية (السردار) عمارة أبو العلا الجديدة

كما سكن حي الحرس في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي عدد من المواطنين منهم رياض سنجر وعثمان أحمد عبد الهادي صاحب مشروع جامع التقوى وتاج أحمد عبد الهادي وكمال آمال الملاح الصحفي ومحمد إبراهيم خليل المحامي ومحمد أحمد محجوب وطه أحمد طلعت وسيد محجوب، كل هؤلاء وغيرهم نجدهم في الناحية الشمالية الشرقية من الحي. أما في الناحية الجنوبية منه فنجد آل الحكيم والدكتور معلوف صاحب جنائن معلوف والذي اشتهر بصناعة مختلف أنواع العصير، ونجد أيضاً قصر بت بيلا في الموضع الذي تحتله الآن الشئون الدينية والأوقاف بشارع الملك نمر.

حي السوق

شغل حي السوق الناحية الغربية من شارع فيكتوريا (شارع القصر) في مواجهة الجزء الجنوبي من حي الحرس، وامتد غرباً إلى شارع الملك (شارع عبد المنعم محمد) وشمالاً إلى شارع عباس (شارع البلدية) وميدان عباس وجنوباً إلى منطقة السكة حديد، وتقع في الجزء الجنوبي منه من الشرق إلى الغرب مدرسة كتشنر الطبية ثم مقبرة المسيحيين ثم المتحف الصحي. كما نجد إلى الشمال من مدرسة كتشنر الطبية وفي شارع فيكتوريا (شارع القصر) المعبد اليهودي الذي كان يُطلق عليه محفل بن– سيون كوشتي[٣٤] (محفل بناي – بريث)[٣٥]. أما الناحية الشمالية من هذا الحي فيشغلها سوق الخرطوم بشقيه العربي والإفرنجي

---

٣٤ بن – سيون كوشتي ابن الحاخام ماير بيشور كوشتي حاخام الخليل رعي الجالية اليهودية بأم درمان في أيام المهدية، وكان قد تغير أسمه بعد اشهاره إسلامه الى بسيوني بينما ظل يمارس طقوس ديانته اليهودية سراً. ارتد عن الإسلام بعد سقوط دولة المهدية.

٣٥ بناي – بريث تعني اخوان العهد وهو تنظيم يجمع اليهود من جميع الملل والنِّحل بغرض تحقيق مصالحهم العليا. اتخذ هذا التنظيم الشمعدان رمزاً له، ويعني الشمعدان أَحد رموز الأساطير القديمة لليهود. تقرر إقامة محفل بناى بريث في الخرطوم تحت إسم محفل بن – سيون كوشتي تخليداً لذكراه كزعيم للمجموعة اليهودية في أيام المهدية.

حتى نهاية الأربعينيات حيث بدأ السوق الإفرنجي في الانتقال شمالاً إلى منطقة المحطة الوسطى وشارع السردار (شارع الجمهورية).



موقع المعبد اليهودي حيث العمارة البيضاء(المرجع رقم ١٩)

مثل هذا الحي قلب الخرطوم النابض من حيث النشاط الاقتصادي والتجاري والسياسي والثقافي والرياضي والاجتماعي. فبجانب حركته التجارية النشطة المتمثلة في أسواقه العامرة، كانت توجد في الناحية الجنوبية منه وإلى الشمال الغربي من مقابر المسيحيين منازل ضباط قوة دفاع السودان ومن بينهم منازل أبطال ثورة ١٩٢٤م، علي عبد اللطيف وثابت عبد الرحيم وغيرهم من الضباط مثل حسن فضل المولى وعبد الحي والد الشاعر الغنائي المعروف عبد المنعم عبد الحي، ومن هذا الحي بدأ النشاط السري لخلايا اللواء الأبيض. وضم الحي أيضاً منذ الأربعينيات نادي العمال الذي كان وما زال منبراً ثقافياً وسياسياً لجميع أهل السودان.

أما من الناحية الرياضية فقد كان حي السوق يضم أعرق أندية الخرطوم نادي النيل والنادي الأهلي. ويقع في الجانب الشمالي منه ميدان عباس حيث كانت تقام المنافسات بين فرق كرة القدم. سكن هذا الحي تجار السوق العربي أمثال

أولاد كمير: عباس وحمزة والنور وحاج الخضر علي كمير وكان الأخير سر التجار في العشرينيات من القرن الماضي، وآل كشة، عبد السلام وحامد كشة، وآل مروي: حسن وحسين مروي، وآل السواحلي وآل شروني وآل هميمي وآل أبوالريش وآل جعفر بابكر وحسن المنياوي وتاتاي والشيخ مصطفى الأمين وتاجر السمك المشهور آنذاك ود زُعرف. وبجانب هؤلاء كان يسكن هذا الحي آل المرضي وعائلة البلك وآل المشلية وآل محمود المهندس وآل تُلُب وآل القوصي وغيرهم. معظم هؤلاء الأعيان كانوا يسكنون حول شارع السلطان (شارع السيد عبد الرحمن) الذي ينصف حي السوق ويطل على جانبيه العديد من القصور المشيدة من الطين بجانب المنازل العادية.

ومن الأسماء التي اشتهرت في هذا الحي في وقت مبكر من القرن الماضي امرأة تدعى عيشة كان لها العديد من العقارات والأنادي٣٦، ثم ظهرت بعدها امرأة أخرى تدعى مَنَفلة صاحبة إنداية اشتهرت في فترة الأربعينيات من القرن الماضي.

حي الخرطوم جديد

يقع حي الخرطوم جديد إلى الغرب من حي السوق ويفصلهما شارع الملك (شارع عبد المنعم محمد)، ويمتد غرباً إلى شارع محمد علي باشا (شارع علي عبد اللطيف)، ويحد شمالاً بشارع عباس(شارع البلدية) الذي يفصله من حي الترس ويتمدد إلى جنوب شارع السلطان (شارع السيد عبد الرحمن). بُنِي هذا الحي لسكن صغار موظفي الحكومة، وتتشابه مبانيه حيث استخدمت خارطة واحدة لكل منازل الحي وشيدت جميعها بالطوب الأحمر. سمي بالخرطوم جديد لجدته بالنسبة لأحياء الخرطوم شمال الأخرى إذ تم إنشاؤه

٣٦ الأنادى جمع إنداية وهى مكان صنع و بيع الخمور البلدية.

في بدايات الربع الثاني من القرن الماضي. سكن هذا الحي الكثير من الأقباط والمصريين كما سكنه بعض المواطنين على سبيل المثال لا الحصر زين العابدين عبد التام والد الدكتور عبد الوهاب، وقد عمل زين العابدين ضابطاً في الجيش المصري بينما قاد ابنه عبد الوهاب الحزب الشيوعي السوداني عند إنشائه. سكن الحي أيضاً الحاج صالح أبٌ دية التاجر المشهور وأسرة الصحفي رحمي سليمان وآل نخلة الذين سكنوا في الناحية الشمالية من الحي.

حي الترس

يقع حي الترس في الجزء الشمالي الغربي من المدينة إلى الشمال من حي الخرطوم جديد. ويحده من الغرب ترس ترابي أنشئ لحماية المدينة من فيضان النيل الأبيض وموضع هذا الترس في الجزء الغربي من شارع محمد علي باشا (شارع علي عبد اللطيف) ومن هنا جاءت تسميته بحي الترس، ويمتد الحي شرقاً إلى شارع الطيار جميل [ما بين شارع نيوبولد (شارع الحرية) وشارع الملك (شارع عبد المنعم محمد)]. ويعتبر حي الترس من الأحياء القديمة في الخرطوم ويمتد تاريخه إلى عهد الحكم التركي، وكان يجاوره من الشرق حي المسجد الذي يقع في وسطه الجامع العتيق (جامع فاروق). ينتمي معظم سكان حي الترس إلى الطائفة القبطية ومن أشهرهم آل إبراهيم بك خليل حيث أقاموا في القصر المشهور باسم والدهم الذي عرف في يوم ما بحوش المجانين. الدليل على الكثافة العالية للأقباط في هذا الحي وجود مدارس الكلية القبطية بنين وبنات والنادي القبطِي. وقد سكن هذا الحي أيضاً عمدة الخرطوم علي ود كرم الله وحسين بك طاهر المشهور بأب شَنَباً روب وهو من مواطني كسلا وعمل ضابطاً في قوة دفاع السودان.



بيوت الخرطوم القديمة

حي المراسلات

يعتبر حي المراسلات من أحياء الخرطوم الصغيرة ويقع في المنطقة الممتدة بين شارع الجامع (شارع استاك) وشارع القصر وبين مدارس الكمبوني وشارع السيد عبد الرحمن، وكان يشغل هذا الحي موضع نادي العمال والمنطقة التي تقع إلى الشرق منه. وسمي بحي المراسلات لأنَّ ساكنيه يعملون مراسلات في المصالح الحكومية، وكان شيخ هذا الحي هو شيخ سليمان والد كلٍ من الفنان حسن سليمان المشهور بالهاوي وعبد القادر سليمان.

حي ستة بيوت

يقع هذا الحي إلى الشمال من إشلاق إسماعيل باشا (القيادة العامة) وإلى الشرق من موقع مباني رئاسة مجلس الوزراء (فترة مايو والديمقراطية الثالثة والإنقاذ إلى عام ٢٠٠٢م). وكان هذا الحي عبارة عن عدد قليل من المنازل يسكنه بعض العساكر من السجانة ويجاور هذا الحي من الناحية الشرقية الإسطبلات ومنازل لبعض بائعات الهوى تعرف منطقتهم بنمرة ٦، و هذا هو سبب تسمية الحي بحي ستة بيوت.

أسواق الخرطوم شمال

نستعرض فيما يلي أسواق الخرطوم شمال في حقبتين زمنيتين متتاليتين، تمثل الحقبة الأولى فترة ما قبل الخمسينيات بينما تمثل الحقبة الثانية فترة ما بعد الخمسينيات من القرن الماضي.



سوق الخرطوم (١٩٢٩-١٩٣٠م)

الأسواق قبل الخمسينيات من القرن الماضي

كانت أسواق الخرطوم شمال حتى بداية الخمسينيات تنحصر في المنطقة الواقعة جنوب ميدان الأمم المتحدة وجنوب جامع الخرطوم مع وجود أسواق الفواكه والخضر واللحوم وبعض المحال التجارية شمال ميدان الأمم المتحدة. كان في تلك الحقبة من الزمن عندما يُذكر سوق الخرطوم يقصد السوق العربي وملاحقه من الأسواق التي كان يقصدها عموم سكان الخرطوم لشراء حوائجهم المنزلية والغذائية والكسائية. وفيما يأتي وصف تفصيلي لهذه الأسواق ومحلاتها المشهورة وتجارها ذائعي الصيت.

القشاشة والفَحَّامة والحطابة والعياشة

لوضع صورة تفصيلية لسوق الخرطوم نبدأ من الشرق إلى الغرب حيث أول ما يقابل المتسوق سوق القش (العشب) والذي يعرف بالقشاشة، ويحتل

الجزء الشمالي من موقع مدرسة الكمبوني الحالية الواقعة إلى الجنوب من فندق الحرمين (موقف حافلات الصحافة). يباع في هذا السوق القش والقصب والقنا والأخشاب. يجلب القش بأنواعه المختلفة من قصب وبرسيم وسِعْدَة من المزارع القريبة من الخرطوم، ويعرض في العراء بواسطة الباعة للمتسوقين. يحتوي هذا السوق أيضاً على بعض مواد البناء من الأخشاب البلدية مثل القنا والعروق والشرقاني والحُمرة. وتخزن كل هذه المواد في العراء تحت الرواكيب التي يستظل بها الباعة من حرارة شمس الصيف اللافح.

تحتل المنطقة إلى الجنوب من سوق القش زريبة الفحم وحطب الحريق (الفَحَّامة والحَطَابة) حيث يباع الفحم بالجوالات وحطب الوقود بالقناطير. وتُرَصْ جوالات الفحم فوق بعضها البعض لارتفاع المترين والثلاثة أمتار في مساحات يتراوح أطوال أضلاعها بين الأربعة إلى الثمانية أمتار، كما يخزن الفحم في أكوام ترتفع أيضاً المتر والمترين بغرض بيع القطاعي. يُرَص حطب الحريق في مساحات مماثلة لمساحات رص جوالات الفحم ولارتفاعات مماثلة أيضاً، ويمتلك كل تاجر حطب ميزاناً يتوسط المنطقة المخصصة للحطب مع عدد من سنج القناطير لوزن الحطب. أيضاً يوجد في هذه المنطقة (الجزء الجنوبي من مدرسة الكمبوني) السمكرية لتصنيع الأباريق وأواني القهوة والحدادون لتصنيع الشِنَطْ (الحقائب) الحديدية وصيجان اللحم وصيجان العُواسة والكوانين ومعدات الحفر اليدوية من طواري وكواريق وعتلات ومعدات القطع مثل السكاكين والفؤوس. يضم هذا المكان أيضاً النجارين وسوق العناقريب، ويعرف هذا الجزء من السوق بسوق أبو جهل.

توجد زريبة العيش (العياشة) إلى الغرب من زريبة الفحم والحطب في موضع مدرسة الخرطوم الأهلية الحالي، حيث نجد العياشة يبنون لأنفسهم غرفاً من الطين لتخزين جوالات (زكائب) العيش والغلال الأخرى، بينما يتم العرض

فيما يعرف بالفَرَّاشات. والفَرَّاشة هي عبارة عن مصطبة مستديرة ومسورة بحائط مبني من الطين يرتفع عدة أشبار من سطحها. توضع الغلة من عيش وخلافه داخل هذه الفَرَّاشة في شكل مخروطي (كوْم)، ويقال العيش المَصُوْبَر[37] كناية عن تَكْوِيمِه وعرضه بهذا الشكل. تباع في هذه الأسواق جميع أنواع الغلال التي يستهلكها المواطنون من عيوش الذرة الرفيعة مثل الدَبَر والفَتَرِيتَة والمايو بجانب الدُخُن والسِمْسِم والحمص واللُوبيا والتُرمُس والفول السوداني والفول المصري وثمار الأشجار التي أحبها أطفال تلك الحقبة مثل النبق والقُنقُليز والدُوم والتمر وغيرها من المنتجات الزراعية.

سوق المراكيب والنسوان

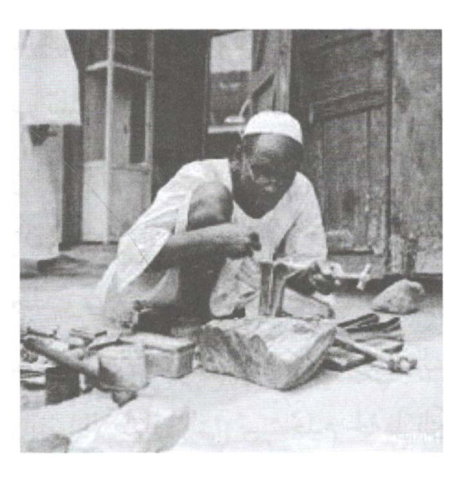
يأتي بعد زريبة العيش من الناحية الغربية سوق المَرَاكِيب (الأحذية) وسوق النسوان، وسمي الأخير بسوق النسوان لأن كل باعته من النساء. ويعتبر هذا السوق من أكبر أسواق الخرطوم وأعمرها لتنوعه أولاً ولاعتدال أسعاره ثانياً. ويتكون هذا السوق من مجموعة رواكيب وكَرَانِك (بتخفيف الراء). الكُرنُك عبارة عن بناء مستطيل القاعدة له حائطان مبنيان من الطين على ضلعي القاعدة الصغيرين بينما يترك الضلعان الكبيران مفتوحين بدون حوائط. يسقف الكُرنُك بجَمَلون[38] مكون من عروق سيقان الأشجار والقنا والحصير يعلوه طبقة من الطين وروث البهائم. يرتكز هذا السقف على ثلاثة صفوف من القوائم الخشبية تسمى شِعَب، صف يتوسط البناء والآخران في الطرفين المفتوحين منه هذا بالإضافة إلى ارتكازه على حائطي المبنى. وكانت هذه الكَرَانِك مصممة في معظمها لكي تكون الجوانب المفتوحة منها في

٣٧ الصبرة في العربية هي الكومة من الحبوب التي لا يعلم قدرها، وفي السودانية صُوبَر عيشو أي جعله صُبراً أي أكواماً.
٣٨ الجَمَلُون بمعنى السقف الهرمي من جملونا تصغير جمل ويطلق على ما كان محدباً من السقوف.

اتجاه الشمال والجنوب مما يساعد على التهوية ويقلل من حرارة الجو في فترة الصيف. وقد صُفَت هذه الكَرَانِك على شكل مربعات متداخلة تتوسطها دَكَةً (مصطبة) عالية تفترشها النسوة لعرض بضاعتهن.

يشغل الجزمجية (الإسكافيون) من صرماتية[39] ونُقُلْتية[40] عدداً من الكَرَانِك حيث يقتسم الكُرنُك الواحد عدداً منهم. نجد في ناحية من يتعامل بصنع وبيع المراكيب وفي جزء آخر من يتعامل بإصلاح ورقع المستعمل منها وتحسينه. تُصَنَع المراكيب من الأنواع المختلفة من جلود الحيوانات ، الأليف والمفترس منها مثل جلد البقر وجلد الماعز والضان وجلد النمر والفهد وجلد الثعبان الأَصَلة. تصنف المراكيب حسب نوع الجلد المصنوعة منه أو حسب مكان تصنيعها فمنها المركوب الفاشري المصنوع في الفاشر ومنها مركوب الجنينة المصنع في الجنينة. ومن المراكيب ما يعرف بمركوب الكُلُودُو[41]، ويُسخر بهذا النوع بوصفه «سيدو لابسو والكلب حارسو». وذلك للرائحة الكريهة التي تصدر منه لسوء دباغة الجلد المصنوع منه. وأيضاً هنالك مركوب الزيلقون، والزيلقون هو نوع من الأعشاب يستخدم لصبغ الجلود والسعف بألوان زاهية مثل لون التفتة. بجانب المراكيب تجد الشقَيَانة وهي صندل مصنوع من جلد البقر. وهنالك أيضاً بجانب المراكيب الرجالية المراكيب النسائية، وتختلف الأخيرة عن الأولى في شكل القَطْع وفي خفة الوزن وتغطيتها فقط لمقدمة الأصابع وجانبي القدم مع المؤخرة لارتفاع لا يتعدى البوصة الواحدة. أيضاً تباع في هذا السوق الشباشب النسائية مثل شباشب القطيفة والتاج.

٣٩ الصرماتي تعني صانع الأحذية في العامية السودانية وكذلك في الشام، والصرماية تعني الجزمة.
٤٠ النُقُلْتِي هو الذي يرقعه ويصلحه.
٤١ الكُلُودُو ضرب من المراكيب (الأحذية) الجلدية الخشنة.



النقلتي أو الصرماتي (الإسكافي)

تشغل النسوة معظم سوق النسوان فتجدهن يتوزعن بين الكَرَانِك والدَكَة التي تتوسطها. تتخصص كل مجموعة من النسوة في بيع بضاعة ما، فهنالك بائعات الطواقي والمناديل المطرزة بالحرير الأحمر والأبيض وهي الألوان الغالبة للطواقي مع ألوان أخرى للمناديل مثل الأصفر، والأخضر، والوردي، والأزرق. وهنالك بائعات الروائح والعطور النسائية مثل السُرَّتِية، التي تسمى بالفتنة البيضاء، والمَحْلَبِية والمجموع والصَندَلِية والمَحْلَبْ والصندل والعودية، والأخيرة مشابهة للصندل، والمِسْك والمايقوما وعطور الشبراويشي[٤٢] وسيف العرب والحناء. نجد بجوار بائعات العطور بائعات الودك والدِهن، والودك عبارة عن شحوم الحيوانات مثل الضأن والماعز والأبقار والإبل. أما الدِهن فيصنع من الودك بإضافة الصندل والقرنفل والمسك وبعض العطور الأخرى مع زيت السمسم، وأحياناً يستخدم شمع النحل بدلاً عن الودك في صناعة الدهن. يعرف الدهن بالكَركَار وتستخدمه النساء لدهن الشعر ومسح الأطراف كاليدين والرجلين. تتخذ بائعات العطور من الدكة التي تتوسط سوق النسوان مقراً لبيع بضاعتهن. وليس ببعيد عن هؤلاء النسوة، أخريات يبعن حطب الدخان من

٤٢ ترجع تسمية الشبراويشي الي صاحب مصنع عطور مصري.

طلح وصُبَاغ، يعرف أحياناً بالشَاف، والهِبيل، والكِليت، والدَرُوت وكل هذه الأنواع من الأخشاب تستخدمها النساء للدُّخَان والبخور.

هنالك أيضاً بعضاً من النسوة المتخصصات في بيع السعف ومنتجاته كالأطباق (الطُباقة) ذات الألوان الزاهية التي تستخدم في تغطية الأطعمة في المناسبات ويعرف بالبَرتَال ويجلب من غرب السودان حيث تشتهر صناعته، وهنالك نوع أقل زخرفة يستخدم في الأحوال العادية ويعرف بالسِنَّاري نسبة إلى سِنَّار حيث يصنع. هنالك أيضاً الأطباق التي تستخدم لحفظ الكِسرة وهي أكثر متانة وأثقل وزناً وغير ملونة عادة وتعرف بالرَيْكَة (بتخفيف الراء). نجد أيضاً الكَابدُلُو (المَقْطَف) الذي يستخدم لحفظ الآبْري (بتخفيف الراء) الأبيض والأحمر أي الحِلومُرْ، والبروش، والسَبَاتات، والقفف، والمكانس، والهبابات، والمَشْلَعيب الذي يربط بالسقف ويستخدم لتهوية الطعام وحفظه على ارتفاع من سطح الأرض بعيداً من الحيوانات. ولا يخلو سوق النسوة من بعض اللائي يبعن القضيم والقُنْقُليز، والدوم، والنبق، والتسالي، والفول السوداني، والترمس وغيرها من الثمار، بجانب هؤلاء هنالك أخريات يبعن الأطعمة (الأكلات الشعبية) والمشروبات من مُلاح وكسرة وعصيدة وشاي وقهوة.

السوق العربي

يلي سوق النسوان من ناحية الغرب وفي موقف بصات الشجرة والديوم الغربية الحالي أي الفسحة الواقعة غرب شارع هاشم بيك، دكاكين السوق العربي التي يشغلها البقالون وتجار الجملة والمُفَرَّق (القَطَاعي). كانت دكاكين السوق العربي مبنية من الجالوص (الطين) ومصفوفة على شكل مربع، تخصص بعضها في المواد الغذائية مثل الزيوت، والطحنية، والشعيرية، والمعلبات، والسكر، والشاي، والبُن، والبعض الأخر في الأقمشة الشعبية

والأحذية والعطور وفي الأواني المنزلية كما لا يخلو السوق من بعض المحال المتخصصة في مواد البناء.

من تجار السوق العربي في فترة الثلاثينيات وإلى الخمسينيات حسن المنياوي، وإسماعيل طيفور من جهة المسيد، والفاتح بشارة، وتاتاي، وحاج الخضر علي كمير وبقية آل كمير، وحامد وكشة عبد السلام، وحسن وحسين مروي (تجار جملة)، والسواحلي (تاجر فاكهة)، وشروني (الأواني المنزلية)، والشيخ مصطفى الأمين (الزيوت)، وحاج مضوي محمد أحمد وشريكه حاج أدهم، وهميمي، وحسين تربال، والطاهر الأزرق، وبابكر جعفر (محل نظارات). كما ضم السوق العربي تجاراً من غير المواطنين أمثال أنطوان رمان، وأنطوان أخوان، وشكيب بطيخة، وأمين رزق وكل هؤلاء عملوا في تجارة المينفاتورة[٤٣]، كما ضم عدداً من اليهود والشوام.

ومن تجار السوق العربي الذين تقع محلاتهم خارج إطار المنطقة المحددة أعلاه، تاجر العطور حاج صالح البرناوي ويقع محل عطوره في عمارة حَلاَّب الواقعة في الناحية الشمالية من المدرسة الأهلية، ومعه في هذه العمارة تاجر مشهور آخر هو الأمين هاساي والد عبد الرحيم الأمين قطب حزب الأمة ووزير الزراعة في حقبة الديمقراطية الثانية.

السوق الإفرنجي

تمتد أسواق الخرطوم شمالاً إلى ميدان الأمم المتحدة ويعرف الجزء الواقع شمال السوق العربي وجنوب ميدان الأمم المتحدة بالسوق الإفرنجي، ومن أشهر محلاته محل المراشي لبيع الأقمشة الراقية، ومحل أبو طيارة، ومحل الطائر الأزرق، ومحل أبو شمسية، ومحل شبيرقلة، ومحل شكيب بطيخة وأمين رزق وهي أيضاً محلات

٤٣ كلمة طليانية تعني تاجر أقمشة أو سواها بالجملة.

لبيع الأقمشة، ومحل عبده تادرس لبيع الخيوط والزراير والإكسسوارات وكل هذه المحال تطل على شارع هاشم بك. أيضاً هنالك محلات حسن صالح خضر لبيع العجلات والمعدات الكهربائية، ومخازن العامل، ومحل النجم الأحمر، ومحل نيكولا قرنفلي، ومحل علي المغربي، وباتا وتقع جميع هذه المحال جنوب ميدان الأمم المتحدة وتنشط في مجال تجارة الملبوسات الجاهزة والأحذية.

أوقف الخديوي عباس للجامع الكبير المنطقة الكائنة جنوبه من الموقع الذي كانت تقوم عليه عيادة الدكتور عبد الحليم محمد، المواجهة لميدان أبوجنزير من الجنوب، وتمتد غرباً إلى شارع هاشم بيك. وبذلك صار ريع كل المحال التجارية والعقارات في هذه المنطقة وقفاً للجامع الكبير الذي عرف بجامع عباس لفترة من الزمان وذلك لأن تشييده قد تمَّ في عهد الخديوي عباس الثاني. كما سُمي الميدان الواقع غرب الجامع بميدان عباس وهو ما عرف لاحقاً بميدان الأمم المتحدة. أما المحال الواقعة بالقرب من شارع هاشم بك والممتدة إلى موقع مكتب بوستة (مكتب بريد) الأمم المتحدة القديم بالقرب من البنك الصناعي، فقد أوقفها عبد اللطيف البغدادي رجل الأعمال العراقي الأصل لجامعة الخرطوم.



الخرطوم 1931م

محلات باتا (١٩٣١م)

أسواق اللحوم والخضر والفاكهة

أما إلى الشمال من ميدان الأمم المتحدة فنجد أسواق اللحوم والخضر والفاكهة حيث أنشئت منذ أوائل الثلاثينيات أربعة جملونات تعرف بالزَنَاكِي نسبة إلى ألواح الزنك المستخدم في عرشها. وامتدت هذه الزناكي من الشرق إلى الغرب، اثنان في الناحية الشمالية واثنان في الناحية الجنوبية، فنجد الجزارين يشغلون الزنك الشمالي الشرقي حيث تباع لحوم الضان والبقر والعَجَّالي. يشغل بائعو الدواجن والحمام والبط والأرانب الجانب الشرقي من الزنك الجنوبي الشرقي بينما يشغل بائعو الأوصال والأحشاء الداخلية للذبائح الناحية الغربية منه. أما بائعو الأسماك فيحتلون الزنك الشمالي الغربي، ويحتل بائعو الخضار والفاكهة الزنك الجنوبي الغربي وأيضاً مجموعة أكشاك تتوسط الزناكي الأربعة في فترة لاحقة. أما الفضاء الواقع إلى الشمال من الزنك الشمالي الغربي والممتد شمالاً إلى مبنى القنصلية المصرية فيشغله ما يعرف بسوق «المَلَجة»[44] حيث يباع الخضار والفاكهة والأسماك بالجملة.



زنك اللحم

[44] المَلَجَة ساحة في وسط السوق يبيع الناس فبها ويشترون وأصلها سرياني.

الأسواق بعد الخمسينات من القرن الماضي

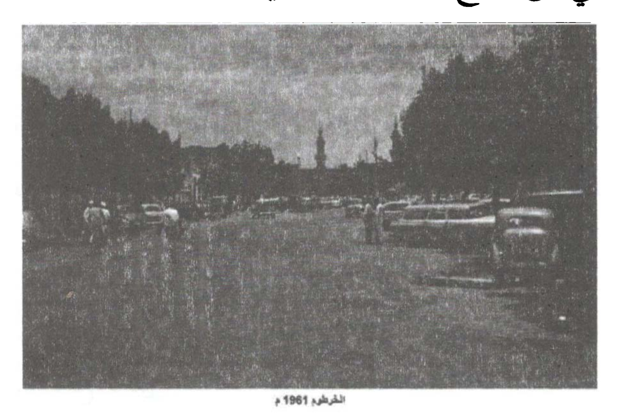
بدأت في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي إعادة تخطيط السوق العربي حيث رُحِل جزء كبير منه إلى سوق السجانة خاصة الجزء الذي كان يحتل موقف بصات الشجرة إذ أزيل بالكامل. تمت كذلك إزالة سوق النسوان وسوق المراكيب. سبق هذا إزالة زريبة العيش وأُنشئ في مكانها المباني الحالية لمدرسة الخرطوم الأهلية حيث انتقلت إلى هذا الموضع من موضعها الأول شمال حي الخرطوم جديد وكان ذلك في أواسط الخمسينات من القرن الماضي. وكانت قد تمت إزالة سوق القشاشة وزريبة الفحم والحطب قبيل ذلك بقليل وأنشئت مباني مدرسة الكمبوني الجديدة.

توسع السوق في فترة منتصف الخمسينيات في المنطقة الواقعة شمال الجامع ليشمل شارع الجمهورية وشارع البرلمان ويتمدد شرقاً ليصل إلى ملهى سان جيمس (عند تقاطع شارع الجمهورية وشارع عطبرة) وغرباً ليصل جامع فاروق وتَكَوَنَ في هذه المنطقة ما عرف لاحقاً بالسوق الإفرنجي ليصبح السوق العربي شاملاً كل أسواق المنطقة الواقعة جنوب ميدان الأمم المتحدة والجامع الكبير.

الأسواق جنوب الجامع الكبير

ضمت محلات أسواق الخرطوم الواقعة جنوب الجامع الكبير وقف الخديوي عباس للجامع الكبير ووقف عبد اللطيف البغدادي لجامعة الخرطوم. ومن أشهر المحال التجارية في وقف البغدادي محل عبده تادرس. أما وقف الخديوي عباس للجامع الكبير فكان يشتمل على كثير من المحال المشهورة تشمل من الغرب إلى الشرق نيكولا قرنفلي، والمغربي، والنجم الأحمر، ومخازن العامل، وحسن

صالح خضر، وباتا، وأولاد ملاح وكل هؤلاء تقع محالهم في المربع المطل على ميدان الأمم المتحدة. نجد في المربع الذي يليه مكتبة النهضة التي أنشأها عباس أبوالريش والد كل من مُزَمِل من قدامى موظفي المالية وإبراهيم من أطباء الرعيل الأول وعمل حكيمباشي لمستشفى مدني في الستينيات والسُني من النظار الأوائل لمدرسة خورطقت الثانوية ومحمد صاحب مطبعة النيلين. وإلى الجنوب من مكتبة النهضة نجد فرن شريف أحمد شرفي وهو من أشهر المخابز في تلك الفترة. تقع إلى الشرق من مكتبة النهضة محلات أبوطيارة للأقمشة، وحمدتو الحلواني، وقهوة الزئبق. أما في المربع الذي يلي مربع قهوة الزئبق من الشرق فنجد اجزخانة شاشاتي التي أصبحت الآن اجزخانة سعدالدين، ومحل تنجيد فرش السيارات لصاحبه سيد حسن سليمان صهر كامل صالح ووالد حسن قناوي وماهر وعامر، وشركة سودان ديزل، ومجموعة من الشركات التجارية. أمَّا المربع الأخير من وقف الخديوي عباس فكان يشتمل على عيادة الدكتور عبد الحليم محمد من الناحية الشمالية، وعيادة الدكتور عز الدين علي عامر (في فترة متأخرة بعض الشيء) من الناحية الجنوبية الغربية ، وفي أقصى الركن الشمالي الشرقي من المربع كان المنزل الذي يقطنه الزئبق.



الخرطوم 1961 م

شارع استاك (شارع الجامع الكبير حالياً)

تحتل محلات المينفاتورة المنطقة الواقعة إلى الجنوب من المربعات سالفة الذكر وهي تبيع الأقمشة خاصة النسائية منها من ثياب سودانية وغيرها. تنتشر هذه المحلات في عمارة حَلاَّب وفي الناحية الشرقية من المربع الواقع إلى الغرب من حَلاَّب. أما المحال الواقعة في الناحية الجنوبية من المربع الأخير والمواجهة لمنطقة سوق النسوان، الذي أصبح ميداناً بعد إزالة السوق واستغل في فترة الستينيات موقفاً لبصات عشش فلاتة وبني فيه أخيراً بنك الخرطوم، فقد شغل هذه الناحية ومازال يشغلها بعض تجار الجملة بالسوق العربي. تمتد محال تجارة الجملة هذه غرباً على طول الشارع المتجه من الشرق إلى الغرب والواقع شمال مدرسة الخرطوم الأهلية إلى قهوة البرابرة عند تقاطع شارع عبد المنعم محمد.

معلم آخر في هذه المنطقة هو شارع الدهب (الذهب) وهو الجزء الشرقي في شارع شروني ويمتد هذا القطاع إلى الشرق من فرن شريف أحمد شرفي حيث تنتشر محال بيع وشراء وتصنيع المصوغات الذهبية. أما الجزء الغربي من هذا الشارع، أي إلى الغرب من الفرن إلى تقاطع شارع هاشم بك فتنتشر محال بيع الأحذية خاصة النسائية منها.

من أهم المعالم في الناحية الغربية من ميدان الأمم المتحدة نجد عمارة عبد المنعم محمد القديمة، وفي هذه المنطقة تنتشر القهاوي والمطاعم وأشهرها مقهى الشيشة ومقهى الهلال الذي أصبح مطعم الهلال ومطعم الفوال ومطعم الإخلاص وغيرها كما سيرد ذكره لاحقاً عند التحدث عن مقاهي ومطاعم الخرطوم.

الأسواق شمال الجامع الكبير

من أهم معالم امتداد أسواق الخرطوم في الناحية الشمالية من الجامع

الكبير في حقبة الخمسينيات من القرن الماضي نجد عمارة بابادام (فندق الأراك الآن) في المربع المواجه للجامع حيث تحتل محلات محمد حسن سعد للمعدات الكهربائية الناحية الجنوبية الغربية من العمارة، بينما تحتل الناحية الشمالية الغربية أجزخانة العاصمة المثلثة التي يمتلكها عبد الحميد صالح ويجاورها محل سنجر لماكينات الخياطة، وفي الناحية الجنوبية الشرقية من العمارة نجد أستوديو بابا. أما المربع الواقع غرب عمارة بابادام والمواجه للجامع من الناحية الشمالية أيضاً ويمتد بين شارعي الطيار مراد والطيار زلفو فنجد في ناحيته الشمالية الغربية جزارة خريستو ومانو لبيع جميع أنواع اللحوم الحمراء والبيضاء ومن بينها لحم الخنزير والديك الرومي. بجوار هذه الجزارة نجد مطعم وبار الاستقلال يطلان على شارع الزبير باشا، وإلى الشرق منهما تقع مخازن بورتسودان ومخازن أولاد مُلاح، وفي الناحية الشرقية من المربع نجد مقهى التيجاني في مواجهة عمارة بابا دام.

كما نجد إلى الشمال من خريستو الجزار عند تقاطع شارع مراد وشارع الزبير باشا محطة شل للبترول (طلمبة بنزين القاضي) يقابلها من الناحية الغربية لشارع مراد فرع لمحلات باتا للأحذية، ومقهى كابرس. وعلى نفس الشارع عند تقاطعه مع شارع الجمهورية وكالة السر للسفر والسياحة ثم محلات أسندكو للملابس الرجالية الجاهزة وهي من الأماكن الراقية في تلك الحقبة، ثم مكتبة السودان ويقابلها من الناحية الشرقية محل بروتة للدراجات النارية والمعدات الكهربائية.



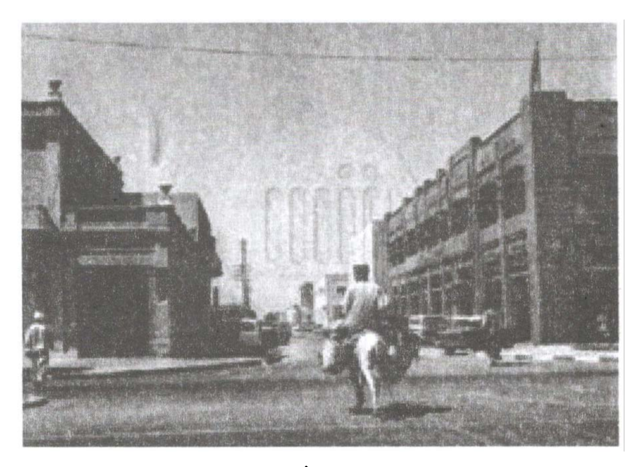
مكتبة سودان بوكشوب – شارع البرلمان

أيضاً توجد في الجزء الجنوبي من شارع الطيار مراد العديد من البقالات التي يمتلكها ويديرها إغريق وطليان ويرتادها أفراد الجاليات الأجنبية وعلية القوم من سكان المدينة واشتهرت ببيع المعلبات والأجبان المستوردة والمارتديلا. أمَّا بالنسبة لقطاع شارع الجمهورية في منطقة السوق الإفرنجي فمن أبرز معالم الجزء الغربي منه مقهى الحلواني في موقع بنك المزارع الحالي والبنك التجاري سابقاً، وإلى الغرب من الحلواني تنتشر مجموعة من المطابع الصغيرة والشركات التجارية.



ليست لندن – إنه شارع الجمهورية – الخرطوم 1950م

وعند التوجه شرقاً على طول شارع الجمهورية نُمر على فرع المعروضات المصرية على يمين الشارع إلى الشرق من القنصلية المصرية، وبنك باركليز (بنك الخرطوم الحالي) على يسار الشارع أمام مبنى البرلمان (المجلس التشريعي الحالي لولاية الخرطوم). ثم نُمر بمجموعة مخازن لمواد البناء أشهرها مخازن سرغاس وشركائه ومخازن كريازي. تأتي بعد ذلك قهوة شناكة في الموقع الذي شغلته لاحقاً وكالة السر للسفر والسياحة، يقابلها من الناحية الجنوبية للشارع محلات تبيدي، ثم بيطار فمطعم الجمهورية في الفسحة المقابلة للمحطة الوسطى على يمين الشارع. بينما يطل على الفسحة المقابلة على يسار الشارع مكتبة زكي بطليموس، وميرزا للأدوات الرياضية، واجزخانة لندن، ونظارات زكريا، وميرزا للساعات والنظارات، والبون مارشيه، وجورج جورجيان، وهيج للملابس الجاهزة.



السوق الأفرنجي

نقابل بعد ذلك الخطوط الجوية السودانية عند تقاطع الجمهورية مع شارع الطيار زلفو. يليها من ناحية الشرق العديد من محلات بيع الأقمشة من أشهرها المسرة، والناظر، وألف صنف، نجد بعدها فالفس لمعدات المباني، وكريازي كريادس

لمواد البناء. أما على يمين الشارع فنصادف قهوة خباز عند ناصية دمشيان، ثم بومبي بازار، واستديو غردون (النيل حالياً) وينتهي هذا المربع بسودان مركنتايل عند تقاطع شارع القصر. وعند عبور شارع القصر نجد محلات قرنفلي للأقمشة والخياطة الرجالية التي قامت في مكانها عمارة أبو العلا الجديدة. ثم في نهاية هذا القطاع من شارع الجمهورية نجد فرن بابا كوستا، الذي شيد في موقع منزل حسين منصور، ومطعم وملهى سان جيمس.



المحطة الوسطى ١٩٦٤م

وعند التوجه شمالاً من شارع الجمهورية إلى شارع البرلمان، نجد من معالم القطاع الشرقي منه، أي الواقع إلى الشرق من البرلمان، البنك العثماني (بنك الوحدة حالياً) الواقع إلى الغرب من مكتبة السودان. ثم نجد محل الربعة لطباعة كروت المناسبات والهدايا والكتب الدراسية على يمين الشارع، بينما نجد شركة النظارات والساعات الأهلية، وزكي للمرطبات، وفانيان لأسطوانات الأغاني الغربية على يسار الشارع. كذلك نجد أسبرو بدريان للأقمشة، ومحلات الخياطة الإفرنجية مثل الفحام وفانيان وستراكيان. تعتبر عمارة كونتوميخالوص من معالم هذا الشارع، وتحتل مخازن برجمهان ناصيتها الشمالية الغربية، بينما

تحتل شركة الخطوط الجوية البريطانية الناصية الشمالية الشرقية للعمارة عند تقاطع شارع الطيار زلفو.



شركة النظارات والساعات الأهلية

يقع عند نفس تقاطع شارع البرلمان وشارع الطيار زلفو من الناحية الشرقية بنك كريدي ليونيه (موقع بنك النيلين الحالي)، ثم بقالة وبار مرهج، ومخازن الشمس المشرقة، ومكتبة البازار وهي من أوائل المكتبات في الخرطوم أنشأها البازار الإغريقي الجنسية والد ديمتري البازار في عام ١٩٣١م. كما نجد المعروضات المصرية على يسار الشارع قبيل التقائه بالجزء الغربي من حديقة الشهداء. تحتل المعروضات المصرية نفس الموقع الذي كانت تحتله قهوة ومرقص شناكة قبل انتقالها إلى شارع الجمهورية. وفي هذا الجانب من الشارع نجد أيضاً محل عابدين عوض الترزي المشهور الذي ارتبط اسمه بتفصيل وخياطة الزّي الرسمي لضباط القوات المسلحة السودانية. وعند عبور شارع القصر نجد شركة شل تشغل الجزء الشمالي من عمارة أبو العلا الجديدة، بينما نجد نادي السودان (سودان كلوب) بعد انتقاله من شارع الملك نمر يحتل الناصية المواجهة لمكتبة مروي.



شارع البرلمان

الوكالات والحيشان

ربما عَرِفَت الخرطوم الوكالات منذ عهد الحكم التركي المصري ولكن لم يرد ذكرها في كتابات من أرخوا للخرطوم في تلك الحقبة. ولكن الثابت مَعْرِفَة الخرطوم للوكالات منذ نشأتها الثانية في بدايات القرن الماضي، حيث ازدهرت الوكالات بُعَيْد الحرب العالمية الأولى وفي العشرينيات والثلاثينيات من ذلك القرن. وتعني لفظة وكالة حوش كبير معظمه مسقوف وربما يحتوي على عدد من الغرف وقد لا يحتوي، ويمتلئ هذا الحوش بالعناقريب. تُعَمَر هذه الحيشان بالأمسيات والليل عندما يتوقف دولاب الحياة في المدينة ويخلد سكانها للراحة من عناء نهارٍ شاقٍ وعملٍ دؤوب، عندئذٍ يلجأ من لا منزل له أو دار له في المدينة ويعيش عازباً إلى أحد هذه الوكالات حيث يستأجر عنقريباً يضع عليه جنبه ليستريح من تعب النهار وليهيئ نفسه إلى كسب رزق غدٍ آت. تشبه هذه الوكالات نظام السرير والفطور (Bed & Breakfast) الشائع في بلاد الفرنجة مع اختلاف المستوى وانعدام وجبة الفطور، ولكن الفكرة واحدة وتتمثل في قضاء ليلة في مكان آمن وعلى سرير مريح (والراحة شيء نسبي) وبثمن زهيد.

وكانت هذه الوكالات محاطة بالدكاكين والمطاعم والقهاوي، وأحياناً تكون بعض هذه المنشآت في داخل الوكالات. يؤم هذه الوكالات العربجية والعتالة والقشاشة والصرماتية وغيرهم ممن يعملون في أسواق الخرطوم ولا عوائل لهم في المدينة.

كان للزبير باشا رحمة العديد من الوكالات في الخرطوم، فكانت له وكالة غرب المحطة الوسطى في مكان العمارة التي بها وكالة السر عباس للسفر والسياحة، وثانية شمال المحطة الوسطى في مكان العمارة التي بها اجزخانة لندن، وثالثة جوار مخازن بورتسودان وفندق الاستقلال إلى الشرق من معرض الأسواق الحرة الحالي الكائن شمال غرب الجامع الكبير، ورابعة إلى الغرب من الثالثة في الموقع الحالي لباتا المواجه لمحطة شل عند تقاطع شارعي الطيار مراد والزبير باشا، وأخرى في مكان قهوة الصناعية ومكان فرع المعروضات المصرية الحالي بشارع الجمهورية. كما كان هنالك شخص يدعى محمد زين له وكالة تقع إلى الشرق من موقع دكان أولاد مُلاح أمام محطة شل. كما كانت توجد في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي وكالة كبيرة أخرى جنوب ميدان الأمم المتحدة في الموقع الذي شُيِدَ فيه فيما بعد محل النجم الأحمر ومحل نيكولا قرنفلي ومحل المغربي ومخازن العامل، وكانت هذه الوكالة تشغل كل هذه المساحة وتمتد شرقاً حتى موقع فرع باتا الحالي، وكانت تضم مطعم الفوالي في داخلها بجانب بعض القهاوي (المقاهي).

ظاهرة أخرى بجانب ظاهرة الوكالات في الخرطوم القديمة هي انتشار الحيشان في الخرطوم شمال في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى واستمرت هذه الظاهرة حتى بداية الخمسينيات من القرن الماضي. وكانت الحيشان هي الرديف للوكالات، فبينما نجد أن من يلجأون إلى الوكالات كما ذكرنا أعلاه هم من لا عوائل لهم في الخرطوم، نجد أن أصحاب العوائل من العمال وصغار الموظفين

وأرباب الحرف يسكنون الحيشان. يتكون الحوش الواحد من ستة إلى سبعة غرف، وقد يصل إلى العشرة غرف، مبنية في الغالب من الطين. كانت هذه الحيشان تُؤجَر بالغرفة، ويقوم كل مستأجر بعمل حاجز بالبروش أمام غرفته للحصول على بعض الخصوصية وفناءٍ يتسع لمرقده وأهله أثناء ليالي الصيف حيث يصعب النوم داخل الغرف. ويشترك جميع سكان الحوش في المطبخ وفي المرحاض، إن وجد، وإلا استخدموا المرحاض العام حيث يوجد بالمدينة عدة مراحيض عامة موزعة في أرجائها. وكان سكان الحوش الواحد يُمَثِلُون أسرة كبيرة يتقاسمون لقمة الخبز حيث تجد الرجال يتناولون وجبات الغداء والعشاء معاً، كلٌ يأتي بما تيسر له وكذلك تفعل النسوة، وعادةً ما تتناول النسوة طعامهن بعد انتهاء الرجال من وجبتهم. ويشاركون بعضهم البعض في السراء والضراء حتى أصبحوا كالعشيرة الواحدة تتألم الجماعة لألم الفرد وتفرح لفرحه.

ومن الحيشان الشهيرة آنذاك حوش د. معلوف ويقع بالقرب من المكان الذي شُيدت فيه المباني السابقة لرئاسة مجلس الوزراء شرق شارع الملك نمر، وحوش الشجر الذي يقع في مكان الملحق التجاري لجمهورية تشيكوسلوفاكيا سابقاً الكائن جنوب مدرسة الاتحاد للبنات بشارع القصر، وصاحب هذا الحوش يُدعى وديع وكان يعمل باشكاتباً لمطبعة ماكور كوديل والتي أصبحت فيما بعد المطبعة الحكومية، وكان لوديع هذا مجموعة من الخيل يحتفظ بها في حوشه. وهنالك أيضاً حوش فرج بيه أبوزيد في المنطقة التي بها المريديان حالياً وكان هذا الحوش قد خصصه صاحبه لسكن السودانيين الذين تنحدر أصولهم من جنوب البلاد، إذ أن فرج بيه نفسه من منطقة الرنك. وكان له الكثير من الأملاك في الخرطوم من ضمنها المواقع التي قامت عليها شركات مركنتايل وميتشل كوتس. وبالقرب من حوش فرج بيه نجد حوش المشلية ويقع الأخير جوار لكوندة اسطفانو وغرب مبنى كلية الصيدلة. كما نجد العديد من

الحيشان في المنطقة الواقعة شرق شارع القصر حول مبنى سينما كلوزيوم أي في حي الحرس وكان معظم سكان هذه الحيشان من الأقباط، ومن بين حيشان هذه المنطقة حوش بولص وحوش الخواجة بنيوتي الذي كان يشتهر ببيع اللبن وحوش أحمد ود الإمام. كما نجد في المنطقة الواقعة إلى الشرق من النادي العربي (وزارة المالية الولائية حالياً) وجنوب البنك العقاري منازل للأوقاف كان يسكنها القضاة الشرعيون وهم جميعاً من المصريين في حقبة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي ومن بينهم القاضي محمد الأمين قراعة أحد قضاة مصر الذين عملوا في السودان آنذاك وشيخ نعمان الجارب.

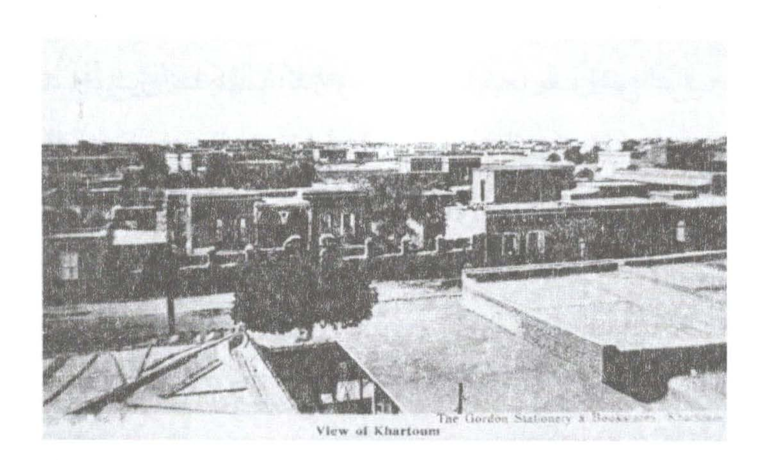
أما في المنطقة الواقعة جنوب الجامع الكبير فنجد حوشي جلاب وجاررووط وكانا ملتصقين ويقعان إلى الشمال من سوق أبوجهل. وفي الناحية الغربية للمدينة نجد حوشين يمتلكهما أندراوس باعهما فيما بعد لابن عوف سليمان، كما نجد حوش إبراهيم بك خليل (حوش المجانين) جوار جامع فاروق. ومن الحيشان المشهورة أيضاً حوش بت آدم ويقع عند محطة الدوران (صينية القندول) وحوش العليقات، ينسب إلى قبيلة صاحبه، وحوش ود منصور وحوش بابليك.



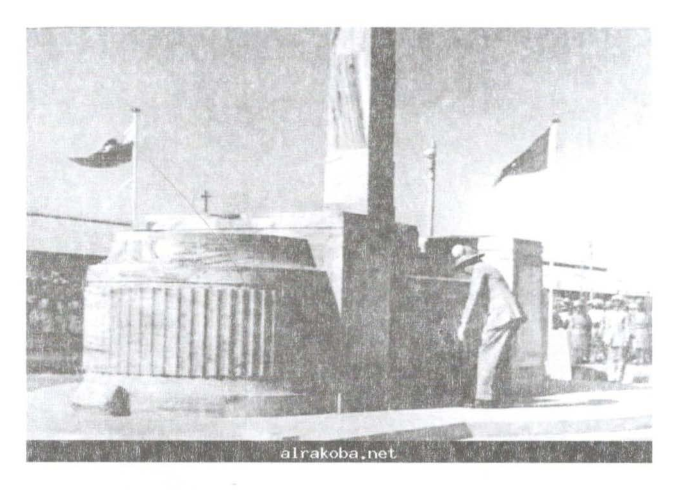
شتل اشجار اللبخ في شارع النيل (١٩١١م)



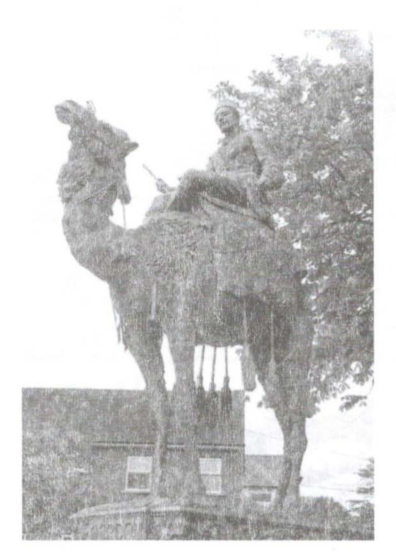
شارع الخديوي (غردون) حالياً شارع الجامعة (١٩٥٦م)



منظر عام لمدينة الخرطوم



نصب الجندي المجهول عند المدخل الجنوبي لشارع فكتوريا (شارع القصر)





تمثال غردون

(نُصِبَ تمثال غردون في شارع غردون (شارع الجامعة) أمام قصر الحاكم العام (القصر الجمهوري) ومتجهاً إلى ميدان غردون (ميدان الشهداء) في عام ١٩٠٣\١٩٠٤م . أزيل التمثال في عهد حكم الفريق إبراهيم عبود في عام ١٩٥٨م.)



تمثال كتشنر

(نُصبَ تمثال كتشنر في الميدان الواقع شمال وزارة المالية في عام ١٩٢٣م. عُرِفَ هذا الميدان بميدان السردارية ثم عرف بميدان كتشنر بعد وفاته عام ١٩١٦م. أزيل التمثال في عهد حكم الفريق إبراهيم عبود في عام ١٩٥٨م وعرف الميدان بعد ذلك بميدان الحرية)

الفصل الرابع

عمارة الخرطوم جنوب (الديوم القديمة)

مقدمة

تقع الخرطوم جنوب إلى الجنوب من خط الاستحكامات الذي عرفته المدينة خلال فترة الحكم التركي والذي أُنشئ فوقه خط ومحطة السكة حديد في عام ١٩٠٩م. ويتم الوصول إلى هذا الجزء من المدينة من الخرطوم شمال عن طريق بوابتي المسلمية والكلاكلة. وقد شُيِدَ كبري في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي في موقع بوابة المسلمية سُمِيَ بكبري المسلمية، كما شُيِدَ كبري آخر في أوائل الستينيات في موقع بوابة الكلاكلة سُمِيَ بكبري الحرية. بدأت عمارة الخرطوم جنوب بعمارة الديوم[٤٥] القديمة ما بين ١٩٠٤ و ١٩٠٥م حيث سكن في المنطقة التي عرفت بديم سلمان بعض الجنود الذين كانوا يعملون في الجيش المصري وأحيلوا للتقاعد «رديف» وترجع أصولهم إلى قبائل جنوب السودان وجبال النوبة وهم في ذلك مثلهم مثل سكان بري أبوحشيش. وكان موقع ديم سلمان في الناحية الشرقية من الموقع الحالي للخرطوم نمرة (٢) في الجهة المقابلة لمطار الخرطوم. قام بتأسيس هذا الديم أحد قدامى الضباط ويدعى سلمان رابح لذا سُمِيَ باسمه. ونجد أنَّ منطقة ديم سلمان تضم في الواقع عدة ديوم منها ديم النور عبيد وديم ديوس بجانب ديم سلمان، وسكن كل هذه الديوم جنود الرديف. تلى ذلك تشييد العديد من الديوم إلى الغرب من ديم سلمان لإيواء العمال الذين وفدوا للعاصمة الجديدة بحثاً عن أسباب كسب العيش. ونجم عن ذلك نمو منطقة الديوم القديمة جنوب السكة حديد لتشمل قرابة العشرين ديماً

٤٥ ديوم جمع ديم بمعنى المعسكر وتطلق على المنطقة المسكونة في أطراف المدينة.

بنهاية الحرب العالمية الثانية أي في منتصف الأربعينيات وتضم حوالي الخمسة آلاف منزل من الجالوص والقش، يعيش فيها حوالي الثلاثين ألف نسمة من السكان[٤٦].

ومن هذه الديوم ديم التعايشة الذي بدأ عمارته أبناء شهداء معارك المهدية. إذ بعد معركتي كرري وأم دبيكرات وانتهاء دولة المهدية، رأى سلاطين باشا، مسئول المخابرات، في وجود بقايا محاربي المهدية كمجموعة واحدة في الخرطوم أو أم درمان خطورة على النظام الجديد. فبعد أن تمَّ إعتقال كبار الأمراء والقادة أرسلوا إلى سجن رشيد بمصر[٤٧]. أما بقية المحاربين فقد تمَّ إعادة توطين مجموعة منهم في منطقة الجبلين بالنيل الأبيض، ومن هذه المجموعة علي محمود هبت ومحمد بخيت النور ومحمد كناني ومحمد بدر، ومجموعة أخرى تمَّ توطينهم في مناطق الرماش والشلال وود الجزولي والرايات وتنقرو بالنيل الأزرق، ومجموعة ثالثة وزعوا في مناطق أعالي نهر عطبرة وستيت والشوك. تبقى بعد ذلك أبناء الشهداء الذين لم يكن لهم دور في المعارك لصغر سنهم، فهولاء تركوا في العاصمة ليظل بعضهم مقيماً في أم درمان، والبعض انتقل إلى الخرطوم وأقام جنوب إشلاقات الجيش المصري (إشلاقي توفيق وعباس) في عشش ورواكيب من الأخشاب والقش. واشتغل هؤلاء في بعض الأعمال الهامشية وعمال بناء في تشييد منشآت الحكومة الجديدة مثل مباني المالية والبوستة والحقانية (القضائية). وتجدر الإشارة إلى أنَّ النساء شاركن في هذه الأعمال الإنشائية لإعالة أطفالهن بعد فقدهن لأزواجهن في معارك المهدية. وبعد فترة وجيزة كانت القطاطي والرواكيب نواة لديم التعايشة والديوم الأخرى.

---

٤٦ فاطمة بابكر، سلسلة قضايا الإسكان في السودان: أعمال سعدالدين فوزي ٢، ١٩٩٦م.

٤٧ تمت إعادة هؤلاء الأمراء في فترة لاحقة حيث أقاموا في حي الأمراء وسميت المنطقة بالعباسية وذلك لإقامتهم في العباسية أثناء فترة نفيهم بمصر، وهدف المستعمر من اقامتهم في هذه المنطقة ليكونوا قرب المركز لرصد حركتهم.

يلحظ المتجول في أحياء الديوم القديمة أنها لم تنشأ بطريقة عشوائية كما يتبادر إلى ذهن قارئ السطور السابقة، إذ نجدها مقسمة إلى مربعات مساحة المربع الواحد حوالي الألف متر مربع، يفصل بين هذه المربعات شوارع كبيرة بعرض أربعين متراً مما يوفر ميادين فسيحة بين تلك المربعات. كما قسمت هذه المربعات بواسطة أزقة متوازية غير متعرجة، الواحد منها بعرض خمسة أمتار. تفصل هذه الأزقة بين المنازل التي كانت أشبه بالأكواخ والعشش منها بالمنازل. وتوجد بكل مربع بعض الفسحات الخالية تسمى بالخرابات وذلك دلالة على عدم العمارة. وقد أشاد الدكتور سعد الدين فوزي بتخطيط الديوم القديمة إذ ذكر «.... وفي هذا التخطيط ملمح حضاري لم يوجد في أي من الأحياء الشعبية المزدحمة للمدن السودانية ....»[48]. وهنا يجب التأكيد بأن هذا الملمح الحضاري المتمثل في تخطيط الديوم القديمة لم يك بإشراف الدولة بل من تلقاء السكان أنفسهم.

كانت مساحة المساكن في الديوم القديمة متناهية الصغر حيث تتراوح مساحة المنزل ما بين الثلاثين والستين من الأمتار المربعة، ويسع في الغالب لحجرة واحدة. وطبيعة المباني عند نشأة الديوم إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى هي الرواكيب والعشش والحَنَايَات أو ما يعرف بظهر الثور حيث تكون الحيطان مبنية من الجالوص على شكل مستطيل والسقف على شكل جملون من القش والطين. لم يكن مسموحاً عند بداية الديوم بناء أسوار حول الحجرات لتكوين حيشان تعطي بعض الخصوصية لكل منزل على حده، ولكن بعد فترة من الزمن سمح للسكان بذلك. لم تكن هنالك مراحيض، وكان السكان يقضون حوائجهم في الساحات حول ديومهم حيث بنيت أسوار ذات ارتفاع منخفض لحجب الجالس لقضاء حاجته عن الأنظار. كما كان يوجد فرن كبير مبني من

٤٨ فاطمة بابكر،سلسلة قضايا الإسكان في السودان: أعمال سعدالدين فوزي ٢، ١٩٩٦م.

الجالوص له بوصة (مَدْخَنَة) مرتفعة لنشر الدخان المنبعث من حرق الفضلات على ارتفاع عالٍ للحفاظ على صحة البيئة، ويسمى هذا الفرن بالكوشة أو «الكدمبس» وتعني محل قديم لتجميع الأوساخ ثم حرقها، وكان موضع هذا الفرن إلى الشرق من الركن الشمالي الشرقي لمقابر فاروق.

كان مصدر المياه لأهالي الديوم القديمة هو الآبار التي نجدها موزعة على طول الشوارع الرئيسية، وتسمى كل بئر باسم الديم الذي تقع فيه، ويَرِدَها المواطنون لأخذ احتياجاتهم من الماء. كما يَرِدَها السقاة أيضاً لتوزيع المياه على المنازل بالقربة (وتباع قربة الماء بأقل من تعريفة) أو الجوز(الجوز هو عبارة عن صفيحتين معلقتين بحبال على طرفي قطعة من الخشب بطول متر تقريباً ومستديرة المقطع يضعها الساقي على كتفه لحمل الصفيحتين المملوءتين بالماء). كان جميع من يعمل في مهنة السقاية هم من الجالية اليمنية الذين كان لهم وجود مقدر في الديوم القديمة حيث يعملون في بيع التمباك (الصعوط) والخبز (الرغيف)، ويستخدمون لتوزيع الخبز جوز من صناديق الخشب المكعبة الشكل تُحمل على ظهور الحمير، كما كانوا يعملون في البقالات (الدكاكين) بجانب احتكارهم لمهنة السقاية.

موقع الديوم القديمة

يتم الدخول لمنطقة الديوم القديمة من اتجاه الشمال عبر بوابة المسلمية (كبري المسلمية)، حيث نجد إشلاق توفيق بعد البوابة مباشرة ومن ثم نعبر قضيب سكة سير عربات الصحة التي كانت تستخدم لنقل الفضلات البشرية لسكان الخرطوم نمرة (١)[٤٩]. يمتد جنوب هذا القضيب فضاءٌ واسعٌ غرباً وشرقاً وينتهي في اتجاه الجنوب بمصرف كبير لمياه الأمطار يمتد من الشرق إلى الغرب

٤٩ خريطة (٣).

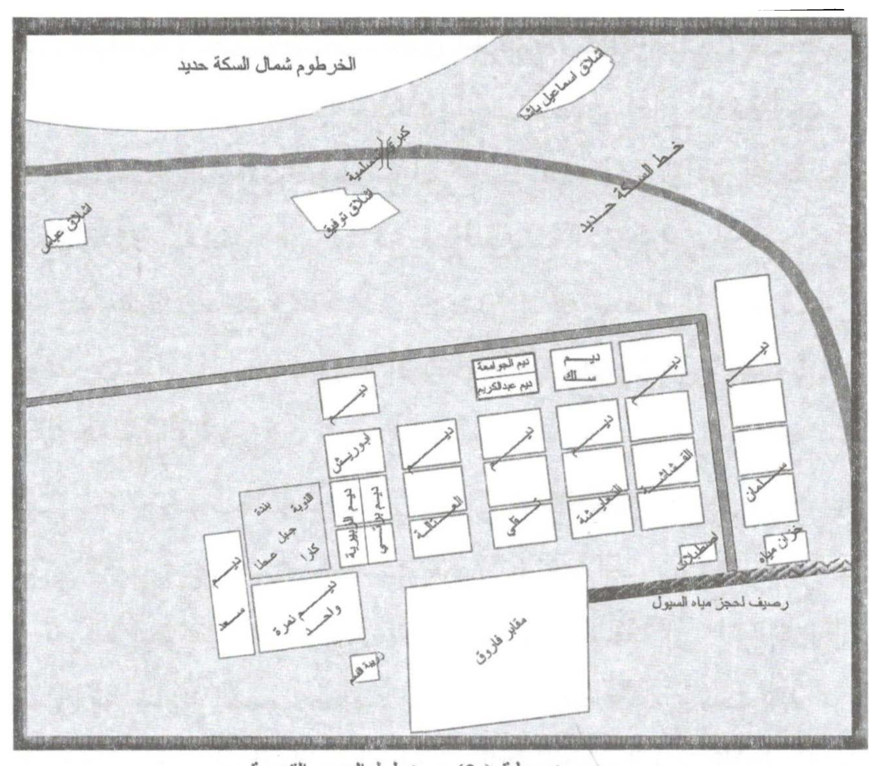
(وهو نفس المصرف الحالي الذي يمر بمنتصف سوق الخرطوم نمرة (٢)، ثم بين مدرسة الاتحاد الأولية للبنات ومحطة كاترينا، ثم يعبر الخرطوم نمرة (٣) والمنطقة الصناعية، ويعرف الآن الشارع الذي يمر فيه هذا المصرف بشارع الخور). يمتد هذا المصرف شرقاً إلى تقاطع الشارع المؤدي إلى جامع حاج كامل الأحمدي، حيث ينحرف جنوباً مع هذا الشارع الذي تطل عليه الآن مدرسة التدريب الكتابي ويقع إلى الشرق منه مجموعة من أندية الجاليات والأندية المهنية، مثل النادي الأرمني والنادي الإيطالي والنادي الكاثوليكي والنادي السوري ونادي البياطرة ونادي الضباط ونادي الخرطوم. كان المصرف يمر بهذا الجزء من الشارع إلى نهايته الجنوبية ليحاذي الحد الشمالي لمقابر فاروق حيث كان يوجد مستودع كبير للمياه وسد ترابي لحجز مياه السيول من الجهة الجنوبية الشرقية للديوم. يفصل الجزء الشرقي من المصرف الذي يمر بشارع جامع حاج كامل ديم سلمان عن ديم القشاشة، حيث نجد ديم سلمان إلى الشرق من هذا المصرف ويمتد شرقاً حتى شارع أفريقيا الحالي وهو بالتالي الحد من الناحية الشرقية للديوم القديمة.

أما من ناحية الجنوب فنجد الديوم تمتد إلى محاذاة مقابر فاروق، ويمتد الركن الجنوبي الغربي منها حيث يوجد ديم نمرة (١) نحو الجنوب ليغطي كل المنطقة التي تعرف بتعويضات المقرن (عوض المقرن) والواقعة إلى الغرب من الجزء الشمالي من شارع القصر جنوب. من ناحية الغرب نجد ديم سعد يمتد غرباً إلى الموقع الحالي لمعهد المواصلات السلكية واللاسلكية والنادي الأهلي الرياضي والموقع الذي يقوم فيه ملجأ العجزة إلى الشرق من مركز صحي السجانة الحالي.

أحياء الديوم القديمة

أخذت الديوم القديمة أسماءها أحياناً من الانتماءات القبلية مثل ديم التعايشة

وديم الجوامعة وديم برتي وديم النوبة حيث يغلب في مثل هذه الديوم أفراد القبيلة المسمى بها الديم. وتسمى أحياناً بأسماء المناطق التي قدم منها السكان مثل ديم تقلي، وتسمى أحياناً بأسماء شخصيات لها وزنها الاجتماعي في الديم أو قامت بإنشائه مثل ديم سلمان وديم سعد وديم الشاويش فضل المولى وديم عبد الكريم وديم أبوريش وديم العطا. وأحياناً تكون للأسماء دلالات أخرى كوحدة العمل ومثال على ذلك ديم القشاشة وديم العتالة وديم سلك والمسمى أيضاً بديم تلغراف.



خريطة (3) مخطط الديوم القديمة

يمكن تقسيم الديوم إلى قطاعين، قطاع شمالي وآخر جنوبي يفصل بينهما شارع كبير يمتد من الشرق إلى الغرب بعرض يزيد على الستين متراً على طول الديوم. ويضم القطاع الشمالي من الشرق إلى الغرب القسم الشمالي من

ديم سلمان، والقسم الشمالي من ديم القشاشة، ثم ديم سلك، ثم ديمي الجوامعة وعبد الكريم في مربع واحد، ثم فضاء فسيح يليه القسم الشمالي لديم أبوريش. أما القطاع الجنوبي، وهو الأكبر مساحة والأكثر كثافة سكانية، فيضم من الشرق إلى الغرب القسم الجنوبي لديم سلمان، والقسم الجنوبي لديم القشاشة، ثم ديم التعايشة، ثم ديم تقلي، ثم ديم العتالة، ثم القسم الجنوبي لديم أبو ريش وديوم برتي والزبيرية وأب قرشين، ثم ديوم النوبة وبندة والعطا وكارا وجبل، ثم ديم نمرة (١)، ثم ديم سعد كما توضح خريطة رقم (٣).

ولنبدأ جولة في الديوم القديمة ولتكن من الشرق إلى الغرب وهي بالتفصيل كالآتي.

ديم سلمان

ديم سلمان هو أول ديم من ناحية الشرق وأكبر الديوم مساحة على الإطلاق، وينسب كما ذكرنا أعلاه إلى مؤسسه سلمان رابح أحد قدامى ضباط الرديف. يمتد ديم سلمان على الناحية الغربية لشارع إفريقيا الحالي قبالة مطار الخرطوم، ويحده من الغرب مصرف كبير للمياه يفصل بينه وبين ديم القشاشة، ويمتد من ناحية الشمال قليلاً إلى ما بعد نهاية المصرف حيث نجد في ناصيته الشمالية الشرقية مقبرة قديمة بها بيان رجل صالح يدعى حامد أب عصاية يزار من قبل أهالي الديوم القديمة ويوجد هذا البيان الآن بداخل فناء مدرسة التدريب الكتابي. ينتهي ديم سلمان جنوباً عند رصيف حجز مياه السيول المحاذي للطرف الشمالي لمقابر فاروق. تضم منطقة ديم سلمان في الواقع عدة ديوم صغيرة من بينها ديم النور عبيد وديم ديوس، ومن مشايخ ديم سلمان شيخ المشايخ محمود موسى وشيخ نمر الذي تولى شياخة الحلة الجديدة بعد ذلك.

أول من سكن ديم سلمان هم الجنود الذين كانوا يعملون في الجيش

المصري وانتهت مدة خدمتهم وأصبحوا يُعرفون بجنود الرديف وترجع أصولهم إلى دينكا بور والقبائل النيلية الأخرى. من أبرز معالم ديم سلمان طاحونة عبد الحميد وحوش عبد الماجد عوض السيد صاحب الحناطير. يقع هذان المعلمان في أقصى جنوب ديم سلمان في الجهة المقابلة لمصرف المياه وديم القشاشة. من معالم ديم سلمان أيضاً بيان شيخ الحسن وخلوتا الفكي إبراهيم والفكي عبيد، وتقع الأخيرة في الناحية الشمالية من ديم سلمان. هنالك أيضاً محل الترزي محمد كربوس. ومن الأسماء اللامعة في ديم سلمان في فترة الثلاثينيات والأربعينيات عبد الماجد عوض السيد، وعبد الله ريحان المقاول، وبطران إبراهيم ابن الفكي إبراهيم صاحب الخلوة، وزيدان بريمة وشقيقه حسين بريمة، وحسن آدم. وكل هؤلاء كانوا من رواد الحركة الوطنية بالديوم القديمة وشاركوا في قيام مؤتمر الخريجين وفي تأسيس الحزب الوطني الاتحادي، وهم الذين كونوا اللجنة التي عارضت ترحيل ديم سلمان إلى الديوم الجديدة في نهاية الأربعينيات. ونتيجة لهذه المعارضة نقل عثمان حسن آدم الموظف بالأشغال إلى خارج العاصمة، ومنح بطران إبراهيم المقاول عقد تشييد خارج الخرطوم لإبعاده، بينما مورست ضغوط على بريمة إخوان، وقد تم نقل ديم سلمان إلى الديوم الجديدة بسرعة لإجهاض المعارضة وكان بذلك أول ديم يتم نقله كما سيأتي ذكره لاحقاً.

ديم القشاشة

يلي ديم سلمان إلى الغرب ديم القشاشة ويفصلهما المصرف كما ذكر سابقاً ويحده من الغرب ديم سلك في القطاع الشمالي وديم التعايشة في القطاع الجنوبي، أي أنه يمتد على طول القطاعين الشمالي والجنوبي للديوم مثله مثل ديم سلمان في ذلك. يحده من الشمال جزء المصرف الممتد من الشرق إلى الغرب،

أما من ناحية الجنوب فيحده رصيف حجز مياه السيول. وسمي هذا الديم بديم القشاشة لأن معظم سكانه يمتهنون بيع القش (عشب البهائم) وهم خليط من قبائل الوسط والقبائل الشمالية، وكانوا يقيمون قبل إنتقالهم إلى هذا الموضع في الموقع الذي يشغله حالياً فندق الحرمين بالخرطوم شمال. ولعل السبب في أن من يعملون في مهنة بيع القش هم من قبائل الوسط والشمال هو أنها مهنة من عرف الزراعة بعكس الذين عرفوا الرعي أكثر من جمع القش وبيعه. ومن شيوخ ديم القشاشة شيخ كلودة وشيخ أحمد محمود وشيخ حسن الغزالي. ومن معالم هذا الديم جامع حاج كامل الأحمدي الذي يتوسط قسمه الجنوبي وهو الجامع الوحيد في كل الديوم القديمة. ومعلم آخر هو دكان حاج ميرغني محجوب الواقع في الركن الجنوبي الغربي من القشاشة في مواجهة ديم التعايشة، أيضاً يضم الديم خلوة فكي حسن وزاوية الختمية.

من سكان ديم القشاشة الزين النويري الذي عمل سكرتيراً ليحيى الفضلي قطب الوطني الاتحادي الملقب بالدينمو، وأحمد حامد النجار، وعبد الله سرور المؤذن، وإدريس مأمون وسعدين وهم من أصحاب الحناطير وعربات الكارو، ومحمد بابكر الخواجة وهو موظف دولة وكان يُدرس سكان الديوم اللغة الإنجليزية والعربية والحساب في منزله.

ديم سلك

يقع ديم سلك في القطاع الشمالي إلى الغرب من ديم القشاشة وإلى الشرق من ديمي الجوامعة وعبد الكريم، ويفصله عن الأخيرين شارع كبير يمتد من الشمال إلى الجنوب. ويحد ديم سلك من الشمال المصرف، بينما يفصله عن ديم التعايشة من ناحية الجنوب الشارع الكبير الذي يفصل القطاع الشمالي عن القطاع

الجنوبي ويمر بعرض الديوم، لذا يمكن تسمية هذا الشارع بالشارع العرضي الكبير. سمي هذا الديم بديم سلك لأن أغلب سكانه كانوا يعملون في مصلحة البريد والبرق ولذلك سمي بديم تلغراف أيضاً، وكان يسكنه غالبية من الشلك والدينكا والفور. ضم ديم سلك دكان محجوب السماني، كما شهد قيام مدرسة المؤتمر الأهلية الصغرى كأول مدرسة أهلية في منطقة الديوم وكان على إدارة هذه المدرسة شيخ خوجلي شكر الله

ديم التعايشة

يعتبر ديم التعايشة من الديوم الكبيرة مساحةً وسكاناً، ويجاور ديم القشاشة من الشرق ويفصله عن ديم تقلي من الغرب شارع كبير يمتد من الشمال إلى الجنوب وهو ذات الشارع الذي يفصل ديم سلك عن ديمي الجوامعة وعبد الكريم في القطاع الشمالي للديوم. ويفصل الشارع العرضي الكبير ديم التعايشة ناحية الشمال عن ديم سلك، أمّا من جهة الجنوب فيمتد ديم التعايشة إلى رصيف حجز مياه السيول ومشارف الحافة الشمالية لمقابر فاروق. ولتقريب الموقع للقاريء فإن مدرسة دار النعيم الحالية تقع تقريباً في وسط المنطقة التي شغلها ديم التعايشة. ولإنشاء ديم التعايشة خلفية تستحق الإشارة، فقد كان يعقوب محمد المشهور بأب دربازة وعمر بشير محمد ضياء النور الملقب بعمر كويس من أوائل العمال السودانيين الذين عملوا في معمل إستاك، وهما من قبيلة التعايشة، وطلبا من مسئولي المعمل أن يخصصوا لهم ولأهلهم التعايشة مساحة من الأرض ليشيدوا عليها مساكن لهم. وتمت الموافقة على ذلك الطلب، وبدأت مجموعة من التعايشة في تشييد مساكنهم في المنطقة التي نسبت إليهم وعُين عمدة عليها يعقوب أب دربازة.

ومن ثم وفدت إلى الحي العديد من المجموعات القبلية الأخرى من جعليين ودناقلة وكنوز ومحس ورزيقات وغيرهم، وقد أدى هذا إلى اختلاط كل هذه الأجناس وانصهارهم دون تركيز على تكتلٍ قبلي حيث تجد التعايشي يجاوره الجعلي والدنقلاوي والمحسي وهكذا. ومما ساعد في هذا الانصهار الخلفية الدينية المحافظة لسكان ديم التعايشة الأوائل الذين رفضوا وجود الأنادي (الخمارات) في ديمهم، وكانت منتشرة في كل الديوم الأخرى عدا ديمي التعايشة والقشاشة. فالخلفية الأنصارية لسكان الحي الأوائل تعتبر شرب الخمر من الكبائر ومن باب أولى رفض كل صور الانحلال الأخرى. وكان من سلطات العمدة طرد أي شخص من الحي إذا رأى اعوجاجاً في سلوكه الشخصي، بالإضافة إلى ذلك كان العمدة يعقوب، في فترة عموديته، لا يسمح لأي شخص من غير سكان ديم التعايشة بدخول الحي أو المرور عبره بعد مغيب الشمس.

لذا كان ديم التعايشة المنطقة التي يطمئنُ إليها كل شخص قادم من الأقاليم ينوي الإقامة مع أهله في الخرطوم. ويمكن القول بأن تدين سكان ديم التعايشة ورفضهم لكل أشكال المجون أدى إلى احتشاد هذا الديم بكل القبائل والأجناس حتى فاض بسكانه وعندها اضطر القادمون الجدد للسكن في الديوم الأخرى. وكان هذا السلوك النبيل في ديم التعايشة مدعاةُ لافتخار سكانه بديمهم فكان الواحد منهم يعرف نفسه بأنه من ديم التعايشة وليس بالقبيلة التي ينحدر منها، وذلك يدل على الانصهار ونبذ عصبية القبيلة، وكان قدوة لسكان الديوم الأخرى ليقتدوا بالسلوكيات المميزة لسكان ديم التعايشة للارتقاء بمناطقهم.

كما ذكر أعلاه فإن أول عمدة لديم التعايشة هو العمدة يعقوب أب دربازة والد كل من يوسف ومحمد وعبد الشافي، الذي بدأت عموديته ما بين عامي ١٩٠٤م و١٩٠٥م وانتهت في العام ١٩١٨م تقريباً. خلفه مباشرة

العمدة عمر كويس[50] والد سليمان وصديق والهادي، الذي استمرت عموديته حتى بعد الإنتقال إلى الديوم الجديدة في العام ١٩٤٩م إلى تاريخ وفاته في مارس من العام ١٩٦٣م. أما شياخة الحي فكان يتولاها الشيخ سعيد والد أب ضرس لاعب النيل الشهير في الخمسينيات وأوائل الستينيات.

ومن الشخصيات البارزة في مجتمع ديم التعايشة الحاج كامل محمد الحسن الأحمدي والده مصري الجنسية، كان يؤمَّ عساكر الجيش المصري، ووالدته من الجعافرة. عمل الحاج كامل باشكاتباً لمدرسة كتشنر الطبية لفترة من الزمن ثم استقال وتفرغ للعمل الخاص والأعمال الخيرية والطريقة الأحمدية ومنها جاءه لقب الأحمدي. وقام بتشييد الجامع الذي عُرِف فيما بعد باسمه في ديم القشاشة. سكن ديم التعايشة أيضاً سليمان كَمِن قريب الموسيقار إسماعيل عبد المعين، وهو من الأوائل الذين كانوا يعلمون العساكر سياقة العربات، كما عمل بسودان مركنتايل، وكان رغم عدم تلقيه أي قسط من التعليم على درجة عالية من الثقافة وكان مسموع الكلمة بين سكان ديم التعايشة. أيضاً سكن ديم التعايشة الحاج ميرغني محجوب وهو خريج مدرسة الصناعة – قسم النجارة وأحد خلفاء الختمية ومن أقطاب حزب الشعب الديمقراطي في فترة لاحقة. ومن السكان أيضاً الشيخ وقيع الله إبراهيم وهو رجل دين كانت له حلقة درس أمام منزله ما بين صلاتي المغرب والعشاء، والشيخ إبراهيم يعقوب، وشيخ سعيد يعقوب صاحب حلقة ذكر أسبوعية بالجامع الكبير عقب صلاة الجمعة، والحاج أحمد عبد الحميد محمود السقيدي وعبد الله سرور العامل بمصلحة البريد والبرق.

---

٥٠ كان عمر كويس قبل خلافته للعمدة أب دربازة يعمل رئيساً لعمال معمل أبحاث استاك الذي كان يديره البريطاني مستر أرشبولد وهو من رشحه للعمودية خلفاً لأب دربازة. كان أرشبولد كثيراً ما يمدح رئيس عماله بالقول «كويس ... كويس عمر، عمر كويس»، كما كان عمر نفسه عندما يطلب منه أرشبولد عمل شئياً ما يقول له «كويس» ومن هنا جاء اللقب «عمر كويس».

عُرِفَ الجزء الجنوبي من ديم التعايشة المواجه لمقابر فاروق بحي القمرة وتعزى هذه التسمية إلى قيام هذا الحي على تل رملي وإطلاله من الناحية الجنوبية على مجموعة من التلال الرملية مما يجعل الليالي القمرية فيه ذات طابع ساحر خلاب يحلو فيها السمر والسهر. وربما تعود التسمية أيضاً إلى البشرة البيضاء نسبياً التي تُميز سكان هذا الحي. ومن أشهر سكان حي القمرة عائلة التُرَبِيَة ومنهم عبد اللطيف محمد أبوبكر التربي من أوائل خريجي كلية غردون وأحد الأصدقاء المقربين للشاعر والفنان خليل فرح، وعبد المحمود محمد أبوبكر من أوائل فنيي معمل إستاك، وعبد الجبار محمد أبوبكر، وعبد المعطي الصادق المشهور بالحِمَلِي وعبد الهادي الصادق، ومحمد الصادق، وطه التربي من خريجي كلية غردون أيضاً، وعبد الوهاب التربي وصالح علي الأمين وغيرهم.
ضم ديم التعايشة عدداً من الدكاكين وهي دكان محمد إدريس ودكان شاشوق ودكان العبيد ودكان عوض أوكير ودكان سرالختم عبد الكريم الأبرص الذي أصبح في فترة لاحقة دكان عبد الله الأزرق. عدا هذه الدكاكين لم تكن هنالك معالم بارزة أخرى في ديم التعايشة سوى مطعم ومقهى صغير لمجذوب عبد الماجد ومقهى التيجاني.

ديم الجوامعة وديم عبد الكريم

في القطاع الشمالي للديوم إلى الغرب من ديم سلك نجد ديم الجوامعة الذي يتداخل مع ديم عبد الكريم في الناحية الجنوبية منه، ويفصلهما الشارع العرضي الكبير من ديم تقلي الذي يقع في القطاع الجنوبي. أما من الناحية الشمالية لديم الجوامعة فنجد المصرف، بينما نجد في الناحية الغربية فضاءً واسعاً يفصل ديمي الجوامعة وعبد الكريم عن ديم أب ريش.

سمي بديم الجوامعة لأن أغلب ساكنيه من قبيلة الجوامعة مع وجود عدد كبير من البرنو الذين كانوا يقطنون نفس الديم، لذلك نجد شيخين على الديم شيخ علي بشير وهو من الجوامعة وشيخ شمس الدين عبد الله وهو برناوي. أما ديم عبد الكريم فينسب إلى شيخه شيخ عبد الكريم فوراوي كنجارة، وسكان هذا الديم من الفور كما يتضح من اسم شيخه.

اشتهر ديم الجوامعة بخلوة الفكي أزرق وهي من أول وأعرق الخلاوي بالديوم القديمة إذ أُنشئت في عام ١٩١٠م تقريباً ومؤسسها الفكي أحمد أزرق وهو من طائفة الأنصار وينتمي إلى قبيلة الجوامعة وقد شهد معركة كرري وبترت رجله فيها. كان الفكي أزرق يقيم في أم درمان قبل مجيئه إلى الخرطوم الذي تمَّ بطلب من علي يونس وسراج الدين، والد أحمد سراج الدين، لإنشاء خلوة في ديم الجوامعة، وأصبحت خلوته من أشهر خلاوي الخرطوم في تلك الفترة. ومن معالم موقع الخلوة شجرة هجليج (لالوب) ضخمة كانت تسمى بها محطة بصات القباني والعظمة[٥١]. قرأ في خلوة الفكي أزرق الكثيرون من أبناء الديوم القديمة الذين أصبحوا فيما بعد شيوخاً لها ومن بين هؤلاء الحاج أحمد عبد الحميد السقيدي وعبد الرحمن عرقة وكنجير ودميج إخوان وغيرهم من الشخصيات التي عرفها مجتمع الديوم.

من أشهر سكان ديم الجوامعة أبوحسبو والد عبد الماجد أبوحسبو القطب الاتحادي المعروف في الستينيات. وكان لأبو حسبو بيت كبير يقع شمال ديم الجوامعة له بوابة عليها تمثالان لنمرين. سكن ديم الجوامعة أيضاً أسرة أبوراس وأسرة عبد الرحمن وحسن مختار قبل إنتقالها إلى بري والأمين حامد ومحمد إدريس وآل منزول حيث ولد عبد الرحيم وبرعي وصديق منزول قبل انتقالهم إلى ديم التعايشة ثم إلى أم درمان بعد إزالة الديوم القديمة. أمَّا

٥١ الفكي أحمد أزرق خال أدم بوش بديم التعائشة وخال أحمد سراج الدين بالسجانة.

الشخصيات البارزة في ديم عبد الكريم فهناك تاجر القطاعي قرني عبد الكريم الذي كان يملك دكاناً في نفس الديم، وهناك أيضاً الخليفة عبد الرحيم البشير من طائفة الختمية وكان من مؤسسي الطريقة في الديوم القديمة.

ديم تقلي

يقع ديم تقلي في القطاع الجنوبي للديوم القديمة إلى الجنوب من ديم عبد الكريم وشمال مقابر فاروق، ويفصله شارعان كبيران ممتدان من الشمال إلى الجنوب عن ديم التعايشة في الناحية الشرقية وديم العتالة في الناحية الغربية. وترجع أصول سكان ديم تقلي إلى جبال النوبة، وأول شيوخه يدعى عبد الخير الشيخ ثم خلفه شيخ حسين. ويضم ديم تقلي من الناحية الشرقية منه في مواجهة ديم التعايشة ديم مُنضَلة وسكانه أيضاً من جبال النوبة وشيخه يدعى شيخ دوحة.

ضم ديم تقلي العديد من الخلاوي منها خلوة الفكي الأمين الكلاكلاوي وخلوة الفكي عبد الرحمن وخلوة شيخ أحمد الأحمدي. ومن معالم ديم تقلي نقطة البوليس التي تقع في الناحية الجنوبية الغربية منه ومكانها الحالي وسط صينية الحركة (دوار المرور) والتي تعرف بالنَّجِيلة الأولى الواقعة إلى الشمال من مقابر فاروق.

سكن ديم تقلي الخليفة عبد النبي النور، والد الدكتور عثمان عبد النبي، وأخوانه. كما استوطن عدد من أفراد الجالية اليمنية ديم تقلي، منهم أحمد الفن والد سعد الفن لاعب الأهلي الذائع الصيت. وحدث أن ذُبِحَ أحد اليمانية أثناء نومه ليلاً أمام دكان أحمد الفن، ولازمت هذه الحادثة المؤسفة لطيفة صارت تحكى على لسان اليمانية «إذا نِمْنا داخل الدكان الناموس والضُبَان وإذا نِمْنا بَرَّه الدكان الذبح من الأضان للأضان».

ديم العَتَّالة

يقع ديم العَتَّالة في القطاع الجنوبي للديوم القديمة إلى الغرب من ديم تقلي، ويفصله شارع كبير ممتد من الشمال إلى الجنوب عن ديمي برتي والزبيرية الواقعين في الناحية الغربية منه. أما من ناحية الشمال فيحده فضاء ممتد عبر القطاع الشمالي إلى المصرف. وتسمية ديم العتالة تسمية مهنية حيث ينتسب سكان هذا الحي إلى مهنة العِتالة[٥٢] التي يمتهنونها بالسكة حديد والأسكلة وسوق الخرطوم وهم خليط من القبائل. كان غالبية عتالة مخازن السكة حديد من الدناقلة وكان شيخهم الخليفة عبد النبي النور والد الدكتور عثمان عبد النبي. ومن عمال مخازن السكة حديد أخوان الخليفة عبد النبي ومحمد بشير طمبل وعبد الرحمن سعدية ومحمد نور والد الأستاذ حسن محمد نور، وكان بعض هؤلاء يسكن في ديم التعائشة وبعضهم في ديم تقلي. كما كان يُطلق على ديم العتالة ديم الشاويش فضل المولى وغالباً ما يكون هذا الشاويش أحد وجهاء ديم العتالة لذلك نسب إليه هذا الديم.

اشتمل الجزء الجنوبي من ديم العتالة على سوق الديوم القديمة الذي عرف بسوق جبرونا، وهو سوق صغير لا يتعدى بضعة دكاكين، وأُزيل هذا السوق قبل عام ١٩٢٢م وشيدت في مكانه مدرسة الديوم الأولية التي احتلت الناحية الشرقية من ديم العتالة على الشارع الكبير قبالة نقطة البوليس التي تقع ضمن ديم تقلي، ويجاور المدرسة من الناحية الشمالية مساكن البوليس ومنزل ابن عوف والد سليمان بن عوف. ونزح في تلك الفترة إلى البيوت المجاورة للسوق بعد إزالته بعض من أهالي الكلاكلة وسمي بديم الكلاكلة لحين. ومن معالم ديم العتالة، بجانب مدرسة الديوم، خلوة الفكي الهادي ومطعم حضرمي.

---

٥٢ حمل الأشياء ونقلها على الظهر والرأس.

ديم أب ريش

يعتبر ديم أب ريش من ديوم القطاع الشمالي والجنوبي معاً، إذ يحده من الشمال المصرف بينما يتداخل من جهة الجنوب مع ديمي برتي والزبيرية، ويفصله فضاء واسع من جهة الشرق عن ديمي الجوامعة وعبد الكريم في القطاع الشمالي، بينما يفصله شارع كبير ممتد من الشمال إلى الجنوب عن ديم العتالة في القطاع الجنوبي، أما من الغرب فلا يوجد معلم بارز يحد ديم أب ريش ويمكن القول أن نهايته من ناحية الغرب محاذية تقريباً للشارع الممتد حالياً من مجمع شرونى الإسلامي مروراً بمدرسة الاتحاد الأولية للبنات وبمحطة كاترينا إلى حديقة القرشي جنوباً، ويمتد بعد ذلك فضاء فسيح مد البصر ناحية الغرب. يُنسب اسم ديم أب ريش إلى شيخه أب ريش فوراوي مما يوحي بأن غالبية سكان هذا الديم من الفور.

ديم برتي

يقع ديم برتي إلى الغرب من ديم العتالة إذ يفصلهما شارع كبير يمتد من الشمال إلى الجنوب، ويجاور ديم الزبيرية من ناحية الغرب، بينما يجاور ديم أب ريش من ناحية الشمال، ويمتد جنوباً ليحاذي مقابر فاروق. ويتضح من الاسم أن سكان هذا الديم من قبيلة البرتة في معظمهم مع وجود أفراد من قبائل أخرى يشاركونهم الديم.

من معالم ديم برتي قيام أول مدرسة بنات خاصة هي مدرسة سيدة راغب، وتعتبر سيدة راغب من رائدات تعليم البنات في الخرطوم، وقد قامت بفتح مدرستها الخاصة في منزلها آنذاك وانتقلت بها إلى منزلها بالديوم الجديدة بعد إزالة الديوم القديمة، واستمرت إلى أن تحولت إلى مدرسة حكومية هي

مدرسة ديم برتي الأولية بنات. وكغيره من الديوم الأخرى كان بديم برتي خلوة لتعليم القرآن الكريم هي خلوة الفكي محمود ود حجر. ضم ديم برتي شفخانة الديوم القديمة وكانت تقدم الرعاية الصحية لكل المواطنين في منطقة الخرطوم جنوب.

ديم الزبيرية

يجاور ديم الزبيرية ديم برتي من الناحية الشرقية، أما من الناحية الغربية فيفصله عن ديم كارا والديوم الأخرى التي كانت تشغل منطقة حديقة القرشي شارع كبير ممتد من الشمال إلى الجنوب. يُحَد من جهة الشمال بديم أب ريش– القطاع الجنوبي، وينتهي من جهة الجنوب في الناحية الشمالية الغربية من مقابر فاروق. ويُعرف الجزء المقابل للمقابر من ديم الزبيرية بديم أب قرشين وهو عبارة عن عدد قليل من بيوت الدعارة. سكن ديم الزبيرية خليط من القبائل وربما ترجع التسمية إلى انتساب السكان الأوائل لهذا الديم لجيش الزبير باشا رحمة. واحتضن ديم الزبيرية عدداً من الخلاوي مثل خلوة الفكي علي وخلوة الفكي حامد أب اديه وخلوة الفكي محمد أحمد، والأخيرة هي من أهم خلاوي الديوم إذ كانت الأكبر مساحة والأكثر عدداً للحيران. والفكي محمد أحمد محمد علي شيخ الطريقة العزمية أحد علماء المدينة، وقد لعب دوراً بارزاً في تعليم الصغار وتفقيه الكبار بأمور دينهم، وكانت له مواقف عَقَدِيَة ووطنية من بينها عدم سماحه للمفتش الإنجليزي وزوجته بدخول خلوته إذ كان يقابلهم خارج الخلوة عند زيارتهم لها. وعُرِفَ أيضاً عن الفكي محمد أحمد كتابته في مجلة المدينة المنورة والرسالة، وكان من أصدقائه المقربين الشريف قاسم والد البروفيسور عون وشقيقه عبد الوارث.

ديوم منطقة الدومة (منطقة حديقة القرشي)

ضمت منطقة حديقة القرشي، التي كانت تعرف بالدومة لوجود شجرة دوم تميِّز المكان، عدداً من الديوم المتداخلة التي يصعب تحديد مواقعها، ولكن اتفقت جميع مصادر الكاتب بأن ديم كارا وديم العطا وديم الجبل كانت تشغل الناحية الجنوبية من حديقة القرشي وتقابل ديم نمرة (١) الذي يقع إلى الجنوب منها، وبذلك يتبقى ديم النوبة وديم بندة وديم نمايم (ديم يم يم) التي كانت على الأرجح في الناحية الشمالية من الحديقة وربما كانت موزعة بين وسط وشمال الحديقة. وأحاط بهذه الديوم فضاء واسع من ناحيتي الشمال والغرب. ويتضح من المساحة الكلية التي تشغلها هذه الديوم صغر مساحتها بالنسبة للديوم الأخرى.

ينتمي سكان هذه الديوم إلى قبائل عدة، فديم كارا سكانه من الكارا وهي قبيلة من بحر الغزال، وديم عطا يسكنه الشايقية والدناقلة ومن سكانه آل حماد وآل أب كريق وآل إسماعيل إبراهيم وآل أحمد محمد أحمد وآل محجوب عثمان بابكر، وديم بندة يسكنه البنداويون وشيخهم مرجان بندة وهم من قبائل جبال النوبة وكذلك سكان ديم النوبة. ومن معالم هذه المنطقة قهوة عبد الله أب كريك في ديم النوبة، وآلت ملكيتها فيما بعد إلى محمد خير الباشاب، وقهوة عبد الحميد محمد في ديم النوبة أيضاً.

ديم نمرة (١)

يقع ديم نمرة (١) إلى الجنوب من موقع حديقة القرشي، ويشمل كل المنطقة الواقعة إلى الغرب من شارع القصر جنوب، بينما شغلت زريبة الحطب والفحم المساحة الممتدة بين شارع القصر جنوب ومقابر فاروق. ويمتد ديم نمرة (١) غرباً إلى الشارع الممتد من الشمال إلى الجنوب و تنتهي عنده حديقة القرشي

من الناحية الغربية ويطل عليه نادي الأهلي ونادي رابطة الخرطوم جنوب للتمثيل والموسيقى. أما من ناحية الجنوب فيمتد ديم نمرة (١) إلى مشارف الديوم الجديدة الحالية التي كان موقعها يمثل فضاءً فسيحاً يمتد دون حد ناحية الجنوب. سمي ديم نمرة (١) بديم أب حشيش نسبة إلى مؤسسه وأول شيوخه مرسال أب حشيش، الذي سبق أن أسس أيضاً بري أب حشيش، وخَلَفَهُ على الشياخة ابنه أحمد مرسال. سكن ديم نمرة (١) خليط من القبائل ولكن كانت الغالبية من الشايقية، وقد قام هؤلاء بتأسيس مسجد عرف بجامع الشايقية لا يزال قائماً في قلب حي تعويضات المقرن. ومن وجهاء هذا الديم محمد ود أحمد والد إلياس محمد أحمد إمام وخطيب جامع الشايقية في حقبة الستينيات. هنا تجدر الإشارة إلى أن إزالة ديم نمرة (١) تمت بعد إزالة وترحيل كل الديوم القديمة وذلك لأن سكانه عارضوا فكرة الانتقال وكانوا يرغبون في إعادة تخطيط منطقتهم مع بقائهم فيها، ولكن الحكومة أصرت على انتقالهم وعند إذعانهم لذلك تمَّ ترحيلهم إلى الموقع الوحيد المتبقي في الديوم الجديدة عند الطرف الجنوبي الشرقي والذي عرف بديم القنا٥٣. ثُمَّ تَمَّ توزيع منطقة ديم نمرة (١) في منتصف الخمسينيات إلى بعض أهالي المقرن الذين رُحِلَوا من منطقة شمال المقرن وسميت المنطقة بتعويضات المقرن – أو عوض المقرن.

ديم سعد

احتل ديم سعد الركن الجنوبي الغربي من الديوم القديمة محاذياً ديم نمرة (١) من ناحية الغرب. والموقع الذي كان يشغله ديم سعد يوجد به الآن معهد المواصلات السلكية واللاسلكية ومدرسة الخرطوم جنوب الأهلية بنين ونادي

٥٣ سُمي بديم القنا لوقوعه بمحازاة فضاء واسع إلى الشرق منه، كان قبل الستينات من القرن الماضي مسوراً بعيدان القنا، ويشغل هذا الفضاء الأن حي العمارات.

الأهلي ونادي رابطة الخرطوم جنوب للتمثيل والموسيقى. وكان يفصل بينه وبين السجانة فضاء محدود وذلك بعد إنشاء السجانة في الثلاثينيات، أما قبل ذلك فكان الفضاء يمتد جنوباً وغرباً إلى مشارف قرية القوز في الناحية الجنوبية الغربية من المدينة. وينسب ديم سعد لمؤسسه وشيخه سعد أفندي عبد الله من موظفي العوائد. سكن ديم سعد خليط من القبائل وعمل عدد كبير منهم في مهنة العتالة. ومن معالم ديم سعد خلوة الفكي عبد القادر والد الشيخ إدريس عبد القادر، وسوق أم سويقة، وقهوة علي السيد وشقيقه محجوب التي شهدت أول مذياع في منطقة الخرطوم جنوب.

أسواق الديوم القديمة

أول سوق عرفته الديوم القديمة هو سوق صغير في الناحية الجنوبية من ديم العتالة عرف بسوق جبرونا. واشتمل هذا السوق على ستة دكاكين «تِشَاشَة»[٥٤] وجزارة وجَلِيطة عيش (مكان لوضع عيش الذرة). ومن أبرز تجار هذا السوق قرني عبد الكريم الذي كان يمتلك أحد الدكاكين الستة وأيضاً جَلِيطة العيش. واستمر هذا السوق إلى بداية العشرينيات، إذ أزيل في ما بين عامي ١٩٢٠-١٩٢١م وأقيمت في مكانه مدرسة الديوم الأولية. شُيِّدَ سوق جبرونا البديل في منتصف العشرينيات في القطاع الشمالي من الديوم وبالتحديد في الفضاء الواقع بين ديم عبد الكريم وديم أب ريش، وكانت مبانيه عبارة عن عشش ورواكيب اشتملت على عدد من الجزارات ومحال للخضار وبعض الدكاكين. واستمر هذا السوق بجانب سوق صغير آخر في ديم سعد يسمى بسوق أم سِوِيْقَة إلى أوائل الثلاثينيات حيث تم نقله إلى السجانة ومنذ ذلك الحين عرف بسوق السجانة إلى يومنا هذا.

---

٥٤ التِشَاشَة جمع تِشَاشَ وهو البيع بكميات صغيرة.

اقتصرت مرافق التسوق في الديوم القديمة على سوق جبرونا بالإضافة إلى وجود عدد من الكناتين المنتشرة في الأحياء يديرها في الغالب أفراد من الجالية اليمانية ومنهم أبو ضهير والعامري وحسين اليماني وأحمد الفن وجابر رتينة وهو أول من أدخل الرتينة إلى الديوم. أيضاً هناك بعض كناتين الأحياء يمتلكها المواطنين منهم عبد الكريم قرني ومحمد إدريس وحسن بشير وعبد الله علي وأخرين. كما انتشرت ظاهرة بيع النساء المسنات للخضراوات تحت ظلال الأشجار حيث لا يخلو حي من الأحياء منهن، ومن هؤلاء النسوة بت عبد العال وبت صالح وبت قدير وكلهن من ديم التعايشة. كانت مساهمة هؤلاء النسوة في مد الأسر باحتياجاتهم من الخضروات مرتكزاً حياتياً لعب دوراً بارزاً في ربط نساء الأحياء بعضهن ببعض. فكانت نساء الحي يجتمعن ضحى كل يوم عند بائعة الخضروات ويتبادلن الحديث في الأمور التي تخصهن ويتعرفن على أخبار الحي وأحوال أهله مما يزيد في ترابطهن وبذلك ترابط أسرهن. هذا بجانب أن هؤلاء البائعات يلعبن دوراً هاماً في اقتصاد العديد من أسر الأحياء حيث تستدين تلك الأسر حوائجها من الخضروات وتسدد القيمة بنهاية كل شهر.

بجانب هذه المرافق المحلية للتسوق، كان أهالي الديوم القديمة يتسوقون من سوق الخرطوم شمال حيث يذهب البعض منهم في الصباح الباكر لشراء الخضراوات واللحوم واحتياجاتهم اليومية الأخرى. كما يعتمد جميع سكان الديوم على سوق الخرطوم في شراء لوازمهم من الملابس والأحذية والأثاث.

وصف منازل الديوم القديمة

أشرنا في غير هذا الموضع إلى نشأة الديوم القديمة في بدايات القرن الماضي وأن المنازل كانت عبارة عن رواكيب وعشش من القش وحنايات من جلود

الحيوانات، تطورت المنطقة بعد ذلك تدريجياً واكتمل عمران الديوم القديمة في منتصف العشرينيات حيث اختفت الحنايات وانحسرت العشش وأصبحت منازل الجالوص هي الغالبة بسقوف من الحطب والشرقانية والعشب الناشف (الحُمْرة) يعلوه طبقة من روث البهائم (الزبالة) لمنع الأمطار من النفاذ إلى الداخل. يتكون المنزل من غرفة واحدة أو اثنتين حسب اتساع المساحة، وراكوبة تظلل مدخل الغرفة، وقد يتوفر حوش صغير في الديوم ذات المساحات الكبيرة نسبياً مثل ديم التعايشة وديم سلمان، وقد لا يتوفر حوش في أغلب منازل الديوم الأخرى.

تميل مساحات غرف منازل الديوم إلى الصغر، ويندر أن تجد غرفة تزيد مساحتها عن التسعة أمتار مربعة، وفي الغالب تكون للغرفة كوات صغيرة في أعلى الحيطان للتهوية وأحياناً قد نجد بعض الغرف لها نوافذ مثل المتعارف عليها اليوم. أما مداخل الغرف ففي الغالب تكون مُشْرَعة دون أبواب خاصة إذا كان هنالك سور له باب. خلت منازل الديوم القديمة من الحمامات والمطابخ وأيضاً من المزاير (جمع مزيرة)، لذا نجد الأزيار والقلل توضع في أحد أطراف الغرفة أو الراكوبة حيث يتوفر تيار مستمر من الهواء لتبريد مياه الشرب. ويتم إعداد الطعام عادة في ظل الضحى أو تحت ظل الراكوبة وأحياناً في أحد جوانب الغرفة. أما بالنسبة للاستحمام فيتم في داخل الغرف باستخدام الطشت والجردل، بينما يتم قضاء الحاجة في الخلاء المحيط بالأحياء خلف أسوار قصيرة الارتفاع، وقد جرت العادة أن يتوجه الرجال إلى الخلاء في أي ساعة من ساعات النهار بينما تذهب النساء بعد مغيب الشمس ليتجنبن الحرج من مقابلة الرجال.

بسبب عدم وجود الحيشان وضيقها إن وجدت كانت ظاهرة النوم ليلاً أمام المنازل في الشوارع خاصة للرجال منتشرة في أغلب الديوم. ومما ساعد على ذلك افتقار الديوم آنذاك للكهرباء حيث يَعُمّ الظلام في الشوارع،

وبذا تتمتع كل أسرة وكل فرد بخصوصيته، إذا جاز التعبير، أمام منزله مما يمكنه من قضاء الليل دون شعور بالحرج. وهنا نشير إلى أن الطريقة الوحيدة للإضاءة داخل المنزل هي الفانوس، وأحياناً تستخدم لمبة صغيرة تعرف بلمبة الزيت وبأم قيردون أيضاً تُصَنَع محلياً وتتكون من علبة صغيرة لها غطاء ينتهي بأنبوب معدني بقطر ضيق يمر من خلاله شريط قطني معظمه داخل العلبة المملوءة بالزيت أو الجاز.

لنأخذ أحد منازل الديوم القديمة ونتفقد معالمه ومحتوياته كنموذج لشكل ونمط الحياة في تلك المنازل. العناقريب هي العنصر الأساسي للأثاث في المنزل، وأرجل العنقريب قد تكون من الخشب الساج أو الدبكر أو السنط، حيث تصنع عناقريب الساج والدبكر بالمخرطة بينما تصنع عناقريب السنط يدوياً وهي الأرخص ولذا نجدها الأكثر شيوعاً واستخداماً، بينما قد نجد عنقريب مخرطة واحد أو اثنين في المنزل وذلك لغلائها. وتُجَلَد العناقريب بشكل عام بالحبال المصنوعة من السعف أو الحلفاء، ولكن قد تُجَلَد أحياناً بجلد البقر وعادة ما تكون هذه من نوع عناقريب السنط وتسمى بعناقريب "القِد". أما المفارش فتمثلت في مراتب وألحِفَة القطن والبروش، حيث تستخدم المراتب لاستقبال الضيوف ولنوم الكبار بينما تستخدم الألحِفَة والبروش لنوم الأطفال والكبار أحياناً.

يحتوي أثاث المنزل عادةً على عدد من "البنابر" المصنوعة من إطارات من خشب السنط مجلدة بحبال من السعف ولها أرجل شبيهة في شكلها بأرجل العناقريب مع فارق الحجم حيث الأولى أصغر حجماً. وتستخدم هذه البنابر للجلوس، وقد يتوفر بجانبها عدد من كراسي الجلوس الخشبية في بعض المنازل خاصة منازل وجهاء الديوم. ومن بين أثاث المنزل السحارة وهي عبارة عن صندوق خشبي بغطاء مزين بنقوش زاهية الألوان ويستخدم في حفظ الملابس.

من أهم ما يشتمل عليه المنزل من أدوات وأواني ما يخص صنع وحفظ وتقديم الطعام والشراب، فنجد أحد أركان منزل الديوم القديمة قد خصص لدوكة أو صاج الكسرة والمُرحَاكة٥٥ وزير العجين (الخُمَارة). وغير بعيد من هذا المكان نجد لدايات (أثافي) من الحجر أو منقد (موقد) من الصفيح أو الحديد وبجانبه تحفظ أواني الطبخ من قدور وحِلَلْ وطواجن ومغارف ومفارك، وأواني تقديم الطعام من صواني النحاس والألمنيوم وصحون معدنية (طلس وألمنيوم) وربما قليل من صحون الصيني المعروف بالباشري٥٦ . وهنالك أيضاً في جانب من الراكوبة أو الغرفة تحفظ أواني الشاي التي تحتوي على الكافتيرة والبراد والصينية وأكواب الشاي، وقد يتوفر في كثير من المنازل أكثر من طقم واحد لأواني الشاي، يخصص أحدها للضيوف. ولا يخلو منزل أيضاً من أواني صنع وتقديم القهوة التي تشتمل على قَلاي البن (قدح البن) والشَرَقْرَقْ (مصفى القهوة) والجَبَنَة والوِقَاية وفناجين القهوة.

تعتبر القفف المصنوعة من السعف من الأواني التي لا يمكن الاستغناء عنها، فنجد كل منزل يحتفظ بعدد منها وبأحجام مختلفة لحمل الخضار والعيش (الذرة) والدقيق ولنقل الكثير من الأغراض الأخرى. من مقتنيات المنزل أيضاً برش أو فروة الصلاة.

من الملامح التي ارتبطت بمعظم منازل الديوم تربية الأغنام من الماعز والطيور المنزلية من دجاج وحمام. فرغم ضيق المنازل تجد الكثير من السكان يربون الماعز بغرض سد حاجتهم من الألبان. أما تربية الدواجن فلم تكن تشكل هاجساً لهم إذ يتركونها حرة طليقة تتنقل بين أرجاء المنزل وتقتات من بقايا الطعام، وكذلك طيور الحمام التي تُعلق لها الصفائح على الجدران الخارجية

---

٥٥ المُرحَاكة حجر يطحن عليه.

٥٦ الصحن الباشري تعني الصحن الكبير.

للغرف وعلى عروش الرواكيب بعيداً عن متناول قطط الحي التي تقضي ليلها في تنقل مستمر على أسطح المنازل بحثاً عن الطعام والرفقة.

نمط الحياة في الديوم القديمة

قلما نجد ديماً من الديوم القديمة تنفرد به قبيلة واحدة ولكن قد نجد أغلبيات قبلية في بعضها كما يتضح من الخارطة السكانية للديوم القديمة التي تم توصيفها ضمن أحياء تلك الديوم. لذا نجد أنَّ النسيج السكاني للديوم بصفة مجملة يتكون من العديد من القبائل السودانية، فنجد على سبيل المثال لا الحصر من قبائل غرب السودان التعايشة والجوامعة والفور والبرتة، ومن قبائل الشمال الدناقلة والمحس والكنوز والشايقية، ومن قبائل الوسط الجعليين والنوبة، ومن قبائل الجنوب الشلك والدينكا والكارا. أدى هذا التعدد القبلي إلى تجانس وانسجام مجتمع الديوم، وصار ولاء سكان الديم لديمهم أكثر منه للقبائل التي ينتمون إليها. وربما تكون الولاءات الوطنية والحزبية والطائفية والمهنية أصبحت في وضع متقدم على الولاءات القبلية والجهوية. ساعد في ذلك تشابه الأحوال الاقتصادية و الاجتماعية للسكان بشكل عام، فمعظم سكان تلك الديوم كانوا يعملون في الأعمال المدنية في المصالح الحكومية والمؤسسات الخاصة بجانب الخدمة الذاتية. فتجد فيهم النجار والبناء والنقاش والحداد والبراد والميكانيكي والمطبعجي والسائق والترزي والإسكافي والجزار والخُضُرجِي والمكوجي والجنايني والمراسلة والعتالي، كما تجد بينهم تاجر القطاعي والكاتب والمحاسب والمخزنجي. لذا نجد أن مستوى المعيشة لسكان الديوم على وجه العموم متدنياً ودخولهم المالية ضئيلة. ويمكن تصنيف هؤلاء السكان من حيث الدخل الشهري إلى مجموعتين: مجموعة ذات دخول متدنية تتراوح بين الثلاثة والستة جنيهات في الشهر للفرد وهؤلاء يمثلون السواد الأعظم من

سكان الديوم، ومجموعة قليلة ذات دخول عالية نسبياً يزيد دخل الفرد فيها على العشرة جنيهات في الشهر وقد يصل إلى العشرين جنيهاً.

كما ذكر أعلاه فإن الكثيرين من سكان الديوم القديمة كانوا يعملون في المصالح الحكومية والمؤسسات الخاصة. وكمثال للفرص التي أتيحت لهم في القطاع الأول نذكر التحاق عدد من أبناء التعايشة بمعمل استاك، إذ استطاع عمر كويس قبل تنصيبه عمدة على ديم التعائشة، وبحكم قربه من مدير المعمل مستر أرشبولد، أن يعين فيه الكثيرين من أبناء أهله التعايشة. أصبحوا بعد ذلك فحيصين وعمال في المعمل منهم الطاهر جابر والطاهر حمدان وأحمد دميج وخالد محمد بدر وبشارة أحمد وعلي بريمة والطاهر بدوي وإسماعيل الدرش. كما أنَّ هناك كثيرون من التعايشة الذين استوطنوا في النيل الأبيض والنيل الأزرق أرسلوا أبناءهم إلى الخرطوم عندما علموا بوجود فرص للعمل، وممن أرسلوا عثمان النور ويعقوب أبشر وضيف الله علي محمود، وكل هؤلاء انضموا لسكان الديوم. وهذا المثال ينطبق على آخرين من قبائل شتى قدموا إلى الخرطوم في العقدين الأولين من القرن الماضي في فترة تأسيس المستعمر للمدينة ووجدوا لأنفسهم فرص عمل ومن ثم استطاعوا مساعدة أقاربهم وأهاليهم في القدوم إلى المدينة والعمل فيها. وبهذا النمط بدأت تكبر رقعة الديوم القديمة في تسارع ملحوظ.

أدى هذا التشابه الطبقي رغم التعدد القبلي إلى تآلف وترابط مجتمع الديوم وأصبح يشكل مجموعة سكانية متجانسة ونتج ذلك عن التزاوج الذي تم بين مختلف المجموعات القبلية. وتتسم العلاقات بين أفراد المجتمع بالحميمية وتتوفر لديهم روح الجماعة ويتمتعون بروابط اجتماعية فريدة حيث نجد الفقراء والمحتاجين يتلقون العون من جيرانهم قبل أقاربهم مما يقيهم من الفاقة والعوز تماماً مثل ما يحدث في المجتمعات الريفية. ويعزى هذا السلوك النبيل

إلى عوامل عدة منها حداثة عهد أفراد مجتمع الديوم بالحياة الحضرية والدليل على ذلك انتشار بعض السمات الريفية بينهم مثل تربية الحيوانات المنزلية والدواجن بغرض استكمال مستلزماتهم الحياتية، وتَحَلُّق معظم السكان في الأمسيات في مجالس الأنس والسمر في شوارع وبراحات الأحياء. ومن العوامل أيضاً تمسك السكان بموروثاتهم وتقاليدهم الدينية التي تدعوهم إلى مكارم الأخلاق فنجد الصغير موقراً للكبير والكبير رؤوفًا بالصغير، والجار مراع لحقوق جاره، والمرأة مكرمة ومعززة من الجميع ومحفوظة الجناب، والوفاء والإخلاص ملازم للأصدقاء ولا مكان للأنانية وحب الذات في معاملاتهم. وأدى هذا الانضباط الأخلاقي بجانب ترابط علاقات الجوار والمصاهرة بين الأسر إلى انخفاض معدل الجنوح والجريمة في كل أنحاء الديوم رغم الواقع المرير الذي كانت تعيشه من الناحية الاقتصادية والصحية.

كما ذكرنا سابقاً أدى تجانس مجتمع الديوم إلى اختفاء النزعة الجهوية بين سكان الديوم وكرس انتماءهم لديومهم، فكان الواحد منهم عندما يعرف نفسه يقول "أنا من الديوم" أو "أنا من ديم كذا"، وفي هذا دلالة فخر واعتزاز بديمه الذي ينتمي إليه. وكانت هذه الظاهرة منتشرة خاصة بين الجيل الثاني الذي نشأ وترعرع في الديوم وضَعُفَ ارتباطه بالجهة التي انحدر منها وأصبحت زياراته لها لماماً إن لم تنعدم. وقد ساعد على هذا الشعور بالانتماء بين شباب الديوم المؤسسات التعليمية التي توفرت لهم في ذلك الوقت، مثل خلوة الفكي أزرق بديم الجوامعة وخلوة الفكي محمد أحمد أبو العزائم بديم الزبيرية وخلوة الفكي عبيد بديم سلمان وخلوة الشيخ محمد فضل المحسي بديم برتي وخلوة الحاج أبو بكر قدس وغيرها من الخلاوى التي انتشرت في المنطقة، بجانب مدرسة الديوم التي تخرج منها معظم شباب الديوم القديمة وأصبحت رابطاً بينهم كما ربطت بينهم فرق كرة القدم كما سيأتي ذكره لاحقاً.

كان غالب سكان الديوم القديمة يتنقلون داخل أحيائهم مشياً على الأقدام والقليل منهم على ظهور الدواب، ويستخدمون نفس الوسائل للانتقال إلى الخرطوم شمال. واستمروا على ذلك الحال إلى أن أدخَل دسوقي القباني البصات كوسيلة حديثة للنقل عُرِفت ببصات أبو تعريفة (أجرة النقل)، ومن بعده بقليل أدخَل الصادق عبد الرحيم، من أبناء ديم برتي، عربة العظمة التي تجر بواسطة حصانين.

أما من ناحية الخدمات الصحية، فبجانب الشفخانة الواقعة في ديم برتي، عرفت الديوم القديمة عدداً من القابلات منهن لبيبة في ديم النوبة وحواء السكرة في ديم القشاشة والشول وزهرة عباس في ديم الزبيرية.

كانت أحياء الديوم القديمة تمثل الأحياء الشعبية لمدينة الخرطوم حتى بداية الثلاثينيات عند قيام حي السجانة ثم حي الخرطوم نمرة (٣) وحي الحلة الجديدة في الأربعينيات حيث ازدادت رقعة الأحياء الشعبية بإنشاء هذه الأحياء الجديدة. وكما هو الحال في معظم الأحياء الشعبية في المدن، لم تقتصر الحياة الاجتماعية في الديوم على المرافق الموجودة فيها، حيث استخدم السكان المرافق الموجودة في مدينة الخرطوم بصفة عامة، وينسحب ذلك على الأسواق والمدارس والمستشفيات ودور العبادة ودور الترفيه وغيرها من المرافق التي يحتاج إليها المواطنون.

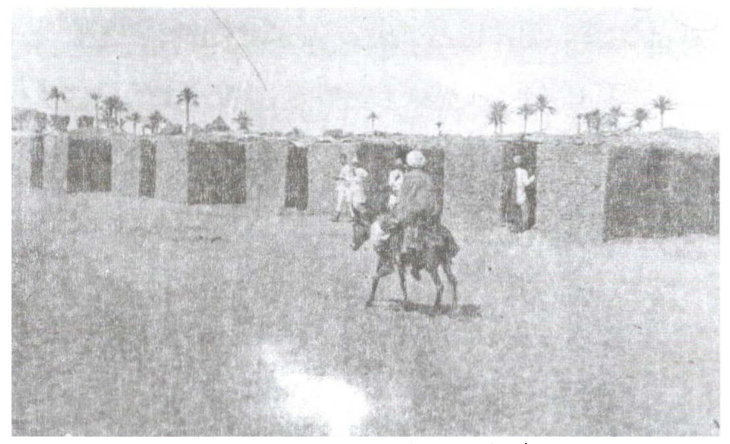
شخصيات بارزة

من أبناء الديوم القديمة الذين نالوا حظاً من التعليم وشغلوا وظائف معتبرة في العديد من المصالح الحكومية والمؤسسات الخاصة نرصد محمد دياب ماحي وهو من خريجي كلية غردون وقد ترقى في السلك الإداري إلى أن

وصل مرتبة مدير عام السلك الكتابي في وزارة الداخلية. وفي مجال التعليم نجد عبدون محمد حماد الذي عمل معلماً في وزارة المعارف آنذاك ومن بين المدارس التي عمل بها مدرسة الديوم القديمة ومدرسة رفاعة في العشرينيات من القرن الماضي، ومن ثم ناظراً على مدرسة الديوم القديمة وكذلك على مدرسة الديم شرق الأولية عند إنشائها في عام ١٩٤٩م لتحل محل مدرسة الديوم القديمة. نذكر أيضاً عبد اللطيف محمد أبو بكر التربي من أوائل خريجي كلية غردون التذكارية وكان من كبار موظفي المطبعة الحكومية، وشقيقه عبد المحمود أبو بكر التربي من أوائل فنيي معمل استاك السودانيين. لا يفوتنا أيضاً في المجال الصحي ذكر الدكتور عثمان عبد النبي النور، من خريجي مدرسة الخرطوم الطبية، وكيل وزارة الصحة الأسبق، والدكتور محمود عبد الرازق مرجان من أوائل خريجي مدرسة فاروق الثانوية ودرس طب الأسنان بألمانيا وعمل طبيباً بوزارة الصحة. ونرصد في هذا المجال أيضاً يعقوب أبشر، عمل مساعد حكيم ومن ثم مشرفاً على المراكز الصحية في فترة الستينيات من القرن الماضي.

كذلك هنالك عدد من أبناء الديوم القديمة ممن نالوا قسطاً من التعليم وعملوا في السلك الوظيفي منهم حسن آدم أفندي ومحمد باشريك أفندي ومحمد بابكر الخواجة ويوسف يعقوب أب دربازة وموسى فرج الله وإدريس فرج الله ومحمد عثمان إدريس. ومنهم من عمل في المجال المهني والتقني مثل محمد الصادق التربي ومحمد سعيد يعقوب وشقيقه صالح سعيد وعبد الجبار أبو بكر التربي وسليمان جوهر ويوسف عبد اللطيف وطه حسين وشقيقه عثمان حسين. نجد أيضاً البعض قد تخرج من مدرسة الصنائع، التي كانت تتبع لكلية غردون، وعمل في الأعمال الحرة ونذكر منهم سليمان كمن والحاج ميرغني محجوب وعبد الله ريحان وعبد الرحيم عبد السخي بادي وأحمد سعيد يعقوب وإبراهيم الضي وشقيقه آدم الضي وحسن عجب راضي وحسن إبراهيم محمد وعلي

مصطفى كاوريت وغيرهم. كما نجد البعض قد شارك مع قوة دفاع السودان في الحرب العالمية الثانية بجانب قوات الحلفاء، منهم إبراهيم فرج وموسى باب الله وخالد سيد أحمد وعبد الوهاب محمد أحمد.



منازل الديوم القديمة (سوق جبرونا)

ومن مواليد الديوم القديمة الذين بدأوا تعليمهم فيها ثم واصلوا تعليمهم في الديوم الجديدة وشغلوا وظائف في الموسسات الحكومية والأهلية في الفترة من الستينيات إلى الثمانينيات من القرن الماضي نرصد منهم عبد الرحمن عبد الوهاب محمد سعيد وزير الاقتصاد في عهد مايو، وعمر قرني عبد الكريم سفير بالخارجية، وحسن محمد علي بليل محافظ بنك السودان، والسر حسن بشير مدير الطيران المدني ووزير سابق في عهد مايو، ومحمد عبد الرحيم المدير المالي للخطوط الجوية السودانية، وأحمد عبد الوهاب محمد سعيد موظف بالسفارة البريطانية، وجعفر عطا المنان سكرتير اتحاد كرة القدم، ومحمد حسن إبراهيم عمل موظفاً بشركة متشل كوتس ومن ثم مديراً عاماً لمؤسسة التجارة والخدمات، والطيار تاج السر صالح، والموظف بالخطوط الجوية السودانية مأمون محمد الصادق، والرائد صديق خالد بدر، والضابط الإداري علي سعد

حمد، وعبدون محمود عبدون الموظف بالإدارة المركزية، والإداري بجامعة الخرطوم عبد الله يعقوب أبشر، والإداري بالحكومة المحلية أبشر يعقوب أبشر، والصحفي فيصل محمد أحمد سليمان.

ومن المهندسين نذكر حسن حمد وفيصل طه، ومحمد إبراهيم يعقوب ويعقوب إبراهيم يعقوب والمهندس الشاعر عبد العزيز سيد أحمد ومحمد أحمد قرني وإبراهيم محمد إبراهيم. والمهندسون الزراعيون كمال علي بابكر وعبد الرحمن أحمد السقيدي وفريد عبد الجبار التربي. ومن المعلمين نرصد حسن العبيد ونمر سليمان سعد وحسن محمد نور وعز الدين آدم والنور خضر النور وهاشم عبدون حماد ومعتصم محمد الصادق وصلاح إسماعيل إبراهيم وخالد سليمان سعد ومحمد عبد الرحمن ومحمد أحمد الهادي وزين العابدين محمد وقيع الله وإبراهيم قرني عبد الكريم، ومحمد أحمد موسى مدير التدريب المهني الألماني، والمدرسَين بالتدريب المهني بدوي كابو والطاهر وقيع الله إبراهيم.

الفصل الخامس

عمارة الخرطوم جنوب (ما بعد الديوم القديمة)

مقدمة

بدأ التفكير في إزالة الديوم القديمة وإعادة توطين سكانها منذ أوائل الثلاثينيات وذلك لعدد من الأسباب. أولاً لإيجاد متسع من ناحية الجنوب للتمدد الحضري لمدينة الخرطوم ذات التخطيط المعتمد وكانت قبل ذلك محصورة شمال السكة حديد ولا مجال لتوسعها إلا جنوباً. ثانياً لإزالة التكدس السكاني الذي شهدته الديوم القديمة بمنازلها ذات المساحات الصغيرة التي صارت تهدد المدينة صحياً وبيئياً. حددت السلطات منطقة جنوب الديوم القديمة في ذلك الوقت من أجل ذلك الغرض. تم استغلال المنطقة التي تشغلها الديوم القديمة والفضاء الواقع إلى الغرب منها للتوسع في الخرطوم شمال. وقد مرت عملية إعادة التوطين بعدة محاولات أو مراحل، نجم عن كل محاولة منها أحد الامتدادات الشعبية لما عرف لاحقاً بالخرطوم جنوب. كانت البداية بالسجانة تبعتها الحلة الجديدة ثم الديوم الجديدة. تختلف كل هذه الامتدادات عن الديوم القديمة بشرعيتها، إذ قامت الحكومة بتخطيطها والإشراف على من تراه مستحقاً حسب شروط استحقاق وضعتها لذلك الغرض.

نتج عن هذه الأحياء الشعبية نموذجٌ متفردٌ من السكان حيث انصهرت القبائل والإثنيات التي وفدت إليها من أنحاء السودان المختلفة، مما أفرز مجموعات تتسم بالتكافل والتواضع والارتباط والاعتزاز بأحيائهم. وقد تعزز كل ذلك بالمصاهرات التي تمت بين سكان هذه الأحياء. وتجدر الإشارة إلى أنَّ أفراح سكان الديوم القديمة كانت تتم في الشارع الكبير الذي يمتد من الشرق إلى

الغرب بطول الديوم والفاصل بين ديوم القطاع الشمالي وديوم القطاع الجنوبي، وفي هذا دلالة على مشاركة الجميع.

في أثناء إعادة توطين أهالي الديوم القديمة تم تخطيط الخرطوم نمرة (٢) بالإضافة إلى المنطقة الصناعية. سبق ذلك بحوالي عقد من الزمان توزيع وتعمير منطقة الخرطوم نمرة (٣). ونستعرض فيما يلي وصفاً لمعالم هذه المناطق والأحياء.

السجانة والمايقوما

بدأت في عام ١٩٢٩م أول محاولة لإعادة توطين أهالي الديوم القديمة بتخطيط منطقة السجانة في شكل قطع سكنية وتوزيعها على سكان الديوم القديمة. سميت بالسجانة لوجود منازل بعض السجانة الذين كانوا يعملون في السجن في الناحية الشمالية الغربية منها، كذلك كانت توجد في تلك الناحية ولعهد قريب منازل حرس القصر الجمهوري التي عرفت بمنازل الحرس. كانت السجانة في أوائل عهدها تعرف بسجانة دهب نسبة إلى عمدتها محمد دهب، واشتهرت آنذاك بملوحة مياهها مقارنة بمياه الديوم القديمة التي كانت أحلى وأعذب مذاقاً.

تقع السجانة بين الديوم الشرقية والديوم الغربية اللتين أُنشئتا لاحقاً كما سيأتي ذكره. تبدأ من جهة الشرق من طاحونة الزين القباني الواقعة على شارع نادي الأهلي الرياضي ونادي رابطة الخرطوم جنوب للتمثيل والموسيقى الحاليين وتمتد غرباً إلى شارع الحرية. أما من ناحية الشمال فتبدأ من المنطقة الواقعة إلى الشمال قليلاً من ملجأ العجزة والشفخانة (مركز صحي السجانة الحالي) وتمتد جنوباً إلى الشارع الواقع شمال مسجد العجيمية الذي يمر بالطرف الشمالي

لميدان العلمين، وفي هذا الشارع الممتد من الشرق إلى الغرب كانت هنالك نقطة بوليس (تُمنة) إلى الغرب قليلاً من الركن الشمالي الغربي من ميدان العلمين حتى أوائل الستينيات[٥٧].

قُسمت السجانة إلى «مربعات» تمتد من الشرق إلى الغرب يفصل بينها عرضياً أربعة شوارع رئيسية بعرض عشرين متراً تقريباً ممتدة من الشمال إلى الجنوب، وأشهر هذه الشوارع شارع السجانة بالنص. بينما تمتد على طول هذه المربعات من الشرق إلى الغرب شوارع وأزقة بالتعاقب، أي شارع ثم زقاق ثم شارع وهكذا دواليك. لم تختلف منازل السجانة عن منازل الديوم القديمة كثيراً في ضيق مساحاتها عندما وزعت في نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات إذ كانت مساحة القطعة خمسين متراً مربعاً بأبعاد عشرة أمتار في خمسة أمتار. ويعاب على تخطيط السجانة أيضاً بجانب صغر المساحات عدم وجود فسحات وميادين تتوسط المربعات لكي يستخدمها الأطفال للعب والترفيه والكبار في تجمعات الأفراح والأتراح. وحاولت السلطات التغلب على صغر المساحات بدمج عدة منازل مع بعضها لتكوين منازل بمساحات أكبر وكان ذلك في نهاية الأربعينيات. وتمّ تعويض من تضرروا من هذا الدمج بمنحهم قطعاً بمساحات كبيرة نسبياً، مائتي متر مربع، في المنطقة الواقعة جنوب الديوم الشرقية التي عرفت بالسجانة الجديدة وتعتبر امتداداً للديوم. وعُوِض البعض منهم في حي المايقوما الذي تم توزيع قطع أراضيه في منتصف الأربعينيات وبلغت قيمة قطعة الأرض فيه خمسة قروش. ويعتبر حي المايقوما امتداداً للسجانة، ويقع جنوبها مباشرة ويمتد جنوباً إلى سينما النيلين، بينما يحده من الغرب شارع الحرية ومن الشرق الشارع الممتد من الشمال إلى الجنوب والذي

---

٥٧ خريطة (٤).

يقع غرب نادي شباب السجانة ومسجد العجيمية وشرق دار رعاية الطفولة[58]. وتميز هذا الحي بشوارعه الواسعة ووجود فسحات وميادين وسط مربعاته وهو في ذلك يشابه تخطيط الديوم الجديدة كما سيتضح لاحقاً، وهذا متوقع لأن تخطيط المايقوما تزامن مع تخطيط الديوم الأخرى.

جاء معظم سكان السجانة من مختلف الديوم القديمة، لذا لا نلاحظ وجود ظاهرة القبيلة الغالبة بين السكان كما هو الحال في كثير من أحياء الديوم القديمة. إذ نجد أن أصولهم تمتد إلى قبائل مختلفة من وسط السودان ومن أقصى شماله ومن غربه، وأيضاً قلة تكاد لا تذكر ترجع أصولهم إلى القبائل النيلية.

تذخر السجانة بالمعالم رغم صغر مساحتها مقارنة بالديوم الشرقية والديوم الغربية، وقد يعود هذا إلى توسط موقعها بالنسبة لكل الخرطوم جنوب. فبجانب سوقها الذي يعتبر السوق الأساسي لمنطقة الخرطوم جنوب منذ إنشائه قبل إزالة الديوم القديمة وإلى يومنا هذا، نجد العديد من المدارس في الناحية الشمالية والشمالية الشرقية منها. إذ توجد في تلك الناحية مدرسة الخرطوم جنوب الوسطى بنات ومدرسة الاتحاد الوسطى بنين ومدرسة الخرطوم جنوب الوسطى بنين (مدرسة كشة) ومدرسة الديم غرب الأولية بنين، وهي ثاني مدرسة تُفتَح جنوب السكة حديد على الإطلاق بعد مدرسة الديوم القديمة ومن نظارها الأستاذ حسن مصطفى بدر الدين والأستاذ عبد الله جبرة، ومدرسة السجانة الأولية بنات، وهي أول مدرسة حكومية تُفتَح للبنات على مستوى مدينة الخرطوم. أيضاً بجانب هذا العدد الوافر من المدارس نجد خلوة الفكي محمود بجوار مدرسة الديم غرب الأولية، وخلوة الفكي محمد أحمد الدنقلاوي في الناحية المتاخمة للركن الشمالي الغربي لديم الجوامعة وظلت هذه الخلاوي تؤدي دورها في تربية النشء وتحفيظهم القرآن الكريم وإعدادهم

٥٨ خريطة (٤).

للمرحلة الأولية حتى أوائل الستينيات. وهنالك أيضاً تمهيدي مدرسة كمبوني للأطفال الجنوبيين في الناحية الجنوبية من السجانة وقد قامت في مبنى نقطة البوليس.

نجد أيضاً في الناحية الشمالية من حي السجانة الشفخانة التي أصبحت مركزاً صحياً في نهاية الستينيات، وكانت لفترة طويلة الشفخانة الوحيدة في كل المنطقة. ارتبط ذكر هذه الشفخانة بالمساعد الطبي يعقوب بشر الذي عمل بها طيلة فترة الخمسينيات والستينيات. تجاور الشفخانة دار رعاية المسنين ومركز رعاية الأمومة الذي عملت فيه الزائرة الصحية آمنة سرور. وغير بعيد من هذا المجمع نجد معهد المواصلات السلكية واللاسلكية، ونادي رابطة الخرطوم جنوب للتمثيل والموسيقى، ونادي الأهلي الرياضي. وفي أقصى الركن الشمالي الغربي من السجانة نجد مركز البوليس الذي يعرف الآن بالقسم الجنوبي، ويحاط من جهتي الجنوب والشرق بمنازل البوليس (إشلاق البوليس). كما نجد إلى الشرق من هذه المنازل نادي أبناء حلفا (نادي بوهين) مطلاً على شارع السجانة بالنص. ومن المعالم أيضاً جامع السجانة المطل على شارع السجانة بالنص إلى الجنوب من السوق، ويعتبر هذا الجامع من أقدم جوامع الخرطوم جنوب مع جامع حاج كامل بالديوم القديمة. كما تم في الستينيات إنشاء جامع أنصار السنة المحمدية في الجهة الشمالية من حي السجانة بجوار المركز الصحي.

يعتبر مركز شباب السجانة الماثل في الركن الجنوبي الشرقي من الحي، الذي يقع جغرافياً في ديم الجوامعة وينسب للسجانة، من أهم معالم السجانة اليوم إذ ظل يصقل ويطور المواهب الشبابية في مجالات الرياضة والفن لأكثر من ربع قرن من الزمان. شيد هذا المركز في الركن الشمالي الغربي لمقابر بلاع بعد أن دَرَسْت، وكانت مقابر بلاع تشغل حيزاً واسعاً من تلك الناحية. احتوت هذه

الناحية من السجانة في نهاية الخمسينيات نادي المقل والحجير جوار منزل السر آدم سابل وكان لهذا النادي نشاط تعليمي كبير تمثل في دروس عصرية لتلاميذ المدارس الأولية، ثم ما لبث أن نجم عن هذا النشاط افتتاح مدرسة المقل والحجير الأولية للبنين التابعة للمجلس البلدي في نفس منطقة النادي إلى الغرب منه ثم انتقلت في فترة لاحقة إلى شارع السجانة بالنص جنوب السوق.

وفي المايقوما نجد أيضاً العديد من المعالم فهناك مدرستا المايقوما الأوليتان للبنين والبنات في وسط الحي تطلان على شارع السجانة بالنص، وتُعرف مدرسة البنين بمدرسة النور خضر نسبة إلى الأستاذ النور خضر النور الذي تولى نظارتها ردحاً من الزمان. وهنالك أيضاً خلوة شيخ محمد زين إلى الجنوب من مدرسة البنين. ونجد أيضاً مركز صحي المايقوما في الطرف الجنوبي منها والذي أُنشئ عوضاً عن شفخانة (نقطة غيار) المايقوما التي كانت تشغل أحد المنازل في الناحية الجنوبية الشرقية لميدان العلمين بجوار الفرن الذي ما زال قائماً إلى يومنا هذا. ارتبطت هذه الشفخانة باسم الممرض الكناني الذي عمل بها لفترة طويلة من الزمان. نجد في تلك الناحية أيضاً بجوار مركز صحي المايقوما، دار رعاية الطفولة التي تُعنى باللقطاء حديثي الولادة. كما شُيِدَ نادٍ يحمل اسم الحي (نادي المايقوما) إلى الشمال الغربي من سينما النيلين ومن هذا النادي تكونت رابطة المايقوما. ويضم الحي بجانب نادي المايقوما عدداً من الأندية القبلية والرياضية، إذ نجد نادي أبناء البرصة ونادي أبناء الكرفاب ونادي أبناء المحمية ونادي العلم الرياضي ونادي العلمين الرياضي.

من أعلام السجانة عمدتها محمد دهب، والحاج نور الدائم عمر صاحب أقدم مغلق في السجانة، وآل إدريس من أوائل من عملوا في تأجير الكراسي للمناسبات، وعبد القادر حسن من أهالي المسيد، وابن عوف سليمان الذي انتقل من الديوم القديمة، وشبيرقلة من تجار السوق العربي، وأحمد

الدشوني، وأحمد عبد العزيز، وحسن مصطفى بدر الدين ناظر مدرسة الديم غرب في الستينيات، والمعلم محمد إبراهيم فريري، والمعلم مصطفى المجمر طه، وشرف الدين محمد علي مدير مدرسة البوستة، والحاج محمد أحمد (ود إِحمِد) وابنه إلياس، وحاج أب زيد وكان يعمل في السمسرة، والبصير سليمان مختار المشهور بود مختار الذي اشتهر بالكي وتجبير الكسور، والسر آدم سابل موظف بالطيران المدني وعضو بارز في نادي المريخ، وآل الله جابو، والعجيمية، وأحمد سراج الذي بدأ عاملاً بالبنك وصاحب طاحونة بعد ذلك، والفنان عبد الحميد يوسف، وطه حسين وشقيقه الفنان عثمان حسين، والفنان أحمد عبد الرازق، والموسيقار عبد الفتاح الله جابو وبدري سعيد، وبرسي، والشاعر إسماعيل حسن.

ومن الشخصيات البارزة في السجانة والمايقوما وعملوا في التجارة محمد أحمد دفع السيد وعبد الجليل سكران وبشير محمد نور الدين وعثمان محمدين، وهنالك أيضاً يوسف سعيد سنهوري وبريس وود الفكي وكان الثلاثة من أوائل الذين عملوا في البصات التي كانت تعمل في خط السجانة بالنص في فترة الخمسينيات وقد عُرِفَت تلك البصات في تلك الفترة ببصات الخشب نسبة لمقاعدها الخشبية قبل دخول البصات الحديثة. ومن شباب السجانة والمايقوما في فترة الستينيات الذين أصبحوا لاحقاً من القادة العسكريين الفريق منصور عبد الرحيم واللواء عبد الحي محجوب والعميد محجوب إبراهيم دبورة، والرائد طيار الزبير عثمان والضباط سيد سيف عبد الكريم وحسن ضحوي وغيرهم كثر من الذين تركوا بصماتهم في الحيين.

أيضاً بحي المايقوما أربعة من أصحاب اللواري التي تنقل التراب وهم الزعيم محمد حسين صالح وإبراهيم وداعة الله أبودبورة وعمر بوب وحاج بشير، وكان الأخير يقوم بترحيل الجنائز إلى ضريح السيد المحجوب بالخرطوم بحري

ومقبرة بري الشريف. ومن مشاهير الحي أيضاً محمد محمد نور وكرجويل، وكان هذان الرجلان يقومان بإنارة شوارع الخرطوم مساء كل يوم ويعودان صباحاً قبل الشروق لإطفائها باستخدام عصاً طويلةً من القنا لتشغيل مفاتيح لمبات الشوارع المثبتة في أعلى عمود الكهرباء.

سكن حي المايقوما من الفنانين منى الخير وعبد الرحمن بلاص والعم مرجان والعم قسم الله جابو صاحب فرقة جاز النسر، ومن الصحفيين يوسف الشنبلي وشريف طمبل ومحمد حسن مهدي وسيد أحمد خليفة وحسن ساتي ومحمد المهدي عبد الوهاب وإبراهيم محجوب والمذيعة ليلى الملك. ومن السياسيين نجد علي بوب وأولاده عبد الماجد وعثمان والمهندس إبراهيم محجوب، ومن المعلمين محمد سيد وسيدة عبد الله وست أبوها معلمة البنات الخياطة والتطريز. ونرصد من ظرفاء الحي أبو القاسم الأقرع والدبل.

سوق السجانة

يعتبر سوق السجانة منذ إنشائه في عام ١٩٣٢م من أعمر أسواق الخرطوم وذلك أولاً لتغطيته منطقة ذات كثافة سكانية عالية وثانياً لموقعه الوَسَطِي إذ يقع بين الديوم الشرقية والغربية والحلة الجديدة والخرطوم نمرة (٣) والامتدادات الجديدة للمدينة التي أُنشئت في فترة الستينيات من القرن الماضي. ويمتد سوق السجانة بين شارعي الحرية والسجانة بالنص، ويتكون من السوق القديم الذي أنشئ مع حي السجانة في نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات وامتداده المسمى بالسوق العربي الذي نقل إليه جزء من السوق العربي بالخرطوم في النصف الثاني من الخمسينيات.

يتكون السوق القديم من ستة صفوف من الدكاكين تحيط بمساحة مستطيلة

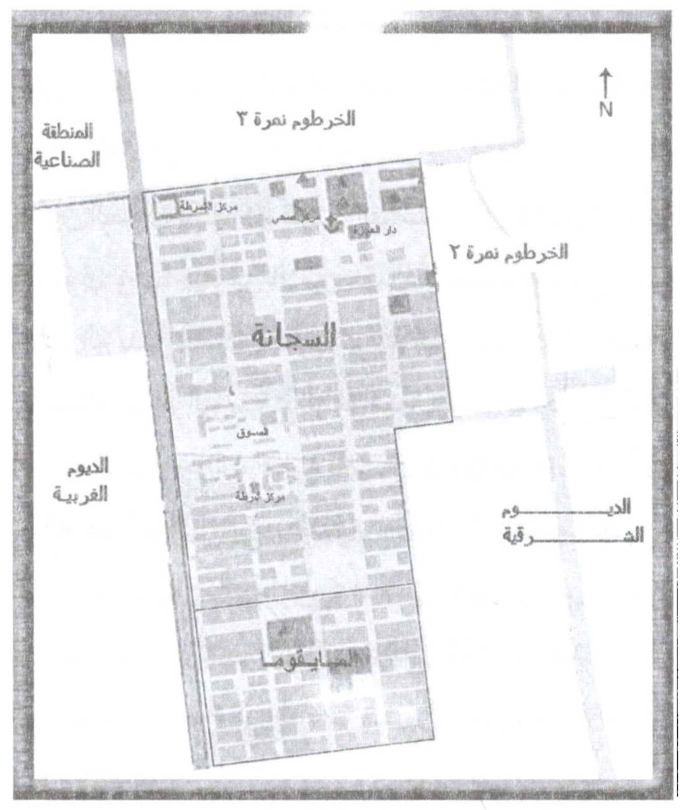
الشكل، صفين في الناحية الشمالية وآخرين في الناحية الجنوبية، بينما نجد صفاً واحداً في كل من الناحيتين الشرقية والغربية. أمَّا المساحة التي بين هذه الصفوف فتشتمل على مربع الخضرجية في الناحية الشرقية منها ومربع الجزارين في وسطها وأربعة زناكي في الناحية الغربية٥٩ . أما الدكاكين فَيَشْغَلها الكثير من البقالات وتجار القطاعي، ويلاحظ أنَّ كل النواصي من الدكاكين التي يبلغ عددها اثني عشرة ناصية جميعها يشغلها تجار من الجالية اليمنية منهم دكان قائد ودكان علي في الركن الشمالي الشرقي للسوق ومتجاورين ويفتحان جنوباً، ومن قدامى تجار القطاعي محمود عبدون وعوض محمود.

من أشهر دكاكين السوق دكان (مكتب) البوستة الذي كان في الناحية الشمالية الشرقية من السوق وصاحبه هو الأمين نقد الله حمد، وسمي بدكان البوستة لتقديمه خدمات البريد، إذ كان حائزاً على توكيل البوستة (البريد) مقابل أجر شهري محدد للقيام بمهام البوستة والتلغراف، حيث يوجد بالدكان صندوق للبريد لوضع الخطابات بجانب كابينة للهاتف (Call Box). كان الاسم المعتمد لبوستة السجانة هو "توكيل بريد الديوم الجديدة" وهو ما يظهر على الختم الذي يتعامل به المكتب. كانت إدارة المكتب تتم بالأخوين نقد الله وعبد الهادي ابني صاحب المكتب. توقف عمل المكتب بإنشاء مكتب البريد الحكومي في الفسحة الواقعة في الناحية الشمالية الغربية من السوق وإفتتاحه في العام ١٩٦٧م.

ونجد في الصف الشمالي الشرقي دكان إلياس محمد أحمد للبقالة والخردوات. ومن أهم ما اشتملت عليه صفوف الدكاكين، مغلقان لمواد البناء يقعان في الناحية الشمالية الغربية من السوق وهما مغلق الحاج نور الدائم عمر ومغلق ألف صنف. وقد كانا المغلقين الوحيدين في سوق السجانة حتى إنشاء امتداد

٥٩ خريطة (٤).

السوق وتحويل جزء من السوق العربي حيث اشتمل هذا الامتداد على مغلقين ضاعفا عدد المغالق في السوق. أيضاً نجد أن بعض دكاكين السوق قد شغلها عدد من الحرفيين خاصة الترزية رغم أنَّ معظمهم كان يستغل البرندات أمام الدكاكين ولكن نجد اثنين أو ثلاثة لهم أماكن خاصة بهم ومن أشهر هؤلاء علي محجوب وحسن خليفة الذي اشتهر بحفر القبور وتجهيز أدوات حفرها.



خريطة (4) السجانة والمايقوما

ضم سوق السجانة في فترة الخمسينيات ما لا يقل عن العشرة قهاوي، ثمانية منها موزعة على جوانب السوق الأربعة، واثنان يشغلان أحد الزناكي الأربعة وبالتحديد الزنكي الواقع شمال غرب مربع مبنى الجزارين. وبجانب

القهاوي، ضم سوق السجانة عدداً من المطاعم تفوق الخمسة، ثلاثة منها في السوق القديم واثنان في السوق العربي. من أشهر هذه المطاعم والمقاهي مطعم وقهوة وداجرف ومطعم أحمد حسين البربري ومطعم فتح الله في الناحية الشمالية ومطعم الجمهورية في وسط السوق، ومطعم وقهوة أحمد حمزة أحمد الشايقي، وفي الناحية الجنوبية من السوق نجد مطعم طنون ومطعم إبراهيم علي زعرف للسمك ومطعم الفردوس. هنالك أيضاً قهوة رمضان حاج ميرغني في الناحية الشرقية، وقهوة علي جلال في الناحية الشمالية من السوق وقهوة عمر عجمي في الناحية الغربية منه. كذلك نجد حلواني ياسين الشيخ الوداعة في النا-حية الشمالية، وحلواني ياسين نصرالدين في الناحية الغربية.

بُنِيَ مربع الخضرجية من الجالوص على شكل مربع وفي وسطه بَرَحَة غير مسقوفة يُوَصَل إليها عن طريق بوابتين في المبنى، إحداهما في الناحية الشرقية والأخرى في الناحية الغربية. وتستخدم هذه البَرَحَة كسوق "مَلَجَة" للخضار، أي يباع فيها الخضار بالجملة للخضرجية. أما مربع البناء الذي يحيط بهذه البَرَحَة فمقسم إلى حيازات، كل واحدة منها مخصصة لأحد الخضرجية من الرجال أو النساء يستخدمها لعرض بضاعته على الزبائن. وغالباً ما يتم هذا العرض على دكة مبنية من الطين تُغطى ببعض الخيش أو الجوالات المصنوعة من الجوت، ويُرص فوقها الخضار بكل أنواعه، وتغطى الأنواع القابلة للجفاف مثل الملوخية والجرجير والرجلة بقطعة من الخيش مبللة بالماء وترش من حين لآخر. ومن أقدم النسوة بائعات الخضار حاجة الجَنَة وحاجة الزلال ومن الرجال صديق عيسى وإبراهيم خليل ومحمد كارجويل. يشغل مكتب عوائد الديوم الناحية الجنوبية الشرقية من مربع مبنى الخضرجية. ومن الشخصيات التي ارتبطت بهذا المكتب وبتحصيل العوائد الشيخ آدم عفيفي والشيخ أحمد عبد الحميد السقيدي والشيخ علي بوب.

يقع مربع الجزارين إلى الغرب من مربع الخضرجية وهو أصغر في مساحته من الأول ومبني بالطوب الأحمر. ينقسم المبنى إلى قسمين: القسم الشرقي لبيع لحوم الضان والعجالي والبقري، أما القسم الغربي فيبيع الأوصال والأحشاء الداخلية للذبائح. من أشهر الجزارين في فترة الخمسينيات والستينيات النعيم وعمر الحوري وأولاده وشيخ الدين حسن النور وسليمان محمد حامد التيجاني وإبراهيم محمد جبر الله ونورالجليل سليمان ومحمد حامد. ويجاور مربع الجزارين من الغرب زنكيان متوازيان يمتدان من الشرق إلى الغرب، يَشغَل الواقع إلى جهة الشمال منهما مقهيان أغلب روادهما من عمال البناء. أما الواقع إلى الجنوب فتشغله نسوة بعضهن يبعن الطعام من كسرة وعصيدة وملاح، وأخريات يبعن أشغال السعف من قفف وبروش وهبابات ومقاشيش. ويمتد إلى الغرب من هذين الزنكيين زنكيان آخران، نجد في الشمالي منهما الصرماتية والنُقُلتية، أما الجنوبي فنجد فيه باعة إكسسوارات ومعدات النجارة والكهرباء والسباكة والبناء.

يحتل السمكرية والحدادون الناحية الخلفية من صفي دكاكين الجهة الجنوبية من السوق القديم. يقع امتداد السوق، أي السوق العربي، إلى الجنوب من السمكرية والحدادين الذين يشغلون الصف الأقرب إلى شارع الحرية، بينما نجد مربعين صغيرين في مواجهة السمكرية والحدادين الذين يشغلون الصف الأقرب لشارع السجانة بالنص. يشغل هذين المربعين ورش لنجارة الأبواب والشبابيك والأثاث وورشة أخرى للعناقريب وسوق لها، كما يشتمل أحد المربعين على ورشة حدادة ونجارة لصناعة وصيانة عربات الكارو. كما لا تفوتنا الإشارة إلى وجود بعض المناشير البلدية في الفسحة الصغيرة التي بين شارع السجانة بالنص ومربع النجارين الواقع إلى الشرق.

تشغل زريبة العيش مساحة مقدرة من الناحية الجنوبية الشرقية من

سوق السجانة، ولها سور من الطين وباب في كل جهة من الجهات الأساسية الأربعة. تقسم الزريبة من الداخل إلى مربعات صغيرة، بكل مربع عدد من العياشة، ولكل منهم غرفة مبنية من الجالوص وراكوبة أمام مدخلها. تحتوي هذه الزريبة على كل أنواع الذرة والحبوب وثمار أشجار مناطق السافنا والمناطق شبه الصحراوية. نجد فيها عيش الفتريتة والدَبَر والمايو والقمح والدخن والكبكبي (الحمص) والعدسي واللوبيا بأنواعها والفاصوليا والعدس والفول المصري والفول السوداني وحَب التسالي وحَب البطيخ والتمر والقنقليز والدوم واللالوب والقُضيم والكركدي وغيرها. تطل زريبة العيش على شارع السجانة بالنص ويَحُفَها من هذه الجهة أشجار وارفة من النيم، ويتخذ بعض الحلاقين (المزينين) من أبناء الفلاتة من ظلها مقراً لخدمة زبائنهم، وكانوا يتعرضون لملاحقة موظفي البلدية وذلك لأنه غير مرخص مزاولة هذه المهنة وغيرها من مهن البيع والشراء في العراء. كانت تحدث كثير من النوادر والطرف بين الزبائن والحلاقين أثناء مطاردتهم بواسطة موظفي البلدية.

إلى الغرب من زريبة العيش، نجد مربطاً للحمير والخيل بجانب زريبة للهوامل من الحيوانات. ونشير هنا إلى وجود عامل بلدية بصفة دائمة يرعى شئون هذه الزريبة وهو مسئول عن منطقة السوق حيث يقضي جل نهاره متنقلاً من مكان إلى مكان، بلباسه المميز من قماش الكاكي والشريط الأحمر الذي يحيط به من الكتف الأيمن إلى الجانب الأيسر والعصا التي لا تفارقه، وهو يبحث عن الحيوانات الضالة ليقودها إلى الزريبة وعلى صاحبها أن يدفع مبلغاً محدوداً من المال لاستعادتها. في هذه المنطقة أيضاً توجد ظاهرة حضارية تمثلت في مراحيض عامة مجاورة لزريبة الهوامل إلى الشرق من السوق العربي.

أما القسم الثاني من سوق السجانة، أي امتدادها المسمى بالسوق العربي، الذي أُنشئَ في النصف الثاني من الخمسينيات ويقع في الناحية الجنوبية الغربية من

السوق، فيشتمل على ثلاثة صفوف متوازية - اثنين طرفيين والثالث وَسَطي- ممتدة من الشرق إلى الغرب. يأخذ الصفان الطرفيان شكل الأقواس المربعة المغلقة [ ]، بينما يأخذ الصف الوسطي شكل حرف I، وبهذا يأخذ هذا السوق شكل حرف I بين قوسين مربعين أي [I]. يضم هذا القسم من السوق عدداً من محال تجارة القطاعي وعدداً من محلات المنيفاتورة ومحل لأحذية باتا ومطعمين وحلواني حسن طنون ومغلقين وصالونين للحلاقة ومطبعة صغيرة وطابونة وصيدلية محمود واستديو للتصوير هو الاستديو الوحيد في منطقة الديوم ككل ولفترة طويلة.

تجدر الإشارة إلى أنَّ الزائر لسوق السجانة والمنطقة المحيطة به يجد اليوم صورة مغايرة تماماً لما وصف أعلاه إذ تحولت كل المحلات وكذلك المنازل المجاورة للسوق من كل الجهات تحولت إلى مغالق لبيع مواد البناء، وأصبح السوق يمد كل العاصمة بمتطلبات البناء من حديد وأسمنت وأخشاب ومواد صحية وكهربائية.

مرافق خدمية أخرى

هنالك أيضاً بعض الأنشطة التجارية والاقتصادية التي تقع على أطراف المنطقة المجاورة للسوق، فنجد طاحونة محمد زين شرق مدرسة النور خضر وطاحونة سراج وطابونة (فرن) تجاوران السوق من الناحية الجنوبية الشرقية وتفتحان على شارع السجانة بالنص. كما توجد طابونة ثانية تجاور السوق من الناحية الشمالية الشرقية وتفتح أيضاً على شارع السجانة بالنص وثالثة تتوسط الأولى والثانية في نفس الشارع. وهناك طابونة رابعة هي طابونة عثمان سليمان وأخرى في الناحية الجنوبية الغربية تطل على شارع الحرية. كما أنشئت محطة بترول (بنزين) في الطرف الغربي للسوق في أوائل الستينيات.

بجانب المرافق أعلاه هنالك عدد من الدكاكين في داخل حي السجانة، ففي الناحية الشمالية من الحي نجد دكان خليل الحلفاوي جوار جامع أنصار السنة وكان يمتلكه قبل ذلك أحمد حسن حتوب، ودكان محمد البشير ودكان الحاج عبد الله الأول شمال مدرسة الديم غرب والثاني جنوبها، ودكان محمد علي ودكان أنور الحكيم الأول في منزل شبيرقلة والثاني بجواره في وسط الحي، وغير بعيد عنهما دكان الفاضل حسن في منزل يوسف سعيد، وإلى الغرب منه دكان حسن الغزالي. ونجد في الناحية الشرقية من سوق السجانة دكان طه الشايقي ودكان حمودة، وفي أقصى شرق الحي دكان اليماني بجوار طاحونة الزين. كذلك ضمت المايقوما عدداً من الدكاكين منها دكان سليمان مختار ودكان سيد ودكان قدورة الواقعة في شارع السجانة بالنص وتمثل جميعها محطات للبصات، هنالك أيضاً دكان محمد عيسى ودكان ود عماري.

كما درج بعض مواطني الحي على تقديم خدمات محددة من منازلهم مثل الأمين إبراهيم فقد كان يذبح في منزله بالمايقوما (كيري)٦٠ ويبيع اللحوم لسكان الحي. كذلك كانت بت الخواض تبيع الخضار أمام منزلها شرق مدرسة المايقوما الأولية للبنات.

الخرطوم نمرة (٣)

جمال حي الخرطوم نمرة (٣) وجمال إنسانها جعل دستور عميد الفن أحمد المصطفى وشاعره يغنيان لها "أنا دستوري نازل في الخرطوم ٣". تعتبر الخرطوم نمرة (٣) المنطقة الثانية التي تم تخطيطها بعد السجانة خارج الخرطوم شمال مع الفارق البين في التخطيطين، إذ نلحظ في تخطيط الخرطوم نمرة (٣)

---

٦٠ الذبح بغرض البيع دون الحصول على ترخيص بذلك، وكيري كلمة تركية تعني دون اشراف أو حساب رسمي أي عكس كلمة ميري.

كثيراً من ملامح التخطيط الحضري الذي يلبي المتطلبات العمرانية للمدينة الحديثة التي يفتقدها تخطيط السجانة. وربما يُعزي هذا لسببين أساسين، الأول حداثة مخطط الخرطوم ٣، إذ إنه تم بعد مخطط السجانة بحوالي عقد من الزمان. والثاني هَدَفَ مخطط الخرطوم ٣ إلى توسيع الرقعة السكنية لأهالي الخرطوم شمال من أصحاب الدخول المتوسطة والمرتفعة نسبياً، بينما هَدَفَ مخطط السجانة إلى إعادة إسكان أهل الديوم القديمة وغالبيتهم إن لم يكونوا جميعهم من الشرائح الضعيفة في مجتمع مدينة الخرطوم.

بدأ توزيع أراضي الخرطوم نمرة (٣) في عام ١٩٣٩م وكان ذلك في عهد مفتش المركز مستر دبرسون، بينما بدأت العمارة الفعلية للمنطقة في أوائل الأربعينيات. وتم توزيع القطع السكنية عن طريق أرانيك (عُرضُحَالات)، وبلغ سعر القطعة الواحدة تسعين قرشاً وفي قولٍ آخر تراوح سعرها مابين الجنيهين والجنيهين ونصف الجنيه. تراوحت مساحات القطع مابين الثلاثمائة والأربعمائة وخمسين متراً مربعاً. شُيِدت أغلب منازل الخرطوم ٣ في بدايتها من الجالوص وقليل منها من الطوب الأحمر، مع استخدام الطوب والجالوص معاً في بعض المنازل.

أول ما يلفت انتباه من يطالع مخطط الخرطوم نمرة (٣) هو أنَّ المساحة التي يشغلها المخطط مربعة الشكل تماماً[٦١]. يبدأ الضلع الشمالي لهذا المربع من شارع الحرية ويمتد شرقاً على طول شارع ٣٩ الذي يفصل الخرطوم ٣ من منازل منتسبي السكة حديد وينتهي عند تقاطعه مع شارع مجمع شروني الإسلامي والمعروف بشارع كاترينا (شارع بابكر بدري). يبدأ الضلع الشرقي للمربع من هذا التقاطع ويمتد جنوباً على طول شارع مجمع شروني الإسلامي إلى الركن الجنوبي الشرقي لحديقة القرشي. ثم يبدأ الضلع الجنوبي و يمتد غرباً

٦١ خريطة (٥).

على طول الشارع المؤدي إلى القسم الجنوبي (مركز الشرطة) عند تقاطع شارع الحرية حيث ينتهي هذا الضلع. يبدأ الضلع الرابع للمربع من التقاطع ليمتد شمالاً على طول شارع الحرية إلى أن يتقاطع مع شارع ٣٩. هنالك امتداد صغير للخرطوم نمرة (٣) يقع في الشمال الغربي منها وإلى الغرب مباشرة من شارع الحرية، ويمتد من السكة حديد شمالاً إلى مقبرة اليهود جنوباً. يعرف هذا الامتداد بحي باريس وقد شُيد في موضع إشلاق عباس بعد إزالته الجزئية في بداية الخمسينيات حيث وزعت أراضي تلك المنطقة تعويضاً لسكان حي السوق بالخرطوم شمال الذين تضرروا من إعادة تخطيط منطقة السوق العربي.



خريطة (5) الخرطوم نمرة 3

يتوسط المساحة المربعة لمنطقة الخرطوم نمرة (٣) ميدان دائري عرف بميدان عبد المنعم محمد (نادي الأسرة حالياً). يتقاطع عند هذا الميدان شارعان ركنيان (قطريان) يمتد أحدهما من تقاطع شارع مجمع شروني الإسلامي مع شارع ٣٩

عند أقصى الشمال الشرقي للحي إلى تقاطع شارع الحرية عند القسم الجنوبي في أقصى الجنوب الغربي للحي. أما الشارع الركني الآخر فيمتد من أقصى الشمال الغربي للحي عند تقاطع شارع الحرية مع شارع ٣٩ إلى الركن الجنوبي الشرقي للميدان الذي كان يعرف بميدان الدومة في الماضي قبل تشييد حديقة عبود في مطلع الستينيات وتُعرف الآن بحديقة القرشي الواقعة في الجنوب الشرقي من الخرطوم نمرة (٣). ويتقاطع مع الميدان الدائري أيضاً عدد من الشوارع الرأسية الممتدة من أقصى شمال حي الخرطوم نمرة (٣) إلى أقصى جنوبه، والشوارع الأفقية الممتدة عبر الحي شرقاً إلى الخرطوم نمرة (٢) وغرباً إلى المنطقة الصناعية. ومن أشهر هذه الشوارع شارع الصناعات الذي يُقسم الميدان وبالتالي حي الخرطوم ٣ من الشرق إلى الغرب. أيضاً من الشوارع الشهيرة بالحي شارع الخور(شارع ٤٧) الذي يمتد عبر الحي ليصله من ناحية الشرق بسوق الخرطوم نمرة (٢) ومن الغرب بالمنطقة الصناعية.

كما ذكر أعلاه فقد عُرف الميدان الدائري الذي يتوسط حي الخرطوم ٣ لسنوات طويلة بميدان عبد المنعم، وربما تعزى هذه التسمية لوجود صرحين شيدهما المحسن الكبير عبد المنعم محمد في الناحية الشمالية الغربية للميدان، وهما جامع الخرطوم ٣ الذي عرف أيضاً بجامع عبد المنعم ومعهد عبد المنعم محمد العلمي لتعليم علوم القرآن الكريم وأصبح الآن مدرسة عبد المنعم الأولية بنين (٢). ونشير هنا إلى أن عبد المنعم محمد شيَّد أيضاً سوق الخرطوم نمرة (٣) وجعله وقفاً لهذين الصرحين. كما عُرف أيضاً هذا الميدان بميدان المَوْلِد وذلك لأن الاحتفال بالمولد النبوي كان يقام فيه بعد انتقاله من ميدان عباس وميدان أبي جنزير بالخرطوم شمال. وكان بالميدان العديد من ملاعب كرة القدم، من بينها ملعب رابطة الخرطوم ٣، تُحيط بمركزه الذي كان يشغله بوفيه ومقهى عبده دهب منذ الخمسينيات من القرن الماضي. وكان هذا البوفيه بمثابة منتدىً

يؤمه الكثيرون من شباب وشيوخ الخرطوم نمرة (٣) وقد شهد الكثير من المنابر الرياضية والثقافية والسياسية. شُيد نادي الأسرة في كل مساحة ميدان عبد المنعم في مطلع السبعينيات وتمّ نقل الاحتفال بالمولد من هذا الموقع إلى الميدان المجاور لميدان الليق بالحلة الجديدة.

هنالك أيضاً ميدان مربع الشكل في وسط الناحية الغربية من الخرطوم نمرة (٣) يطل على شارع الحرية. يحتل هذا المربع سوق الخرطوم ٣ مع العديد من المرافق الخدمية والترفيهية مثل مكتب للبريد ومحطتين للبنزين. كان في وسط هذا الميدان موقف للبصات المتجهة إلى الجزيرة وبالتحديد مدني والحصاحيصا بجانب تلك المتجهة إلى كوستي وسنجة وحلفا الجديدة. وقد بدأ هذا الموقف في منتصف الستينيات، في المكان الذي كان موقفاً للَواري، واستمر إلى النصف الثاني من السبعينيات حينما انتقل إلى السوق الشعبي جنوب الديوم الشرقية. ومن أشهر المعالم جنوب هذا الموقف مخبز سيحة الذي اشتهر بعمل البقلاوة والكُنافة للمناسبات والأفراح. يوجد في الطرف الجنوبي الشرقي من هذا المربع أهم مرفق ترفيهي شهدته منطقة الخرطوم جنوب في فترة الخمسينيات وهو سينما الوطنية الخرطوم جنوب.

يحتل سوق الخرطوم ٣ الناحية الشمالية من الميدان وهو سوق صغير مقارنة بسوق السجانة، ويتكون من ثلاثة صفوف من الدكاكين، صف طويل نسبياً يمتد من الشرق إلى الغرب، والآخرين قصيرين ممتدين من الشمال إلى الجنوب أحدهما في الطرف الشرقي للصف الطويل والآخر في طرفه الغربي. يشغل تجار القطاعي معظم محلات هذا السوق، وتوجد بناحيته الشمالية عدد من الجزارات فهناك جزارة أحمد الشائب وجزارة أدهم موسى وجزارة الصادق محمد الصادق. كما يوجد به مطعم وقهوة الحلفاويين لصاحبها إبراهيم أُويه، بجانب عدد من الترزية منهم الترزي الأفرنجي محمد السيد والترزي البلدي

أحمداني وكذلك عبد الكريم عبد الله. كما كانت توجد به اجزخانة في فترة من الفترات.

يوجد في الناحية الشرقية من نادي الأسرة مدرسة الخرطوم الثانوية الجديدة للبنين التي أُنشئت في منتصف الستينيات في نفس الموقع الذي كانت تشغله مدرسة فرنسية للأطفال. توجد في الناحية الجنوبية من الحي عدة مدارس منها مدرسة عبد المنعم الأولية بنات ومدرسة الاتحاد النسائي الابتدائية للبنات ومدرسة الأم الثانوية للبنات. ومن سكان الحي الذين اهتموا بالتعليم الأهلي محمد حاج الخضر كمير وعبد الله العبيد وقيع الله ومحمد عبد الله محمد أبو بكر التربي وعبد الكريم عبد الله بختر الشعراوي (مؤسس مدرسة الأشبال الوسطى في فترة لاحقة) وآخرون. يوجد بالحي مقر الطريقة الإسماعيلية الذي يديره الخليفة مختار حنفي ومسجد الحنيفة وخلوة ملحقة بالمسجد لتحفيظ القرآن بشياخة يوسف سليمان إمام مسجد الأدارسة.

من معالم الخرطوم ٣ في نهاية الخمسينيات قيام عيادة الاتحاد في الناحية الشمالية الشرقية من الميدان الدائري عند تقاطع الشارع الركني، وهي من أوائل العيادات الخاصة التي عرفتها الخرطوم جنوب. أيضاً عرفت تلك المنطقة الداية السُكر إبراهيم وهي من أوائل المشتغلات بهذه المهنة في الخرطوم جنوب. وفي الطرف الشرقي للحي نجد دلالة دقاش عند تقاطع شارع مجمع شروني الإسلامي مع شارع الصناعات.

ومن معالم الناحية الشمالية الغربية من الخرطوم ٣ عيادة الدكتور محمد آدم أدهم التي تطل على شارع الحرية. ودكتور أدهم من خريجي كلية غردون وكان رجلاً شعبياً يحب الطرب والمرح لذا لقب بـ (أبو الشباب)، وافتتح في فترة من الفترات محلاً لبيع الخمور البلدية سماها المرسية بدلاً من المَريسة[٦٢].

٦٢ مشروب من ناقع الذرة الرفيعة وهو ما مرسته (أي نقعته في الماء ومرسته باليد حتى تتحلل أجزاؤه).

وفي الجهة المقابلة لعيادة دكتور أدهم وعبر شارع الحرية في حي باريس نجد عيادة أخرى هي عيادة دكتور لويس عبده، وتعتبر العيادتان من أقدم عيادات الخرطوم جنوب. أيضاً في تلك الناحية وفي أقصى الشمال الغربي من حي باريس نجد مسجد حمزة علي كمير إلى الجنوب من السكة حديد وإلى الشرق من المنطقة الصناعية.

رغم التخطيط الحضري الحديث للخرطوم نمرة (٣) بصفة عامة لكنها لم تخلُ خاصة الجزء الجنوبي منها من أزقة ضيقة تشابه تلك التي نجدها في حي السجانة. وتعكس هذه الأزقة عدم إدراك المخططين لهذه الأحياء في الثلاثينيات من القرن الماضي بأنَّ وسائل الانتقال الخاصة لسكان هذه المناطق ستتحول في أقل من ربع قرن من الزمان من الدواب إلى السيارات التي عرضها بعرض الأزقة التي خططوها. ملمح آخر غير حضري يتمثل في اعتماد الحي على نظام مرحاض الجردل حتى منتصف الستينيات تقريباً. انتهى هذا النظام في النصف الثاني من الستينيات بإلزام الأهالي بحفر مراحيض بلدية (حفر) أو سايفون.

إنتقل أغلب سكان الخرطوم نمرة (٣) من أحياء الخرطوم شمال، فنجد منهم في حي باريس آل كمير، وآل الحكيم، وآل أحمد حسب الرسول، وعبد الرحمن صغيرون مدير فرع المعروضات المصرية، وكامل عبد الشهيد صاحب البار المجاور لمطعم علي السيد الكوباني عند صينية القندول، ورجل الأعمال محجوب محمد أحمد، وآل البيطري. ونجد في الناحية الشمالية الغربية من الخرطوم نمرة (٣) مهندس التنظيم محمود علي إدريس، وآل القوصي، وآل عبد الحافظ علي أحمد، وآل رشوان، وآل أبوالفتوح، وعبد الله التهامي من تجار الخرطوم وكان يعمل في تجارة حطب الوقود، وآل عبد الله يوسف (هنقه) وآل يوسف محمد يوسف (أب صلعة).

وفي الناحية الشمالية من نادي الأسرة نجد آل الزين صغيرون، وصديق عشكوبي، وجعفر سليمان، وحاج الصافي، وآل عبد الله محمد أبوبكر التربي، وآل عبد الكريم عبد الله بختر الشعراوي، وآل عبد الحميد أبو العز، وآل محمد عابدين (أورنجيته)، وآل الحاج أحمد شاهين البشاري. كما يسكن في هذه الناحية وبجوار مدرسة الخرطوم الثانوية آل الحاج الصافي، وآل الحاج بشير محمد بشير (ابن القابلة السكر)، وآل الحاج فضل المولى، وآل النحاس.

كما نجد في الناحية الشرقية من نادي الأسرة وإلى الشمال من حديقة القرشي آل الحاج البدوي سعدان أحمد (كبير جزاري الخرطوم)، وآل الحاج المبارك كمير، وآل الحاج الجاك عبد السلام، وآل خليل سعيد، وآل حسن الشيخ الجلال، وآل الحاج مركز إسماعيل، وآل رحمي سليمان، وآل محجوب سلطان، وآل الحاج الحسن فضل السيد، وآل الخليفة سليمان علي، وآل ساتي إدريس حمد، وآل عثمان عبد الله قرافي، وآل حامد صالح باشا الملك، وآل بدر فزاري، وآل المنشاوي، وآل الشرقاوي، وآل النميري، وآل المنياوي.

وفي هذه الناحية الشرقية لميدان الأسرة نجد حلة الكنوز إلى الشمال من شارع الصناعات وغرب شارع بيو يوكوان حيث يسكن آل الحاج حسين أحمد حامد (عِرق السم)، وآل الحاج أحمد عواض حسين، وآل الحاج حسن توفيق، وآل الحاج إزيرق عبد الله موسى، وآل باشري محمد عوض الله، وآل الموسيقار عبد الفتاح متولي، وآل يحي إدريس سليم، وآل عبد العقيل سليمان، وآل خوجلي أبو الجاز، وآل حمدان علي عبد البينّ، وآل حسن عدار، وآل الطاهر حمدان. كما يسكن في هذه الناحية وبجوار نادي الخرطوم (٣) (نادي الخرطوم الوطني حالياً) آل فيصل محمود مرسي (سكرتير ورئيس نادي النيل الأسبق)، وآل حسن مصطفى المشلي، وآل المهندس أحمد محمد محمود والد كل من الدكتور نصر الدين والدكتور إدريس. كما نجد في شارع الصناعات

آل بشير ومحمد صالح النفيدي، وآل أبو القاسم إسماعيل البيلي، وآل الخليفة حسن أبو شوك، وآل علي عبد الرحمن. كما يسكن في هذه المنطقة آل الحاج الرفاعي حسين (خال الفنان حسن سليمان الهاوي)، وآل الحاج الإمام أحمد الإمام.

أما في الناحية الجنوبية من نادي الأسرة فنجد عبد الغني الحاج صاحب مدرسة السياقة في نهاية الخمسينيات والستينيات، وحسن محمد صالح، وآل الخضر. وإلى الغرب منهم نجد آل العازف الأستاذ علي ميرغني. ونجد في الناحية الجنوبية الشرقية لنادي الأسرة وإلى الغرب من حديقة القرشي آل الحويج، وآل الحاج محجوب محمد حسين ماهل، وآل الحاج علي عمر. وفي تلك الجهة من الحي قامت أول زاوية للطريقة البرهانية والتي كانت قد بدأت نشاطها في الأربعينيات بمنزل شيخ الطريقة محمد عثمان عبده الكائن شمال غرب حديقة القرشي.

كما يسكن في حي الخرطوم (٣) آل محمد الخير ساتي، وآل مأمون معلا، وآل سيد دسوقي، وآل محمود عبد القادر (تُلُب)، وآل عبد الحميد صالح عبد القادر، والصحفي محمود بابكر جعفر، وآل محمد أحمد البطحاني، وآل ياسين يعقوب. نرصد أيضاً من نجوم مجتمع الخرطوم الذين سكنوا الخرطوم (٣) الفنانين حسن سليمان الهاوي، وحسن عطية، ومحمد حسنين المشهور بأبوسريع، ومحمد الحويج وأحمد الحويج، ومن لاعبي كرة القدم خوجلي أبوالجاز، والأخوان أنور وأحمد وفيصل السيد مكي ويوسف أب صلعة.

الحلة الجديدة

تلت المحاولة الطوعية لإعادة توطين أهالي الديوم بالسجانة محاولة طوعية أُخرى في النصف الأول من الأربعينيات (١٩٣٩- ١٩٤٦م) وذلك

بتوزيع قطع سكنية بمساحات أكبر نسبياً تراوحت بين ١٦٧ و ٢٦١ متر مربع في المنطقة التي سميت بالحلة الجديدة. كان أول تقسيم (١٦٧) متر مربع ثم جاءت زيادة للمنازل الواقعة على الشوارع الكبيرة لتصبح مساحاتها (٢٦١) متراً مربعاً. جاءت تسمية الحي بالحلة الجديدة لكونه جديداً بالنسبة للديوم القديمة التي جاء منها أغلب سكانه.

قسم الحي إلى أربعة مربعات أعطيت أرقام وحروف هجائية مع ترقيم المنازل مما يسهل التعرف على عناوين المنازل. تُحَد الحلة الجديدة من ناحية الشمال بشارع أحمد خير الذي يفصلها عن المنطقة الصناعية، وتبدأ في تلك الناحية بدار سكّ العملة ثم داخليات المعهد الفني (جامعة السودان للتكنولوجيا حالياً) والتي تشغلها الآن داخلية بشائر للبنات ثم الإمدادات الطبية. ويمتد الحي جنوباً إلى الشارع الممتد من الشرق إلى الغرب ويُحد سوق السجانة من الجنوب وكذلك زريبة مواد البناء البلدي والقش٦٣. أمَّا من ناحية الغرب فكان يحدها إلى عهد قريب (أوائل السبعينيات) سدٌ ترابي يحميها من فيضان النيل الأبيض ولكن تراجع هذا السد ناحية الغرب في الفترة الأخيرة وتمددت الحلة الجديدة غرباً بإنشاء مدرسة الإصلاح ومدرسة القوز الواقعة إلى الشمال من القوز في الستينيات من القرن الماضي. كما امتدت المنطقة الصناعية الجديدة جنوباً وأصبحت محاذية للقوز، وبذلك أصبح يحد الحلة الجديدة من جهة الغرب الشارع الرئيسي الممتد من الشمال إلى الجنوب ويفصل المنطقة الصناعية القديمة من الجديدة ويعرف بشارع الغابة. ومن ناحية الشرق يَحِد شارع الحرية الجزء الشمالي من الحلة الجديدة حيث ميادين المولد والليق، أما الجزء الجنوبي منها فيحده شارع الحلة الجديدة ويمر بجامع الحلة الجديدة أيضاً رغم أنه يقع في الناحية الشرقية من الشارع التي تتبع للديوم الغربية.

---

٦٣ خريطة (٦).

عُرِف الجزء الشمالي الغربي من الحلة الجديدة بحي المزيكة وربما كان السبب وراء هذه التسمية هو اشتغال جزء ممن سكن هذا الحي بموسيقى القوات النظامية. أما في الناحية الشمالية الشرقية من الحلة فهناك حي المقرن، و بين حي المزيكة وحي المقرن نجد حي الصحة (شرق دكان محجوب السماني). كما عرف الجزء الواقع في أقصى الجنوب الشرقي من الحلة الجديدة بحي الكنوز نسبة إلى أصول سكانه من قبيلة الكنوز. ويذكر أنَّ سكان أحياء المزيكة والصحة والمقرن كانوا يسكنون في الخرطوم شمال بينما سكان حي الكنوز كانوا يسكنون الاسطبلات قبل ترحيلهم إلى هذه الأحياء، أما بقية سكان الحلة الجديدة فكانوا يسكنون الديوم القديمة. وترجع أصول سكان الحلة الجديدة إلى قبائل مختلفة ضمت الكثير من قبائل السودان كمعظم أحياء مدينة الخرطوم. تميزت منازل الحلة الجديدة في الماضي بوحدة خريطة البناء، فقد استُخدمت خريطة واحدة لكل المنازل، حيث نجد على امتداد واجهة المنزل غرفتين تتوسطهما برندة. ويتوسط باب المنزل البرندة، وتفتح نوافذ الغرفتين على الشارع، ويفتح باب إحدى الغرفتين في البرندة، بينما يفتح باب الثانية إلى الداخل في فناء المنزل. ويشغل المطبخ (التُكل) أحد الركنين الداخليين بينما يشغل المرحاض الركن الآخر. وقد قام الكثير من سكان الحلة الجديدة بعد ذلك بإجراء بعض التعديلات على خرط منازلهم ولكن ما زال هنالك العديد من المنازل تحافظ على خرطتها القديمة. وكانت المباني فيما مضى كلها من الجالوص ولكن يغلب عليها الآن الطوب الأحمر.

قليلةٌ هي المعالم التي تحتويها الحلة الجديدة، إذ ليس فيها ما يذكر سوى مجموعة من المدارس الموجودة في الناحية الشرقية منها وتفصلها عن ميدان الليق. بدأ التعليم الأهلي في الخرطوم جنوب بالمدارس التي افتتحت في تلك الناحية في الخمسينيات من القرن الماضي عندما أُنشئت مدرسة المؤتمر (الحلة

الجديدة ١ حالياً). ثم أنشأ عبد المنعم يونس مدرسته الأهلية للتعليم الأولي وتولى نظارتها سعدابي ردحاً من الزمن، ثم أنشأ بعد ذلك مدرسة الديوم الغربية الابتدائية. كما أنشأ في تلك الفترة كامل الأحمدي مدرسة النهضة الابتدائية للبنين. وقامت بعد ذلك في الستينيات في نفس المنطقة مدرسة أولية للبنين، كما قامت مدرسة الإصلاح للبنات في الناحية الغربية من الحلة الجديدة وبدأت باسم مدرسة ست خَضرة وهبة ثم تحولت إلى الإصلاح.



خريطة (6) الحلة الجديدة

ومن المعالم التي أصبحت تنسب للحلة الجديدة داخليات المعهد الفني التي شيدت في الناحية الشمالية من الحلة الجديدة في النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي (١٩٥٩م)، وكذلك دار سكّ العملة التي قامت في نفس الناحية وفي نفس الفترة تقريباً. واشتمل الحي على طابونة مهدي ود النعَيمة في أقصى شماله إلى الشرق من شارع الحلة الجديدة، وطاحونة ود الجلاَل بالقرب من محطة ود الحسين في الناحية الجنوبية من الحلة، وطاحونة

محمد مختار، التي أنشئت في فترة لاحقة، جوار مسجد حاج ميرغني. كما اشتملت الحلة الجديدة على عدد من الدكاكين التي كانت ذات شهرة في الخمسينيات والستينيات مثل دكان ود المبارك في حي المزيكة ودكان يوسف عبد الرحيم في حي المقرن ودكان ود الباشا في حي الصحة ودكان عبد الرحيم الخضر ودكان شيخ عبد الرحمن الدنقلاوي ودكان محجوب السماني في وسط الحلة الجديدة ودكان ود الحسين ودكان علي جمعة ودكان عبدون في حي الكنوز ودكان حاج ميرغني الذي يقع ضمن الديوم الغربية ويفصله من الحلة شارع الحلة الجديدة، ويلاحظ أنَّ معظم هذه الدكاكين تفتح على شارع الحلة الجديدة.

لم يختف في الحلة الجديدة ملمح من ملامح الديوم القديمة وهو مهنة بيع كبار النساء للخضار أمام منازلهن، فنجد في فترة الخمسينيات والستينيات بت عبد العال قد انتقلت بهذه المهنة من الديوم القديمة إلى حي المقرن بالحلة الجديدة. كما نجد نساءً أخريات يقدمن نفس الخدمة منهن عائشة ساتي بجوار دكان محجوب السماني وبت نعيم ناحية دكان شيخ عبد الرحمن الدنقلاوي.

أما المعلم الأبرز في الحلة الجديدة فهو ميدان الليق الواقع في الناحية الشرقية منها، وتجري فيه منافسات دوري الدرجة الثالثة لفرق الخرطوم. نرصد أيضاً مرفقاً ثقافياً اجتماعياً يتمثل في نادي الإصلاح الثقافي وجمعية الإصلاح الخيرية، ومرفقاً رياضياً يتمثل في نادي الدفاع.

من أبرز الشخصيات والأسر في الحلة الجديدة نذكر شيخ الحي شيخ نمر يحي ممثل الإدارة الأهلية حتى تاريخ وفاته في عام ١٩٥٥م، خلفه الشيخ محمد عثمان كلودة ومن ثم الشيخ أحمد أرباب الذي استمرت شياخته حتى قيام نظام مايو في ١٩٦٩م. ومن الشخصيات نرصد أيضاً محمد أحمد الجريفاوي، وجعفر

أشيقر، وإبراهيم صالح رئيس المحكمة الأهلية، وشيخ عبد الرحمن الدنقلاوي المقرئ الذي كان يُدعى لتلاوة القرآن في معظم مآتم الخرطوم جنوب، وعبد القادر سعيد، وعبد الرحيم الخضر، ومحجوب السماني، وود الباشا، وآل باشريك، وآل سليم، وآل عبد الماجد أحمد سرير (الدقاق). كذلك هناك محمد أحمد المبارك، وأحمد محمد الحسين، ومحمد أحمد الجلال، والشيخ حسن سليمان، وخضر إبراهيم الصول، وآل محمد أحمد معروف، وآل صديق جاه الله، وآل حاج حِدْاَيَة، وآل دقنة، وآل أبو إدريس، وآل الخليفة أبو بكر الختمي، وخليل عبد الواحد، وإبراهيم الفكي، والشيخ خليل، والرسام إبراهيم كومي، وأحمد يوم، والحكم الدولي فؤاد سليمان، وحسين عبد الرحيم الخضر، وسكن الحلة الجديدة أيضاً الفنان التيجاني مختار، وعبد الغني الحاج صاحب أول مدرسة للسواقة قبل انتقاله إلى الخرطوم نمرة (٣).

من رواد التعليم بالحلة الجديدة الأستاذ سعدابي ناظر مدرسة عبد المنعم يونس الأولية، والأستاذ محمد إبراهيم صالح، والأستاذ عمر محمود. ونرصد من رجال الدين الذين سكنوا الحلة الجديدة محمد مختار وإسماعيل البيلي. ومن ضباط القوات المسلحة الرائد يحي نمر يحي، ومن مشاهير كرة القدم بالحي لاعب توتي باشريك محمد باشريك ولاعبي الموردة مزمل مبروك وإسماعيل دوكة.

الديوم الجديدة (الديوم الشرقية والغربية)

«الديوم صورة مجتمعية من صور الحياة السودانية بكل ما فيها من تنوع وتناقضات ورغم ذلك استطاع الديَّامة أن يكونوا نسيجاً متماسكاً من الوحدة والإنسجام ذلك النسيج الذي يتوق إليه سودان اليوم الذي توشك أن تمزقه الأهواء العرقية والجهوية. إنسان الديم نموذج حيوي وفعال للمواطنة الصالحة

المنتجة العابرة للأعراق والقبليات، درويش في حلقات الذكر عند السادة العزمية، ومتذوق لموسيقى الجاز وعاشق لكرة القدم، وبطل لألعاب القوى، سياسي يفهم السياسة من باب خدمة المجتمع ووطني يعرف أن السودان هو الأرض والناس.»[٦٤]

لم تؤد المحاولتان الطوعيتان لإعادة توطين سكان الديوم القديمة بالسجانة والحلة الجديدة النتائج المرجوة منها وهي إزالة منازل الذين يتم ترحيلهم وذلك لأن هؤلاء المُرَحلِين كانوا يتركون منازلهم قائمة ويشرعون في تأجيرها للآخرين. وهكذا ظهرت طبقة من مالكي العقارات هم من عارضوا إزالة الديوم القديمة عندما شرعت السلطات في ذلك لاحقاً. بدأ العمل الجاد في إزالة الديوم القديمة وإعادة توطين سكانها في الديوم الجديدة في مارس ١٩٤٩م وذلك بإنشاء مكتب «إعادة إسكان الديوم» الذي عُين عليه مفتشاً للتسوية علي أفندي نديم[٦٥] ويعمل تحت إشراف كل من معتمد الأراضي مستر سيمبسون ومعتمد الخرطوم مستر آرثر. وتم تخطيط ثمانية آلاف قطعة سكنية في الديوم الجديدة، تبلغ مساحة القطعة الواحدة منها مائتي متراً مربعاً. وقد تَبَنى المكتب معيارين لتوزيع هذه القطع، الأول هو المالك المقيم في منزله بالديوم القديمة، والثاني هو المستأجر الذي أمضى عشر سنوات في تلك الديوم.

كانت خطة المسح الإجتماعي لترحيل الديوم القديمة تبدأ من أقصى الغرب حيث ديم نمرة (١) وديم سعد وتنتهي في أقصى الشرق عند ديوم سلمان والقشاشة والتعايشة والجوامعة. وكان لسكان ديمي نمرة (١) وسعد اعتقاد بأنَّ مآل عملية الترحيل لن يكون أحسن حالاً من المحاولتين الطوعيتين السابقتين.

---

٦٤ مصعب الصاوي، ديوم الخرطوم .. حالة خاصة جداً، الرأي العام، http://www.alghoraiba.com/forum/viewtopic.php?f=2&t=3327.

٦٥ علي أفندي نديم هو علي محمد بشارة إبن الأمير محمد بشارة من قبيلة التعائشة، وبعد استشهاد والده في معركة توشكي رباه نديم وزوجه إبنته.

لذلك رفضوا أن تكون البداية بهم، وطلبوا من المفتش علي نديم أفندي أن يبدأ بديوم الناحية الشرقية ظناً منهم أن العملية لن تنجح. لذا كان أول ديم يتم ترحيله هو ديم سلمان ومن ثم ديم القشاشة وديم السلك حيث رُحِلُوا إلى المنطقة المتاخمة للقوز. وكل هذه الديوم كانت تقع إلى الشرق من ديم التعايشة الذي رُحِلَ إلى المنطقة الواقعة جنوب مقابر فاروق. ونلاحظ الموقع المميز لديم التعايشة في مدخل الديوم الجديدة، ربما نتج هذا بتدبير من المفتش علي نديم والعمدة عمر كويس عمدة ديم التعايشة خدمة لأبناء عشيرتهم من التعايشة. بدأ الترحيل بسكان ديم سلمان في يونيو ١٩٤٩م وبنهاية العام كان كل سكانه وسكان ديم القشاشة وديم سلك ومعظم سكان ديم التعايشة قد أعيد إسكانهم في الديوم الجديدة وأُزيلت منازلهم القديمة وتبعهم سكان بقية الديوم الأخرى. وعندما جاء دور من رفضوا الإبتداء بهم كان نصيبهم الترحيل إلى أقصى جنوب مخطط الديوم الجديدة جوار ميدان سباق الخيل رغم محاولاتهم الحثيثة لإقناع المسئولين باستثنائهم وتخطيط ديومهم في موقعها.

قُسمت الديوم الجديدة إلى قسمين الديوم الشرقية والديوم الغربية وقد خصصت الأخيرة لسكان ديوم القشاشة وسلمان والسلك، بينما خصصت الأولى لسكان كل الديوم الباقية. وتبدأ الحدود الشمالية للديوم الشرقية من الشارع الممتد من الشرق إلى الغرب و يفصلها من السجانة والواقع جنوب طلمبة بنزين محطة الغالي وتطل عليه مدرسة عزالدين الأولية للبنين، أما إلى الشرق من شارع القصر جنوب فيحدها الشارع الممتد من الشرق إلى الغرب و يفصلها عن مربع المزاد (مربع اتحاد الختمية). يحدها من الشرق أولاً المنازل الشعبية ثم حي الزهور، وإلى الجنوب من حي الزهور تمتد شرقاً إلى شارع محمد نجيب الذي يفصلها عن العمارات. أما طرفها الجنوبي فينتهي بالكلية المهنية (جامعة السودان للتكنولوجيا حالياً) ومركز تدريب الشرطة وميدان سباق

الخيل. وتبدأ حدودها الغربية من ناحية الجنوب بشارع الحرية الذي يفصلها عن الديوم الغربية، ثم تنحسر الديوم الشرقية شرقاً لتنتهي عند الشارع الممتد من الشمال إلى الجنوب وتقع إلى الغرب منه دار رعاية الطفولة، ويمتد هذا الشارع الذي يفصلها عن المايقوما– بافتراض أنَّ المايقوما امتداد للسجانة وليست تابعة للديوم الشرقية – شمالاً إلى جامع ومركز شباب السجانة حيث يفصل الديوم الشرقية أيضاً عن السجانة.

تشغل الديوم الغربية مساحة أصغر بكثير عن تلك التي تشغلها الديوم الشرقية، وتبدأ من ناحية الشمال من الطرف الجنوبي لميدان الليق، وتمتد شرقاً إلى شارع الحرية الذي يفصلها عن السجانة. أما جنوباً فتمتد إلى مساكن موظفي مدبغة الخرطوم على مشارف شارع الشجرة واللاماب بحر أبيض. أما من ناحية الغرب، فالجزء الجنوبي (القطاع الجنوبي) منها يحده القوز، بينما الجزء الشمالي (القطاع الشمالي) تحده الحلة الجديدة ويفصلهما شارع الحلة الجديدة الممتد من الشمال إلى الجنوب.

حظيت الديوم الجديدة بتخطيط وخرائط منزلية مميزة تم تبنيها في كل امتدادات الأحياء الشعبية اللاحقة في المدن الثلاثة، أي الخرطوم وأم درمان والخرطوم بحري، لتحظى بذات الإبداع الهندسي من حيث الشوارع والميادين والمدارس والأندية والمساجد والزوايا. اشترك تخطيط الديوم الجديدة مع تخطيط بقية أحياء مدينة الخرطوم في امتداد المستطيلات السكنية من الشرق إلى الغرب كما توضحه الخريطتان (٧) و(٨). يبلغ طول المستطيل الواحد تسعة قطع سكنية في الغالب وعرضه قطعتين سكنيتين، أي يحتوي على ثمان عشرة قطعة سكنية تِسْع منها مداخلها نحو الشمال وتِسْع مداخلها نحو الجنوب. الهدف من هذا التخطيط هو إتاحة أكبر قدر من التهوية للمنازل في فصل الصيف حيث تشتد الحرارة إذ أن اتجاه الرياح يكون من الجنوب إلى الشمال. وبالتالي نجد أن

شوارع الديوم الجديدة تميزت كلها بالاستقامة وموازاتها للاتجاهات الرئيسية، حيث تمتد من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب. كما تميزت أيضاً بالاتساع مقارنة بكل المخططات القديمة إذ لا يقل عرض أصغر شوارعها عن الخمسة عشر متراً وبها الكثير من الشوارع التي يبلغ عرضها العشرين متراً. نلاحظ أيضاً وجود الفسحات بين المستطيلات السكنية ، إذ بعد كل مستطيلين تُركت الست قطع الوسطى في المستطيل الثالث كفسحة بين هذه المستطيلات، وهكذا يستمر التخطيط على نفس المنوال مغطياً كل منطقة الديوم الجديدة. ويُميز هذا التخطيط الديوم الجديدة عن سائر أحياء العاصمة الأخرى. ونلحظ أيضاً وجود حوالي ثلاثة عشر ميداناً فسيحاً في منطقة الديوم الشرقية، أما في الديوم الغربية فنجد في الناحية الشمالية منها ميداناً واسعاً بحجم مساحة سوق السجانة يشغل الناحية الغربية من شارع الحرية في مواجهة سوق السجانة، وقد استُخدِم جزء من هذا الميدان لتقديم بعض الخدمات. كما يوجد ميدان آخر في وسط الجزء الجنوبي من الديوم الغربية يمتد على طوله من الشمال إلى الجنوب. وهنالك أيضاً ميدان ثالث إلى الشرق من الأخير ويطل على شارع الحرية، واستُخدِم أيضاً الجزء الشرقي منه في بناء مدرسة محمد سعيد العباسي الابتدائية للبنين.

عليه نجد أنَّ تخطيط الديوم الجديدة قد تميز بوجود هذا العدد الكبير من الفسحات والميادين بين المستطيلات السكنية ولا يوجد في المخططات السابقة. ساعد هذا التخطيط على إنشاء العديد من المرافق الخدمية في فترات لاحقة مثل المدارس والمراكز الصحية والمساجد، هذا بجانب استغلال هذه الفسحات والميادين في الأنشطة الاجتماعية والرياضية لسكان الديوم. ولكن مع هذا التَمَيُز ظلت الديوم الجديدة خلال العشر سنوات الأولى من تعميرها، أي إلى مطلع الستينيات، فيها شيء من الرتابة والكآبة وذلك لتشابه مبانيها،

صفوف متوازية من بيوت الجالوص المتشابهة، ولخلوها من أماكن الترفيه والحدائق والخضرة بصفة عامة. وبدأ هذا الحال في التَغَيُر شيئاً فشيئاً بعد منتصف الستينيات حيث تمَّ زرع أشجار النيم في بعض شوارعها كما أخذ بعض السكان في تغيير مخططات منازلهم.

كان الكثير من سكان الديوم الجديدة عندما تمَّ توزيع القطع عليهم مقتنعين بل سعداء بالمائتي متر مربع التي خصصت لهم وذلك لعدة أسباب أهمها، أولاً تُعتَبَر هذه المساحة كبيرة جداً بالنسبة لما عرفوه من مساحات الديوم القديمة التي لم تتعد في أوسع حالاتها المائة متر مربع. أما السبب الثاني فقد كان أغلب سكان الديوم القديمة من النازحين الجدد نسبياً إلى الخرطوم وفي مقتبل أعمارهم، لذا كانت أسرهم صغيرة العدد وأطفالهم في سن يافعة وبالتالي المساحة المحددة كانت أكثر من كافية لهم. وسبب آخر متعلق بالحالة الاقتصادية بسكان الديوم جعل الغالبية مقتنعين بمساحة القطعة، إذ كانت غالبيتهم من العمال الذين يقل دخلهم الشهري عن العشرة جنيهات، وكان عليهم بناء مساكنهم بدون مساعدات مالية في وقت كان البناء فيه رائجاً لما تشهده مدينة الخرطوم من توسع تَمَثَل في النشاط العمراني في الخرطوم شمال وفي إنشاء الخرطوم نمرة (٢) والمنطقة الصناعية مما أدى إلى ارتفاع أسعار مواد البناء وأجرة العمال. لهذا نجد أن تكاليف البناء كانت تفوق مقدرات الكثير من المواطنين، مما جعلهم يبنون منازلهم على مراحل، واكتفى العديد منهم في المرحلة الأولى ببناء السور وغرفة واحدة والمرحاض. ونشير هنا إلى وجود عدد مقدر من مواطني الديوم القديمة كانت لهم أسر كبيرة وحالتهم الاقتصادية جيدة مما جعلهم يطالبون بقطع سكنية ذات مساحات كبيرة، وقد استجابت السلطات لمطلبهم ومنحت كل واحد منهم قطعتين متجاورتين لِتُكَونا أربعمائة متراً مربعاً يفي بالاحتياجات السكنية لتلك الأسر.

احتوى التصميم النموذجي لمنزل من الجالوص في الديوم الجديدة على غرفتين (أبعاد الواحدة منهما أربعة أمتار في أربعة أمتار ونصف المتر) ومرحاض (حفرة) ومطبخ وسور، وقدرت تكلفة هذا المنزل بستة وتسعين جنيهاً[٦٦]. بُنِيَت جميع منازل الديوم الجديدة باستخدام خريطتين، واحدة منهما تعرف بخريطة ديوان النص وتكون فيها غرفة العائلة ملاصقة للحائط الخارجي وللزاوية الشرقية أو الغربية للمنزل ويفتح بابها في الاتجاه المعاكس للباب الخارجي للمنزل. أما الغرفة الأخرى وتمثل ديوان استقبال الضيوف فتكون في وسط عمق المنزل، أي أن المسافة التي بينها وبين السور الأمامي مساوية تقريباً للمسافة التي بينها وبين السور الخلفي للمنزل، ويبعد ركنها القريب من ركن غرفة العائلة مسافة لا تزيد عن المتر الواحد مما يسمح بوجود ممر بينها وبين السور الجانبي يزيد في عرضه عن المترين، ويفتح الديوان في نفس اتجاه الباب الخارجي للمنزل. ويكون المرحاض في هذه الخريطة في الركن الخلفي المواجه للممر، بينما يلاصق المطبخ الركن الخلفي الآخر المواجه لغرفة العائلة.

أما الخريطة الثانية فهي أبسط من الأولى وأقل تكلفة، إذ نجد فيها الغرفتين ملتصقتين مع بعضهما ومع الجدار الأمامي للمنزل. وترتكز غرفة العائلة على السور الجانبي وتفتح إلى الداخل، أمَّا الديوان فبينه وبين السور الجانبي الآخر مسافة لا تقل عن الثلاثة أمتار تعطي فسحة وخصوصية للديوان عن بقية المنزل. ويحتل المرحاض الركن الداخلي المقابل لهذه الفسحة بينما يحتل المطبخ الركن الداخلي الآخر. وتسمح الخريطتان ببعض الإضافات مثل برندة أمام غرفة العائلة وحمام بجوار المرحاض، كما يمكن إضافة مزيرة.

يُلاحظ من هاتين الخريطتين التطور المعماري الذي حدث في منازل الديوم

---

٦٦ فاطمة بابكر، سلسلة قضايا الإسكان في السودان: أعمال سعدالدين فوزي ٢، ١٩٩٦م.

الجديدة، إذ أصبح لكل منزل مرحاض خاص به، وبالتالي لا يحتاج الأهالي إلى الخروج للخلاء لقضاء حاجاتهم، وفي ذلك إسهام كبير في صحة البيئة. وأيضاً أصبح لكل منزل مكان خاص لإعداد الطعام (المطبخ)، هذا بجانب أنه ملمح حضاري فهو لا شك يوفر قدراً من السلامة والحماية خاصة من أخطار الحريق. أضف لكل ذلك وجود حوش في داخل المنزل يستخدمه السكان لنومهم في ليالي الصيف الحارة، وبالتالي عدم اضطرارهم للنوم في الشوارع كما كان يحدث في الديوم القديمة وكان ذلك من الملامح غير الحضارية في تلك الديوم. وملمح حضاري آخر نلحظه في الديوم الجديدة وهو اختفاء الآبار والتي اختفى معها السقاة بقربهم وأجوازهم، وتوفرت المياه في المنازل عن طريق المواسير والصنابير. ومنذ منتصف الخمسينيات، أي بعد سنوات قليلة من إنشاء الديوم الجديدة، دخلت الكهرباء منازل الديوم فأضاءتها وأضاءت شوارعها، وبذلك بدأ اندثار ثقافة الفانوس وأم قيردون والرتينة.

الديوم الشرقية

تتكون الديوم الشرقية من غالبية الديوم القديمة، ونلاحظ تداخل الديوم المنقولة بحيث يصعب معرفة حدودها بعكس ما كان عليه الحال في معظم الديوم القديمة[٦٧]. أول ما يقابل القادم إلى الديوم الشرقية بشارع القصر جنوب من جهة الشمال محطة الغالي التي تعلن الدخول إلى أول دييم في الديوم الشرقية ألا وهو ديم التعايشة الذي يمتد على جانبي الشارع. فعلى يمين شارع القصر جنوب يتمدد ديم التعايشة غرباً بعمق مربعين لينتهي عند شارع نادي الأهلي الممتد من الشمال إلى الجنوب. ويبدأ بعد ذلك ديم الجوامعة الذي يمتد بدوره غرباً بعمق مربع واحد لينتهي عند الشارع الذي يمر بغرب مركز شباب

٦٧ خريطة (٧).

السجانة حيث يفصل هذا الشارع ديم الجوامعة عن السجانة. أمَّا من الناحية الشرقية لشارع القصر جنوب فنجد ديم التعايشة يحده من الشرق المنازل الشعبية وحي الزهور. ويمثل الشارع المحاذي للطرف الشمالي للساحة الشعبية والممتد من الشرق إلى الغرب نهاية ديم التعايشة من جهة الجنوب، بينما يمتد ديم الجوامعة جنوباً حتى الشارع القادم من الطرف الجنوبي للساحة الشعبية ويمر بالحافة الشمالية لمدرسة الراعي الصالح.



خريطة (7) الديوم الشرقية

يبدأ بعد ذلك ديم تقلي إلى الجنوب من حي الزهور وديمي التعايشة والجوامعة وموازياً لهم، أي من أقصى شرق الديوم الشرقية عند شارع محمد نجيب إلى أقصى غربها محاذاً للمايقوما، وينتهي جنوباً بالشارع الممتد من الشرق إلى الغرب ويمر بالطرف الجنوبي للساحة الشعبية إلى أن يصل إلى الركن

الشمالي الشرقي من مدرسة الراعي الصالح حيث يمتد منه جنوباً إلى الركن الجنوبي الشرقي لذات المدرسة حيث ينتهي عند الشارع المتجه نحو سينما النيلين. وبنهاية ديم تقلي من جهة الجنوب نجد ديم العتالة بين شارع محمد نجيب إلى الشارع الممتد من الشمال إلى الجنوب ويحد الساحة الشعبية من الناحية الغربية، ويمتد ديم العتالة جنوباً إلى الشارع الممتد من الشرق إلى الغرب ويمر بالطرف الشمالي لزريبة الفحم والحطب ويتجه غرباً إلى سينما النيلين. ويحاذي ديم العتالة من ناحية الغرب ديم عبد الكريم الذي يمتد غرباً إلى ديم تقلي عند الحافة الشرقية لمدرسة الراعي الصالح.

يقع ديم العطا إلى الجنوب من ديم العتالة وينتهي جنوباً عند شارع باشدار (الشارع الممتد من الشرق إلى الغرب ويمر بالطرف الجنوبي لسوق الديم ويعرف أيضاً بشارع الخور)، بينما يمتد شرقاً إلى شارع محمد نجيب وغرباً إلى الشارع الممتد من الشمال إلى الجنوب الذي يمر بالحافة الغربية لزريبة الفحم والحطب ومن ثم بالحافة الشرقية لسوق الديم. ثم نجد ديم برتي إلى الغرب من ديم العطا ويحده من الشمال ديم العتالة وعبد الكريم ومن الجنوب شارع باشدار. أمَّا من ناحية الغرب فيمتد ديم برتي في الجهة الشمالية منه إلى شارع القصر جنوب حتى يصل إلى الشارع القادم من الطرف الشمالي لسوق الديم وميدان الحرية لينحسر معه شرقاً لينتهي عند الحافة الغربية لميدان الحرية. ويحاذي الناحية الشمالية من ديم برتي وإلى الغرب منه، أي غرب شارع القصر جنوب، ديم أبوريش ويمتد غرباً حتى مشارف خلوة الفكي محمد أحمد وجامع سيف الدين. ويجاور ديم أبوريش من الناحية الشمالية ديم عبد الكريم وتقلي، بينما يحده من جهة الجنوب الشارع القادم من الطرف الشمالي لسوق الديم المتجه غرباً إلى الطرف الجنوبي من سينما النيلين. ويعتبر ديما عبد الكريم وأبوريش أصغر الديوم الشرقية مساحة كما يتضح من خريطة(٧).

يلي ديم أبوريش من الناحية الجنوبية ديم كارا الذي يمتد بناحيتي شارع القصر جنوب حيث ينتهي في الناحية الشرقية منه عند ميدان الحرية التابع لديم برتي وفي الناحية الغربية عند الشارع الواقع إلى الغرب من مبنى المحلية (المجلس البلدي). ونجد إلى الغرب من ديم كارا ديم بندة ثم ديم الزبيرية، وينتهي ديم بندة عند الشارع القادم من الحافة الغربية لمركز صحي المايقوما ليبدأ ديم الزبيرية الذي يمتد غرباً حتى شارع الحرية، وإلى الشمال من ديم الزبيرية نجد منازل منسوبي الشرطة. وتُحد ديوم كارا وبندة والزبيرية في ناحيتها الجنوبية بشارع باشدار.

أما الديوم الواقعة إلى الجنوب من شارع باشدار، فأول ديم يقابل الداخل إلى تلك المنطقة من شارع القصر جنوب هو ديم النوبة الذي يقع على ناحيتي الشارع إذ يمتد غرب الشارع بعمق مربعين لينتهي عند الشارع القادم من غرب مبنى المحلية، ويمتد شرق شارع القصر جنوب بعمق مربع واحد منتهياً عند الشارع القادم من الطرف الغربي لميدان الحرية. ويمتد ديم النوبة جنوباً حتى الشارع الواقع عند الطرفين الشماليين لميداني الرعد والطليعة. ويحيط ديم سعد القدامي بديم النوبة من الجهات الثلاثة الشرق والجنوب والغرب، ويمتد شرقاً حتى شارع كوريا الذي يمر بغرب سوق الديم وشرق ميدان الرعد، بينما يمتد غرباً حتى الشارع الممتد من الشمال إلى الجنوب ويفصل بين جامع سيف الدين ودار رعاية الطفولة، أما من ناحية الجنوب فينتهي ديم سعد القدامي بالشارع الذي يمر بالطرف الجنوبي لميدان الرعد وكذلك ميدان الطليعة. ويقع ديم نمرة (١) المعروف بديم القنا إلى الشرق من ديم سعد القدامي ويمتد شرقاً إلى شارع محمد نجيب، ويحده من الشمال شارع باشدار، ومن الجنوب الشارع الواقع في الأطراف الشمالية لميداني البرنس والنجم الأحمر. أما إلى الغرب من ديم سعد القدامي فنجد ديم جبل ثم ديم سعد الوراني المعروف بحي السبق

لإطلاله على ميدان سباق الخيل، ويفصل بين هذين الديمين الأخيرين شارع السجانة بالنص. ويمتد ديم سعد الوراني غرباً إلى امتداد شارع الحرية الذي يفصله عن حي صنقعت الخاص بمنسوبي الشرطة. تمتد الديوم الشرقية من الناحية الجنوبية إلى طلمبة حجازي على مشارف مباني القسم الجنوبي لجامعة السودان (الكلية المهنية سابقاً). ونجد إلى الشرق من السجانة الجديدة بيوت وعمارات البنك العقاري، أمَّا إلى الغرب منها فنجد بيوت الحجر.

بهذا التوزيع للديوم الجديدة نجد أن التركيبة السكانية للديوم القديمة لم تتغير في الديوم الجديدة وذلك لأنَّ سكان كل ديم انتقلوا كمجموعة واحدة ليسكنوا منطقة واحدة سميت بنفس اسم ديمهم القديم، وبالتالي يمكن على الأقل نظرياً إرجاع سكان ديم ما إلى أصولهم العرقية خاصة تلك الديوم ذات القبيلة الطاغية. واستمر هذا الحال للديوم الجديدة حتى منتصف الستينيات تقريباً ومن بعدها بدأت ديمغرافية هذه الديوم في التغيُر نتيجة لانتقال الكثير من سكان هذه الديوم إلى الامتدادات الجديدة المتمثلة في امتداد الدرجة الثالثة والصحافة وأركويت وجبرة وغيرها من الامتدادات. هذا بجانب ازدياد نسبة النزوح إلى الخرطوم واستقرار هؤلاء النازحين الجدد بين أهالي الديوم.

معالم الديوم الشرقية

انتشرت بالديوم الشرقية المدارس الأولية للبنين والبنات انتشاراً واسعاً، فهي بجانب ضمها لأول مدرسة أُسِسَت بالديوم القديمة وتعرف الآن بالديم شرق نمرة (١) في الناحية الشرقية من ديم التعايشة، تَضُم أيضاً مدرسة الديم شرق نمرة (٢) والديم شرق نمرة (٣) ومدرسة عز الدين ومدرسة السجانة الجديدة ومدرسة حي السبق، ثم جاءت مدرستا الشهيد عنتر وشيخ جعفر بديم

القنا، وجميعها مدارس أولية للبنين. أما مدارس البنات الأولية فتضم المنطقة مدرسة ديم برتي (١) ومدرسة الديم شرق (١) و (٢) المعروفتين بمدرسة الديم شرق المزدوجة ومدرسة الديم شرق (٣) المعروفة بمدرسة شريفة فاضل ومدرسة عبدون حماد النموذجية. كما شهدت منطقة الديوم الشرقية في الستينات افتتاح مدرسة الشباب الابتدائية (المتوسطة) بنين ومدرسة فاطمة عبد الرحيم الابتدائية (المتوسطة) للبنات، ومدرسة النيل الأبيض المتوسطة للبنين في فترة لاحقة، وانتقلت إليها مدرسة الراعي الصالح في نهاية الستينات من الخرطوم نمرة (٢). بجانب ذلك ضمت الديوم الشرقية أشهر خلاوي الديوم القديمة والخرطوم جنوب على الإطلاق وهي خلوة الفكي محمد أحمد الكائنة في ديم الزبيرية إلى الشرق من مركز صحي المايقوما، بالإضافة إلى خلوة محمد أحمد الدنقلاوي في ديم الجوامعة وخلوة شيخ إدريس في ديم العطا.

يعتبر جامع طيفور بديم برتي أول جامع بالديوم الشرقية، أُنشئ من بعده جامع السجانة الجديدة المطل على شارع القصر جنوب إلى الشمال من محطة حجازي، وجامع الديوم الشرقية في الناحية الجنوبية الغربية من ديم التعايشة، وجامع ديم التعايشة في الناحية الشرقية من ديم التعايشة، ثم جامع سيف الدين في الناحية الشمالية من ديم بندة والشرقية من ديم أبوريش جوار خلوة والده الفكي محمد أحمد، وأخيراً جامع العجيمية بديم الجوامعة في الجزء الجنوبي الغربي من مقابر بلاع. بجانب ذلك هنالك العديد من الزوايا أُنشئت في بعض الفسحات لإقامة صلاة الجماعة.

شهدت الديوم الشرقية قيام العديد من الأندية الجهوية والثقافية والاجتماعية والرياضية، بل ربما شهدت قيام بعضٍ من أوائل هذه الأندية إذ قام في نهاية الخمسينيات نادي أبناء ناوا في منزل مواجه للركن الجنوبي الغربي من الساحة الشعبية ثم انتقل في منتصف الستينيات إلى مقره الحالي شمال الكلية المهنية.

أيضاً في نفس تلك الفترة قام نادي أبناء الفونج إلى الجنوب من الساحة الشعبية مطلاً على شارع كوريا، وفي منتصف الستينيات شغل نادي الربيع الرياضي نفس مبنى هذا النادي. كما قام في أقصى الجنوب الغربي من ديم التعايشة نادي ديم التعايشة وهو أيضاً من أقدم الأندية في المنطقة. وقام في نفس الناحية نادي الديوم الشرقية، ونادي العلمين وقليلاً إلى الشمال منه وفي الطرف الجنوبي من مقابر بلاع نجد نادي أبناء الباسا ونادي أبناء تنقاسي ونادي المحس. أيضاً نجد عدداً من الأندية قد احتلت الميدان الواقع إلى الشمال من الكلية المهنية وإلى الغرب من طلمبة بنزين محطة حجازي، فبجانب نادي ناوا نجد نادي أبناء الفَرَحسين الذي كانت بدايته في الناحية الغربية من ديم التعايشة في الستينيات، ونادي المقل والحجير بعد انتقاله من السجانة، ونادي القولد (النخيل) وهو من أقدم الأندية، ونادي الزومة بعد انتقاله من ديم سلك. وأيضاً نجد نادي الصداقة بديم العطا في المربع المواجه للناحية الجنوبية من ميدان الاستقلال وكان هذا النادي مقراً لفرقة الصداقة للغناء الشعبي، ونادي الإخوة بشارع باشدار جوار أجزخانة الصداقة، وفي نفس الناحية نادي المريخ الفرع.

تعتبر الساحة الشعبية من أبرز معالم الديوم الشرقية، وتوجد في ديم تقلي مباشرة إلى الجنوب من ديم التعايشة وتطل ناحيتها الشرقية على شارع كوريا الممتد من الشمال إلى الجنوب. وأُنشئت الساحة الشعبية في أوائل الستينيات في عهد حكومة الفريق عبود، وهي مقر منافسات رابطة الديوم الشرقية لكرة القدم التي تعتبر من أقدم الروابط ومنافساتها من أقوى المنافسات على مستوى العاصمة المثلثة، وقد قدمت للكرة السودانية الكثير من النجوم كما سيأتي تفصيله لاحقاً في فصل الحياة الرياضية في الخرطوم. هنالك أيضاً سينما النيلين التي أُنشئت في أوائل الستينيات في الناحية الشمالية من ديم الزبيرية ومثلت مرفقاً ترفيهياً هاماً لسكان المنطقة.

ظل سوق الديم مع سوق السجانة يمثلان المركزين التجاريين الوحيدين في الديوم الجديدة منذ إنشائهما حتى السبعينيات من القرن الماضي. أُنشِئ سوق الديم في نفس فترة إنشاء الديوم الشرقية في أوائل الخمسينيات، وكانت بداية السوق برواكيب صغيرة لبيع الخضروات والتوابل. اكتملت عمارة السوق في منتصف الخمسينيات، وعرف حينها بسوق المزاد إذ تم توزيع دكاكينه بالمزاد على من لم يمنح دكاناً داخل مربعات الأحياء التي خططت بحيث يضم كل مربع دكانين فقط. يحتل سوق الديم تقريباً وسط الديوم الشرقية مع ميله قليلاً إلى الناحية الجنوبية الشرقية منها، ويقع بالتحديد في الناحية الجنوبية الشرقية من ديم برتي وإلى الغرب من ديم العطا.

يتكون السوق من أربعة صفوف من المحلات التجارية، كل صف يأخذ شكل الزاوية «L"، رتبت هذه الصفوف بشكل هندسي بحيث تتوسطها مساحة مربعة الشكل لها مداخل أربعة واحد في كل من الجهات الرئيسية. ويشغل مبنى الجزارة الناحية الشمالية من المدخل الغربي ومن أشهر الجزارين فيه عوض خليفة وعمر الصديق وعبد اللطيف الزين، بينما يشغل مبنى الخضار الناحية الجنوبية من المدخل. ونجد في ركن الصف الشمالي الغربي للسوق مطعم رمضان وإلى الجنوب منه دكان علي هود لبيع الخردوات والأقمشة، وفي نهاية الصف من الناحية الشرقية نجد الحلاق جرقندي. أما الصف الذي يلي الصف لأول أعلاه من الشرق، فيبدأ من الناحية الغربية بمحل الصاغة أولاد مِسِيك، ويليه مغلق عبد الله خير السيد، ثم استديو معاذ. وفي الركن الشمالي الشرقي قهوة محجوب السيد التي تحولت إلى مطعم حسن عثمان وقهوة بچة، وفي نهاية هذا الصف وإلى الجنوب من قهوة بچة نجد مطعم الحرمين للأخوين علي وأرباب. أما الصف الثالث في الناحية الجنوبية الشرقية للسوق فيحتل ركنه

مطعم أحمد حسين البربري، يليه إلى الغرب قهوة محمود حاج علي (المشهور بمحمود بكاش) وشريكه عبد الرحمن عبدون والتي تحولت في فترة لاحقة إلى الناحية الشمالية من السوق، فالنجار الحضري، ثم محل الصاغة أولاد عكود، وفي منتصف الصف نجد قهوة أدروب وفي نهايته من الناحية الغربية نجد طاحونة أُنشئت حديثاً نسبياً. يأتي بعد ذلك الصف الرابع في الناحية الجنوبية الغربية للسوق ويحتل ناصيته الشرقية دكان مسمار اليماني، ونجد أمامه حضرمي بائع الطعمية في الأمسيات، وفي ركن هذا الصف نجد مطعماً تحول إلى قهوة في فترة لاحقة اشتهرت بقهوة مصطفى ود أب جوكو تحولت هي الأخري إلى الناحية الشرقية من مطعم رمضان، وإلى الشمال من هذه القهوة نجد دكان الحلاق الكحلاوي (عبد الرحمن كحيل)، ثم دكان جون الترزي. بالإضافة إلى هذه القهاوي والمطاعم نجد قهوة شاشا ومطعم الحضري الذي افتتح في مرحلة متأخرة.

بجانب مرافق السوق المذكورة إعلاه يوجد عدد من الدكاكين من بينها دكان جعفر ودكان عمر صالح ودكان ود البلد ودكان ود الإمام ودكان أحمد عبد الله ودكان حسين اليماني ودكان الحسين ودكان حاج دردق ودكان قسم العجلاتي ودكان زكريا العجلاتي.

تجدر الإشارة إلى أنَّ الطابع الغالب لسوق الديم الآن هو تحول غالبية محلاته إلى مغالق لبيع مواد البناء وأماكن لبعض الحرفيين كالحال الذي آلَ إليه سوق السجانة تماماً.

مرافق أخرى

ومن الأماكن الشهيرة خارج سوق الديم نجد في الناحية الجنوبية الشرقية

منه محل الحلاق محمد (قدة قدة)، وفي الناحية الجنوبية الغربية كشك علي فقيري للجرائد وليس بعيداً عنها نرصد مكتبة بانوراما لعبد الرحيم محمد عبد العزيز. ويوجد في الناحية الشمالية الغربية من السوق إلى الشمال من جامع طيفور مكتب بريد الديوم الذي أُنشِئ في منتصف الستينيات. أما في الناحية الشمالية الشرقية من السوق فهنالك ميدان واسع تشغله زريبة الفحم والحطب. ويوجد في الركن الشمالي الشرقي لهذا الميدان نقطة بوليس الديوم. كما توجد طابونة في الناحية الشمالية الغربية من الزريبة كان يمتلكها عند إنشائها عبد الله أب كريك وعُرفت بعد منتصف الستينيات بطابونة ٢١ أكتوبر بعد أن انتقلت ملكيتها إلى أحمد سراج. وبالإضافة إلى هذه الطابونة هنالك عدد من الطوابين منتشرة في المنطقة، فهنالك طابونة عشرة لصاحبها حامد عشرة في الطرف الجنوبي الغربي من ديم القنا وكان يمتلكها أولاد ساتي قبل حامد عشرة، وطابونة بابكر المرضي جوار مدرسة عبدون حماد، وطابونة محمد الحسن قرني في الناحية الجنوبية من ميدان الحرية وجامع طيفور، وطابونة ود الجلال غرب جامع طيفور، وطابونة عبد الجبار التربي في ديم التعايشة، وأخرى في الناحية الشمالية الغربية من مدرسة الراعي الصالح جوار الجمعية التعاونية لديم التعايشة وهي من أوائل الجمعيات التعاونية بالخرطوم.

أما بالنسبة للطواحين، فلم يكن لسكان الديوم الشرقية طيلة فترة الخمسينيات وحتى أوائل الستينيات من القرن الماضي نصيب منها في داخل أحيائهم، وكانوا يحصلون على خدمة الطحين من طاحونتي الزين القباني وأحمد سراج بالسجانة والطاحونة الواقعة في وسط حي عشش فلاتة القديم في الموقع الذي يحتله حي الزهور الآن. وكانت هذه الطواحين تعمل بالجاز وتعرف بطواحين الحجر نسبة لضخامة أحجار الرَّحي. وبمجئ منتصف الستينيات تم إنشاء عدد من طواحين الكهرباء في أحياء الديوم الشرقية منها

طاحونة أولاد الهادي بديم تقلي وثلاث طواحين بديم التعايشة هي طاحونة محمد الصادق التربي وطاحونة حاجة فاطمة بت صالح والثالثة في منزل محمد وداعة جوار دكان العبيد وطاحونة عدلان بسوق الديم وطاحونة عبدون حماد بديم العطا وطاحونة مربع ٨.

انتشرت في الديوم الشرقية الكثير من دكاكين الأحياء خاصة في الجزء الشمالي وقد يعزى هذا لبعده نسبياً من سوق الديم وسوق السجانة، فنجد دكان الغالي ودكان قرني ودكان علي محمد ودكان عبد الله الأزرق ودكان شاشوق ودكان محمد بدين ودكان عوض أوكير ودكان محمد إدريس ودكان العبيد ودكان أبوراس ودكان حسن بشير ودكان كمبال ودكان عبد الواحد ودكان ود مكادي، وفي ناحية ديم القنا نرصد دكان المرضي ودكان أبو القاسم في منزل محمد الحسن مدني وغيرها.

استمرت في الديوم الجديدة ظاهرة بيع النسوة للخضار وأحياناً اللحوم في ظل الضحى أمام منازلهن، ومن أشهرهن في فترة الخمسينيات والستينيات في ديم التعايشة خديجة هلساب وبت قدير وخديجة طمبل. عرفت أحياء الديوم عدداً من الجزارين الذين يذبحون في منازلهم دون ترخيص (كيري) منهم أبشر الجزار وموسى الجزار وآدم بوش قبل أن يفتتح جزارة مرخصة، وكل هؤلاء بديم التعايشة. كما عرفت الديوم نوعاً آخر من الخدمات ألا وهو تأجير الكراسي للمناسبات وأول من قدم هذه الخدمة في الديوم الشرقية هو محمد أحمد عثمان (أبو دقن) تبعه بعد ذلك محمد الحسن الدبل وحجازي البدوي ثم جاء من بعد ذلك جلال ود الأحمر.

رغم اتساع رقعة الديوم الشرقية إلا أنها لم تحظ بشفخانة أو مركز صحي خاص بالمنطقة، وكان المواطنون يتلقون علاجهم بشفخانتي السجانة

والمايقوما اللتين صارتا مركزين صحيين في نهاية الستينيات. وهذا ربما يفسر قيام أول عيادة خاصة بالديوم الشرقية في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي في وقت لم تعرف المدينة فيه الطب الخاص إلا على نطاق ضيق فقد أنشأ الدكتور سمير سيفين عيادة له بجوار منزلي أحمد عبد الحميد السقيدي وأحمد دوكة بديم التعايشة، ثم أنشأ الدكتور عباس المصري عيادة له في أوائل الستينيات في شارع القصر جنوب جوار محطة الغالي.

القليل جداً من مواطني الديوم الجديدة بصفة عامة من كان يمتلك جهازاً للبث الإذاعي في أوائل الخمسينيات، ومن بين هؤلاء القلائل يوسف أحمد عبد اللطيف المشهور بيوسف الحلبي وعبد الله التوم محمد حامد في ديم التعايشة وأحمد محمد أحمد في المزاد. وكان الناس يجتمعون أمام منازل هؤلاء النفر لسماع إذاعة هنا أم درمان التي كانت ساعات بثها محدودة في الصباح وفي المساء حيث تقدم فيها نشرة للأخبار وفواصل غنائية تسمى حينها بحفلات غنائية على الهواء مباشرة لفناني تلكي الفترة أمثال إبراهيم الكاشف وعبد الحميد يوسف وحسن عطية وأحمد المصطفى وعائشة الفلاتية ثم عثمان حسين وإبراهيم عوض.

توجد في الديوم الشرقية طلمبتان للبنزين تطلان على شارع القصر جنوب، الأولى في بداية الديوم عند محطة الغالي والثانية في نهايته عند محطة حجازي.

انتقلت ظاهرة الأنادي من الديوم القديمة إلى الديوم الجديدة، فنجدها قد انتشرت في كل الديوم تقريباً عدا ديم التعايشة كما كان الحال تماماً في الديوم القديمة حيث لا يخلو أحد أحياء الديوم من بيت لبيع الخمور البلدية (وتعرف ببيوت العرقي) إن لم يكن أكثر. بجانب بيوت العرقي هذه نجد حياً منفصلاً للأنادي يقع إلى الغرب من مدرسة الشرطة الحالية وجنوب غرب المساكن

الشعبية الموجودة في طرف الديوم الشرقية من الناحية الجنوبية الغربية. ومن أشهر صاحبات الأنادي مكة وقسمة وحبيبة.

أسر وشخصيات

بالديوم الشرقية الكثير من الأسر والشخصيات المعروفة على مستوى الديوم والبعض على مستوى المدينة ونرصد منهم العمدة عمر كويس وآل العمدة يعقوب أب دربازة وآل أحمد موسى وأحمد الباشاب وآدم عفيفي وحامد القدم وآل دميج وآل قرني عبد الكريم وعوض الأمين الدقاق وآل كوسو وآل شيخ سعيد يعقوب ومحمد الصادق التربي وعبد الحليم خيرالله وآل جبر الدار عبد الله حامد وآل المقدم الصديق أحمد وآل فرج الله وآل عبد الرازق مرجان وأحمد عبد الحميد السقيدي وأحمد دوكة وآل العشا وآل محمد طه وعلي عبد الله الأزرق وآل الغالي وآل حسن درار وآل الحصول وآل خالد بدر وخالد الزمزمي وأبشر يعقوب وشيخ سعيد يونس وآدم بوش والأخوان عبد اللطيف وعبد المحمود وعبد الجبار وطه أبوبكر التربي، والأخوان الهادي ومحمد وعبد المعطي الصادق، ويوسف أحمد عبد اللطيف وآدم الشيخ ومحمد إدريس وآل عبد الرحمن وأحمد عبد الوهاب، وعبد السلام إدريس الدقاق وعبد الكريم الدقاق وعلي بوب والتوم الحسين وآل شاشوق وأحمد أبوضراع وآل سليمان سعد وآل العبيد وآل حسن بشير والشيخ وقيع الله إبراهيم وآل إبراهيم كعيك وآل بركية وآل الحضرمي وحسين التوم الخطاط وسيد أحمد الشايقي وعلي بشير والد رمضان عازف الجيتار وآل كمبال وحسن ود الشايقية ويعقوب القبطي وآل باب الله وآل تمساح وعبد العظيم بلعة وآل إبراهيم وبدر الهادي وأخوانهم، وسليمان كمن وسليمان جوهر وعبد

الرحيم عبد السخي بادي والشيخ محمد أحمد أبو العزائم والد الشيخ سيف الدين، وآل عبد الله أبكريك، وآل عبدون حماد وآل إسماعيل إبراهيم وتاج السر محمد صديق وعلي جني ومحمد حسن الدبل وشيخ جعفر محمد عثمان إمام وخطيب جامع طيفور وجرقندي الحلاق والخليفة سبت بلال وإبراهيم حق الناس وحاج دلايلو وعبد القادر عوض الملقب بشيخ السوق وعثمان هود الترزي بسوق الديم وآل جعفر عطا المنان وحامد عشرة وأولاد مسيك وأولاد عكود وأولاد مطيرة ومحمد أحمد التوم (تلاتين) وآل الدكتور علي سليمان فضل الله وآل السفير خضر هارون.

ومن رواد التعليم بالديوم الشرقية عبدون حماد وحسن محمد نور ومحمد توم وهاشم عبدون والنور خضر النور وعز الدين آدم ومعتصم محمد الصادق وصلاح إسماعيل وعبد العزيز محي الدين وعبد العظيم عثمان وفاطمة عبد الرحيم ونعمات عبدون ومحاسن محمد أحمد سليمان وسميرة إسماعيل وعائشة أحمد حماد ونفيسة حسن إبراهيم.

ومن ضباط القوات النظامية نرصد اللواء (م) الفاضل عبدون والفريق (م) كمال علي صالح والفريق (م) أحمد عبدون والعقيد ركن (م) عبد السخي عبد الجبار حسن واللواء (م) عباس إبراهيم شاشوق واللواء (م) داؤود بابكر هارون والفريق أحمد عمر واللواء محجوب البشير واللواء مصطفى حسب الرسول واللواء شرطة (م) علي عبد الله علي واللواء شرطة (م) جمال عكاشة واللواء شرطة أبو بكر سليمان. كما سكن الديوم الشرقية من السياسيين العضو الأسبق للجنة المركزية للحزب الشيوعي عبد القيوم محمد سعد حدربي ومصطفى محمد صالح والنائب الأول السابق علي عثمان محمد طه والدكتور كمال عبيد وصديق حسن إبراهيم والسر جعفر. ومن الأدباء عبد الله الشيخ

البشير وحدربي محمد سعد والسر حسن فضل ومحمد علي بلال. ومن رجال الدين نرصد شيخ سيف الدين محمد أحمد أبو العزائم والخليفة عبد الله بلال (المشهور بسبت بلال) وشيخ جعفر محمد عثمان إمام مسجد طيفور.

ونرصد من مشاهير لاعبي كرة القدم يونس سعيد أب ضرس وسعد أحمد الفن وعوض الصافي وعنتر عطا المنان وعبد الباقي عبد الله وأحمد سالم وأحمد رنقه ومصطفى ود الكاندو وفيصل ود الككو ومزمل دفع الله وحربي إدريس ودوكه أخوان ويحي شمة وصلاح سكرت وشرف أحمد موسى وكمال علي صالح وعز الدين حسن ود الشايقية وأحمد شمس الدين ومحمد أحمد دياب (كتم) وأحمد خمارة.

وفي ختام هذا الرصد لا بد من ذكر ظرفاء أحياء الديوم الشرقية أمثال محمود محمد مدني ولاعب كرة القدم عوض الصافي وبائع التسالي العم باب الله وعوض كيتا، كذلك هناك بعض الشخصيات التي كانت تهيم في عوالم غير عالمنا الذي نعيش فيه منهم بشير وبلة وقعر بابور وكجامة وحليمة ولكل منهم قصة يتداولها الناس.

الديوم الغربية

تتكون الديوم الغربية من ثلاثة ديوم من الديوم القديمة هي ديم سلمان وهو أكبر الديوم القديمة والجديدة مساحة وديم القشاشة وديم سلك، وبالتالي ترجع أصول سكان هذه الديوم إلى نفس أصول سكان الديوم المُرَحَلة بالإضافة إلى بعض النازحين من قبائل شتى إلى الخرطوم مؤخراً واستقروا في هذه الديوم. تبدأ الديوم الغربية من المربع المواجه للجهة الجنوبية لميدان الليق، وتمتد جنوباً إلى مشارف الشارع المتجه نحو الشجرة ويمر إلى الشمال من

وزارة الثروة الحيوانية ومدبغة الخرطوم[٦٨]. ويحد الديوم الغربية من الغرب أولاً حلة القوز التي يفصلها عن القطاع الجنوبي لهذه الديوم الشارع الممتد من الشمال إلى الجنوب ويمر بالطرف الغربي للحلة الجديدة، وثانياً الحلة الجديدة التي يفصلها عن القطاع الشمالي للديوم الغربية شارع الحلة الجديدة. أما من ناحية الشرق فحدودها عند شارع الحرية الذي يفصلها عن السجانة والمايقوما والديوم الشرقية بالتتالي من الشمال إلى الجنوب.

يمتد ديم سلمان على طول الناحية الشرقية من الديوم الغربية المواجهة لشارع الحرية. أما من ناحية الغرب فينتهي الجزء الشمالي منه عند شارع الحلة الجديدة، ثم ينحسر شرقاً عند الشارع القادم من الطرف الجنوبي لسوق السجانة لينتهي عند الشارع الممتد من الشمال إلى الجنوب ويمر بالأطراف الشرقية لمركز صحي القوز ومدرسة القوز الأولية للبنين إلى أن يتقاطع مع الشارع المؤدي إلى الشجرة. أما الناحية الغربية من الديوم الغربية، فيشغل ديم القشاشة الجزء الشمالي منها بينما يشغل ديم سلك الجزء الجنوبي ويفصلهما الشارع الممتد من الشرق إلى الغرب والذي يمر إلى الشمال من مدرسة القوز الأولية للبنين. ويضم الجزء الأوسط من ديم سلمان إلى الجنوب من محطة الماسورة الواقعة على شارع الحرية مربع يحتوي على عدد محدود من المنازل الشعبية (بيوت الحجر)، غالبية سكان هذا المربع من عمال وزارة الصحة، ويشابه في بنائه وملابساته حي المنازل الشعبية في الناحية الشمالية الشرقية من الديوم الشرقية التي سيأتي ذكرها لاحقاً. يعرف الجزء الشمالي من ديم سلمان بديم أزرق، بينما يعرف الجزء الواقع إلى الشرق من مركز صحي القوز بحي الإسطبلات وذلك لأن ساكنيه جاءوا من حي الإسطبلات القديم الذي كان يشغل موقع المنطقة الصناعية جنوب السكة حديد وغرب شارع الحرية. ويعرف الجزء

---

٦٨ خريطة (٨)

الشمالي من ديم القشاشة بحي الكنوز وهو امتداد لحيِّهم الواقع جنوب الحلة الجديدة، وسكان هذا الحي كانوا من سكان ديم القشاشة في الديوم القديمة. كما يعرف الجزء الواقع في الطرف الجنوبي من ديم سلك المواجه لمنازل موظفي المدبغة الحكومية بتمر أبونا.

من أبرز معالم الديوم الغربية في فترة الخمسينيات والستينيات زرائب الفحم والحطب والقش والقصب الواقعة في الناحية الغربية من الميدان المواجه لسوق



خريطة (7) الديوم الشرقية

السجانة إلى الغرب من شارع الحرية. حيث نجد زريبة الفحم في الناحية الشمالية الغربية من الميدان، وزريبة مواد البناء البلدي من عروق وشرقاني وحمرة في الناحية الجنوبية الغربية من الميدان، بينما تحتل زريبة حطب الحريق

المنطقة الوسطى بين الفحامة ومواد البناء. كما يحتل باعة القش والقصب الناحية الشرقية من زريبة مواد البناء. ويوجد إلى الشرق من الحطابة ومواد البناء مَعْلَمَان بارزان في منطقة الديوم الغربية، الأول هو نادي ديم سلمان الرياضي وهو أول أندية الخرطوم الرياضية الذي امتلك داراً غير مستأجرة. أما المعلم الثاني فهو نادي الصبيان الذي يجاور نادي ديم سلمان من الشرق، وكان للناديين سوران من الجالوص تهدما في أحد مواسم الأمطار في نهاية الستينيات ثم تلاشى المبنيان. تمَّ بعد ذلك إعادة بناء نادي ديم سلمان. أما الزرائب فقد أزيلت بعد منتصف السبعينيات في عهد حكم جعفر نميري، وشُيِّد نادي البرنس الرياضي إلى الغرب من نادي ديم سلمان، كما شُيِّد نادي أبناء ارتقاشة القبلي في نفس مكان نادي الصبيان. كما كانت توجد ساحة إلى الشرق من نادي الصبيان تمتد شرقاً إلى شارع الحرية وشمالاً إلى الشارع المؤدي إلى جامع حاج ميرغني. ويشغل هذه الساحة سوق البهائم، وقليلاً ما تكون خالية من الأغنام المعروضة للبيع، ويزداد سوقها ازدحاماً وعماراً في موسم عيد الأضحى. وقد شُيِّد في الناحية الجنوبية من هذه الساحة مسجد ومجمع إبراهيم مالك الإسلامي.

بجانب هذه التجمعات التجارية ضمت الديوم الغربية العديد من الأنشطة التجارية الفردية المتمثلة غالباً في تجارة القطاعي، فمن الدكاكين العريقة نجد دكان حاج ميرغني (ونرصد أمامه علي منجي الذي اشتهر ببيع أب دمام (الطوحال) ودكان ود الحسين ودكان عبد الواحد ودكان قائد اليمني ودكان عبد اللطيف. كما نجد طابونة في الناحية الشمالية الغربية من زريبة الفحم، وطاحونة علي كمير في مواجهة دكان ود الحسين. وتضم الديوم الغربية طلمبة بنزين في أقصى جنوبها الشرقي عند لفة الشجرة. كما يوجد في هذه الناحية كشك محجوب حسين المشهور بأبي حمامة لبيع عصير الليمون.

لا يوجد في الديوم الغربية عدد كبير من المدارس بعكس ما هو عليه الحال في الديوم الشرقية، ويعزى ذلك أولاً لصغر مساحتها مقارنة بالأخيرة وبالتالي نجد كثافة سكانها أقل، هذا بجانب وجود عدد من المدارس في الحلة الجديدة وتغطي خدماتها التعليمية كل القطاع الشمالي من الديوم الغربية. أما بالنسبة لقطاعها الجنوبي فهناك مدرسة القوز الأولية المعروفة حالياً بمدرسة هاشم عبدون في النهاية الجنوبية لشارع الحلة الجديدة ورغم تسميتها بمدرسة القوز إلا أنَّها جغرافياً تقع في الديوم الغربية، كما توجد مدرسة محمد سعيد العباسي الابتدائية الأهلية للبنين في الناحية الجنوبية الشرقية في ديم سلمان. ومن معالم القطاع الجنوبي للديوم الغربية مركز صحي القوز ويقع في ديم القشاشة إلى الشمال من مدرسة هاشم عبدون، وقد أُنشئ في نهاية الستينيات.

يوجد في الناحية الشمالية الغربية من الديوم الغربية جامع حاج ميرغني الذي شُيد في أوائل الخمسينيات (١٩٥٢م)، ويعرف بجامع الحلة الجديدة لإطلاله على شارع الحلة الجديدة. كما يوجد في أقصى جنوب الديوم الغربية بالقرب من منازل موظفي المدبغة الحكومية جامع آخر في الفضاء الواقع بين ديم سلمان وديم سلك. وفي تلك الناحية يوجد أيضاً نادي أبناء كَلِي الذي أُنشئ في منتصف الستينيات. وبجوار نادي أبناء كَلِي قام نادي الزُومة وانتقل في نهاية الستينيات إلى الديوم الشرقية شمال الكلية المهنية (جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا).

نذكر من الشخصيات والأُسر التي لها حضور في الديوم الغربية حسن آدم أفندي، وياسين كابو، ومصطفى عبد الله أحد ثوار ١٩٢٤م، والمقاول عبد الله ريحان، والحاج ميرغني محجوب، وحسن التوم أول قائد لسلاح موسيقى قوة دفاع السودان، واللواء محجوب عبد الله عبد السيد كبير الياوران في عهد مايو، واللواء طيار عوض محمد عوض، واللواء محمد عثمان حاج ميرغني،

وعباس الرمالي، ومحمد عوض منصور، وسوميت عبد القادر، وأحمد لول، ومحمد أحمد كربوس، وحسن ظعرف، وعبد الخير خير واجد، وقسم الله أبودقون، وشيخ تية، وعبد الله صالح، ومحجوب دكس، وعبد الرحيم بن عوف، وآل محمد عشري، وآل قناوي أصحاب محلات الفراش الحائر لتصليح ماكينات سنجر وللحياكة بالسجانة، وآل طاشين الذين انتقلوا في نهاية الستينيات إلى ديم التعايشة بالديوم الشرقية، وآل الكي، وآل مرسال، والفنان رمضان حسن، والمنلوجست أحمد سليم ضربها، ولاعبو النيل محمد عبد الرازق السِمِع وحسن ياسين أبو اسكندر والأخوين النور وبرعي سليم وونان وعمر محجوب، ولاعب الأهلي سنكيت ولاعب ديم سلمان محمد عثمان حسن آدم (دقلولة)، ولاعبي الهلال أبو زيد فرح وشريف سليمان، والملاكمَين محمد جمعة وعلي مرجان، ولاعب كمال الأجسام محمد أوشي، والله جابو خميس، وعبد اللطيف حسن، والزين جبريل.

الخرطوم نمرة (١) والخرطوم نمرة (٢)

تمَّ عمران ما يعرف مجملاً بالخرطوم نمرة (٢) على مرحلتين، بدأت المرحلة الأولى – مرحلة عمران الخرطوم نمرة ١ – في عام ١٩٤٨م وشملت المنطقة الواقعة شمال شارع ٣٩ التي كانت فضاءً يفصل بين الديوم القديمة وبين إشلاق عباس، تلتها بعد ذلك المرحلة الثانية – مرحلة عمران الخرطوم نمرة (٢)– بعد اكتمال إزالة الديوم القديمة في ١٩٥٠م. غطت المرحلة الأخيرة تقريباً كل المنطقة التي كانت تشغلها الديوم القديمة. وعليه فإن الجزء الواقع إلى شمال شارع ٣٩ وإلى الشرق من امتداد شارع الملك نمر هو حي الخرطوم نمرة (١)، بينما الجزء الواقع جنوب شارع ٣٩ هو حي الخرطوم نمرة (٢). تم تخطيط هذه المنطقة السكنية وبيعها في عهد مستر دبرسون، مفتش مركز

مدينة الخرطوم، في منتصف العقد الخامس من القرن الماضي (حوالي عام ١٩٤٥م). وزعت بعض القطع إلى كبار موظفي الدولة وبيع البعض الأخر بالمزاد العلني للمقتدرين من أعيان الخرطوم. إذ بيعت قطع حي الخرطوم نمرة (١) بواقع عشرة جنيهات للقطعة بمساحة (١٢٠٠) متر مربع، بينما بيعت قطع حي الخرطوم نمرة (٢) بواقع خمسة جنيهات للقطعة بمساحة (٦٠٠) متر مربع. وبما أن كل المنطقة اشتهرت باسم الخرطوم نمرة (٢)، فسنستخدم ذات الاسم ليدل على كل هذه المنطقة في بقية هذا الجزء من الكتاب.

تقع الخرطوم نمرة (٢) إلى الجنوب من السكة حديد وإلى الشرق من منازل منتسبي السكة حديد والخرطوم نمرة (٣) إذ يفصلها عنهم شارع مجمع شروني الإسلامي الممتد من الشمال إلى الجنوب والمسمى الآن بشارع بابكر بدري وقد اشتهر بشارع كاترينا[٦٩]، وتمتد الناحية الجنوبية الغربية من الخرطوم نمرة (٢) إلى النهاية الجنوبية من مقابر فاروق تقريباً، إذ تنتهي عند مربع المزاد المحاذي للحائط الجنوبي للمقابر والمطل على امتداد شارع ١٥ بالعمارات، بينما يفصلها من الغرب في هذه الناحية شارع القصر جنوب عن تعويضات المقرن، وتعرف هذه المنطقة الجنوبية من الحي «بالخرطوم جنوب». وتنحسر بعد ذلك الحدود الجنوبية للخرطوم ٢ إلى الشمال لتنتهي عند الحافة الشمالية لمقابر فاروق وشارع ١ الذي يفصلها عن حي العمارات الممتد جنوبها. أما من الناحية الشرقية و الشمالية الشرقية فيحدها شارع أفريقيا الذي يفصلها عن المطار وحي المطار[٧٠].

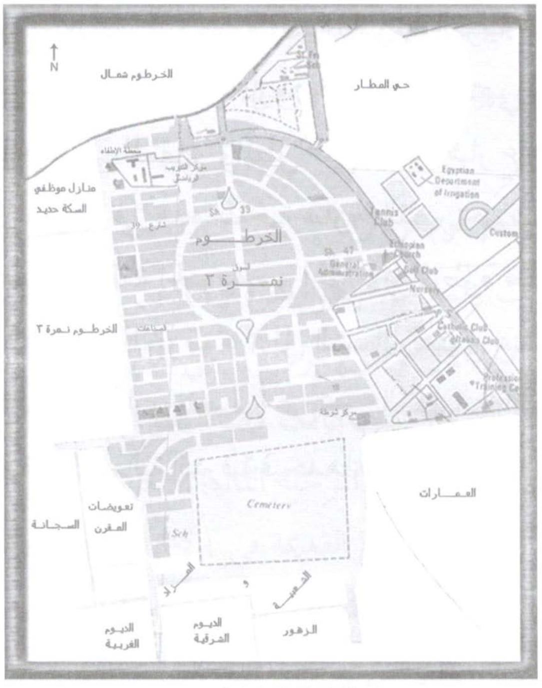
تَمَيَزَ مخطط الخرطوم نمرة (٢) بمربعاته السكنية ذات الأشكال الهندسية المتعددة

---

٦٩ كاترينا اسم لسيدة إغريقية كانت تقيم في الجانب الشرقي من الشارع إلى الجنوب من تقاطع شارع ٤٧ (شارع الخور)، وكانت تبيع أمام منزلها الحلوى للأطفال، ويقيم أحد أحفادها ألآن بحي الزهور.

٧٠ خريطة (٩).

وكثرت فيه الشوارع المنحنية والدائرية بجانب الشوارع الرأسية والأفقية، وغالبية هذه الشوارع مرصوفة ومضاءة. يمتاز مخطط هذا الحي أيضاً، الذي كان يعتبر أرقى أحياء الخرطوم منذ إنشائه حتى منتصف الستينيات حين اكتمل حي العمارات وأصبح هو الأرقى في المدينة، بفسحاته وميادينه العديدة التي استغل بعضاً منها في تشييد بعض المرافق العامة. ومن هذه الميادين ثلاثة ميادين رئيسية مثلثة الشكل موزعة على طول امتداد شارع الملك نمر، وتمثل هذه الميادين صواني (دوارات) للحركة في تقاطعات الشوارع التي تقع عليها. وهذه الميادين مغطاة بالنجيل الأخضر (مُنَجَلة) وذات أشجار من النيم وارفة الظلال وكانت تحف أطرافها أحواض للزهور الدائمة والموسمية يرعاها بعض الجنايينية التابعين لبلدية الخرطوم.



خريطة (9) الخرطوم نمرة 2

وعُرفت هذه الميادين، الواقعة جميعها على شارع الملك نمر، للكثير من أهل

الخرطوم جنوب خاصة أهالي الديوم بالنجايل. فالنجيلة الأولى من الجنوب تقع عند تقاطع امتداد شارع الملك نمر مع شارع حديقة القرشي الممتد من الشرق إلى الغرب، ويشغلها الآن مقهى الأوزون الذي يؤمه دبلوماسيو الدول الأجنبية وموظفو الأمم المتحدة والمنظمات الدولية. وتقع النجيلة الثانية عند تقاطع شارع الملك نمر أيضاً مع شارع الصناعات. أما النجيلة الثالثة المعروفة الآن بحديقة إشراقة فتقع عند تقاطع ذات الشارع مع شارع ٣٩. وكانت النجيلتان الثانية والثالثة معدتان ببعض المراجيح وألعاب الأطفال مما جعلهما قبلة لأطفال الحي والأحياء المجاورة خاصة في العصاري والأمسيات. ومثلت النجيلة الثانية إحدى محطات المشاهدة التي أقامتها حكومة عبود في بداية الستينيات عندما أُدخل البث التلفزيوني لأول مرة في السودان، فكان الرجال والنساء والأطفال يأتون في الأمسيات من الأحياء الشعبية المجاورة لمشاهدة الشاشة البلورية في هذا الميدان. ويلاحظ المطالع لمخطط الخرطوم نمرة (٢) وجود شارع دائري يحيط بوسط الحي ويبدأ قطره من النجيلة الثانية وينتهي عند الثالثة ومركزه سوق الخرطوم نمرة (٢) عند تقاطع امتداد شارع الملك نمر مع شارع الخور.

بنيت معظم منازل الحي على شكل فلل من طابق واحد والقليل منها من طابقين وفق أحدث ما توصل إليه المعمار في تلك الفترة. لم تخلُ فيلا من حديقة غناء يتوسطها بساط سندسي من النجيل الأخضر وعلى أطرافها أحواض ومزهريات لشجيرات الفل والورد والياسمين وغيرها من الشجيرات المزهرة. يتميز الحي بشكل عام بتوازن بين المساحات المبنية والمساحات المزروعة وفي كثير من الأحيان تزيد المساحات المزروعة على المبنية، لذا نجد أن الخضرة هي الغالبة في هذا الحي الراقي. تفتقد أحياء الخرطوم جنوب الأخرى لهذه الظاهرة لضيق مساحات منازلها ومحدودية دخل أصحابها. وظاهرة حضارية أخرى تميز بها

حي الخرطوم نمرة (٢) وهي تغطيتها بشبكة مجاري للصرف الصحي شأنها في ذلك شأن الكثير من أجزاء الخرطوم شمال، فكانت بذلك أول منطقة في الخرطوم جنوب فيها شبكة مجاري.

عُرِفَت الخرطوم نمرة (٢) باحتضانها منذ استقلال السودان وحتى نهاية الستينيات تقريباً معظم السفارات ومنازل السفراء عدا السفارات المصرية والبريطانية والأمريكية التي كانت قائمة في الخرطوم شمال، لذا كان الحي يعرف أحيانا بحي السفارات. ففي الناحية الشمالية الشرقية من الحي كانت هنالك السفارة السوفيتية واليابانية، وفي المنطقة الواقعة إلى الشمال من مقابر فاروق حتى النجيلة الثانية كانت تنتشر العديد من السفارات منها الصينية في المبنى الذي أصبح فندق الزهراء فيما بعد، والتشيكوسلوفاكية واليوغسلافية والبلغارية والنيجيرية والغانية والكينية والسورية والأردنية والعراقية واللبنانية وغيرها من السفارات بجانب سكن سفراء وموظفي هذه السفارات من الأجانب. لذا نجد من بين سكان هذا الحي بجانب كبار رجالات الدولة وموظفيها وأعيانها، الكثير من الأجانب العاملين في السفارات وفي الشركات.

من أهم معالم الخرطوم نمرة (٢) سوقها الكائن في وسطها تقريباً عند تقاطع شارع الخور مع امتداد شارع الملك نمر. يتكون هذا السوق من عدد محدود من المحال التجارية، من أهمها في فترة الخمسينيات والستينيات مقهى السليماني في الناحية الشمالية الشرقية من السوق. يماثل هذا المقهى مقهى أتينيه في الخرطوم شمال في تلك الفترة، وكان يَؤُمَّهُ بصفة دائمة عدد من كبار الموظفين منهم منعم علي حسن (مدرس بالمعهد الفني) ومدثر محمود (موظف بالري) ومحجوب عمر باشري (مدرس بالتربية والتعليم) وغيرهم. أما في الناحية الشمالية الغربية من السوق والمواجهة لمقهى السليماني فيوجد إلى يومنا هذا مخبز اشتهر بشتى أصناف الخبز الأفرنجي. ونجد أمام المخبز كشك

السر الطيب للجرائد والمجلات، وكان هذا الكشك يوفر بجانب الصحف اليومية السودانية بعضاً من الصحف والمجلات العربية كالأهرام وأخبار اليوم وصباح الخير وروز اليوسف والعربي وطبيبك، ومجلات الأطفال مثل الصبيان (الشباب والتربية) وميكي ماوس وسمير، والغربية مثل الصندي والتايمز والديلي تلغراف والفاينانشيال تايمز والريدر دايجست. كان هنالك رابط يربط بين كشك الجرائد وبين المخبز وهو الزبون إذ كل من يقصد الكشك يدلف إلى المخبز والعكس صحيح. تقع إلى الغرب من المخبز بقالة الإغريقي جورج سيتاسي المشهورة بالمنتوجات الغذائية المستوردة من معلبات وأجبان، وامتلك هذه البقالة في الستينيات أحد أفراد الجالية اليمنية وسماها بقالة الأماني. أما في الناحية الجنوبية الغربية من السوق، أي في الموقع الذي يشغله الآن سيوبر ماركت فاروق وعمارته، فكان يوجد بار إسكرابيه في مواجهة بقالة سيتاسي، وإلى الغرب من البار نجد محل عبده دياب للمنتوجات الجلدية والأناتيك، وتوجد في هذه الناحية أيضاً صيدلية. ومن المحلات التي اشتهرت في سوق الخرطوم ٢ جزارة أحمد البشير وموقعها في الجهة الجنوبية الشرقية من السوق، وفي هذه الجهة من السوق أيضاً كانت توجد مكاتب الدار الأفريقية للطباعة والنشر وجريدة الصحافة حينما بدأت في أوائل الستينيات. وهنالك أيضاً في الطرف الشرقي للسوق وفي نهاية مربع مقهى السليماني نجد طلمبة (محطة) بنزين. بجانب كلما سبق وصفه، فقد ضم سوق الخرطوم ٢ عدد من المحال التجارية والبقالات كان يمتلكها في الغالب أجانب. شهدت الخرطوم ٢ أول جزارة حديثة تُفتَح خارج الأسواق وكانت تقع جنوب حديقة القرشي في بداية شارع القصر جنوب.



كافوري لتوزيع الحليب على منازل أحياء الخرطوم الراقية في الستينيات

شغلت العديد من المرافق العامة مباني إشلاق توفيق الواقعة إلى الشمال الغربي من حي الخرطوم نمرة (٢)، إذ نجد مصلحة الغابات في الجزء الغربي من المباني وإدارة المطافي في الجزء الأوسط بينما مجمع الشباب والرياضة في الجزء الشرقي منه. وكانت تقام في مجمع الشباب والرياضة هذا كل منافسات كرة السلة والطائرة والملاكمة، لذا كانت هذه الناحية وِجْهَة للكثير من شباب المدينة في الأمسيات خلال فترة الستينيات والسبعينيات. ومن معالم تلك الناحية من الحي جامع ومجمع شروني الإسلامي للقرآن الكريم وعلومه الذي أُنشئَ في أوائل الستينيات. وضمت تلك الناحية أيضاً النادي اليوناني والذي يقع إلى الشرق من كبري المسلمية ويطل على امتداد شارع الملك نمر.

يضم حي الخرطوم نمرة (٢) العديد من المدارس فهناك مدرسة عبد المنعم (١) الأولية للبنين وتَمت الإشارة إليها في أكثر من مكان في هذا الكتاب. وهنالك مدرسة الاتحاد الأولية للبنين وتعرف بمدرسة الخرطوم ٢ ومدرسة محمد أحمد المرضي الأولية للبنات الواقعتان إلى الشرق من حديقة القرشي. ونجد أيضاً مدرسة الخرطوم جنوب الأميرية الابتدائية للبنين غرب مقابر فاروق، ومدرسة

النيلين الثانوية التجارية شمال شرق المقابر. كما أنشئت في نهاية الستينيات مدرسة النعيم الابتدائية للبنات بجوار مدرسة الخرطوم جنوب الأميرية ثم انتقلت إلى شمال مقابر فاروق.

ورثت الخرطوم نمرة (٢) من الديوم القديمة جامع حاج كامل الأحمدي الذي يطل على النادي السوري. كما شيد الفكي السنوسي في الستينيات جامعاً بجوار منزله إلى الشرق من مدرسة محمد أحمد المرضي الأولية للبنات، ويعرف الآن بجامع السنوسي. وهنالك أيضاً جامع شروني في الركن الشمالي الغربي من الحي وينسب أيضاً إلى من شيده الحاج عبد العزيز شروني الذي توفي في نهاية الستينيات وقبر بجوار مسجده حسب وصيته وقد أحدث ذلك جدلاً بين بعض رجال الدين في ذلك الوقت. وتوجد في حي الخرطوم نمرة (٢) كنيستان هما الكنيسة الأثيوبية في أقصى الطرف الشرقي من شارع الخور وأخرى صغيرة في الناحية الشمالية الشرقية من الحي.

عرفت الخرطوم نمرة (٢) العيادات الخاصة منذ منتصف الخمسينيات إذ أنشأ في تلك الفترة الدكتور أديب عبد الله اختصاصي أمراض النساء والولادة عيادته في الناحية الشمالية من سوق الخرطوم نمرة (٢) واستمرت في نفس موضعها إلى أن أُزيل المبنى بعد موت صاحبها. أقام في فترة لاحقة الدكتور محمود محمد حسن اختصاصي الأطفال عيادة له إلى الشمال قليلاً من عيادة الدكتور أديب. كما فتح الدكتور لؤي العتباني عيادته في الستينيات في الناحية الغربية من الحي إلى الشمال قليلاً من حديقة القرشي. وأُنشئ في تلك الفترة أيضاً مستوصف الباقر للعيون إلى الشرق من مدرسة عبد المنعم (١) الأولية للبنين وتطل على القطاع الغربي للشارع الدائري. شهدت المنطقة أيضاً في فترة الديمقراطية الثانية قيام مركز صحي الخرطوم نمرة (٢) في شارع الصناعات إلى الشرق قليلاً من محطة البيلي. كما عرفت الخرطوم نمرة (٢) في أوائل الستينيات أول

عيادة بيطرية خاصة على مستوى المدينة، أنشأها الدكتور فيصل عبد القادر حسن إلى الشرق من محطة كاترينا في شارع الخور.[71]

اشتهرت الناحية الجنوبية الشرقية من الخرطوم نمرة (٢) باحتوائها على العديد من الأندية خاصة أندية الجاليات، حيث نجد النادي الأرمني والنادي الكاثوليكي والنادي الإيطالي والنادي الألماني والنادي السوري بعد انتقاله من الخرطوم شمال. ونجد نادي الخرطوم الذي بدأ نشاطه في موقعه الأول بشارع ٣٩ عند النجيلة الثالثة، كما نجد دار البياطرة. كانت هذه الأندية والدور تضيف لليالي الخرطوم في أعياد الميلاد وأعياد رأس السنة كثيراً من الطرب الصاخب باستضافتها لفرق الموسيقى الغربية لإقامة الحفلات الساهرة التي تمتد لأيام وأسابيع تصدح فيها الموسيقى يومياً من أول ساعات الليل إلى ساعات متأخرة منه. يُسمع أداء هذه الفرق في جميع الأحياء الشرقية من المدينة خاصة بعد أن تنقطع الحركة وتهدأ الحياة في شوارعها. نجد في هذه الناحية مركز التدريب المهني الذي أنشأته حكومة ألمانيا الشرقية في بداية الستينيات في عهد حكومة الفريق إبراهيم عبود، وكان يعرف بمركز التدريب الألماني. ونجد في تلك الجهة أيضاً عدداً من الاتحادات والأندية الرياضية. بالإضافة لهذه الأندية هنالك أيضاً اثنان من الأندية المهنية في حي الخرطوم ٢ في فترة الستينيات ولكن يقعان خارج منطقة الأندية موضع الذكر، الأول هو نادي الخطوط الجوية السودانية وكان يطل على النجيلة الثالثة من ناحية الغرب، والثاني هو نادي الصيادلة الواقع عند تقاطع شارع الصناعات مع القطاع الغربي للشارع الدائري.

من معالم الخرطوم نمرة (٢) منذ الخمسينيات فندق دُولِي المطل على الناحية الشرقية من النجيلة الأولى، وجاء في النصف الثاني من الستينات فندق الزهراء

٧١ تم في فترة متأخرة تشييد مستشفى جابر أبو العز لمرض السكر في الناحية الجنوبية من الحي.

الواقع إلى الغرب من النجيلة الأولى في شارع حديقة القرشي المتجه نحو القسم الجنوبي ومطعم البستان في الناحية الشمالية من الحي ليضيفا معلمين آخرين للمنطقة.

كما سبق ذكره فإن معظم سكان الخرطوم نمرة (٢) كانوا من كبار موظفي الدولة في الخمسينيات والستينيات، فنجد جنوب مطعم البستان منازل كلٍ من محمد أحمد محجوب رئيس الوزراء الأسبق، والدكتور عبد الحليم محمد عبد الحليم أخصائي الباطنية، وحامد شداد مدير الأشغال، ومحمد حمدالنيل أول من سودن وظيفة مدير الأشغال، ومأمون المرضي. وفي الجزء الغربي من شارع ٣٩ يسكن رجل الأعمال أبو العلا عبد الكريم، والشاعر أحمد حسين العمرابي، ومحمد حسن عبد الله وكيل وزارة التربية والتعليم، وعلي حسن عبد الله وكيل وزارة الحكومات المحلية، وإبراهيم حسن إسحاق، والدكتور أحمد عبد العزيز أخصائي جراحة القلب. وإلى الشمال قليلاً من هؤلاء نجد عابدين إسماعيل المحامي، وإبراهيم المشلي، والمهندس صغيرون الزين صغيرون. ونرصد في الناحية الشرقية من شارع كاترينا عبد الله العبيد وقيع الله، وعبد العزيز سيد جكسم، وطبيب الأسنان ولاعب المريخ الشهير أحمد عبد المجيد إدريس (التقر) وشقيقيه النور أخصائي الباطنية وزكريا أخصائي البصريات. ونجد إلى الشرق من مدرسة عبد المنعم (١) الأولية للبنين دكتور عزالدين علي عامر، والسني عباس أبو الريش من أوائل نظار مدرستي خورطقت ووادي سيدنا الثانويتين. وإلى الشمال من سوق الخرطوم ٢ تقيم أسرة الإعلاميتان خديجة وعفاف صفوت، ومحمد العربي من التربية والتعليم، ومصطفى خليل من الحكومات المحلية. أما إلى الجنوب من السوق فنجد رجل الأعمال ابن عوف سليمان، والدكتور الصيدلي نصري مرقس، وميخائيل بخيت من الحكومات المحلية. ويقيم عند تقاطع شارع السوق مع شارع الصناعات

المهندس إبراهيم أحمد والد كمال وصلاح وسعاد، ورجل الأعمال حامد الأنصاري، وإلى الشرق منهم في نهاية شارع الصناعات نجد مأمون بحيري وزير المالية الأسبق، وإبراهيم المفتي قطب حزب الاتحادي الديمقراطي، والسيد محمد عثمان الميرغني. وعند تقاطع شارع الصناعات مع القطاع الغربي من الشارع الدائري نجد الدكتور محي الدين مهدي أخصائي باطنية، وإلى الشمال منه نجد آل تميم الدار علي، ومنعم علي حسن من المعهد الفني. ونجد في شارع الصناعات إلى الشرق من النجيلة الثانية صادق حسن عبد الله من الري، والمقاول جابر أبوالعز، وإلى الجنوب منهم الدكتور محمد حمد ساتي مدير معمل إستاك، والسياسي الجنوبي بوث ديو، والداعية حسن طنون، والفكي السنوسي. وإلى الغرب من هؤلاء نجد رجل الأعمال ميرغني عثمان حسين، وآل شبر. أما في الناحية الشرقية من النجيلة الثانية فنجد آل مشعال، ومحمد عباس أبوالريش صاحب مطبعة النيلين، والقبطي هلال لوقا، وجنوب هؤلاء نجد آل القاضي. كما يسكن في الحي عازف آلة الساكسفون أحمد إسماعيل أبتر المشهور بكوستا.

حي المطار

يقع حي المطار شمال غرب مطار الخرطوم ولذلك نسب إليه، وشمال شرق الخرطوم نمرة (٢) ويفصلهما شارع إفريقيا، بينما يفصل شارع الطابية الحي من الخرطوم شمال. كل منازل الحي هي منازل حكومية خصصت لكبار ضباط الجيش (القوات المسلحة) وكبار موظفي الدولة، هنالك أيضاً بعض المنازل خصصت لأساتذة كلية الخرطوم الجامعية ومن بعد لأساتذة جامعة الخرطوم. يضم الطرف الشمالي من الحي قيادة الجيش التي أصبحت في الستينيات القيادة العامة للقوات المسلحة، وكان يضم أيضاً القسم الشرقي للبوليس حتى أوائل السبعينيات حيث نقل إلى أركويت شمال. أيضاً من معالم الحي مدرسة

سان فرانسيس ومدرسة فيلا جيلدا الواقعتين في الناحية الشمالية الغربية من الحي، وفي نفس الناحية توجد مقبرة المسيحيين. يتميز الحي بالتشجير وبوجود ميادين خضراء في وسطه، كما توجد العديد من ملاعب التنس الخضراء في الناحية الجنوبية منه.

المزاد وتعويضات المقرن والشعبية والزهور فتحت

بالإضافة إلى مواصلة العمران في أحياء الديوم الجديدة وقيام حي الخرطوم نمرة (٢) في النصف الأول من الخمسينيات فقد شهدت أيضاً فترة الخمسينيات إنشاء أحياء المزاد وتعويضات المقرن والشعبية والزهور فتحت.

المزاد

يمتد المزاد بين شارعي القصر جنوب من جهة الغرب وشارع محمد نجيب من جهة الشرق، ويقع الجزء الغربي منه على طرفي امتداد شارع ١٥ وينتهي عند الركن الجنوبي الغربي من مقابر فاروق، ثم ينحصر حي المزاد في الناحية الجنوبية من امتداد شارع ١٥ في مواجهة المقابر[٧٢]. وعليه يمكن القول بأنَّ للمزاد شقاً شمالياً صغيراً وشقاً جنوبياً وهو الأكبر يفصل بينهما امتداد شارع ١٥، ويحد الشق الشمالي من الشمال الخرطوم نمرة (٢) بينما يحد الشق الجنوبي من الجنوب ديم التعايشة من ناحية شارع القصر جنوب والشعبية من ناحية شارع محمد نجيب. سمي هذا الحي بالمزاد لأن قطعه السكنية بيعت في المزاد العلني وكان ذلك في أوائل الخمسينيات بعد إعمار الديوم الشرقية. تبلغ مساحة القطع في الناحية الغربية من الحي ستمائة متر مربع تقريباً ثم تتناقص لتصل إلى أقل من أربعمائة مترٍ مربعٍ في الناحية الشرقية منه.

٧٢ خريطة (١٠).



خريطة (10) المزاد وتعويضات المقرن والزهور

عُرِفَ الجزء الأوسط من المزاد بحي كوريا وجاءت هذه التسمية بعد انتهاء الحرب الكورية في منتصف الخمسينيات أي بعد إنشاء الحي بسنوات قليلة. وشهد هذا الحي بداية التوسع في التعليم الأولي للبنين في منطقة الخرطوم جنوب ككل، إذ فتحت في منتصف الخمسينيات ثلاثة مدارس في ثلاث منازل فيه، هي مدرسة كوريا عند تقاطع امتداد شارع ١٥ مع شارع كوريا الممتد جنوباً إلى سوق الديم (نقلت إلى غرب محطة الغالي وعرفت بمدرسة عز الدين)، ومدرسة اتحاد الختمية في المنزل المواجه لبوابة المقابر الجنوبية، ومدرسة ثالثة في منزل يقع في المربع الأخير للمزاد من الناحية الشرقية (نقلت المدرستان إلى غرب مدرسة الديم شرق الأولية وعرفتا بالديم شرق ١ و٢) .

تُعَد دار اتحاد الختمية[٧٣] من أبرز معالم المزاد، وتقع الدار عند تقاطع شارع

٧٣ اتحاد الختمية هي دار طائفة الختمية.

القصر جنوب مع امتداد شارع ١٥ . تقام فيها بجانب حُوْلِيَات الطريقة الختمية المشهودة بالذكر وقراءة المولد، ليالي رمضانية عامرة بالوعظ والإرشاد الذي يعقب صلاة التراويح التي كانت تقام فيه. وشهدت ناصية الدار عدة أنشطة اقتصادية على مر السنوات، ففي الخمسينيات والستينيات كان هناك مطعم اشتهر في ذلك الوقت ببيع الفول المصري لسكان المنطقة ولعمال البناء الذين كانوا يعملون في الامتدادات الجديدة للخرطوم جنوب. تحول المطعم من ناصية الدار إلى وسط الناحية الغربية منه مع إطلاله على شارع القصر جنوب، بينما افتتح الدكتور سمير جرجس في الناصية (المكان القديم للمطعم) اجزخانة الديوم وهي أول اجزخانة في منطقة الديوم الجديدة. كذلك افتتح الدكتور أحمد أبشر الحاج عيادة في مبنى الدار عرفت بعيادة إتحاد الختمية. وفي الناحية المقابلة لناصية دار إتحاد الختمية أي الناحية الشمالية الشرقية للتقاطع إِفتُتِح في منتصف الستينيات مطعم الفردوس وكان يقدم خدمات ذات مستوى طيب لزبائنه مما أكسبه شهرة واسعة خاصة بين سائقي التاكسي.

شهدت هذا المنطقة في أوائل الستينيات إنشاء فندق دي باريس بجوار دار اتحاد الختمية من الشرق، وألحَق به صاحبه مصطفى راشد المشهور بكيشو باراً لبيع الخمور. وقد شهد هذا الفندق كل معسكرات فريق الهلال في فترة الستينيات فقد كان صاحبه من أقطاب نادي الهلال البارزين في تلك الفترة. كما أقام الفريق القومي السوداني في هذا الفندق بعضاً من معسكراته. وشيد كيشو في النصف الثاني من الستينيات عمارة من عدة طوابق في القطعة الواقعة بين الفندق وبين اتحاد الختمية، واتخذها ملحقاً للفندق لفترة قصيرة، ثم استأجرتها منه الدولة لِيُفتح فيها معهد الموسيقى والمسرح. شهد هذا الحي أيضاً في اوائل الستينيات قيام نادي ارتقاشة ثم بلنارتي في شارع كوريا، وهي من أوائل الأندية الجهوية في الخرطوم التي شَهِدت بعد ذلك قيام الكثير منها.

ومثله مثل بعض أحياء الخرطوم التي ابتليت أجزاءٌ منها ببؤر للبغاء فقد سكنت الكثيرات من بائعات الهوى لفترة طويلة في عدد من منازل المزاد المقابلة لمقابر فاروق.

ومن معالم الحي في الستينيات افتتاح جزارتين تعاونيتين لبيع اللحوم والخضروات في الناحية الجنوبية من المربعين الأخيرين، يفتح كل واحد منهما في فسحة من فسحات الحي المقابلة للشعبية. بالإضافة إلى ذلك يوجد بالحي ثلاثة أو أربعة دكاكين من أشهرها دكان أحمد اليماني وخَلَفَهُ فيه العم حيدر في منزل عبد السلام الحسن ودكان مضوي حامد ودكان سهل محمد الحسن ودكان نافع ودكان أولاد الدبيبة ودكان بابكر حامد ود الجبل. كما أنشأ عز الدين الفكي مطبعة لفترة من الزمن في هذا الحي.

من رموز الحي علي يوسف سكيرمة، وحسن الطاهر السنجك، ومحمد دياب الماحي، وآل الشيخ إدريس، وآل محمد عبد العزيز، وحامد الشايقي، وعابدين الأمين الحاج، وآل عبد الحليم سابل محمد خير، وآل بلمون صالح، والصول إسماعيل سعيد، وعبد الله عثمان (عبد الله بامبي)، وعبد الخالق الطيب عبد الله، ومحمد عثمان حسن، وآدم الضي، وأحمد محمد أحمد، وعبد السلام الحسن فضل الله، وعبد الخالق العليقي، وآل سيد وحسن عبد الواحد، وآل عثمان وعمر شاويش، وآل الفكي علي محمد أحمد، وآل حسن صالح النقيشي، وآل علي الحاج حميده، وآل عبد الله شمت، وآل نافع، وآل الحاج شمعون، وآل حمزة حميدة. كما سكن هذا الحي في النصف الثاني من الخمسينيات الفنان محمد وردي وسكنه في الستينيات فؤاد التوم رئيس نادي المريخ قي تلك الحقبة.

تعويضات المقرن

أَجْبرت الحكومة في منتصف الخمسينيات سكان الناحية الشمالية من المقرن على ترك منازلهم وعوضتهم بدلاً عنها في المنطقة الواقعة جنوب حديقة القرشي والمحددة من ناحية الغرب بالشارع الممتد من الشمال إلى الجنوب ويمر بغرب حديقة القرشي وشرق نادي الأهلي الرياضي، ومن الشرق بشارع القصر جنوب، أما من الجنوب فتنتهي هذه المنطقة عند الشارع الممتد من الشرق إلى الغرب ويفصل الخرطوم نمرة (٢) عن المزاد[٧٤]. وعُرِفَت هذه المنطقة بتعويضات المقرن، وتعتبر امتداداً طبيعياً للمنطقة الجنوبية من الخرطوم نمرة (٢) الواقعة إلى الشرق من شارع القصر جنوب وتعرف أيضاً بالخرطوم جنوب. لا توجد معالم تذكر في هذه المنطقة سوى جامع الشايقية الموجود في وسط الناحية الغربية من الحي، بالإضافة إلى عيادة الدكتور كمال يني مقار المطلة على شارع القصر جنوب وكانت إحدى المحطات في خط بصات الديوم الشرقية. كما افتتح محمد علي أبوراس بقالة حديثة في هذا الحي في أوائل الستينات وكانت تقع في وسط منحنى شارع القصر جنوب أي إلى الجنوب من حديقة القرشي. كذلك أُفتتحت جزارة ومحل لبيع الخضروات في النصف الثاني من الستينيات في شارع القصر جنوب مواجهة للناحية الشمالية الشرقية للحي.

من الشخصيات والأسر المشهورة في هذا الحي صالح مكوار من أقطاب حزب الشعب الديمقراطي وآل الواثق الجيلاني وعبد الحميد أبوالروس وآل حسن سعد وعثمان أبوشيبة وبشير نميري وآل عثمان حمدالله وآل إبراهيم عوض. وأقام أيضاً لفترة قصيرة الشفيع أحمد الشيخ، كما سكن الفنان حسن عطية في الحي لفترة من الزمن في نهاية الخمسينات قبل انتقاله إلى حي باريس بالخرطوم نمرة (٣)، وانتقل إليه كذلك في الثمانينات الفنان عثمان حسين.

---

٧٤ خريطة (١٠).

الشعبية

الشعبية أو بيوت الحجر كما يحلو للبعض تسميتها هي حي صغير يتكون من حوالي المائة وعشرة منزلاً. يقع هذا الحي إلى الجنوب من المزاد وإلى الشمال من حي الزهور فَتَحَت، ويمتد من ديم التعايشة غرباً إلى حي العمارات شرقاً[٧٥]. وكانت هذه المنطقة جزءً من عشش فلاتة التي كانت تمتد جنوباً في كل المساحة التي يشغلها حي الزهور الحالي. وتمت ازالة الجزء الشمالي منها في منتصف الخمسينات لتشييد منازل شعبية في مساحات تبلغ حوالي مائة وخمسين متراً مربعاً للمنزل الواحد بهدف إسكان ذوي الدخول المنخفضة الذين لا يتعدى دخلهم الشهري الاثنا عشر جنيهاً على أن تخصم تكلفة المنزل بأقساط شهرية واقعية ومريحة. واستُخدِمَت لهذا الغرض خرائط شبيهة لحد ما بخرائط الديوم الجديدة ولكن بمساحات أصغر للغرف والمرافق التي بنيت ببلوكات من الأسمنت والرمل وسقفت بألواح من الاسبستوس لذا سميت مجازاً ببيوت الحجر. وتحتوي غالبية المنازل على حجرتين والقليل منها على ثلاث حجرات بجانب المطبخ والمرحاض (حفرة). وقد وزعت هذه المنازل في منتصف الخمسينيات وفق ضوابط محددة وضعتها وكالة حكومية سميت وقتها بسلطات الإسكان - العقارات العامة، وتصادف أن يكون غالبية من امتلكوا هذه المنازل حسب الضوابط الموضوعة من الحلفاويين.

تفتقر الشعبية إلى المعالم المكانية والمرافق العامة ويعزى ذلك لصغر الحي أولاً ولطبيعته العمرانية ثانياً ولِتَوَفُر الخدمات التي يحتاج إليها سكان الحي في الأحياء المجاورة ثالثاً. ولكن مع ذلك شهد الحي إنشاء دكان أبوالقاسم صديق منذ أوائل الستينيات، ثم أفتُتِح في منتصف الستينات دكان عبدالحي في الناحية الشمالية من الحي ودكان سيف الدين في الناحية الجنوبية الشرقية منه. هذا بالإضافة إلى محل صديق فضل للغسيل والمكوة.

---

٧٥ خريطة (١٠).

من الأسماء التي لمعت في هذا الحي إبراهيم محمد خليل كاشف، وعزالدين الفكي محي الدين صاحب مكتبة سمير جوار جامع فاروق، وعبد الحفيظ الضو، وصديق أحمد فضل المكوجي، وعبد الحي عبد الرحمن ، وعبد الحفيظ أحمد حمزة، وسيف الدين حسين عبد الباسط، وفضل الله آدم، وأبوالقاسم صديق القشيابي من جماعة الأخوان المسلمين، والشاعر حدربي محمد سعد حدربي، وعوض محمد سعد حدربي من أعضاء الحزب الشيوعي السوداني، وآل سيد عبد الحليم، وآل عثمان أحمد عثمان، وآل علي بك محمد علي بك حسين،وآل الشاعر سليمان محمد عبد الجليل، وآل عبد الرحيم فرح، وآل يحيى أحمد، وآل صالح محمد إدريس، وآل محمد أحمد عثمان، وآل عبد الحليم فضل، وآل حسن ميرغني، وآل محمد عبد العزيز، وآل دهب كبارة، وآل جعفر عباس الخير، وآل محمد صالح مختار، وآل يوسف إسحق الخير، وآل قرناص، وآل الحسن أحمد الحسن، وآل خضر طه، وآل محمد أحمد سعيد، وآل محمد أحمد داؤود شوك، وآل عبد الرحمن عبد الرحيم البرعي، وأل أحمد الفضلي، وآل عوض الشيخ، وآل أنور سليمان، وآل فرح الزبير، وآل مكي محمد مكي.

الزهور فَتَّحَت

وزعت أراضي حي الزهور فَتَّحَت في مزاد علني أقيم في سينما كلوزيوم في نهاية الخمسينيات (١٩٥٧م). يشغِل الحي المنطقة التي كانت تحتلها عشش فلاتة بعد أن تم ترحيلها إلى جنوب الديوم الشرقية. تقع الزهور فَتَّحَت جنوب الشعبية، وشرق ديم التعايشة، وشمال الشارع الممتد من الشرق إلى الغرب ويمر بشمال الساحة الشعبية، ويفصلها من ناحية الشرق شارع محمد نجيب عن

العمارات[٧٦]. ربما جاءت تسمية الحي بالزهور فتحت للرونق الذي اتخذه حين إنشائه مقارنة بالأحياء المجاورة له، وهناك من ينسب التسمية إلى سرعة اكتمال بنائه في فترة لم تتعد العام بنمط حديث في آنذاك لذلك شُبِّه بتفتح الزهرة.

يتكون حي الزهور من حوالي المائة وخمسين منزلاً تزيد أو تنقص قليلاً، وتتراوح مساحات منازله ما بين ثلاثمائة وعشرين إلى أربعمائة متر مربع. جميع المنازل تقريباً مبنية من طابق واحد وبالطوب الأحمر، وغالبيتها تستخدم نظام السايفون للصرف الصحي. والحي مقسم إلى ثلاث مربعات (HE، GE، FE) حيث يعرف المربع بحرفين يدل الحرف الأول من اليسار على المربع بينما تشترك كل المربعات في الحرف الثاني (E) للدلالة على الناحية الشرقية من المدينة. يشبه تخطيط الحي إلى حد كبير تخطيط الديوم الجديدة في استقامة شوارعه ومربعاته إذ تنعدم فيه الشوارع الدائرية والمنحنية والركنية. وتتخلل مربعات الحي بعض الفسحات ذات الأشكال المربعة والمستطيلة ويبلغ عددها ستة بكل مربع ساحتان. بالحي ثلاث شوارع رئيسية، إثنان منها يتجهان من الشرق إلى الغرب هما امتداد شارع ٢٥ بالعمارات وشارع مأمون الحصول. أما الشارع الثالث فيمتد من الشمال إلى الجنوب ويمر بوسط الحي ويسمى بشارع النص.

مثلت الزهور فَتَحَت في فترة الستينيات أحد أحياء الخرطوم المميزة والراقية نسبياً بالمقارنة مع أحياء الديوم الجديدة من حولها، وكان ذلك واضحاً من شريحة السكان التي اقتنت منازلها فمعظمهم كانوا من التجار وموظفي الدولة المقتدرين. ونحصى من سكان الحي عبد الله علي عبد الله (الأزرق) من تجار ومواطني ديم التعايشة وقد امتلك منزلين في حي الزهور حين إنشائها،

---
٧٦ خريطة (١٠).

والفكي عبد الرحمن من التجار، ورجل الأعمال مأمون الحصول، وعبد القادر المرضي، وإبراهيم الأسد، ومولانا أحمد البيلي، والسياسي محمد إبراهيم نقد، وحسن العبيد من وزارة التربية والتعليم، وآل الموسيقار حسن بابكر، والأديبة ملكة الدار محمد، وحكم كرة القدم أحمد خليفة، وسعاد جمال الدين، وآل حامد العربي والد الموسيقار عبد الله عربي، وآل مشاوي، وآل علي ناصر، وآل بَرِي، وآل ود الأسطى، وآل أبو شام، وآل حسن جردل، وآل وش الرجال، وحسب الرسول محمد، وأحمد إبراهيم، وعثمان النوش، وعثمان الحسن الإمام، ووداعة عبد الله محمد سعيد، والطيار تاج السر صالح، ومحمد سعيد علي عمر، وحسين دياب، والطاهر محمد أحمد، والدكتور زكريا مبارك. كما سكن في الحي محمد إبراهيم نقد، وانتقل إليه الفنان عثمان حسين في أوائل الستينيات. وانضم إلي سكانه في نهاية الستينيات كل من الفنانين إبراهيم الكاشف وعبيد الطيب وسيد خليفة. سكن الحي إيضاً عدد من الأقباط منهم آل روفائيل سيدهم، وعدد من الأغاريق منهم ديمتري بابادليس ابن كاترينا.

من معالم الحي مركز صحي حواء علي البصير الذي يتوسط مربع GE، وسمى على حواء علي البصير التي كانت تعمل زائرة صحية، إذ تعود ملكية الأرض لها فقد اشترتها لتُشيد عليها مستشفى للدايات ولكن وافتها المنية قبل تحقيق ما تصبو إليه، ومن ثم قام أحد فاعلي الخير بتشييد المركز على قطعة الأرض. ويجاور المركز من الناحية الجنوبية مسجد الحي. كما توجد بالحي زاوية أبناء الغُربية.

توجد في وسط حي الزهور طاحونة وطابونة يمتلكها علي ناصر وهو سوداني من أصل يمني، وكانت هذه المنشآت في موقعها هذا لسنوات خلت قبل إنشاء الحي تُقَدم خدماتها لسكان عشش فلاتة وسكان الديوم الجديدة إذ لم تكن هنالك منشآت شبيهة في المنطقة المجاورة في تلك الفترة. وتقل البقالات

والدكاكين في هذا الحي ومن أقدمها دكان عبيد جاموس الذي يطل على ميدان يفصله عن طابونة علي ناصر، وتوجد أيضاً بقالة ناجي القبطي وبقالة عبد الله اليمني. وتوجد ثلاثة صيدليات بالناحية الشرقية من الحي. يخلو الحي من المدارس ولكن به عدد من رياض الأطفال.

المنطقة الصناعية (القديمة)

تم تخطيط وتوزيع المنطقة الصناعية في نهاية الأربعينيات وتزامن ذلك مع تخطيط المرحلة الأولى للخرطوم نمرة (٢). وقبل إنشاء المنطقة الصناعية كانت الإسطبلات تشغل ذلك الجزء من المدينة حيث كان الذين يعملون في النقل بواسطة عربات الكارو والحنطور يسكنون تلك الناحية مع دوابهم. وكان بتلك المنطقة أيضاً مستودعات شركات البترول شل وأجيب وسكوني فاكوني، وإلى الشمال منها موقف المواصلات وزريبة البهائم. تم تخطيط المنطقة الصناعية في هذه المنطقة بعد ترحيل سكان الإسطبلات إلى الحلة الجديدة (حي الكنوز) وديم سلمان (حي الإسطبلات) وكان ذلك في العام ١٩٥٠م. امتدت المنطقة الصناعية (القديمة) من السكة حديد شمالاً إلى شارع أحمد خير الممتد من الشرق إلى الغرب ويفصل الخرطوم نمرة (٣) عن السجانة ثم المنطقة الصناعية عن الحلة الجديدة. وتمتد المنطقة الصناعية شرقاً إلى شارع الحرية وغرباً إلى خط السكة حديد المتجه إلى محطة الشجرة والذي يفصل لمنطقة الصناعية عن العصارات٧٧.

من أوائل الشركات التي بدأت نشاطها في المنطقة الصناعية شركة سودان مركنتايل وشركة جلاتلي هانكي وشركة حسونة وشركة الديوم للنقل وشركة البيبسي كولا ومصنع الثلج بالإضافة إلى حوش البلدية. ومن أوائل الورش

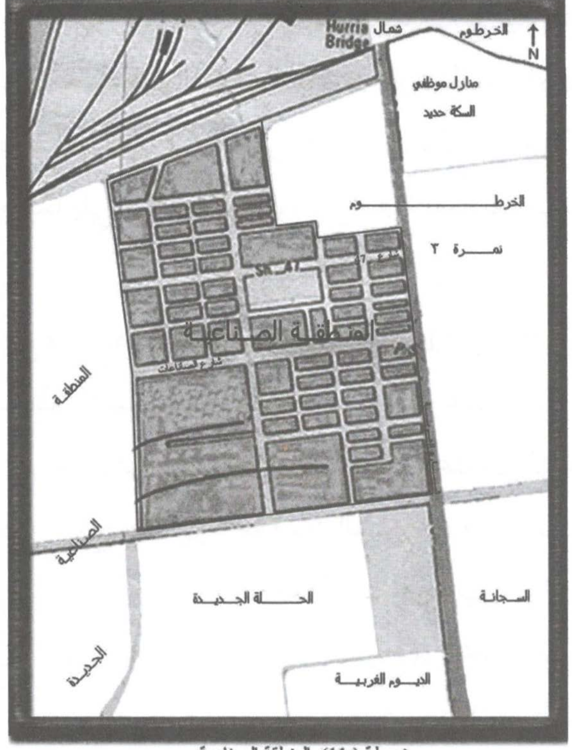
٧٧ خريطة (١١).

نجد ورشة الإغريقي كوندارس كوفاكس وورشة يني كازوكس وبدأت شمال مدرسة الخرطوم الأهلية ثم انتقلت إلى المنطقة الصناعية، وورشة مقرن أكولا وورشة الإغريقي إستيفانيدس للنجارة وورشة إبراهيم الهادي ومصنع بامبولس لكراسي الخيزران. أما الكراجات فنجد كراج عبد المتعال محمد عبد الله وكراج يوسف أحمد عبد اللطيف كما نجد مخازن المقاول الإغريقي استراتو. واستمرت المنطقة الصناعية في التطور والنمو المضطردين خلال الخمسينيات والستينيات، وفيما يلي نستعرض صورة وصفية للمنطقة الصناعية في نهاية الستينيات.

من أهم الشوارع في المنطقة الصناعية شارع الخور (شارع ٤٧) ويشتمل على الكثير من الأنشطة الصناعية والخدمية نرصد منها عند المرور من الشرق إلى الغرب مخارط إبراهيم الهادي (يسار الشارع)، وعثمان الشفيع للإسبيرات (يمين الشارع)، وكراج حسن وداعة (يمين الشارع)، ومدرسة الكمبوني (يمين الشارع)، والمشتل (يسار الشارع)، ومقاولات محجوب إخوان (يمين الشارع) وورشة نجارة يمتلكها أحد الطليان (يمين الشارع)، ومخبز الخرطوم الآلي وهو أول مخبز آلي أُنشئ في الخرطوم في منتصف الستينيات (يمين الشارع)، وينتهي هذا الشارع بصهريج المياه وكوشة الجبل.

بجانب شارع الخور هنالك شارع الصناعات وهو لا يقل في أهميته عن الأول، ويشتمل من الشرق إلى الغرب على ورشة النجار حسن هدية (يمين الشارع)، وتميم الدار للإسبيرات (يسار الشارع)، وورشة عبد الحق لصناعة صناديق اللواري (يسار الشارع)، وحاج مضوي محمد أحمد لبيع الماكينات المستعملة والإسبيرات (يمين الشارع)، ومغلق أحمد الطاهر التلب (يسار الشارع)، وشركة حسونة للنيسان (يسار الشارع)، وجلاتلي هانكي (يسار الشارع)،

وسودان مركنتايل (يمين الشارع)، وبرسميان (يمين الشارع)، ومخازن الأشغال (يسار الشارع)، وسرغاس وشركاوه (يمين الشارع)، والعشي لمواد البناء (يمين الشارع)، وميتشل كوتس (يمين الشارع).



خريطة (11) المنطقة الصناعية

بجانب الشركات والمصانع والورش التي تمارس أنشطتها الاقتصادية في شارعي الخور والصناعات هنالك أنشطة مشابهة منتشرة بين الشارعين وإلى الشمال وإلى الجنوب منهما. فنجد في المنطقة الواقعة إلى شمال شارع الخور السهم الذهبي (كراج عبد المتعال وكيل التايوتا)، وكراج أبوالعلا وكيل المرسيدس، وشركة الكوكاكولا (وكيلها عبد المنعم محمد)، وبيطار الهندسية، وشركة البيبسي كولا، وساتي للحلويات والطحنية، والخبير لمواد البناء، وباوارث للأخشاب، ومطبعة السلمابي.

أما بين شارعي الخور والصناعات فهناك الكثير من الأنشطة الاقتصادية من بينها الجريفاوي لميكانيكا السيارات، ومصنع الثلج، ومصنع البزيانوس، ومطعم النعيم للسمك، وحافظ سيد البربري لمواد البناء، وحمادة لمواد البناء، وشركة الهواء السائل.

كما نجد إلى الجنوب من شارع الصناعات مخازن علي دنقلا، ومخازن المقاول استراتو، ومخازن الصحة، ومخازن البوستة، ومخازن الأشغال، ووسيلة بامبولس لعمل أبواب السحاب، ومصانع كمير للطحنية والبسكويت والشعيرية، والمطبعة الحكومية التي كانت قبل ذلك تعرف بمطبعة ماركوديل وكانت جنوب موقع البنك الصناعي الحالي بشارع عبد المنعم محمد.

كانت العصارات (عصارات تقليدية تدار بالجمال) تشغل المنطقة الواقعة جنوب غابة الخرطوم (غابة السنط) إلى الغرب من الإسطبلات. ومن أصحاب العصارات حسن عجاج، وحاج محمود وشريكه حاج فقيري، وحاج حسن مروي، وعبد الباقي عبد الباقي، وعبد المحمود وأولاده، وعلي حاج خضر علي كمير، ميرغني التوم علي كمير، وعباس علي كمير.

الامتدادات السكنية والأحياء المضافة للمدينة حتى عام ٢٠٠٠م

شهدت فترة الستينيات والسبعينيات توسعاً مطرداً في أحياء الخرطوم السكنية والتي تمَّ معظمها في الناحية الجنوبية من المدينة. ففي النصف الأول من الستينيات قامت امتدادات الدرجة الأولى والثانية التي تعرف بالعمارات في الناحية الشرقية من الديوم الشرقية، وامتداد الدرجة الثالثة في الناحية الجنوبية من الديوم الشرقية. تمَّ تخطيط وتوزيع وعمارة هذه الأحياء في حقبة الحكم العسكري للفريق إبراهيم عبود. وباكتمال عمران امتداد الدرجة الأولى والثانية في منتصف الستينيات أصبح أرقى أحياء مدينة ومديرية الخرطوم

على الإطلاق. سكنت هذا الحي الطبقة الراقية من مجتمع المدينة من وجهاء وكبار رجالات الدولة وقيادات القوات النظامية وأعضاء الهيئات الدبلوماسية وأفراد الجاليات الأجنبية من ذوي المقامات الرفيعة. أما امتداد الدرجة الثالثة فقد وزع على أصحاب الدخل المحدود والذين جاء معظمهم من الأحياء الشعبية القديمة نسبياً في المدينة مثل الديوم والسجانة والحلة الجديدة والخرطوم نمرة (٣) بعد أن ضاقت بهم تلك الأحياء لكبر الأبناء وتفرع الأسر، أو من الذين وفدوا حديثاً للمدينة.

وفي النصف الثاني من الستينيات تمَّ تخطيط وتوزيع الصحافة في الناحية الجنوبية من امتداد الدرجة الثالثة، وقد تمَّ ذلك في عهد الديمقراطية الثانية. وجاء مقترح إنشاء هذا الحي من قبل جريدة الصحافة ومن هنا كانت التسمية. وقبل أن يأخذ عمران الصحافة مداه بُدِأ في توزيع حي شعبي آخر إلى الشرق من الصحافة هو حي أركويت الذي استهدف نفس شرائح المجتمع ذات الدخل المحدود التي لم تحظ بقطع سكنية في الصحافة. وفي تلك الفترة أيضاً بدأ توزيع وتخطيط حي شعبي آخر هو امتداد ناصر إلى الجنوب من البراري وذلك لتخفيف التكدس السكاني في تلك الناحية الشرقية من المدينة والتي صارت إدارياً تابعة لها. وتجدر الإشارة هنا إلى إضافة عدة أحياء لمجلس بلدي الخرطوم في نهاية الستينيات شملت توتي والبراري والجريف غرب والرميلة والشجرة فأصبحت منذ ذلك الوقت تتبع لمدينة الخرطوم وكانت قبل ذلك تتبع مجلس بلدي الخرطوم بحري والضواحي.

يُلاحِظ الراصد للحركة العمرانية في مدينة الخرطوم في فترة الستينيات وحتى منتصف السبعينيات أنَّ التوسع قد تركز في الجزء الأوسط للناحية الجنوبية للمدينة وربما يعزى ذلك لقرب هذا الجزء من قلب المدينة المتمثل في الخرطوم شمال (الخرطوم عموم). وبنهاية تلك الفترة اتجه التوسع إلى الجزئين

الشرقي والغربي لتلك الناحية، ففي منتصف السبعينيات بدأ عمران حي الرياض في الفضاء الواقع إلى الشرق من المطار وجنوب امتداد ناصر كأحد أحياء الدرجة الأولى بالمدينة. تَبِعهُ بعد ذلك بقليل عمران حي الطائف في الفضاء الواقع جنوب الرياض وشمال أركويت، ويمكن تصنيف هذا الحي كأحد أحياء الدرجة الثانية من ناحية مساحات منازله. وبحلول الثمانينيات تمَّ تخطيط وتوزيع حي المعمورة الواقعة جنوب شرق أركويت، وبذلك شارفت مدينة الخرطوم تخوم الجريف غرب. وبحلول التسعينيات بدأت عمارة أحياء المنشية والفردوس ليكتمل بذلك التحام المدينة بالجريف غرب.

تزامن توسع المدينة في الجزء الشرقي مع توسعها في الجزء الغربي حيث تمَّ عُمرَان منطقة اللاماب بحر أبيض في منتصف السبعينيات في الناحية الجنوبية الغربية من حلة الرِميلة. ونجد أن معظم من سكن اللاماب بحر أبيض من التجار خاصة تجار سوق السجانة، ويعزى ذلك لازدهار تجارة مواد البناء في سوق السجانة وتَحَوُل معظم السوق والمنطقة التي حوله إلى مغالق ومحلات لبيع مواد البناء. وبعمران اللاماب بحر أبيض أصبحت حلتا القوز والرِميلة ضمن العمران الحضري لمدينة الخرطوم. تمَّ في تلك الفترة أيضاً توزيع حي جبرة الواقع إلى الغرب من الصحافة والذي استمر النشاط العمراني فيه طيلة فترة الثمانينيات. تزامن ذلك مع إعادة تخطيط السكن العشوائي في منطقة العُشَرَة الواقعة جنوب عششْ فلاتة (قبل إزالتها) وغرب امتداد الدرجة الثالثة وشمال الصحافة.

تواصل التوسع العمراني لمدينة الخرطوم ففي أوائل الثمانينيات تمَّ تخطيط حي أبو آدم في الناحية الجنوبية الغربية من المدينة، وفي النصف الثاني خطط حي الأزهري في الناحية الجنوبية الشرقية من المدينة. وضم كل من هذين الامتدادين أحياء من الدرجة الأولى والثانية والثالثة، وما زالت أجزاء كبيرة من

هذه الأحياء تحت التشييد. كما تمَّ نقل عشش فلاتة من موقعها الثاني الكائن غرب امتداد الدرجة الثالثة إلى المنطقة الواقعة جنوب شرق مدينة الخرطوم وإلي الشمال من قرية السَلَمَة، وسميت تلك المنطقة بالإنقاذ إذ تمَّ تخطيطها ونقل العشش إليها في أوائل عهد حكومة الإنقاذ. وقد كان قيام هذه الأحياء خصماً على مساحة الحزام الأخضر الذي تمَّت زراعته في أقصى الناحية الجنوبية لمدينة الخرطوم في أوائل الستينيات في عهد الفريق إبراهيم عبود لحماية المدينة من الأعاصير. وقد استخدمت مياه الصرف الصحي المعالجة في ري أشجار هذا الحزام الذي امتد من الناحية الجنوبية الشرقية لمنطقة الشجرة على ضفة النيل الأبيض إلى مشارف سوبا على النيل الأزرق.

ومن معالم المدينة الأخرى التي شيدت بعد الستينيات مدبغة الخرطوم والتي أنشئت في أوائل الستينيات ومدبغة النيل الأبيض في أوائل السبعينيات، وتقع المدبغتان جنوب الديوم الغربية وإلى الشمال الشرقي من ميدان سباق الخيل. أيضاً قامت المنطقة الصناعية الجديدة إلى الغرب من المنطقة الصناعية القديمة والحلة الجديدة، والتي بدأت بتوزيع ورش للحِرَفيين بمساحات صغيرة لا تتعدى المائتي متر، وكان ذلك في النصف الثاني من الستينيات ثم توسعت واشتملت على مصانع ذات مساحات كبيرة ولأغراض مختلفة.

شهدت فترة منتصف السبعينيات نقل مواقف البصات المتجهة نحو الجزيرة والنيل الأبيض إلى جنوب الديوم الشرقية وغرب مدرسة تدريب الشرطة.٧٨ وازدهرت تلك المنطقة بإنشاء السوق الشعبي الذي ظل في نمو مضطرد إلى يومنا هذا. أيضاً في تلك الفترة تمَّ نقل زرائب الفحم والحطب التي كانت قائمة في الديوم الغربية غرب سوق السجانة إلى منطقتها الحالية في الناحية الشمالية الغربية من حي العُشَرَة بجانب سوق البهائم (الأغنام).

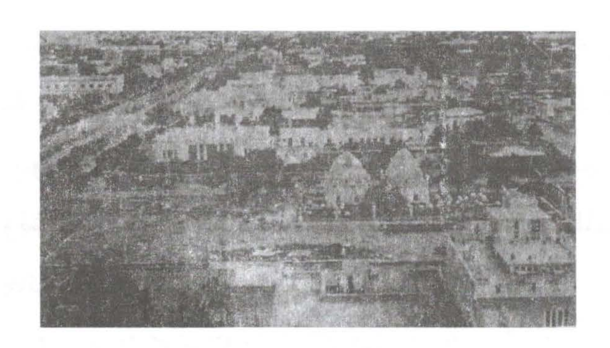
٧٨ نقلت بعد ذلك المواقف إلى الميناء البري في أوائل العقد الأول من الألفية الثالثة.

وفي منتصف السبعينيات أيضاً شُيِّدَ المركز الإسلامي الإفريقي (جامعة إفريقيا العالمية حالياً) في الناحية الجنوبية من أركويت. هدف المركز إلى تعليم القرآن الكريم وعلومه للشباب المسلم من الدول الإفريقية والأسيوية، وقد قام علي تمويله وتشغيله مجموعة من الدول الإسلامية على رأسها المملكة العربية السعودية بجانب قطر وماليزيا وأندونيسيا.

أُنشئ السوق المركزي للخضر والفاكهة في الناحية الجنوبية الشرقية من الصحافة في السبعينات، وأدى إنشاؤه إلى إحياء الجزء الشرقي من الصحافة الذي يعرف بالصحافة شرق. هناك أيضاً مقابر الصحافة في الناحية الجنوبية منها، وتشتمل المقابر على مقبرة لدفن موتى المسلمين وأخرى لغير المسلمين. بدأ الدفن فيها في أوائل السبعينيات عندما أخذت الكثافة السكانية في الناحية الجنوبية من المدينة تزداد ازدياداً مضطرداً بينما أوشكت مقابر فاروق على الامتلاء في ذلك الوقت.

ونلحظ أنَّه مع قيام هذه الأحياء الجديدة أُنشئت فيها الكثير من المرافق العامة كالمدارس والمراكز الصحية والعيادات والمستشفيات الخاصة والأسواق الصغيرة وزرائب الحطب والمساجد ومكاتب البريد والجمعيات التعاونية الصغيرة.

يجد القارئ وصفاً للامتدادات المذكورة أعلاه والأحياء التي أضيفت للخرطوم مضمنة في ملحق في نهاية هذا الكتاب بعنوان: الامتدادات السكنية والأحياء المضافة للمدينة حتى عام ٢٠٠٠م.



منظر عام لوسط المدينة



مدينة الخرطوم في منتصف الستينيات

الباب الثاني

المرافق العامة والخدمات

الفصل السادس

التعليـــــم

حقبة ما قبل دولة المهدية

أقام محمود طلعت صاحب كتاب «غرائب الزمان في فتح السودان» بعض الوقت في الخرطوم أثناء عام ١٨٧٥م وهو في طريقه إلى إقليم كردفان (غرب السودان) حيث تم تعيينه في أحد مراكزه، وقد ذكر الآتي عن التعليم في المدينة «—— وبها ثلاث مدارس إحداها للحكومة، وهي كاملة المعدات حسنة الترتيب. والأخريان صغيرتان إحداهما للجزويت[٧٩] والأخرى للأقباط. أما المكاتب الصغيرة (الكتاتيب) التي يُدَرَس بها القرآن الشريف فهي مما لا يدخل تحت الحصر.»[٨٠].

ظل مواطنو الخرطوم، خصوصاً العامة منهم، طوال حقبة الحكم التركي المصري زاهدين في إرسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية التبشيرية لاعتقادهم الراسخ بأنَّ هذه المدارس هي بؤر لإفساد أبنائهم. كانوا يرون بالمقابل في الخلاوي وتعليمها كل الخير لهم ولأبنائهم وذلك لتوفيرها دراسة العلوم الشرعية التي تمثل منتهى طموحاتهم وغاية مقاصدهم. ومن الخلاوى ما يدرس فيها القرآن فقط أوْ العلم الشرعي فقط، أو لتدريسهما معاً. و لم تعرف الخلاوى مراحل التعليم الدنيوي بمعناها الفني الحديث، وكان التعليم يبدأ عادة بحفظ القرآن وقراءة بعض أحكامه، ثم يرتحل من حفظ القرآن إلى خلوة العلم الشرعي إن لم يك يُدَرَس بخلوته الأولى. «وكان التعليم في الخلوة مجاناً، وينفق على الحيران من دخل الشيخ وماله والهبات والنذور التي تقدم

٧٩ الجزويت هم رعايا الكنيسة الكاثوليكية.

٨٠ محمود طلعت، غرائب الزمان في فتح السودان،القاهرة، ١٣١٤هـ.

له. وكان الحيران يقدمون لمشايخهم شيئاً مادياً من حين لآخر على سبيل المساعدة والاعتراف بالفضل، ومن ذلك ما هو معروف باسم (الشرافة) وهي جُعْل من المال – عيناً أو نوعاً – يقدم إلى الشيخ بمناسبة وصول المتعلم إلى سورة معينة من سور القرآن، وما هو معروف «بحق الأربعاء» وهو شي من المال أو الحبوب أو الطعام يقدم في يوم الأربعاء من كل أسبوع، وفي حالة الحبوب تعمل منها بليلة ٨١ للحيران، وتسمى هذه الأكلة «كرامة الأربعاء»، وقد يأخذ الشيخ كل ما يقدم له إلى منزله. كما كانت تقدم الهدايا إلى الشيخ في المناسبات كأيام الأعياد وعندما يفرغ التلميذ من التعليم.»[٨٢]

أدرك الأتراك هذا الفهم للتعليم وتماشوا معه بل ساندوه بتخصيص مساعدات نقدية وعينية للخلاوي إذ جعلوا لكل خلوة من الخلاوي المشهورة جِرايَة[٨٣] تُحَدد كميتها حسب عدد الطلاب المنتسبين للخلوة المعينة. من خلاوي الخرطوم التي اشتهرت في فترة الحكم التركي المصري خلوة الفكي صباحي وهو أحد الفتيحاب من سكان المدينة، وخلوة الفكي علي ود إدريس وهو من محس جزيرة توتي، بالإضافة إلى الخلوة الملحقة بمسجد أرباب العقائد.

في أوائل الخمسينيات من القرن التاسع عشر أُنشئت مدرسة في مسجد الخرطوم لتعليم الدين للصغار والكبار على السواء، كانت هذه تمثل أول محاولة رسمية لإنشاء مدرسة حكومية في الخرطوم وفي السودان عامة. درس في مدرسة المسجد شيوخ من الأزهر، كما كان قاضي القضاة وبعض القضاة يلقون بعض الدروس العامة على طلاب العلم. أصبح المسجد العتيق بالخرطوم بعد إنشاء هذه المدرسة قبلةً للعلم ومن بين الذين دَرَّسوا فيه الشيخ إبراهيم عبد الدافع مفتي الديار السودانية وتلميذه محمد أحمد نور السرورابي

٨١ المسلوق من الحبوب أو البقوليات.
٨٢ د. أحمد أحمد سيدأحمد، تأريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٨٣ الجِرايَة هي مخصص مادي من المال أو المونة.

والشيخ الأمين الضرير والشيخ شاكر المفتي سوري الجنسية والشيخ مصطفى السلاوي مصري الجنسية والشريف حسين المجدي مغربي الجنسية والشريف المحروقي الشاذلي من الحجاز ويرجع في أصوله إلى مصر.

تبع ذلك محاولة إنشاء مدرسة الخرطوم التي ابتُعِثَ من أجلها، حسب الإعلان الرسمي، رفاعة رافع الطهطاوي وبعضاً من زملائه بلغ عددهم أحد عشر معلماً وطبيباً في عام ١٨٥٠م. ولكن تعثرت المحاولة و لم تستمر إذ قصد عباس باشا خديوي مصر من وراء إرسال البعثة نفي أعضائها وإبعادهم عن مصر أكثر من اهتمامه بأمر التعليم في السودان، لذلك لم تجد التشجيع والترحيب من قبل إسماعيل حقي حكمدار السودان آنذاك. وتأخر افتتاح المدرسة حتى عام ١٨٥٣م في عهد الحكمدار سليم باشا صائب، وكان تلاميذها من أبناء الموظفين المصريين فقط وذلك لإحجام الأهالي ورفضهم إرسال أبنائهم لها. سارت المدرسة على نسق «المبتديان» في مصر من حيث النظام ومواد الدراسة ونظم التدريس. وكان غرضها إعداد التلاميذ للمرحلة التجهيزية ولكن لم يتم ذلك إذ استمرت عاماً دراسياً واحداً مات بعده عباس باشا وجاء خليفته سعيد باشا ليأمر بغلقها. ويذكر سليمان كشة في هذا الشأن ما يلي «و لم يصدر عباس في سياسته هذه عن رغبة خالصة لنشر العلم والتعليم في السودان ولكنه كان مدفوعاً في الدرجة الأولى بالإساءة إلى رفاعة بك وغيره من رجال العلم بإبعادهم عن مصر إلى السودان و لم يتبين لنا الأثر الذي تركته هذه المدرسة ولكن مما لا شك فيه أن وجود أمثال رفاعة وبيومي (الذي كان مدرساً أول وضابطاً) وغيرهما في الخرطوم كان له بعض الأثر في الطبقة المتعلمة في السودان آنذاك وقد ذكروا بالخير وحزنت الخرطوم على وفاة بيومي أفندي فيها وكان رفاعة معجباً بالسودانيين فذكر أنَّ لهم قابلية للتمدن الحقيقي لدقة أذهانهم، فإنَّ أكثرهم قبائل عربية ولا سيما

الجعليين والشايقية وغيرهم، واشتغالهم بما ألفوه من العلوم الشرعية عن رغبة واجتهاد، ولهم مآثر عظيمة في حسن التعليم والتعلم، حتى أنَّ البلدة إذا كان بها عالم شهير يرحل إليه من البلاد المجاورة من طلبة العلم العدد الكثير والجم الغفير فيعينه أهل بلدته على ذلك بتوزيع المجاورين «أي الطلبة» على البيوت بحسب الاستطاعة فكل واحد من الأهالي يخصه الواحد أو الاثنان فيقومون بشئونهم مدة العلم والتعليم.»[٨٤]

تلا ذلك قيام مدرسة الخرطوم الابتدائية التي أنشئت في عام ١٨٦٨م واتبعت نهج التعليم المصري مع امتداد الدراسة فيها إلى ثلاث سنوات، وبلغ عدد تلامذتها قبيل اندلاع الثورة المهدية ٤٠٠ تلميذ. وكانت المدرسة قسمين قسم براني (خارجي) بالمصروفات وقدرها واحد ريال مجيدي (١٦ قرش) في الشهر، وقسم داخلي بالمجان ويتبع نظام عسكري. وكان القسمان يدرسان نفس المواد إلا اللغة الفرنسية التي كانت اختيارية للقسم البراني. وتشمل مواد الدراسة اللغتان العربية والتركية بالإضافة إلى الحساب والعلوم الهندسية والرياضية. وكان تلاميذ القسم الداخلي يُعينون كتبة في السلكين العسكري والإداري بينما يترك الخيار للخارجيين في طلب وظيفة في الميري أو غيره.

وشهدت الخرطوم في تلك الحقبة نوعاً آخر من التعليم إذ أنشأت الإرسالية الكاثوليكية في عام ١٨٤٣م مدرسةً نَحَت منحىً مغايراً للتعليم الحكومي الذي كان يركز على تعليم اللغة العربية والتركية وعلوم القرآن الكريم بينما ركزت مدرسة الإرسالية الكاثوليكية على الموضوعات الفنية والعملية والإنسانية. اقتصرت هذه المدرسة على تعليم أبناء الجاليات وأبناء بعض علية القوم من الأهالي بجانب الأطفال الذين تتبناهم الكنيسة الكاثوليكية. وبلغ عدد التلاميذ في عام ١٨٥٠م عشرون تلميذاً منهم أربعة عشر طفلاً

٨٤ سليمان كشة، تأسيس مدينة الخرطوم و المهدية، ١٩٦٦م.

من جنوب السودان، وارتفع العدد إلى أربعين عام ١٨٥٣م يدرسون القراءة والكتابة والحساب والموسيقى والأشغال اليدوية واللغات. تم افتتاح قسم خارجي لأبناء الأهالي في عام ١٨٥٥م وأضيفت مواد دراسية جديدة منها الرياضة البدنية والرسم والغناء. أنشئ قسم تجاري في عام ١٨٥٩م أصبح خريجوه فيما بعد موظفين في المصالح الحكومية. كما اهتمت المدرسة في تلك الفترة بالتعليم المهني فافتُتِحت بها أقسام للنجارة والحدادة والحياكة وصناعة الأحذية. توسعت بعد ذلك المدرسة في قبول التلاميذ من البنين والبنات لتصل إلى ثلاثمائة تلميذ بحلول عام ١٨٧٨م.

أقام الأقباط أيضاً مدرسة خاصة بأبنائهم مشابهة في منهجها وأهدافها مدرسة الإرسالية الكاثوليكية. وضمن نطاق التعليم في المدينة تجب الإشارة إلى المدرسة الحربية التي أنشأتها الحكومة لتعليم بعض أبناء الأهالي الفنون الحربية حتى ترفد جيشها بالجند.

حقبة ما بعد دولة المهدية

بدأ الحكم الثنائي منذ استتباب الأمر له في مطلع القرن الماضي في إعادة فتح بعض المدارس القديمة التي أُنشئت في العهد التركي المصري وتوقفت في فترة المهدية، من بينها مدرسة الخرطوم، وقد ضُمت هذه المدارس لمصلحة المعارف. وكان الغرض من فتح هذه المدارس هو تأهيل كوادر سودانية تُعِين الحكام الجدد على إدارة البلاد، إذ بدأوا بالاستعانة بالأقباط والشوام لهذا الغرض ولكن كانت مرتبات هؤلاء عالية، لذا فكروا في تعليم بعض المواطنين بغرض خفض تكلفة الإدارة.

تعليم الخلاوى

كان التعليم يبدأ بالخلوة حيث يرسل الأطفال في سن مبكرة إلى الخلاوي حيث يحفظون أجزاء من القرآن الكريم مع تعلم مباديء القراءة والكتابة والحساب. ومن الخلاوي التي قامت بهذا الدور في الخرطوم شمال في الثلث الأول من القرن الماضي خلوة الشيخ محمد الحنفي وهو تابع للطريقة الإسماعيلية وتقع خلوته في منطقة فندق الحرمين. جاء من بعده الشيخ محمد بابكر الذي أقام خلوته بجوار طاحونة سيحة عند لفة ترماج الدوران في صينية القندول. وقد قام الشيخ محمد بابكر بتحفيظ القرآن الكريم للكثير من أولاد الخرطوم وكان يهيئهم لدخول المدرسة الأولية (الكُتاب) بتعليمهم شيئاً من الكتابة والحساب البسيط. امتاز شيخ محمد بحسن قراءته للقرآن ويعتبر أول قارئ في إذاعة أم درمان. وإلى الجنوب قليلاً من خلوة الشيخ محمد بابكر نجد خلوة الشيخ كنزي التي تؤدي نفس المهام.

أما الخلاوي في منطقة الديوم القديمة فكانت كثيرة، ومن أعرق هذه الخلاوي وأشهرها على الإطلاق خلوة الفكي أحمد أزرق في ديم الجوامعة، إذ قرأ فيها الكثير من أولاد الديوم في تلك الفترة ومن الذين قرأوا فيها الشيخ أحمد عبد الحميد السقيدي شيخ ديم التعايشة وأحد رموزه. ومن الملاحظ انتشار الخلاوى في معظم الديوم القديمة إذ لا يخلو ديم من خلوة إن لم يكن أكثر. فنجد في ديم سلمان ثلاثة خلاوى: خلوة أبو بطران الشيخ عبد الله إبراهيم وخلوة الفكي إبراهيم وخلوة الفكي الخضر، وفي ديم العتالة وديم سلك خلوة الفكي الهادي من الكلاكلة، وفي ديم برتي خلوة محمود ود حجر، وفي ديم جبل خلوة الفكي عبد القادر والد الشيخ إدريس عبد القادر، وفي ديم الزبيرية خلوة الفكي محمد أحمد أبوالعزائم وهي من أكبر الخلاوى، وخلوة

الفكي علي وخلوة الفكي حامد أب دية، وفي ديم القشاشة خلوة الفكي حسن، وفي ديم تقلي خلوة الفكي الأمين الكلاكلاوي ثم خلوة الفكي عبد الرحمن الدنقلاوي (الضرير) وخلوة الشيخ أحمد الأحمدي، وفي ديم عبد الكريم خلوة الفكي أحمد أزرق وفي السجانة خلوة شيخ محمود وخلوة الفكي محمد أحمد الدنقلاوي.

التعليم الحكومي للبنين

يذهب التلميذ بعد مرحلة الخلوة إلى المدرسة الأولية (الكُتاب) حيث يمضي أربع سنوات، ثم المرحلة المتوسطة (الإبتدائي) حيث يمضي أربع سنوات أيضاً، ثم مرحلة الثانوية (الكلية أو التجهيزي) ليمضي أربع سنوات أخرى. بدأت مدرسة الخرطوم مع مطلع القرن الماضي في موقع برج البركة الحالي كأول مدرسة حكومية، كانت تضم المرحلة الأولية في الناحية الجنوبية من فنائها والمرحلة الابتدائية في الناحية الشمالية منه، ويميِّز اللون البني مباني المرحلة الأولية بينما اللون الأخضر يميِّز مباني المرحلة الابتدائية. أما الزي المدرسي لجميع طلاب المدرسة فقد كان الجلابية البيضاء والعِمة (العمامة). تم نقل المرحلة الابتدائية في منتصف القرن الماضي إلى موقع مدرسة الخرطوم الأميرية في الطرف الجنوبي لشارع عبد المنعم محمد، وبقيت المرحلة الأولية في موقعها وسميت مدرسة الخرطوم شرق الأولية وظلت في ذلك الموقع إلى أن تم تحويلها إلى بري المحس بعد بيع الموقع لبنك البركة. ومن النُظّار الذين تعاقبوا على المدرسة في العشرينيات الشيخ محمد أحمد فضل والد فضل محمد أحمد فضل أول من سودن وظيفة مدير سكة حديد السودان، والناظر يوسف زمراوي في نهاية الثلاثينيات والأربعينيات. ومن المدرسين في الحقبة الأخيرة

رستم حسين رستم من الخرطوم بحري، وحسين حمد من بري، وعبد الحميد إمام من توتي، ومنصور حسين أمين، والحاج هاشم، وجعفر دياب، وعبد القادر شيخ إدريس، والطيب شبيكة، ويوسف الخليفة أبوبكر.

كان معظم المواطنين في بدايات الحكم الثنائي حتى الحرب العالمية الأولى يعزفون عن إرسال أبنائهم للتعليم في المدارس مخافة إفسادهم ويكتفون بتعليم الخلاوي، لذا كان معظم طلاب مدارس الخرطوم الأولية والابتدائية الحكومية وغير الحكومية من أصول مصرية وشامية والقليل من المواطنين. ومن الذين تخرجوا من مدرسة الخرطوم واشتهروا لاحقاً أحمد حسب الرسول أخصائي الباطنية، وكمال زكي أخصائي العظام، وعبد الرحيم حسين بابكر أخصائي الجلدية والتناسلية، وحسن هارون أخصائي العيون، وعثمان عبد الكريم أخصائي المسالك البولية، وأبوالقاسم أحمد يوسف هاشم أخصائي الأسنان، وجعفر عطا المنان، وفاروق درويش، ومعلا المأمون، وعبد المنعم الواثق، والفاتح بشارة من ضباط القوات المسلحة، وغيرهم كثير.

المدارس الأجنبية

لعبت المدارس الأجنبية دوراً بارزاً وهاماً في النهضة التعليمية التي سادت وانتظمت الخرطوم في النصف الأول من القرن الماضي، وامتد تأثير تلك المدارس حتى السبعينيات منه (نهاية الفترة التي يغطيها هذا الكتاب). عند ذكر المدارس الأجنبية فأول ما يخطر على ذهن المواكب لتلك الفترة التعليم المصري بشقيه القبطي والحكومي. وبجانب التعليم المصري هنالك تعليم البعثات التبشيرية التي مازالت تلعب دوراً ملموساً بالإضافة إلى تعليم الجاليات الأجنبية الذي لم يتعد نطاقه أبناء الجاليات التي يستهدفها.

مثلت مدارس الأقباط تحت إشراف الكنيسة القبطية بداية التعليم المصري في الخرطوم بل في السودان أجمع، وكانت أول مدرسة قبطية بالخرطوم هي الكلية القبطية للبنين التي افتتحت عام ١٩١١م، وظلت تمارس نشاطها حتى عام ١٩١٨م حين أُغلقت بسبب صعوبات مالية. تلى ذلك افتتاح المدرسة الابتدائية القبطية في عام ١٩٢٢م، بينما نجد أن التعليم الثانوي قد بدأ في عام ١٩٣٠م. أما بالنسبة لتعليم البنات فقد تم إنشاء مدرسة البنات القبطية في عام ١٩٢٤م حيث بدأت بمبنى المطرانية الحالي وتحولت في عام ١٩٢٦م إلى المبنى المجاور للكنيسة وشغلته فيما بعد الكلية القبطية الابتدائية، وفي عام ١٩٤٦م تحول مقر الكلية إلى مقرها الحالي. واتبعت المدارس القبطية المنهج المصري للتعليم لذا نجدها لم تستوفِ متطلبات التوظيف الحكومي في ذلك الوقت مما جعلها غير جاذبة لانتباه السودانيين، هذا بالإضافة إلى عدم سماحها لأبناء السودانيين بالالتحاق بها قبل عام ١٩٣٢م[٨٥].



الكلية القبطية

شهدت الخرطوم في الربع الأول من القرن الماضي بجانب المدارس القبطية إنشاء بعض المدارس الخاصة ببعض الجاليات، أهمها مدرسة الخرطوم الإغريقية

٨٥ الدكتورة سعاد عبد العزيز أحمد،التعليم الأجنبي في السودان ١٨٩٨ - ١٩٥٦م، ٢٠٠٢م.

التي أُنشِئت في عام ١٩٠٦م وانتقلت إلى موقعها الحالي في ١٩٢٢م، والمدرسة الأرمنية التي انتقلت إلى الخرطوم من الخرطوم بحري في ١٩٢٣م. ويلاحظ أنَّ هذه المدارس لم تقدم أي خدمات تعليمية لأبناء السودانيين بعكس المدارس المصرية والإرسالية والقبطية التي فتحت أبوابها لهم في بداية الثلاثينيات.

التعليم المصري

أما بالنسبة للبعثة المصرية التي تمثل المساهمة الرسمية للحكومة المصرية في تعليم أبناء السودانيين فقد بدأت بمدرسة فاروق الثانوية (المدرسة الثانوية المصرية) وبدأت الدراسة فيها في عام ١٩٤٤م لتقبل خريجي المدارس الابتدائية الذين لم يحالفهم الحظ في دخول كلية غردون بجانب الطلاب المصريين الذين يرغبون في التعليم المصري ابتداءً. ورغم اختلاف مناهج البعثة المصرية عن مناهج مصلحة المعارف السودانية إلا أنَّها هدفت إلى تأهيل الموظفين لدواوين الحكومة مما أدى في فترة لاحقة إلى تفاقم مشكلة البطالة. وفي عام ١٩٥٥م أُنشئت جامعة القاهرة فرع الخرطوم في مباني المدرسة الثانوية المصرية وضمت آنذاك كليات التجارة والآداب والحقوق، وكانت الدراسة مسائية فقط لذا كان أكثر من التحق بها من الموظفين.



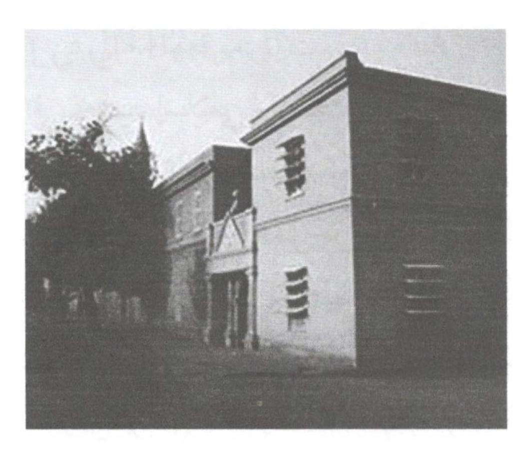
مقر البعثة المصرية (جامعة النيلين حالياً)

التعليم الكنسي

كان من الصعب في مجتمع إسلامي، كمجتمع الخرطوم، الدعوة للمسيحية بصورة مباشرة، ثم أنَّ حكومة المستعمر لم تكن في وضع يسمح لها بالموافقة على قيام الإرساليات التبشيرية بأي عمل من شأنه إثارة السودانيين خاصة، لذلك كانت الهيئات التبشيرية تمارس نشاطها من داخل الكنيسة أو المدرسة. وبدأت مدارس الإرسالية الكاثوليكية بالخرطوم منذ بداية القرن الماضي وتمثلت في كلية كمبوني ومدارس الراهبات، حيث تأسست مدرسة الراهبات بالخرطوم لتعليم البنات (القديسة آن) في عام ١٩٠٠م وضمت روضةً وفصولاً أولية، واقتصر الإقبال عليها من بعض المصريين والمسيحيين المقيمين في المدينة. كانت بداية المدرسة في موقع بالمحطة الوسطى وانتقلت في عام ١٩٢٩م إلى جزء من مبنى الكنيسة الكاثوليكية على النيل الأزرق، ثم تحول قسم الروضة والفصول الأولية إلى مدرسة سان فرانسيس بحي المطار في عام ١٩٥٠م تبع ذلك إنشاء مدرسة فيلا جيلدا في عام ١٩٥١م، وبذلك اقتصرت مدرسة الراهبات على التعليم الثانوي[٨٦].

افتُتِحت مباني كلية كمبوني الحالية بشارع القصر في عام ١٩٢٩م تخليداً لذكرى مؤسسها المطران دانيال كمبوني، واقتصر القبول فيها على أبناء الجاليات ولم يُسمَح لأحد من أبناء المسلمين بدخولها إلا بإذن من الحكومة. استمرت الكلية حتى نشوب الحرب العالمية الثانية حيث أغلقتها السلطات البريطانية ثم سمحت بإعادة فتحها في عام ١٩٤٣م تلبية لرغبة بعض السودانيين، وفتحت أبوابها عندئذ لأبناء المسلمين. اشتملت كلية كمبوني عند إنشائها على مرحلتي الابتدائية (المتوسطة) والثانوية، وفي الستينيات من القرن الماضي صارت تضم المراحل الثلاثة الأولية والوسطى والثانوية.

٨٦ الدكتورة سعاد عبد العزيز أحمد،التعليم الأجنبي في السودان ١٨٩٨ - ١٩٥٦م، ٢٠٠٢م.



مدرسة كمبوني

أُنشِئت مدرسة كمبوني الفنية في المنطقة الصناعية بالخرطوم في عام ١٩٥٢م وكانت تتبنى مناهج المدارس الفنية الحكومية حيث يتم تدريس العلوم النظرية بجانب العلوم التطبيقية من ميكانيكا وحدادة ونجارة. تستمر الدراسة في هذه المدرسة لفترة خمس سنوات ليتأهل الطالب للمنافسة في الدخول لمعهد الخرطوم الفني آنذاك أو لدخول سوق العمل الحرفي.

كان يرتاد الكمبوني -المجال الأكاديمي- أبناء الأغنياء في عهد الاستعمار البريطاني وبعد الاستقلال حتى منتصف السبعينيات، ثم أصبحت بعد ذلك إلى الآن أكثر اهتماما بالطلاب من جنوب السودان، خاصة أبناء قبيلة الدينكا لانتماء المسيحيين منهم للكنيسة الكاثوليكية.

أقامت الإرسالية الأسقفية أول مدرسة لها بالخرطوم في علم ١٩٠٢م لتعليم بنات الأقباط ولكن بعد حين انضمت إليها الفتيات المسلمات خاصة المصريات. قامت الجاليات السورية والقبطية والأرمنية تحت مظلة الكنيسة الإنجيلية في عام ١٩٢٨م بشراء المدرسة وتسميتها مدرسة الاتحاد العليا (Unity High School)، واستمرت هذه المدرسة إلى يومنا هذا تؤدي دورها في تعليم البنات في موقعها عند تقاطع شارع السيد عبد الرحمن مع شارع القصر.

كان للإرسالية الأمريكية مساهمتها في مجال التعليم إذ أنشأت أول مدرسة لها في الخرطوم في عام ١٩٠٧م. اشتملت تلك المدرسة على مرحلتي التحضيري والابتدائي، واتبعت مناهج المدارس المصرية حتى بداية الأربعينيات حين تحولت إلى المنهج السوداني. واجهت المدرسة بعض الصعوبات المالية في الثلاثينيات من القرن الماضي وتم إغلاقها لحين. وكان موقع المدرسة في ذلك الحين في مكان المكتبة المسيحية بشارع القصر جوار سينما كلوزيوم ثم انتقلت إلى الكنيسة الإنجيلية البروتستانتية جوار جامع فاروق في عام ١٩٤٢م. ومن أشهر نظارها في فترة الأربعينيات والخمسينيات الخوجة بيشاي والخوجة فايز فضيل.[٨٧] وفي مجال التعليم الثانوي أسست الإرسالية الأمريكية مدرسة التجارة الثانوية في أوائل الخمسينيات واتبعت هذه المدرسة المنهج السوداني منذ إنشائها. وعندما آلت مدارس الإرسالية الأمريكية في السودان للكنيسة الإنجيلية السودانية قامت الأخيرة بفتح المدرسة الإنجيلية الثانوية للبنين في الخمسينيات بالخرطوم وكانت مبانيها تقع في الفضاء الواقع بين دار الرياضة والسينما الوطنية بالخرطوم غرب.

التوسع في التعليم الأولي

شهدت منطقة الديوم القديمة الكثير من العمران في بداية العقد الثاني من القرن الماضي، وأصبح هناك ثقل سكاني بين مما أدي إلى افتتاح المدرسة الأولية الحكومية الثانية على نطاق الخرطوم في تلك المنطقة وكان ذلك في العام ١٩٢٣م. أُنشِئت مدرسة الديوم القديمة في ديم العتالة شمال مقابر فاروق وبُنيَت بالطوب الأخضر والزِبالة، وبدأت بفصلين ومكتب الناظر، وأول ناظر عُيِن للمدرسة هو الشيخ حامد وقيع الله من أهالي المسيد وكان قد تم نقله هو

٨٧ الخوجة تعني المدرس إو الموظف وأصلها تركية.

والشيخ إبراهيم الفاضل من أهالي توتي من مدرسة الخرطوم الحكومية. وبعد مضي عام من نقلهما توفي الأخير وحل محله ابن الديوم الشيخ عبدون محمد حماد ونُقِل بدوره بعد عام إلى رفاعة ليحل محله الشيخ سليمان المسلمي من المسلمية ليقضي هو الآخر عاماً بالمدرسة نُقِل بعدها مع ناظر المدرسة الشيخ حامد وقيع الله وحل محلهما الشيخان إبراهيم عمر الداروتي من بحري وخوجلي الكلاكلاوي، تبعهما في فترة لاحقة علي كنيش والصادق التواتي. بدأت الدراسة بهذه المدرسة بنظام الثلاث سنوات ثم أصبحت أربع سنوات في مرحلة لاحقة. ومن أوائل الدارسين بهذه المدرسة عبد الرحيم عبد السخي بادي وموسى باب الله وأحمد سعد عوض ويوسف يعقوب أب دربازة وشقيقه محمد يعقوب والماحي كَوَسُو وإبراهيم عبد الله دميج وكل هؤلاء من أبناء الديوم القديمة، بالإضافة إلى آخرين مثل عثمان الفاضل من توتي وعبد اللطيف دفع الله من الكلاكلة وغيرهم.

عندما بلغ اتساع الديوم القديمة والسجانة مداهُ في منتصف الثلاثينيات، أُنشئت مدرسة أخرى هي مدرسة الديم غرب الأولية الواقعة في الناحية الشمالية من السجانة. بإزالة الديوم القديمة في عام ١٩٤٩م وإنشاء الديوم الجديدة عوضاً عنها، انتقلت مدرسة الديوم إلى موقعها الحالي بديم التعايشة وسميت بمدرسة الديم شرق الأولية وتسمى الآن بمدرسة الديم شرق (١)، وكان على نظارتها في تلك الفترة الشيخ عبدون حماد. كانت فصول هذه المدارس مبنية بالطوب الأحمر ومسقوفة بجملونات من الأسبستوس بينما بنيت الأسوار من الطين. تمَّ أيضاً في فترة نهاية الأربعينيات وأوائل الخمسينيات تشييد مدرسة الخرطوم غرب الأولية الواقعة إلى الغرب من شارع علي عبد اللطيف. وشيدت أيضاً مدرسة الخرطوم الأميرية الإبتدائية (المتوسطة) في موقعها الحالي المواجه لعمارة الضرائب جنوب شارع عبد المنعم محمد حيث انتقلت إلى هذا

الموقع الجديد مدرسة الخرطوم الابتدائية، و يضاف موقعها القديم شمال ميدان أبوجنزير إلى مدرسة الخرطوم الأولية التي عرفت بعد ذلك بمدرسة الخرطوم شرق الأولية.

تم افتتاح العديد من مدارس الأولاد الأولية في الديوم الجديدة خلال الخمسينيات، فقد افتُتِحت مدرسة اتحاد الختمية في أحد منازل مربع المزاد المواجه لمقابر فاروق، وغير بعيد منها وفي منزل آخر تم افتتاح مدرسة أخرى عرفت لاحقاً بمدرسة الديم شرق ٢. انتقلت المدرستان في نهاية الخمسينيات إلى المبنى المجاور لمبنى مدرسة الديم شرق (١) من الناحية الشرقية، ثم دمجتا وسميتا بمدرسة الديم شرق (٢) النموذجية، ومن نُظَّارها حسن يوسف من العيلفون خلفه عبد الرازق كننه. كما افتُتِحت مدرسة كوريا عند الناحية الجنوبية الغربية لمقابر فاروق ومن بين المدرسين الأوائل في هذه المدرسة عزالدين آدم ومحمد عثمان وردي. انتقلت هذه المدرسة في نهاية الخمسينيات أيضاً إلى موقعها الحالي غرب محطة الغالي بشارع القصر جنوب وعرفت بمدرسة عزالدين نسبة إلى ناظرها عزالدين آدم وتسمى الآن بمدرسة الديم شرق (٣). كما افتتحت مدرسة الديم غرب في الناحية الشمالية الشرقية من حي السجانة وكان ناظرها حسن مصطفى بدر الدين ومن بعده عبد الله جبرة. غير بعيد من موقع هذه المدارس قامت مدرسة المايقوما في وسط حي المايقوما وتعرف الآن بمدرسة النور خضر وهو من أميز النظار الذين أداروا هذه المدرسة، وتخرج على يديه المئات من أبناء الديوم الجديدة. كما نجد مدرسة السجانة الجديدة الأولية بنين الواقعة بين السجانة الجديدة وديم القنا إلى الجنوب من سوق الديم ومن نظارها حسن عبد المنعم يونس.

تقع كل المدارس المذكورة أعلاه إلى الشرق من شارع الحرية، أما إلى الغرب منه في المنطقة المعروفة بالديوم الغربية والحلة الجديدة فنجد مدرسة الحلة الجديدة

التي بدأت أهلية عند تأسيسها بواسطة مربي الأجيال وقطب التعليم الأهلي في الخرطوم عبد المنعم يونس، ثم ما لبثت أن ضُمت إلى وزارة المعارف آنذاك لتصبح حكومية في نهاية الخمسينيات. نجد أيضاً مدرسة القوز التي ما زالت في موقعها الذي بدأت فيه مطلة على شارع الحلة الجديدة جنوب مركز صحي القوز وتعرف الآن بمدرسة هاشم عبدون وهو من النُظّار الذين تركوا بصمة واضحة في مسيرة المدرسة وهو ابن عبدون حماد الذي يعتبر رائداً للتعليم في منطقة الديوم.

ضم حي الخرطوم نمرة (٢) مدرستين أوليتين لأبناء هذا الحي الراقي ولأبناء حي الخرطوم ٣ هما مدرسة الاتحاد وتعرف بمدرسة الخرطوم ٢ وتقع إلى الشرق من حديقة القرشي، ومدرسة عبد المنعم الواقعة على نفس شارع مدرسة الاتحاد عند تقاطعه مع شارع الخور عند محطة كاترينا لبصات الديوم الشرقية وتعرف الآن بمدرسة عبد المنعم (١). تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الكثير من أبناء الخرطوم نمرة (٣) تلقوا تعليمهم الأولي في فترة الخمسينيات والستينيات في مدارس الديوم الشرقية الأولية. كما نجد معهد عبد المنعم محمد العلمي في الخرطوم نمرة (٣) جوار جامع عبد المنعم محمد في الناحية الغربية من ميدان عبد المنعم وظل يُدَرِس أبناء الخرطوم جنوب علوم القرآن الكريم والحديث والفقه الإسلامي طيلة الخمسينيات وإلى نهاية الستينيات عندما تحول إلى مدرسة أولية للبنين تابعة لوزارة التربية والتعليم وعرفت بمدرسة عبد المنعم (٢).

ومن أسماء الرعيل الأول من معلمي المرحلة الأولية حامد وقيع الله وإبراهيم الفاضل وعبدون محمد حماد وسليمان المسلمي وإبراهيم عمر الداروتي وخوجلي الكلاكلاوي وحسن عبيد وكمال عوض والنور خضر النور وعزالدين آدم ومحمد العربي وحسن محمد نور ومحمد سعيد سنجاوي ومتوكل محمد عبد الله ومحمد دهيب والزبير عثمان ومحمد عثمان وردي

وهاشم عبدون وعلي ميرغني وعبد الله التوم محمد حامد وأحمد بابكر ومحمد توم ومحمد عبد الحليم.



حصة الدين وكيفية التيمم

التوسع في التعليم الابتدائي (المتوسط)

استمر التعليم الابتدائي الحكومي للبنين في الخرطوم مقتصراً على مدرسة الخرطوم الأميرية حتى أوائل الستينيات عندما تم إنشاء مدرسة بري الأميرية وبذلك ارتفع عدد الطلاب المقبولين للابتدائي الحكومي من ٨٠ طالباً إلى ١٢٠ طالباً. وأُضيفت مدرسة أميرية ثالثة في منتصف الستينيات حيث أُنشئت مدرسة الخرطوم جنوب الأميرية في الفضاء الواقع إلى الغرب من مقابر فاروق.

من الرواد في مجال التعليم الابتدائي يوسف زمراوي، و رستم حسين رستم، وحسين حمد، ومنصور حسن أمين، والحاج هاشم، وجعفر دياب، وعبد القادر شيخ إدريس الذي اشتهر بـ (أبو هالة) فيما بعد في عالم الصحافة، والطيب شبيكة، ويوسف أبوبكر خليفة، وعبد الحميد إمام، ومحمد حمزة طيب الأسماء، وعبد المنعم يونس، وحسن محمود، ومحمد نور، وعبد الرحيم منزول، ومصطفى الطاهر، وإبراهيم محمد الحسن، ومصطفى محمد صالح،

وطه حسب الرسول، ومحمد حسن وداعة، ومأمون محمد الحسن، وعبد الصمد محمد نور.

التوسع في التعليم الثانوي

بدأ التعليم الثانوي للبنين في الخرطوم بكلية غردون التي استمرت تمثل التعليم الحكومي إلى أن أصبحت مدرسة عليا ثم كلية جامعية في عام ١٩٤٥م. وأدى ذلك التطور في كلية غردون إلى إنشاء ثلاث مدارس ثانوية على مستوى السودان هي وادي سيدنا وحنتوب وخورطقت قبل وبعد الحرب العالمية الثانية تباعاً، ثم تبع ذلك إنشاء ثانويات عطبرة وبورتسودان والخرطوم في عام ١٩٥٠م. وأُقيمت الخرطوم الثانوية الحكومية في موقع ثكنات الجيش الإنجليزي في الناحية الشرقية من كبري بحري بشارع الجامعة.



أول دفعة في الخرطوم الثانوية القديمة في عام ١٩٥٤م

استمرت مدرسة الخرطوم الثانوية الحكومية هي الوحيدة في الخرطوم حتى بُعَيد منتصف الستينيات حين أُنشئت مدرسة الخرطوم الثانوية الجديدة في الجانب الشرقي من ميدان عبد المنعم محمد (ميدان الأسرة) بالخرطوم نمرة (٣) وكان ذلك بالتحديد في عام ١٩٦٦م وعندئذٍ أصبحت مدرسة الخرطوم الثانوية

الحكومية تعرف بمدرسة الخرطوم الثانوية القديمة. وتلا إنشاء مدرسة الخرطوم الثانوية الجديدة بقليل إنشاء مدرسة المقرن الثانوية للبنين في الخرطوم غرب بجوار دار الرياضة. وفي هذا السياق لا ننسى مدرسة التجارة الثانوية التي أسستها الإرسالية الأمريكية في مطلع الخمسينيات ثم تحولت في فترة لاحقة إلى مدرسة حكومية واحتلت جزءً من مباني ثكنات الجيش الإنجليزي ببري. ومن الأسماء البارزة التي دَرَّسَت بالخرطوم الثانوية عبد الباقي محمد، ومحمد الغزالي السراج، وعبد المجيد طلسم، وحسن عبيد الشايقي، و جرجس محارب، ومحمد سعيد معروف، ومصطفى عابدين، و مصطفى حسن، ومحمد محجوب شورة.

تعليم البنات

بدأ التعليم الحكومي للبنات بفتح فصلين بمدرسة الخرطوم للبنين في عام ١٩٠٦م، ولكن سرعان ما أُغلقت هذه الفصول نتيجة لمعارضة الكنائس الإرسالية بدعوى أن هذا التوجه يضر بمدرسة الراهبات. انحصر بعد ذلك تعليم البنات في الخرطوم في المدارس الأجنبية التي كانت متاحة لبنات الأجانب وبفرص قليلة جداً لبنات المواطنين. أما بالنسبة لغالبية البنات اللائي تعلمن في فترة الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات فقد درسن في المنازل إذ أن عدداً من النساء المتطوعات قمن بفتح مدارس في منازلهن لتعليم البنات، ومن هؤلاء تفيدة القبطية وكانت تدرس في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات في منزلها الكائن عند تقاطع شارع الحرية مع شارع السيد عبد الرحمن. أما في الديوم القديمة فقد قامت سيدة راغب، التي تعتبر رائدة تعليم البنات في الخرطوم، بفتح مدرسة في منزلها بديم برتي في فترة الأربعينيات واستمرت هذه المدرسة إلى أوائل الستينيات حيث تحولت إلى مدرسة حكومية سميت مدرسة ديم برتي الأولية والآن تسمى بمدرسة ديم برتي (١). كما افتتحت آسيا

عباس هلال في بداية الخمسينيات مدرسة في منزلها بالخرطوم نمرة (٣) بجوار نادي الخرطوم ٣ الحالي وسمتها بكفاح آسيا. كما فتحت سعاد إبراهيم عيسى مدرسة أولية أُخرى في الخرطوم ٢ أشرفت عليها لحين ثم تولت إدارتها رقية محمد أبوبكر، وهذه المدرسة كانت النواة لمدرسة الاتحاد الأولية بنات. وأيضاً هناك آمنة إبراهيم عيسى المشهورة باللَمَّامة وقد لعبت دوراً في تعليم بنات الخرطوم جنوب في فترة الخمسينيات وخاصة في الأمور المتعلقة بالتفصيل والخياطة. فقد قامت بفتح أول روضة في الخرطوم في منزل أحمد الدشوني بالسجانة جوار مدرسة الديم غرب الأولية وكان ذلك في عام ١٩٥٢م، ثم أضافت للروضة محل للخياطة والتدبير المنزلي ومحو الأمية وعرفت هذه المؤسسة في ذلك الوقت بمدرسة اللَمَّامة وأصبحت فيما بعد مدرسة حكومية.

أما بالنسبة للتعليم الحكومي النظامي للبنات فأول محاولة كما ذكرنا هي فتح فصلين لتعليم البنات في مدرسة الخرطوم الأولية للبنين في عام ١٩٠٦م، ولم تستمر طويلاً إذ أُغلق الفصلان لمعارضة البعثات التبشيرية وخوفهم من أن ينحسر الاهتمام بمدارسهم التي كانت في الحقيقة تخدم في الغالب بنات الأجانب من مصريين وأقباط وشوام وغيرهم والقليل جداً من المواطنين الذين لا يرون حرجاً في إرسال بناتهم لهذه المدارس. وجاء افتتاح أول مدرسة أولية للبنات بالخرطوم في عام ١٩٣٩م، حيث افتتحت مدرسة السجانة في موقعها الحالي المطل على شارع السجانة بالنص إلى الشمال من سوق السجانة. وبما أنَّ تعليم البنات في أم درمان، خاصة التعليم الحكومي، قد سبق تعليمهن في الخرطوم نجد أنَّ أغلب مدرسات هذه المدرسة من أم درمان مع وجود بعض بنات الخرطوم منهن على سبيل المثال لا الحصر سعاد حمدان من الديوم القديمة وفاطمة مدني التي أصبحت ناظرة للمدرسة في نهاية الأربعينيات.

جاءت بعد مدرسة السجانة مدرسة المايقوما التي افتتحت في

الخمسينيات في نفس موقعها الحالي المطل على شارع السجانة بالنص في وسط حي المايقوما. وفي منتصف الخمسينيات تقريباً افتتحت مدرسة الاتحاد في الخرطوم نمرة (٢) جوار مدرسة عبد المنعم الأولية للبنين، ومدرسة عبد المنعم الأولية بنات جوار مدرسة الأم الثانوية بنات في الناحية الجنوبية من الخرطوم نمرة (٣). وخلال فترة الستينيات افتتحت العديد من مدارس البنات الأولية منها مدرسة ديم برتي المعروفة الآن بديم برتي (١) ومدرسة الديم شرق (١) و (٢) المعروفة الآن بمدرسة الديم شرق المزدوجة الواقعة جنوب شرق سوق الديم، ومدرسة الديم شرق (٣) المعروفة الآن بمدرسة شريفة فاضل المجاورة لمدرسة الديم شرق (١) بنين، ومدرسة عبدون حماد النموذجية، ومدرسة الإصلاح الواقعة غرب الحلة الجديدة، ومدرسة القوز الواقعة في الناحية الشمالية الغربية من القوز ومدرسة محمد أحمد المرضي الواقعة إلى الشرق من مدرسة الاتحاد الأولية بنين بالخرطوم نمرة (٢).

ومن رائدات تعليم المرحلة الأولية من نساء الخرطوم سيدة راغب، وآمنة إبراهيم عيسى، وحياة عبد الله فرج، وآسيا عباس هلال، ونعمات ميرغني، ونفيسة حسن، ونعيمة عبد الله، والدُر عبد الله، وسيدة عبد الله عبد اللطيف.

أما بالنسبة للتعليم الابتدائي (المتوسط) الحكومي للبنات في الخرطوم، فقد بدأ بمدرسة الخرطوم الابتدائية للبنات التي افتتحت في عام ١٩٥٠م وتقع على شارع الحرية إلى الشمال قليلاً من تقاطعه مع شارع الطابية (شمال كبري الحرية). وفي أوائل الستينات أُضيفت مدرسة الخرطوم جنوب الابتدائية للبنات وتطل على شارع القسم الجنوبي إلى الشرق من نادي أبناء حلفا. شهدت هذه الفترة أيضاً افتتاح أول مدرسة ثانوية حكومية للبنات في الخرطوم بشارع ١٩- العمارات، وتعرف الآن بمدرسة الخرطوم الثانوية القديمة للبنات. وبهذا

صار للخرطوم استقلالية عن أم درمان في التعليم الثانوي للبنات بعد أن ظلت بنات الخرطوم لعقدين ونيف من الزمان يرتحلن لأم درمان طلباً للتعليم الثانوي. ومن رائدات التعليم الابتدائي والثانوي من نساء الخرطوم فاطمة عبد الرحمن، وعلوية حسن الشيخ، وسعاد إبراهيم عيسى.



التعليم الثانوي للبنات

التعليم الأهلي

التعليم الأهلي للبنين

كان للتعليم الأهلي دورٌ بارزٌ في توسيع قاعدة التعليم وإتاحة المزيد من فرص التعليم لأبناء المواطنين. حذت الخرطوم في ذلك حذو أم درمان، إذ شهد ديم السلك قيام مدرسة المؤتمر الأهلية الصغرى[88] في النصف الأول من الأربعينيات، وعُين شيخ خوجلي شكر الله والد الدكتور إبراهيم خوجلي ناظراً عليها. وأنشأ بعد ذلك عبد المنعم يونس، أحد رواد التعليم الأهلي بالخرطوم، مدرسة أهلية أولية في الحلة الجديدة غرب ميدان الليق تم تحويلها لاحقاً إلى مدرسة حكومية.

أما بالنسبة للتعليم الابتدائي الأهلي فقد أسس مجموعة من الخيرين مدرسة

٨٨ المدرسة الصغرى هي مرحلة ذات ثلاث سنوات يتم بنهايتها تنافس طلبة المدارس الصغرى في منطقة محددة ليواصل المتفوقين منهم إكمال السنة الرابعة في مدرسة الكتاب (الأولية).

الخرطوم الأهلية الابتدائية للبنين في نهاية الأربعينيات. بدأت هذه المدرسة في شمال حي الخرطوم جديد ومن ثم انتقلت إلى الموضع الحالي حيث تسمى الآن بمدرسة الشيخ مصطفى الأمين، عرفاناً بالدور البارز الذي لعبه هذا الشيخ الجليل في إنشاء وتسيير هذه المدرسة. سبق تشييد مدرسة الكمبوني المتوسطة تشييد الخرطوم الأهلية بحين، وفي هذا إشارة للحادثة التي حدثت في إحدى مدارس الإرسالية حين طلبت إدارة المدرسة من التلاميذ المسلمين حضور دروس الديانة المسيحية أو الانسحاب من المدرسة وكان صدى ذلك قيام المدرسة الأهلية بأم درمان سنة ١٩٢٧م ثم انتشار التجربة بعد نجاحها في بقية مدن السودان. وكأن التاريخ يعيد نفسه بعد عقدين ونيف، فبعد أن منح المستعمر الأرض التي كانت تقام فيها زريبة الفحم والحطب للإرسالية الكاثوليكية لتشييد مدرسة الكمبوني تداعى نفرٌ كريم من أهالي الخرطوم إلى المطالبة بموقع زريبة العيش لتشييد المدرسة الأهلية لكي تقف صرحاً تعليمياً وطنياً يضاهي صرح مدرسة المُبَشر[٨٩] ويحافظ على الدين والعقيدة وما أرتبط بهما من مبادئ وقيم سمحة. من أشهر نظار المدرسة الأهلية الأستاذ محمد حمزة علي طيب الأسماء.

تلى قيام المدرسة الأهلية في نهاية الخمسينيات قيام العديد من المدارس الأهلية الابتدائية للبنين منها مدرسة الاتحاد ومن نظارها حسن محمود ومدرسة الخرطوم جنوب ونظرها كشة، وتقع المدرستان إلى الشمال من شفخانة السجانة (مركز صحي السجانة حالياً) وجوار مدرسة المواصلات السلكية واللاسلكية التي شيدت في النصف الأول من الستينيات. كذلك قامت في الديوم الغربية مدرسة الديوم الغربية الابتدائية وعرفت باسم مؤسسها وناظرها عبد المنعم

٨٩ إشارة للأغنية الوطنية «في الفؤاد ترعاه العناية بين ضلوعي الوطن العزيز» للشاعر يوسف مصطفى التِنَي والتي نظمها بمناسبة إنشاء المدرسة الأهلية بأم درمان والتي يقول فيها:

بى ديني بعتز وأفخر وأبشر ما بهاب الموت المكشر
ما بخش مدرسة المبشر عندي معهد وطني العزيز

يونس ومدرسة النهضة الابتدائية التي أسسها حاج كامل الأحمدي، وكانت هاتان المدرستان تقعان في الجانب الغربي من ميدان المولد الحالي بالخرطوم وقد أُغلقتا في عام ١٩٦٣م لصعوبات مالية، ثم أُعيد افتتاح الأولى بعد قيام ثورة أكتوبر ١٩٦٤م بقليل لتواصل مسيرتها التعليمية.

أيضاً هنالك مدرسة الراعي الصالح وبدأت في الخرطوم نمرة (٢) في الناحية الشمالية الشرقية من مقابر فاروق ثم تحولت إلى مبناها الحالي في ديم تقلي في الناحية الشمالية الشرقية من جامع الشيخ سيف الدين محمد أحمد شيخ الطريقة العزمية. أُنشِئت في النصف الأول من الستينيات مدرسة الشباب الابتدائية جوار ساحة الديوم الشرقية و أغلقت قبل أن تكمل العقد الأول من عمرها. وأُنشئت أيضاً في الستينيات مدرسة محمد سعيد العباسي الابتدائية في الديوم الغربية في الميدان الواقع شمال محطة أبوحمامة وناظرها ضياء الدين محمد سعيد العباسي.

أما في مجال التعليم الثانوي بنين، فلم تشهد الخرطوم قيام مدرسة أهلية إلا في النصف الثاني من الستينيات حين قامت أول مدرسة ثانوية أهلية وهي مدرسة النيلين الثانوية التجارية وأُنشِئت بالخرطوم نمرة (٢) إلى الشمال من مقابر فاروق.

التعليم الأهلي للبنات

جاءت مساهمة التعليم الأهلي في مجال تعليم البنات في بداية الخمسينيات حيث قامت ثلاث شقيقات بإنشاء أول مدرسة ابتدائية أهلية للبنات في منزلهن بالخرطوم نمرة (٢) وعرفت بمدرسة بنات ميخائيل الحبشي. أغلب الظن أن بنات ميخائيل قد تلقين تعليمهن في مدارس الخرطوم الأجنبية، وهن بذلك يصبحن من رائدات التعليم الأهلي الابتدائي في الخرطوم. ظهرت

بعد مدرستهن هذه في فترة لاحقة من الخمسينيات مدرسة الاتحاد النسائي وتم إنشاؤها في الناحية الجنوبية من الخرطوم نمرة (٣). كان مجلس إدارة هذه المدرسة يضم العديد من وجهاء الخرطوم آنذاك وعلى رأسهم الدكتور أديب عبد الله. ومن بين اللائي لعبن دوراً بارزاً في قيام هذه المدرسة سعاد إبراهيم عيسى وفاطمة عبد الرحيم. أنشأ الاتحاد النسائي في منتصف الستينيات مدرسة الأم الثانوية في نفس موقع مدرسة الاتحاد النسائي لتكون أول مدرسة ثانوية أهلية للبنات بالخرطوم.

شهدت نهاية الستينيات إنشاء فاطمة عبد الرحيم لمدرستها الابتدائية في امتداد الدرجة الثالثة. تعتبر فاطمة عبد الرحيم من رائدات تعليم البنات في الخرطوم، فهي من مواليد الديوم القديمة وقد درست في مدرسة أم درمان الثانوية حيث حصلت على الشهادة السودانية. عملت فاطمة في مجال التدريس في المدارس الابتدائية (المتوسطة) ومنها مدرسة الاتحاد النسائي الابتدائية ردحاً من الزمان حتى إنشائها لمدرستها الخاصة (مدرسة فاطمة عبد الرحيم) في عام ١٩٦٧م في الديوم الشرقية جوار الساحة الشعبية. انتقلت هذه المدرسة إلى موقعها الحالي بامتداد الدرجة الثالثة في وقت لاحق وتزامن ذلك مع افتتاح علوية حسن الشيخ لمدارس الإخلاص المتوسطة بجوار مدرسة فاطمة عبد الرحيم. كما شهد نهاية النصف الثاني من الستينيات قيام مدرسة النعيم الابتدائية للبنات في الناحية الغربية من مقابر فاروق بجوار مدرسة الخرطوم جنوب الأميرية للبنين وانتقلت بعد ذلك إلى شمال مقابر فاروق.

التعليم الفني والمهني

ضمت كلية غردون مدرسة الصناعة أو مدرسة الصناعات وكانت تعرف أيضاً بقسم العِرْفَان، وكانت هذه المدرسة تعني بإعداد الحرفيين من

حدادين وبرادين وخراطين وقيزنجية[90] ونجارين ونقاشين وغيرها من الحِرَف، ومدة الدراسة فيها سنتان بعد المدرسة الأولية. وقد جاء ذكر هذه المدرسة في كتاب «التعليم المهني في الوطن العربي» حيث ورد الأتي: «بدأ التعليم الصناعي في السودان سنة ١٩٠١م بمدرسة صناعية لتعليم حرفة النجارة ضمن كلية غردون وفي عام ١٩٠٣م استحدثت مدرسة أخرى لتعليم حرفة البناء والنحت، ثم دمجت المدرستان في مدرسة واحدة سنة ١٩٠٧م وكانت المدرسة بمستوى المتوسطة»[91]. نقلت معظم أقسام هذه المدرسة إلى عطبرة في عام ١٩٢٦م واستمرت أقسام النجارة والنقاشة فقط. استقطبت هذه المدرسة الكثير من أبناء الديوم القديمة الذين يشكلون الطبقة الفقيرة في مجتمع المدينة. فمن بين خريجي هذه المدرسة عبد الرحيم عبد السخي بادي وميرغني محجوب وعبد الماجد سعيد وعبد الله إبراهيم بطران ويوسف دوكة وصديق ريحان وموسى سعيد يعقوب وإبراهيم بلال وغيرهم. واحتلت مدرسة الصناعة الناحية الشرقية من المباني الحالية للجامعة بينما احتلت الكلية المباني الوَسْطِية.

وضمن نطاق التعليم الفني والمهني نجد مدرسة البوستة التي عرفت لاحقاً بمدرسة البريد والبرق ثم بمدرسة المواصلات السلكية واللاسلكية وأسست في العشرينيات وكانت تعرف بالتعليمخانة، وهذه التسمية من آثار حقبة الحكم التركي المصري وتعني مكان التعليم. وتعتبر مدرسة البوستة امتداداً لمدرسة الصناعات التي كانت ملحقة بكلية غردون التذكارية، وكانت طبيعة الدراسة بهذه المدرسة نظرية وتطبيقية على أعمال البريد والبرق وتمنح خريجيها شهادة تأهيل (الكواليفايد). ومن أبرز نظار هذه المدرسة في بداية الأربعينيات الأستاذ البكري أبوحراز، وقد كان أديباً وشاعراً بجانب شخصيته

---

٩٠ القيزنجي هو الذي يعمل في تشغيل وصيانة القيزان، والقيزان هو صهريج يُغلَى فيه الماء.

٩١ د. طارق علي العاني و د. غانم سعدالله حساوي، التعليم المهني في الوطن العربي، مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٦م.

التربوية القوية وسلوكه الدِّين الملتزم. ونلحظ من بين المدرسين الذين مروا على هذه المدرسة الأستاذ سليمان حسين الذي أصبح عضواً بالجمعية التشريعية عام ١٩٤٨م ثم وزيراً في الحكومة الوطنية الأولى. أما خريجو هذه المدرسة فهم كثر من أبرزهم الشاعر والفنان المبدع خليل فرح والأستاذ جعفر حامد البشير وشرف الدين محمد علي الذي أصبح ناظراً لها في الستينيات. وفي هذا الإطار أيضاً تمَّ افتتاح مدرسة الصحة العامة في عام ١٩٣٢م بهدف إعداد كوادر من ضباط الصحة للإشراف على صحة البيئة.

أُسِسَت الكلية المهنية في بداية الستينيات في الفضاء الواقع جنوب الديوم الشرقية، وبإنشائها اكتمل التدرج الهرمي للمهن الهندسية. فقد هَدَفت الكلية المهنية إلى استيعاب خريجي المدارس الأولية الذين لا تتاح لهم الفرصة للالتحاق بالمدارس الابتدائية حيث يتم تأهيلهم لمدة سنتين ثم تخريج كوادر من العمال المهرة في مجالات اللحام والبرادة والحدادة والإنشاءات المدنية والراديو والكهرباء. شهد التعليم الفني والمهني في تلك الفترة، أي فترة الستينيات، تطوراً آخر حيث افتتح مركز التدريب المهني الألماني في الجانب الغربي من شارع المطار إلى الجنوب من الناديين الإيطالي والأرمني.



جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا القسم الجنوبي (الكلية المهنية سابقاً)

التعليم العالي

في إطار التعليم العالي الذي عرفته الخرطوم يتم استعراض إنشاء كلية غردون التذكارية ومدرسة كتشنر الطبية ومعهد الخرطوم الفني.

كلية غردون التذكارية ومدرسة كتشنر الطبية

كرمت بريطانيا ذكرى غردون باشا بإنشاء كلية غردون التذكارية وأراد لها كتشنر أن تصبح محوراً للتعليم العالي في السودان على مر الزمان. وضع اللورد كرومر حجر الأساس للكلية في يناير ١٨٩٩م وافتتحها اللورد كتشنر في نوفمبر ١٩٠٢م واشتملت أهدافها على الآتي[٩٢]:

- تدريب فئة من الفنيين المهرة.
- نشر التعليم ليستوعب الناس عمل الحكومة وأسس تطبيق العدالة والقضاء.
- تدريب فئة صغيرة من الإداريين لكي تتولى في المستقبل الوظائف الحكومية الدنيا.

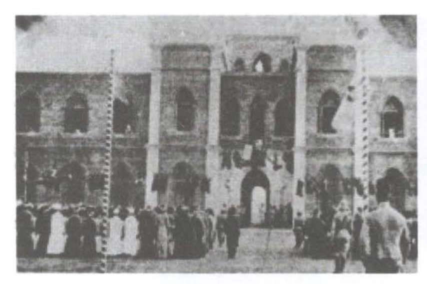
بدأت كلية غردون كمدرسة ثانوية ثم تطورت لتصبح مدرسة عليا، وكان أول عميد لها هو المستر جيمس كري وظل في هذا المنصب لفترة خمسة عشر عاماً ليخلفه مستر كراوفوت. كانت الكلية تعتمد على المدرسين الإنجليز لتعليم اللغة الإنجليزية والشوام لتعليم الرياضيات والعلوم والمصريين لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي.

---

٩٢ الدكتور خالد المبارك مصطفى،التعليم العالي بالسودان، ١٩٨٥م.

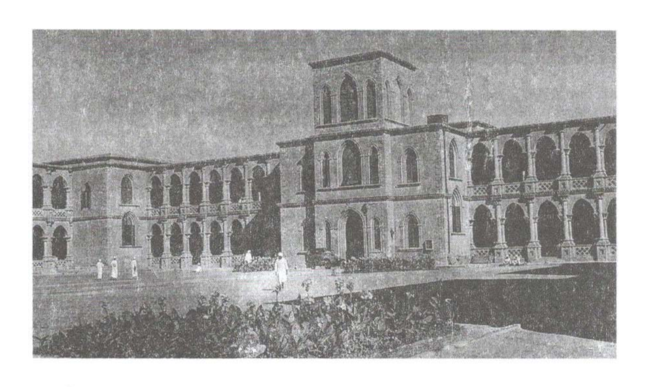


كلية غردون التذكارية



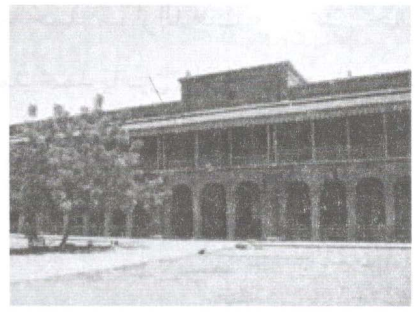
منظر خلفي لكلية غردون التذكارية

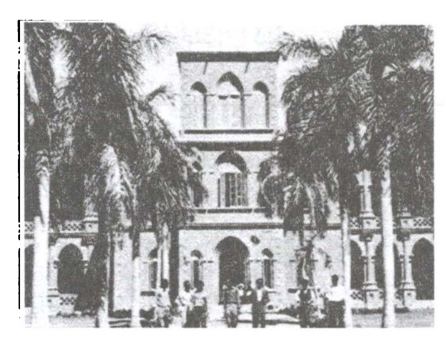
ضمت الكلية عندما كانت مدرسة عليا العديد من الأقسام مثل قسم الكتبة، وقسم المعلمين، وقسم القانون، وقسم الهندسة والمساحة، وبلغ عدد طلبتها آنذاك ٣٩٢ طالباً. أُضيفت المدرسة الحربية كقسم ملحق بالكلية في عام ١٩٠٥م، وقد شغلت المباني التي احتلتها بعد ذلك إدارة جامعة الخرطوم في الناحية الجنوبية من شارع الجامعة. خرجت الكلية الكثير من الدفع في الأقسام المختلفة ليقودوا السودان فيما بعد في مجالات السياسة والاقتصاد والطب والهندسة والعلوم وفي شتى مجالات المعرفة. فقد خرجت معظم أقطاب الحركة الوطنية والخدمة المدنية في منتصف القرن الماضي ومنهم أحمد عقيل وعمر إسحاق وأبوبكر المليك ومحمد عشري الصديق وعرفات محمد عبد الله وأحمد يوسف هاشم ومحمد يوسف هاشم المحامي وأحمد خير المحامي وتوفيق صالح جبريل ومصطفى أبوشرف وأحمد بشير العبادي وعبد الفتاح المغربي وحسين شريف ومحمد الحسن دياب ومحمد سيدأحمد سوارالذهب وميرغني حمزة ويوسف مصطفى التني ومكي المنا وأحمد محمد ياسين وإبراهيم أحمد وخضر حمد ومحمد أحمد محجوب وغيرهم.



كلية الخرطوم الجامعية

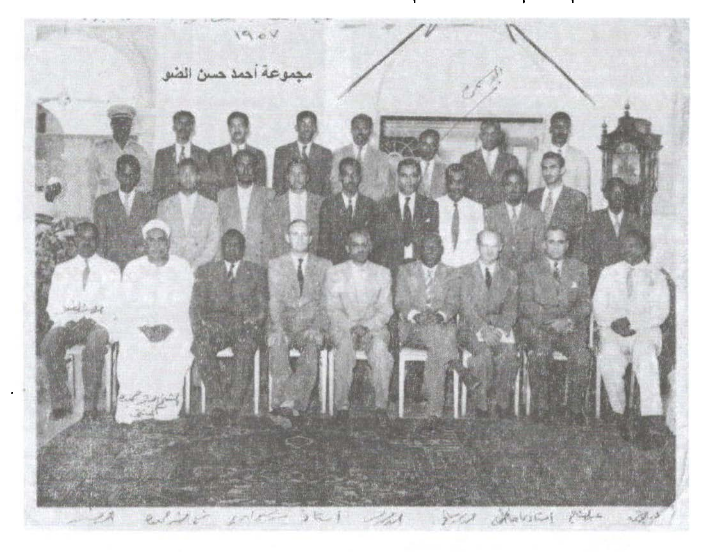
كما ذكرنا أعلاه كان التطور الأول لكلية غردون التذكارية هو تحولها من مدرسة ثانوية إلى مدرسة عليا وقد حدث ذلك في عام ١٩٣٧م. جاء التطور الثاني في عام ١٩٤٥م حيث تحولت إلى كلية جامعية بمسمى كلية الخرطوم الجامعية وفُصِلت من مدير التعليم وكُوِنَ لها مجلس مستقل ونظمت علاقتها بجامعة لندن، وبهذا صارت تمثل مؤسسة تعليمية جامعية. واستمرت كذلك حتى عام ١٩٥٦م حيث أعلن تحويلها إلى جامعة الخرطوم وأصبحت تمنح الدرجات الخاصة بها في مجالات الطب والهندسة والزراعة والبيطرة والعلوم والآداب ثم القانون والاقتصاد وإدارة الأعمال. وبذلك أصبحت مدينة الخرطوم تحتضن أول جامعة وطنية تؤدي دورها الريادي في نشر العلم والثقافة بين المواطنين.





كلية الخرطوم الجامعية ومبنى الداخلية

تأسست مدرسة كتشنر الطبية في عام ١٩٢٤م. وكان لرجل الأعمال العراقي الأصل عبد اللطيف البغدادي دورٌ بارزٌ في تأسيس هذه المدرسة بالإضافة إلى وقْفِه لبعض ممتلكاته لهذا الصرح. وقد بدأت المدرسة بعشرة طلاب في موقع كلية الطب الحالي بشارع القصر تخرجوا منها عام ١٩٢٨م. ومن الرعيل الأول من الأطباء الذين تخرجوا منها د. حسين أحمد حسين و د. عبد الحليم محمد و د. النور عبد المجيد و د. التيجاني الماحي وغيرهم. انضمت مدرسة كتشنر الطبية إلى كلية الخرطوم الجامعية عام ١٩٥١م، وأصبحت كلية متفرعة من جامعة الخرطوم عام ١٩٥٦م.



طلبة الطب بعد حلف اليمين أمام مجلس السيادة ١٩٥٧م

معهد الخرطوم الفني

في إطار تطوير التعليم العالي والفني في السودان، افتُتح معهد الخرطوم الفني (المعهد الفني) في أواسط الخمسينيات في مبانيه الرئيسية غرب دار الرياضة بالخرطوم غرب. وهَدَف المعهد الفني في ذلك الوقت إلى تخريج فنيين في مجالات الهندسة المختلفة لردم الفجوة بين خريجي كلية الهندسة وخريجي

المدارس الصناعية. كما هَدَف المعهد أيضاً إلى تخريج فنيين في مجال الفنون والمحاسبة والبنوك والسكرتارية. وبدأ المعهد بمنح الدبلوم نظام الثلاث سنوات، ثم تغيرت الدراسة إلى نظام الأربع سنوات في الستينات، وتوسع أخيراً وضم إليه معهد الموسيقى والمسرح ومعهد العلوم الطبية المساعدة وعُرِفَ بمعهد السودان للعلوم والتكنولوجيا (جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا حالياً). وتجدر الإشارة إلى أن الخرطوم قد شهدت إنشاء معهد الموسيقى والمسرح في أوائل الستينات وكان أول مقر له شرق اتحاد الختمية في المزاد بالخرطوم جنوب.





معهد الخرطوم الفني بعد أن أصبح جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا



داخلية حسيب لكلية الطب عند المدخل الشمالي لكبري الحرية

الفصل السابع

المواصـــلات والنقـــل

المواصلات والنقل في حقبة ما قبل دولة المهدية

لا شيء كثير يذكر بالنسبة للمواصلات في حقبة ما قبل دولة المهدية إذ كان معظم سكان الخرطوم يتنقلون بين أحياء المدينة وبينها وبين القرى المجاورة مشياً على الأقدام والقليل منهم يستخدم الدواب. تستخدم المراكب للانتقال عبر النيل الأزرق إلى توتي والحلفاية وعبر النيل الأبيض إلى الضفة الغربية منه حيث محطة القوافل المتجهة نحو كردفان. ونجد العديد من المشارع على شاطئ النيل الأزرق تستخدم مراسي للمراكب. يتم الانتقال من الخرطوم إلى المدن الأخرى والقرى بواسطة القوافل والمراكب الشراعية والبواخر النيلية التي تنطلق من ميناء المدينة (الأسكلة) الواقع على النيل الأزرق في الطرف الغربي منها.

بدأ التفكير لأول مرة في مد خط للسكة حديد لربط مصر بالخرطوم في عهد سعيد باشا ولكن لم ينفذ المشروع لتكلفته العالية. أعيد التفكير في المشروع بعد مجيء الخديوي إسماعيل باشا الذي حصل على فرمان من الأستانة بالموافقة على ربط الخرطوم بخارج البلاد بالسكة حديد، ومُنِح امتيازها للشركة العزيزية المصرية. أُعدت الدراسات بخصوص هذا المشروع وكان نتاج هذه الدراسات ثلاث مقترحات: الأول خط للسكة حديد من كروسكو عبر صحراء العتمور إلى أبوحمد ثم الخرطوم. والثاني خط للسكة حديد من وادي حلفا إلى الدَبَّة على طول النيل ثم عبر صحراء بيوضة إلى المتمة ومنها إلى الخرطوم. أما المقترح الثالث فهو شق قناة ملاحية عبر جنادل الشلال الأول. استقر الرأي

على المقترح الثاني وبدأت شركة بريطانية عام ١٨٧٥م في بناء المائة ميل الأولى من وادي حلفا إلى كرمة ولكن توقف عند صرص جنوب حلفا بسبب عجز ميزانية الحكومة المصرية في الاستمرار في المشروع.

المواصلات والنقل في حقبة ما بعد دولة المهدية

كانت وسيلة الانتقال والترحيل داخل و بين أحياء الخرطوم المختلفة إلى منتصف الأربعينيات هي الدواب، خاصة الحمير. فنجد الحنطور[٩٣] وهو عربة تسع شخصين أو ثلاثة أشخاص وتجر بواسطة الخيل. توجد مواقف محددة للحناطير، منها الموقف الكائن بجوار قهوة علي السيد عند صينية (دوار) القندول، ويقصدها من يريد تأجير حنطور لينتقل من مكان لآخر. بلغ سعر تأجير الحنطور في الخمسينيات ما بين السبعة والعشرة قروش. ويستخدم هذه الحناطير موظفو الدولة والتجار والأجانب دون استثناء إذ لم تكن في الخرطوم حتى نهاية العشرينيات سوى ثلاث أو أربع عربات تاكسي.

يتنقل العامة من سكان المدينة على ظهور الحمير أو سيراً على الأقدام. من المناظر المألوفة في أسواق المدينة مرابط الحمير حيث تجدها في أطراف هذه الأسواق. وعادة ما تكون منذ الصباح الباكر ممتلئة بالحمير التي يربطها أصحابها ويذهبون لقضاء أغراضهم. كما تجد غير بعيد من هذه المرابط مجموعات من الحمير المُسَرَّجة المُلَجَّمة وقد اكتست سُرُج بعضها بالزاهي من الفَرَاوِي[٩٤] من مختلف الألوان، وبجانب كل حِمَار مكاري[٩٥] يربط على يده نمرة للتعريف والإجازة، يتصيد المكاري الزبائن من الركاب الذين يريدون إستئجار حُمراً لتنقلهم بين أحياء المدينة. وعند الفوز بزبون يمتطي الزبون الحمار ويوجهه حيث يريد بينما

٩٣ الحنطور مشتق من كلمة هنتو الهنغارية بمعنى المركبة وأخذها العرب من الأتراك.
٩٤ جمع فَرْوَة وهي فِراء الأغنام المدبوغ.
٩٥ المكاري هو صاحب الحمار (الحماري) الذي يؤجره لمن يرغب في الإنتقال من مكان إلى مكان.

يركض المكاري خلف حماره حتى يصل الراكب إلى وجهته. أما المقتدرون مادياً من سكان المدينة من تجارها وأعيانها فتجدهم يتنافسون في اقتناء الحمر الجيدة خاصة المستوردة من بربر التي اشتهرت بتوليد نوع ممتاز منها. أيضاً من المألوف مشاهدة هؤلاء العلية من أهل المدينة على حميرهم تركض بهم نحو دار للعزاء أو للمشاركة في فرح أو استجابة لدعوة خاصة، وقد ساروا في طوابير صغيرة تظهر من هنا وهناك متجهة إلى مقر الدعوة ... وخارج الدار تحتشد هذه الحمر وقد أمسك بها العديد من الصبية ...».[٩٦] وبجانب الحمير والحناطير هنالك عربات الكارو التي تجر بالبغال أو الخيل وتستخدم في نقل الأمتعة والبضائع وأحياناً يستغلها المواطنون للتنقل بين أطراف المدينة.

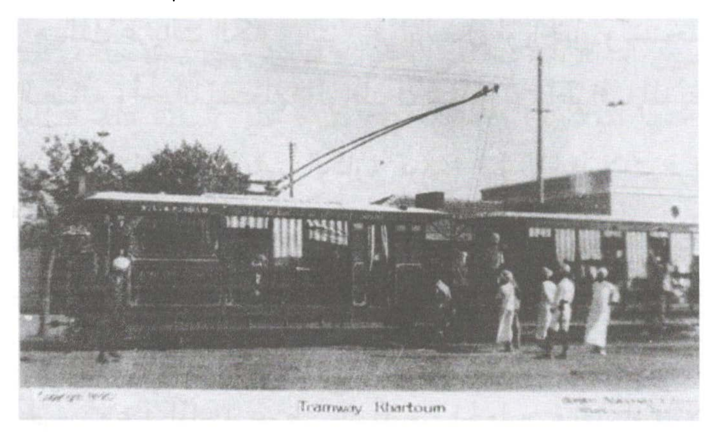
كانت الحناطير وعربات الكارو تودع في الإسطبلات قرب إشلاق إسماعيل باشا (القيادة العامة للقوات المسلحة حالياً) ثم نُقِلَت في الثلاثينيات إلى الناحية التي تقع فيها الآن المنطقة الصناعية. ومن أصحاب الحناطير الخواجة نكيتا الإغريقي وكان يقيم في نفس الإسطبلات، وودحريز من بري ويقيم في حي الحرس وعبد الماجد عوض السيد من الجعليين ونقل إسطبلاته إلى ديم سلمان عند إنشاء الديوم الجديدة.

الترماج (الترام)

عرف سكان الخرطوم الترماج قبل إنشاء كبري النيل الأبيض في نهاية العشرينيات (١٩٢٨م)، حيث أُدخل ترماج البخار، الذي عرف بالسِمِع، لنقل المواطنين بين الخرطوم و الخرطوم بحري، ومُشْرَع المقرن حيث معدية أم درمان. وكانت المحطة الوسطى هي نقطة الملتقى لخطوط سكة الترماج، فالخط المتجه غرباً إلى مُشرَع المقرن يبدأ من المحطة الوسطى بشارع الجمهورية

٩٦ حسن نجيلة، ملامح من المجتمع السوداني، مكتبة الحياة، بيروت.

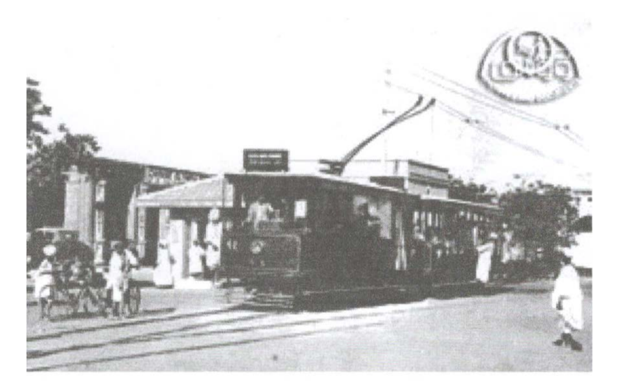
ويمر بمحطات الحلواني والعمدة ود كرم الله وحديقة الحيوانات وشركة النور (الكهرباء) حيث ورشة الترماج ومُشْرَع توتي ثم المقرن حيث تعبر المعدية النيل الأبيض إلى مُشْرَع الموردة. واستمر هذا الخط على هذا المنوال حتى عام ١٩٢٨م عند إنشاء كبري النيل الأبيض حيث تمَّ ربطه عبر الكبري بالخط المتجه من الموردة إلى المحطة الوسطى بأم درمان. أما الخط المتجه شرقاً نحو الخرطوم بحري فيمر من المحطة الوسطى بسان جيمس والمتحف الطبيعي والجامعة ثم يعبر كبري النيل الأزرق نحو المحطة الوسطى بالخرطوم بحري.



الترماج (السِمِع) في إحدى محطاته

بجانب هذين الخطين هناك خط ثالث يربط غرب مدينة الخرطوم بشرقها عبر شارع السيد عبد الرحمن ويُعرف بترماج الدوران وبـ"أبُو تعريفة" نسبة لسعر تذكرته. يبدأ ترماج الدوران رحلته من محطته الأولى عند عمارة سِفْرِيَان المقابلة للقضائية وللري المصري، ويتجه جنوباً على طول شارع عبد المنعم محمد حيث يمر بمحطة الحلواني ثم مطعم الفوال في مواجهة زنك السمك من الناحية الغربية، ويستمر في رحلته جنوباً ماراً بمحل عبد الله الزبير (إحدى محطاته)، فقهوة البرابرة (قهوة الشيشة)، فقهوة علي السيد، وفرن سيحة (الذي اشتهر بالرغيف الشمسي البلدي) عند صينية (دوار الحركة) القندول وكانت

تعرف بمحطة الدوران. ثم يتجه شرقاً على طول شارع السيد عبد الرحمن، فيمر بقصر السماني وقصر أبو حسبو والد عبد الماجد أبو حسبو القطب الاتحادي المعروف، وبقصر المَشْلِية، وبقصر جعفر بابكر جعفر، ومنزل مأمون المرضي (أول ياور سوداني للحاكم العام) عند تقاطع شارع هاشم بك ومنزل الدكتور إبراهيم المغربي، ومنزل الداية حاجة نعيمة حيث إحدى المحطات، ثم منزل فكي الحمام الذي أشتهر بتقديم وجبات الغداء المكونة من الفتة بالرز واللحم كسبيل للجميع مع حيرة الكل في مصدر هذا الطعام. وكان منزل فكي الحمام مليئاً بأبراج الحمام ويشاهد الحمام يحلق من موقع لآخر فوق سطح المنزل منذ الصباح الباكر حتى غروب الشمس. كان لهذا الفكي شعرٌ كثيف، وكان دائم الجلوس بجلبابه الأبيض على سباتة[٩٧] عند مدخل منزله حيث يتهافت عليه الأطفال للفوز ببعض البلح واللقيمات، وهذه هي الحالة التي عرفه بها جميع سكان حي السوق.

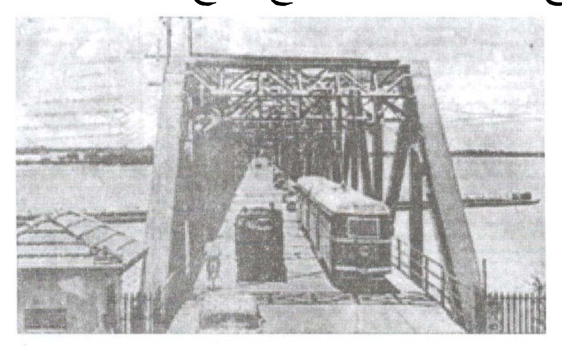


السِمِع في المحطة الوسطى

يمر ترماج الدوران بعد ذلك بعيادة الدكتور مشعال قبيل تقاطع شارع الجامع (شارع إستاك)، ثم بنادي العمال عند التقاطع حيث كان حي المراسلات قبل إنشاء النادي. ومن ثَمَّ يعبر الترماج شارع القصر متجهاً نحو حي الحرس الذي

٩٧ السباتة هي حصير مصنوع من سعف النخيل.

عرف فيما بعد بالخرطوم شرق، فيمر بمدرسة الاتحاد ثم ملعب الكمبوني الذي ظل في موقعه الحالي منذ الأربعينات وفي تلك المنطقة نجد آل الحكيم. ينحرف الترماج شمالاً عند تقاطع الملك نمر ليمر بمعالم هذا الشارع حيث يوجد قصر بِت بيلا في موقع الشئون الدينية والأوقاف الحالي، وهناك أيضاً منزل الدكتور معلوف الذي أشتهر بجنائنه وصناعة العصائر، ثم يمر الترماج بمحطة الحرس في موقع الهلال الأحمر الحالي عند تقاطع شارع الجمهورية مع شارع الملك نمر، ومن هناك يتجه نحو محطته الأخيرة عند الكنيسة الإغريقية والمدرسة التابعة لها عند نهاية شارع الملك نمر بعد تقاطعه مع شارع الجامعة.

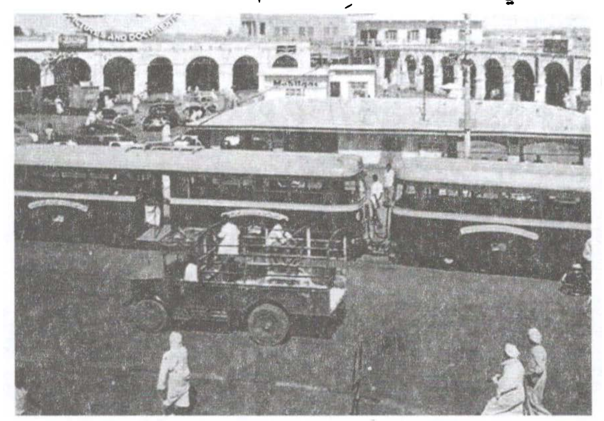


الترماج يتجه إلى أم درمان عبر كبري النيل الأبيض

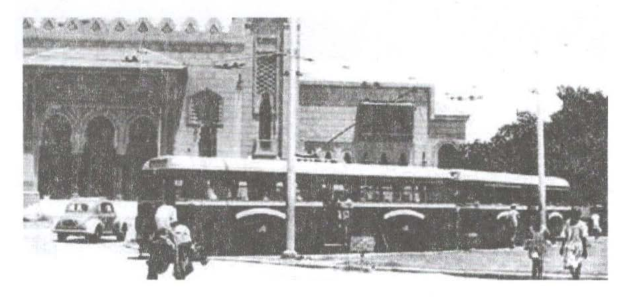
حل ترماج الكهرباء محل ترماج البخار في فترة لاحقة وأستمر يعمل في هذه الخطوط حتى مجيء حكومة الفريق إبراهيم عبود في نوفمبر ١٩٥٨م حيث أوقفت الترماج بحجة بطئه وعرقلته لحركة السير وحلت محله بصات شركة مواصلات الخرطوم لتصبح وسيلة النقل العام الرابطة بين المدن الثلاث، وقد اتبعت في مسارها نفس مسار الترماج.

مَثَّلَ دخول الترماج لمدينة الخرطوم نقلة حضارية تركت أثراً واضحاً على سكان المدينة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، فبجانب ربطه قلب المدينة بأطرافها نجده قد ربط المدينة بأم درمان وبالخرطوم بحري. ورَبْط الخرطوم

بأم درمان كان يعني الكثير إذ لكل منهما سمة تتميز بها، فأم درمان كانت تمثل مخزوناً لا ينضب من القوى العاملة بحكم كثافتها السكانية، بينما نجد فرص العمل أكثر توافراً في الخرطوم بحكم وجود دواوين ومصالح الحكومة. ساعد الترماج على تكامل المدينتين مما انعكس إيجاباً على الخرطوم إذ توسعت وتمددت أسواقها وانتعشت وراجت الأعمال التجارية فيها وصاحب ذلك الكثير من أعمال التشييد والعمران. أما الأثر الاجتماعي والثقافي فقد تمثل في ربط سكان المدينة حيث سَهُلَ التنقل وقَصُرَت المسافات فأصبح التواصل والتراحم بين الناس ثراً. وظهر أثر ذلك في آدابهم وأشعارهم، ومن أمثلة ذلك ما قاله الخليل في قصيدته الغنائية "ما هو عارف قدمو المفارق" إذ قال "قدلة يا مولاي حافي حالق في الطريق الشَاقِيهُ الترام".

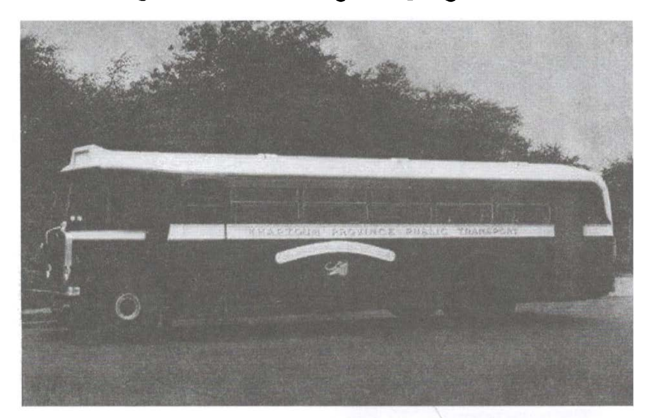


الترماج الحديث آنذاك في المحطة الوسطى



الترماج الحديث في محطة جامع فاروق

وفرت شركة النور والمياه بجانب الترماج أول بصات حديثة لنقل المواطنين بين المدن الثلاثة الخرطوم وأم درمان والخرطوم بحري، وعرفت ببصات الشركة. وكانت تلك البصات شبيهة من ناحية الشكل للبصات المستخدمة في بريطانيا حينذاك. كانت محطة الانطلاق لهذه البصات هي المحطة الوسطى حيث يقع موقفها في الساحة الواقعة إلى الجنوب من محطة الترماج، وخط سيرها هو نفس خط سير الترماج إلى أم درمان والخرطوم بحري، ومحطاتها هي نفس محطاته. وتتحرك حسب جدول زمني معروف، وبتعريفة نقل تساوي قرشاً واحداً. استمرت هذه البصات في الخدمة بعد أن آلت ملكية الشركة إلى شركة مواصلات العاصمة في أوائل الستينيات من القرن الماضي وأصبحت مديرية الخرطوم هي المسئولة عنها، وتم حينها إدخال بصات الإنترناشونال والتي أعقبتها بصات الفيات (البلو بيرد) بلونها الأزرق المميز.



بصات شركة النور

تلى ذلك في السبعينيات دخول باصات المرسيدس ذات اللون الأصفر، والتي عرفت ببصات أبو رجيلة إذ تم استيرادها من البرازيل بواسطة رجل الأعمال عبد اللطيف أبو رجيلة.



باص شركة مواصلات العاصمة (أبو رجيلة)

بصات النقل الأهلي

مع تمدد الخرطوم جنوباً في المنطقة التي عُرفت بالديوم ثم بالديوم القديمة بعد إزالتها (موقع الخرطوم نمرة (٢)) واحتياج سكان هذه الناحية إلى وسيلة نقل لربطهم بالخرطوم شمال، جاء دسوقي القباني (جد مبارك الفاضل لوالدته) ببصات لهذا الغرض وسميت بأبوتعريفة نسبةً لسعر تذكرتها. ويبدأ خط سير بصات القباني من محطة الدومة بالديوم القديمة (حديقة القرشي حالياً) وتتجه شرقاً حتى لفة ديم التعايشة ومن ثَمَّ شمالاً إلى أن تصل خلوة الفكي أزرق في ديم عبد الكريم، ثُم تعبر الفضاء الفاصل بين الديوم القديمة والجيش المصري إلى بوابة المسلمية وعبرها إلى الخرطوم شمال.

ظهرت بعد فترة من تسيير بصات القباني ما عرف بالعَظَمَة وهي عربة بأربع عجلات ولها سقف وكنبات لجلوس الركاب وتُجر بواسطة حصانين. أُدخلت العظمة للعمل في خط سير بصات القباني، وقد أدخلها الصادق عبد الرحيم من أبناء ديم برتي وكان يعمل قبل ذلك بناء. استلهم الصادق فكرة

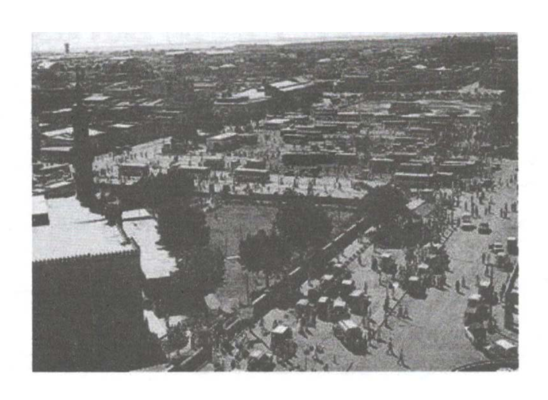
العظمة من شخص يدعى هارون اليهودي من سكان الخرطوم بحري إذ صنع عربتين بالمواصفات المذكورة واستخدمهما لنقل المواطنين من المحطة الوسطى بحري إلى داخل الأحياء. استمرت العظمة لفترة ما بين السنة الواحدة والسنتين في الخدمة ثم توقفت بينما ظلت بصات القبانية تعمل إلى أن جاءت البصات الأهلية وشركة الديوم للنقل في نهاية الأربعينيات وشارك في تأسيسها بطران إبراهيم والأخوان زيدان وحسين بريمة من ديم سلمان. وكانت البصات العاملة في هذه الشركة لها كنبات من خشب لذا عرفت لاحقاً بعد دخول البصات الحديثة ببصات الخشب.

شهدت وسائل النقل تطوراً ملحوظاً بعد إنشاء الديوم الجديدة، وبحلول الستينيات دخلت في الخدمة أنواع مختلفة من البصات الحديثة منها البدفورد والرينو والمرسيدس والهنقاري [illegible] (OM) و (Borzani) الذي اشتهر بالبعيو لصغر حجمه مقارنة بالبصات الأخرى. وكان لمنطقة الخرطوم جنوب ثلاثة خطوط رئيسية للبصات الأهلية ولكل خط ألوان خاصة به فخط الديوم الشرقية باللونين الأزرق السماوي والأصفر وخط السجانة بالنص باللونين الأزرق الداكن (الكُحلي) والأصفر وخط الديوم الغربية باللون الأحمر. وكان سعر التذكرة لكل هذه الخطوط هو عشرة ملاليم ارتفع في منتصف الستينيات ليصبح خمسة عشر لخط الديوم الشرقية بعد أن امتد جنوباً ليشمل امتداد الدرجة الثالثة. أضيف خط رابع بعد عمارة عشش فلاتة في منتصف الستينيات وسمي بخط العشش وتميز باللونين الأزرق والأبيض.

أشهر هذه الخطوط هو خط الديوم الشرقية، لتغطيته مساحات واسعة وذات كثافة سكانية عالية. تبدأ المحطة الرئيسية لهذا الخط من الشارع الفاصل بين ميدان الأمم المتحدة والجامع الكبير ليمر بشارع القصر من ناحية ميدان أبى جنزير، ثم شارع الاسبتالية (شارع الطابية) وعبر السكة حديد عن طريق كبري

المسلمية ماراً بالنجيلة الثالثة (التي تعرف بحديقة إشراقة حالياً) الواقعة على القطاع الجنوبي لشارع الملك نمر، ثم بسوق الخرطوم نمرة (٢) حيث ينحرف خط سير البصات غرباً على طول الشارع المعروف بشارع كاترينا (شارع ٤٧) إلى محطة كاترينا الواقعة عند التقاطع مع الشارع القادم من مجمع شرْوَنّي الإسلامي الذي يفصل بين الخرطوم نمرة (٢) والخرطوم نمرة (٣) لتنحرف معه جنوباً إلى محطة البيلي عند تقاطع شارع الصناعات. ثم تسلك شارع القصر جنوب عند البوابة الجنوبية لحديقة القرشي، التي كانت ميداناً فسيحاً يفصل الأجزاء الجنوبية من الخرطوم نمرة (٢) عن الخرطوم نمرة (٣) قبل إنشاء حديقة القرشي في حقبة حكم إبراهيم عبود وعرفت في ذلك الوقت بحديقة عبود. يستمر خط سير بصات الديوم الشرقية على طول شارع القصر جنوب ليمر .بمحطة الدكتور كمال يني مقار، فالغالي، فالتعاون، فالشجرات (النيمات)، ففرع نادي المريخ عند تقاطع شارع سوق الديم (شارع باشدار) وتمثل المحطة الأخيرة لهذا الخط.

ضمن هذا السياق تجب الإشارة إلى خط فرعي لخط بصات الديوم الشرقية وهو ما عرف بخط كوريا، حيث يتفرع هذا الخط من الخط الرئيسي عند محطة الغالي لتتجه بصاته شرقاً لمسافة لا تتعدى عشرات الأمتار بعد الناصية الجنوبية الغربية لمقابر فاروق حيث محطة كوريا عند ناصية مدرسة عز الدين، ومنها تتجه بصات الخط جنوباً على طول الشارع المؤدي إلى سوق الديم المعروف بشارع كوريا ماراً بمدرسة الديم شرق التي عرفت لاحقاً بمدرسة الديم شرق نمرة (١)، ثم بالساحة الشعبية ثم بسوق الديم. وعند نهاية سوق الديم تتجه البصات غرباً على شارع باشدار نحو محطة فرع نادي المريخ على شارع القصر جنوب لتعود أدراجها نحو الخرطوم على الخط الرئيسي.



محطة بصات الديوم الشرقية والسجانة بالنص غرب الجامع الكبير

واستمر حال الخط كذلك فترة من الزمن، ثم من بعدها امتد جنوباً ليصل محطة حجازي، ومن ثَم واصل امتداده جنوباً بعد إنشاء امتداد الدرجة الثالثة في أوائل الستينيات ليصل إلى نهاية الامتداد عند محطة سبعة. ويلاحظ أن محطات البص في امتداد الدرجة الثالثة بدأت بالأرقام من (١ إلى ٧) وذلك لعدم وجود معالم محددة عندما بدأ عمران الحي. ولكن بعد ذلك أصبح لكل محطة معلم فمثلاً محطة ثلاثة أصبحت تعرف بمحطة الماسورة ومحطة أربعة تعرف بمحطة جاد الله، ويقصد بذلك استديو جاد الله، ومحطة خمسة تعرف بمحطة سمير، ويقصد بذلك مركز صحي سمير، ومحطة ستة تعرف بمحطة الكشك ثم محطة سبعة والتي تعرف إلى يومنا الذي نحن فيه بهذا الاسم. بجانب خط الامتداد هذا والممتد على طول شارع القصر جنوب، هناك خط آخر ينفصل عن الأول عند بداية الامتداد ويتجه شرقاً ثم ينحرف بعد مربعين جنوباً إلى أن يصل الشارع الممتد من الشرق إلى الغرب في الناحية الشمالية من مربع الخدمات ليتجه شرقاً مرةً أخرى إلى نهاية المربع، أي الركن الشمالي الشرقي من مربع الخدمات، ثم ينحرف جنوباً بحيث يكون مربع الخدمات على اليمين والمربعات السكنية على اليسار، ويستمر في ذلك الإتجاه إلى نهاية الشارع عند آخر مربوع سكني في الإمتداد.

تطابق المسار الأول الموصوف أعلاه في معظم اجزائه مع خط مواصلات آخر هو خط بصات عشش فلاتة الذي كان يخدم منطقة عشش فلاتة الموازية لامتداد الدرجة الثالثة من الناحية الغربية. كانت المحطة الرئيسية لهذا الخط في الفسحة الواقعة إلى الغرب من مدرسة الخرطوم الأهلية (موقع سوق النسوان سابقاً) حيث يبدأ مسيرته بشارع الجامع نحو السكة حديد ثم يتجه شرقاً ليأخذ تقريباً نفس مسار بصات الديوم الشرقية إلى منطقة الخرطوم نمرة (٢)، حيث يمر بالقطاع الشرقي للشارع الدائري الذي يبدأ من حديقة إشراقة أي النجيلة الثالثة إلى أن ينتهي عند النجيلة الثانية في تقاطع امتداد شارع الملك نمر القادم من سوق الخرطوم نمرة (٢) مع شارع الصناعات، وعند النجيلة الثانية ينحرف خط سير بصات العشش مع امتداد شارع الملك نمر حتى يصل إلى النجيلة الأولى عند تقاطع الشارع المتجه غرباً نحو حديقة القرشي ليسير في هذا الشارع حتى فندق الزهراء حيث ينحرف جنوباً ليقابل شارع القصر جنوب إلى الشمال قليلاً من عيادة الدكتور كمال يني مقار، ومن ثَمَّ يسلك نفس مسار بصات الديوم الشرقية والامتداد على امتداد شارع القصر جنوب إلى أن يقابل تقاطع الشارع المؤدي إلى قلب العشش حيث السوق والمحطة النهائية للبصات.

وفي مرحلة لاحقة في نهاية الستينات أُنشئت الصحافة، وامتد خط بصات الديوم الشرقية والامتداد جنوباً حتى نهاية الحي الجديد، وأصبح يعرف بخط الصحافة والبصات ببصات الصحافة ظلط، ورويداً رويداً تحولت كل البصات العاملة في خط الديوم الشرقية إلى خط الصحافة إلى أن تلاشى الأول تماماً، ويُعزى سبب ذلك إلى اختلاف فئات التذاكر ففي ذلك الوقت حيث كان سعر تذكرة باص الديوم الشرقية قرشاً واحداً ونصف بينما كان سعر تذكرة باص الصحافة قرشان مما شجع أصحاب البصات إلى التحول من الخط الأول إلى الخط الثاني. والمحطات التي اشتهرت في خط الصحافة ظلط بعد محطة

سبعة هي محطة مربعي (١٧ و١٨) ومحطة التعاون ومحطة مربعي (٢١ و٣١) ومحطة لفة جبرة (تعرف الآن بمحطة شارع الركشات) ومحطة مربع (٢٤) ومحطة مربعي (٢٨ و٣٤) (محطة الميناء البري حالياً).

أما الخط الثاني فهو خط السجانة بالنص والمايقوما ويبدأ مساره من نفس محطة البداية لخط الديوم الشرقية عند الجانب الغربي لميدان الأمم المتحدة، ويسير في رحلته نحو السجانة على نفس طريق ذلك الخط حتى يصل حديقة إشراقة حيث ينحرف عندها غرباً إلى أن يصل تقاطع شارع مجمع شَرْوَّني الإسلامي عند الزاوية الجنوبية الشرقية لمنازل موظفي وعمال السكة حديد حيث محطة الطابونة، ومنها يأخذ الشارع الركني متجهاً نحو الجنوب الغربي حيث الناحية الشمالية الشرقية من ميدان عبد المنعم محمد الدائري الشكل (ميدان الأسرة حالياً). يتابع خط البصات المتجهة جنوباً الجانب الأيمن للميدان (بينما تأخذ البصات المتجهة شمالاً نحو الخرطوم الجانب الآخر للميدان) حيث يمر بجامع ومعهد عبد المنعم محمد العلمي، إلى أن يصل الشارع الركني المقابل للشارع الركني الذي بدأ منه ليواصل مشواره في الاتجاه الجنوبي الغربي حيث ينتهي عند تقاطع شارعي الحرية والشارع المؤدي شرقاً إلى حديقة القرشي. ويمثل هذا التقاطع إحدى محطات الخط، ومنها يتجه الخط شرقاً إلى أن يصل إلى تقاطع شارع السجانة بالنص عند نادي أبناء حلفا حيث يتجه جنوباً ماراً بمنازل الحرس الجمهوري الواقعة في الناحية الجنوبية الشرقية من منازل القسم الجنوبي، ثم بمدرسة بنات السجانة، فسوق السجانة، فمحطة ود مختار (البصير الذائع الصيت في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي)، فمدرسة المايقوما للبنات، فمدرسة النور، فدكان سيد، فدكان قَدُّورة، فسينما النيلين، ثم تأتي آخر محطة في الخط عند تقاطع شارع سوق الديم ومنها تبدأ رحلة العودة إلى الخرطوم شمال.

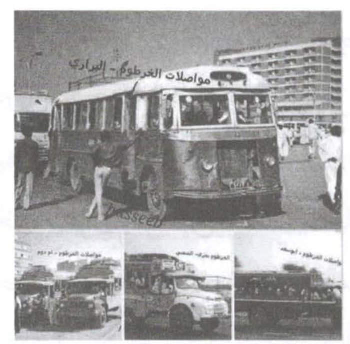
يأتي خط بصات الديوم الغربية من حيث الأهمية في المرتبة الثانية بعد خط الديوم الشرقية، وتتخذ بصات هذا الخط مع بصات الشجرة والكلاكلة من الفسحة الواقعة في وسط السوق العربي إلى الغرب من شارع هاشم بيك موقفاً لها. ويمتد خط سيرها غرباً على طول الشارع المتجه نحو قهوة الشيشة، ثم عبر شارع عبد المنعم محمد وصولاً إلى تقاطع شارع الحرية (شارع السيد علي) حيث تنحرف جنوباً مارة بمدرسة الخرطوم الابتدائية (المتوسطة) بنات، فداخليات كلية طب جامعة الخرطوم. ثم تعبر بصات الديوم الغربية كبري الحرية لتمر بمصلحة المرطبات، وسوق الخرطوم نمرة (٣) والطرف الشرقي للمنطقة الصناعية، ثم القسم الجنوبي وسوق السجانة، ثم محطة الماسورة فمدارس محمد سعيد العباسي، ومنها إلى محطة أبو حمامة عند تقاطع شارع سينما النيلين حيث يتجه الخط غرباً مروراً بمحطة دكان صالح اليماني، ثم بمدرسة القوز ونادي أبناء كَلِي فمحطة عبد اللطيف، ثم نهاية الخط عند لفة القوز.

يسمى خط الديوم الغربية بالخط الدائري و ذلك لأن هنالك خطاً آخر غير الخط المفصل أعلاه، و يسمى بخط الحلة الجديدة، ويشترك الخطان في محطة البداية ومحطة النهاية وأيضاً في البصات، فالباص الذي يبدأ رحلته عن طريق الخط الأول يعود إلى محطة البداية عن طريق الخط الثاني والعكس صحيح. يبدأ باص الحلة الجديدة رحلته من موقف السوق العربي متجهاً غرباً ماراً بقهوة الشيشة، ثم يعبر شارع الحرية إلى أن يصل تقاطع شارع علي عبد اللطيف، حيث ينحرف جنوباً حتى شارع الطابية ليمر به متجهاً نحو أستاد الخرطوم (التي تعرف بدار الرياضة) إلى تقاطع شارع الغابة، حيث ينحرف معه إلى أن يعبر خط السكة حديد المتجه نحو الشجرة لكي يبدأ رحلة عبور المنطقة الصناعية حيث يمر بصهريج المياه، ثم يتجه شرقاً بشارع الخور، ثم جنوباً بشارع مخازن السكر، ثم شرقاً مرة أخرى بشارع الصناعات، ثم جنوباً على طول الشارع

الفاصل بين مخازن الصحة و حوش الأشغال، وبعبور تقاطع شارع دار صك العملة والمسبك المركزي تنتهي المنطقة الصناعية ويبدأ الخط رحلته على طول شارع الحلة الجديدة ماراً بداخليات المعهد الفني سابقاً وجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا حالياً، ثم بمحطة ود المبارك ومحطة دكان محجوب السماني، فجامع حاج ميرغني فدكان محمد علي جمعة (زاوية حي الكنوز)، فمحطة ود الحسين حيث ينحرف الخط غرباً قبل وصوله لمركز صحي القوز، ويستمر في ذلك الاتجاه ليمر بمحطة حاج العبيد بلال (شيخ القوز) فمحطة النِّيمَة، ثمَّ يواصل سيره جنوباً حيث يلتقي بخط الديوم الغربية القادم من شارع الحرية عند محطة اللفة.

هنالك أيضاً في الناحية الشرقية من المدينة موقف البصات الأهلية المتجهة إلى بري والجريف وموقف بصات العيلفون بجوار قهوة العيلفون إلى الجنوب من مدرسة الخرطوم الأهلية.



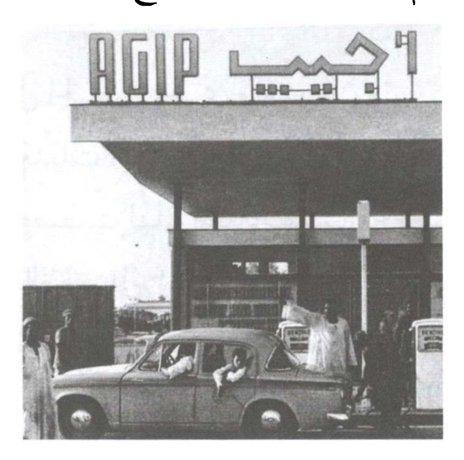


البصات الأهلية للبراري والجريف غرب وبعض الخطوط الأخرى

تاكسي الخرطوم

كما ذكر في بداية هذا الفصل لم تكن في الخرطوم حتى نهاية العشرينات سوى ثلاث أو أربع عربات تاكسي. ومن أوائل سائقي التاكسي في تلك الفترة خير السيد بنقو من بري والطيب البوليس الشايقي ثم انضم إليهم في الثلاثينيات

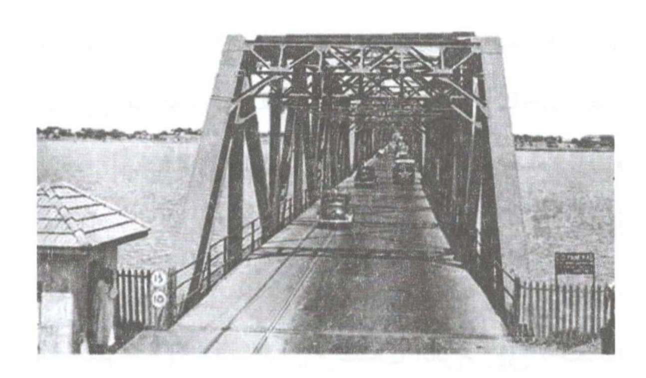
عبد الماجد ركابي ومكي الحجلي وعثمان عيسى وفي الأربعينيات محمد عمر كويس وإبراهيم جنقال وإبراهيم التركي وود أبوناموسة وغيرهم. وأخذ عدد عربات التاكسي في ازدياد مضطرد حتى جاءت فترة الخمسينيات فأصبح لها مواقف خاصة بها حول جامع الخرطوم الكبير وفي المحطة الوسطى وجوار الفندق الكبير وعند مدخل محطة السكة حديد وعند مدخل مطار الخرطوم الدولي. كما عرفت الخرطوم في تلك الفترة خدمات الطرحة، حيث بدأ تَسْيِيرِ طرحة أم درمان من المحطة الوسطى ثمَّ انتقلت إلى الناحية الغربية من ميدان الأمم المتحدة، ومن المحطة الوسطى أيضاً تُسَيرً طرحة الخرطوم بحري. أما خدمات الطرحة إلى الخرطوم جنوب فلها خطان: خط طرحة الديوم الشرقية وخط طرحة الديوم الغربية، ويبدأ الخطان من الناحية الغربية من الجامع الكبير. تراوحت تعريفة الطرحة بين القرشين ونصف القرش إلى الخمسة قروش حتى منتصف الستينيات، ثمَّ ارتفعت قيمتها لتتراوح بين الثلاثة إلى الستة قروش.



تاكسي الخرطوم والطرحة

تجدر الإشارة إلى أن معظم عربات التاكسي خلال الخمسينيات حتى أوائل الستينيات كانت من نوع الفورد بموديلاته المختلفة وأشهرها ما عرف "بالفورد أب أربعة". ولعربات التاكسي لون موحد هو اللون الأسود لكل جسم العربة

عدا أغطية الدواليب (الرفارف) تدهن بلون أبيض. تم تغيير لون عربات التاكسي إلى الأصفر في أوائل الستينيات، وبدأت في ذلك الوقت تدخل خدمة التاكسي أنواع حديثة من العربات مثل الهلمان والكونسل والهنتر والبيجو والبرلينا والفولقا.



العربات تعبر كبري النيل الأبيض

المَعَدِّيَات والمشارع

كان العبور إلى الخرطوم بحري وأم درمان وتوتي يتم بواسطة المراكب إلى أن حلت محلها المَعَدِّيَات البخارية قبل نهاية النصف الأول من العقد الأول من القرن العشرين. خُصِصَت لهذه المَعَدِّيَات مشارع معينة على شاطئي النيلين الأزرق والأبيض. فالعبور إلى الخرطوم بحري كان يتم عن طريق مشرع الخرطوم بحري الواقع إلى الشرق من قصر الحاكم العام (القصر الجمهوري). توقف استخدام هذا المشرع في عام ١٩٠٩م بعد إنشاء كبري النيل الأزرق الذي أصبح المعبر الرئيسي بين الخرطوم والخرطوم بحري. أما العبور إلى أم درمان فقد كان عن طريق مشرع المقرن الواقع على النيل الأبيض عند المقرن، وقد استمر استخدام هذا المشرع حتى عام ١٩٢٨م عند اكتمال كبري النيل الأبيض. استمر استخدام مشرع توتي الواقع إلى الغرب من حديقة الحيوانات

(قبالة قاعة الصداقة حالياً) على مر العقود، وظل يمثل المعبر الرئيسي من وإلى جزيرة توتي حتى اليوم. يعتقد المؤلف أن موقع المشرع الحالي ليس ببعيد عن مشرع أرباب العقائد ،إن لم يك هو نفسه، الذي كان مستخدماً إبان فترة الحكم التركي. وشهد هذا المشرع استبدال المعديات البخارية بالمعديات التي تعمل بالديزل وقد تم ذلك في الخمسينيات تقريباً.



مشرع معدية توتي من ناحية الخرطوم

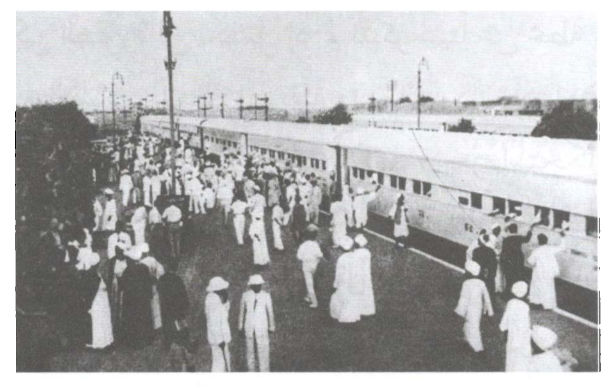
محطة السكة حديد

رغم أن ما سردناه عن المواصلات لا يخرج عن نطاق وسائل الانتقال داخل الخرطوم ومن وإلى أم درمان والخرطوم بحري وبري والجريف والشجرة والكلاكلة، لكن الصورة لن تكتمل إذ لم نذكر شيئاً عن محطة السكة الحديد ومنفذ الخرطوم الأساسي آنذاك إلى بقية مدن السودان. شيدت محطة السكة حديد بعد إنشاء كبري النيل الأزرق (١٩٠٩م) فوق جزء استحكامات الخرطوم القديمة الواقع بين بوابتي المسلمية والكلاكلة بحيث يسير الخط الحديدي في شكل مُنْحَنٍى متبعاً خط الاستحكامات شرقاً إلى كبري النيل الأزرق وغرباً إلى الأسكلة بديم أبي حشيش القديم. كانت القاطرات الساحبة تعمل بالبخار إلى قبيل منتصف الستينيات تقريباً حين بدأ إحلالها بقاطرات الديزل.



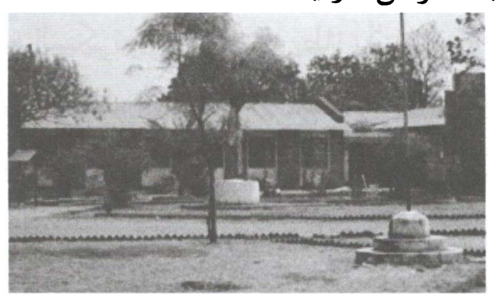
محطة السكة حديد في الربع الأول من القرن الماضي

أصبحت السكة حديد معلماً بارزاً من معالم الخرطوم منذ افتتاحها في عام ١٩٣٦م حتى السبعينيات من القرن الماضي عندما قام الرئيس الأسبق جعفر محمد نميري بتحجيم السكة حديد وتقليص أهميتها الإستراتيجية ليتقي المواجهات والصدامات النقابية التي كانت السكة حديد تمثل رأس الرمح فيها. كانت محطة الخرطوم في العصر الزاهر للسكة حديد تمثل إحدى المظاهر الحضارية للمدينة، فمنها تنطلق القطارات نحو الشمال والشرق والغرب حيث ينطلق قطار اكسبريس حلفا وقطار كريمة واكسبريس بورتسودان وقطار الأُبَيِضْ وقطار باخرة كوستي والمحلي إلى سِنَّار. بعض هذه القطارات ينطلق يومياً وبعضها ينطلق أسبوعياً أو مرتين في الأسبوع.



محطة السكة حديد في الربع الثاني من القرن الماضي

وهكذا نجد المحطة في حركة دائمة، قطار ركاب مغادر للمحطة وآخر داخل إليها، بجانب قطارات البضاعة التي لا تنفك حركتها. وكانت المحطة في منتهى الرقي نظافةً وتنظيماً ودقة في المواعيد. للمحطة بوابة حديدية ضخمة لها أبواب جانبية للمارة، وتتوسط الساحة الواقعة عند مدخل المحطة ساعة كبيرة يستخدمها الموطنون لدقتها في ضبط ساعاتهم اليدوية. وبالمحطة بوفيه تشرف عليه مصلحة المرطبات ويقدم خدمات للمسافرين والمودعين وغيرهم من العابرين، إذ كان كثير من الموطنين يحضرون إلى المحطة بغرض وداع الأهل والأصحاب وأحياناً بغرض الترفيه.



نادي العاملين بالسكة حديد

تجدر الإشارة إلى أنَّ للعاملين بالسكة حديد نادٍ خاص بهم يقع جنوب المحطة وإلى الشمال من الحي الخاص بسكنهم وكان يمثل أحد معالم المدينة حتى السبعينيات من القرن الماضي.



حي السكة حديد

مطار الخرطوم الدولي

هبطت أول طائرة في مدينة الخرطوم سنة ١٩١٨م تقريباً. تمَّ تشييد مطار الخرطوم في نهاية العشرينيات من القرن الماضي بعد إزالة غابة السنط التي كانت في موقعه الحالي. وكانت البداية بمطار صغير في موقع المطار الحربي (شمال المطار الحالي) لاستقبال طائرات الداكوتا والدف. وفي عام ١٩٤٠م تمَّ افتتاح المطار الحالي، ومنذ ذلك الحين تمّتَ توسعة مدرج المطار عدة مرات ليستقبل طائرات الفاي كاونت والكومت وغيرها من الطائرات التي عملت في فترة الخمسينيات والستينيات. أُنشئَ مكتب الطيران المدني في عام ١٩٣٦م وكان يتبع السكرتير الإداري البريطاني أثناء فترة الاستعمار. أُنشئت بعد الاستقلال مصلحة الطيران المدني تحت إشراف وزارة النقل والمواصلات والسياحة. ومنذ افتتاح المطار الحالي أصبح أحد المعالم الحضارية للمدينة.





مطار الخرطوم في الخمسينيات وفي الحاضر

الفصل الثامن

الصحة وخدمات أخرى

الصحة في حقبة ما قبل دولة المهدية

عانت مدينة الخرطوم في فترة الحكم التركي المصري من الكثير من المشاكل الصحية والأمراض والأوبئة بسبب انخفاض سطح المدينة وركود المياه فيها، وغَمْر مياه النيل الأبيض للمنطقة الجنوبية منها في موسم الفيضان. ولعدم وجود تصريف لهذه المياه، تتكون البرك الراكدة التي تنبعث منها الروائح الكريهة ويتوالد فيها البعوض. كل هذا بجانب إهمال نظافة المدينة خاصة الأحياء الشعبية منها، وخلوها من وسائل الصرف الصحي، والعجز عن مكافحة الذباب والحشرات، قد أدى إلى تعرض السكان للحميات والدسنتاريا والملاريا. كما أدى عدم وجود نظام للحجر الصحي إلى انتقال العديد من الأوبئة إلى المدينة كالكوليرا التي تفشت بين سكان المدينة عام ١٨٥٨م والجدري والتيفويد.

وكان الأهالي يعتمدون على الأعشاب والكي بالنار في العلاج، إذ لم يك في المدينة غير مستشفى واحد لعلاج العسكريين فقط. أيضاً هنالك الفقرا[٩٨] والدراويش الذين يقومون بعلاج الأهالي من الأمراض المستعصية والحمى والعقم والرمد، ووسائل علاجهم هي الآيات القرآنية على شكل بَخْرَات[٩٩] ومَحَايَة[١٠٠] وحجَاب[١٠١]. وقد بذل بعض الحكمداريون جهوداً

٩٨ الفقرا هم الذين يستخدمون القرآن لعلاج المرضى.

٩٩ البَخْرَة عبارة عن آيات قرآنية تكتب على ورقة ثم توضع في مبخر وتحرق ليستنشق المريض دخانها.

١٠٠ المحَايَة عبارة عن آيات قرآنية تكتب على لوح خشبي ثم يغسل اللّوح، والماء الناتج من غسيل اللّوح هو المحاية التي تُسقى للمريض.

١٠١ الحجَاب عبارة عن آيات قرآنية تكتب على ورقة وتُلف بقطعة من الجلد يلبسها المريض حول عنُقه أو يلفَها حول زراعه.

مقدرة لتوفير العلاج ولإصحاح البيئة، فقد عمل جعفر مظهر على توفير الأطباء كما اهتم إسماعيل أيوب بنظافة الشوارع وفتح المجاري لتصريف المياه الراكدة.

الصحة في حقبة ما بعد دولة المهدية

يتولى مكتب الصحة بمدينة الخرطوم المسئولية عن صحة البيئة في المدينة وذلك بإزالة الفضلات الإنسانية والأوساخ والنفايات والتخلص منها وصرف المياه الراكدة لمنع توالد وتكاثر الناموس والبعوض. لذلك ينتشر عمال وضباط الصحة في أسواق وأحياء المدينة للقيام بهذه المهام وإزالة كل المسببات التي تضر بصحة المجتمع. وكانت عربات الصحة التي تجرها الحصين ومن ثم تطورت إلى تركترات تجوب شوارع المدينة منذ الصباح الباكر لجمع القمامة الموضوعة أمام المنازل في صفائح أو جرادل قديمة وأيضاً من البراميل المنتشرة في الأحياء، ومن ثم سحبها وحرقها في مكان يسمى بكوشة الجبل في الناحية الغربية من المدينة.

ومن المظاهر المعتادة كل صباح في أحياء الخرطوم إنتشار عمال النظافة في الشوارع وفي يد كل واحد منهم أداة لجمع الأوساخ (الكرك) وعلى ظهره قفة من السعف يضع فيها ما جمعه وعندما تمتلي يقوم بتفريغها في أحد البراميل الموزعة في الأحياء. كما كان ضباط الصحة في مرور دائم منذ الصباح الباكر على شوارع الأحياء وزيارة المنازل لتفقد أزيار المياه والبلاعات وزرائب الأغنام للتأكد من النظافة وصحة البئية. كذلك يمر عامل الصحة بين الحين والآخر على مناطق تجمع المياه الراكدة لرشها بالمبيدات.

الصرف الصحي

اعتمدت معظم أحياء المدينة منذ إنشائها ولفترة طويلة حتى قبيل منتصف الخمسينيات اعتماداً كلياً على نظام الصرف الصحي اليدوي (نظام مراحيض الجرادل) الذي تستخدم فيه جرادل معدنية مصنعة بمواصفات معينة لجمع فضلات المنازل والدور، ثم نقلها والتخلص منها خارج المدينة. وفي هذا النظام يبنى المرحاض بمصطبة ذات ارتفاع يتراوح بين ستين إلى ثمانين سنتيمتراً ويتوسطها ثقب دائري يفتح في فراغ أسفلها. ويوضع في هذا الفراغ وتحت الثقب مباشرة جردل معدني من خلال كوة في جدار المرحاض من الخارج، بينما يعلو مستخدم المرحاض المصطبة بواسطة بضع عتبات في داخل حجرة المرحاض. يشرف مكتب الصحة على هذا النظام، فللمكتب مجموعات من عمال الصحة، وكل مجموعة مسئولة عن جزء معين من المدينة ولها عربة تجر بواسطة البغال أو الجمال لجمع الفضلات البشرية مساء كل يوم حيث يقوم العمال بتفريغ الجرادل في العربة أو استبدال الجرادل الممتلئة بأخرى فارغة وتحميل العربة بالممتلئة. ويوجد في الناحية الجنوبية من المدينة قضيب سكة سير عربات الصحة الذي يبدأ من جنوب إشلاق إسماعيل باشا ويمتد غرباً موازياً وإلى الجنوب من خط الاستحكامات القديم. وتستخدم هذه السكة لسحب العربات الناقلة للفضلات البشرية والتي تجر بالبغال إلى الطرف الغربي من المدينة خلف إشلاق عباس لتحرق هذه الفضلات في مكان يسمى بكوشة الجبل.

احتوت الخرطوم على عدد من المراحيض العامة التي كانت تعرف بأدبخانات الميري، ونجد ثلاثةً منها في منطقة أسواق الخرطوم، الأول منها في المحطة الوسطى يطل على شارع الجمهورية، والثاني في الفسحة الواقعة إلى الشمال من مدرسة الخرطوم الأهلية وإلى الغرب من فندق الحرمين، والثالث

في منطقة السوق العربي إلى الجنوب من قهوة البرابرة وتطل على تقاطع شارع عبد المنعم محمد والشارع الممتد من الشرق إلى الغرب وإلى الشمال من مدرسة الخرطوم الأهلية. أزيلت هذه المراحيض بعد منتصف الستينيات تقريباً. أما في منطقة الخرطوم جنوب فكان هنالك مرحاض عام واحد في سوق السجانة وقد تمت إزالته في مطلع القرن الحالي.

عرفت مدينة الخرطوم (الخرطوم شمال) أول شبكة لمجاري الصرف الصحي في أوائل الخمسينيات وبالتحديد في عام ١٩٥٣م ومنذ ذلك الحين بدأ التخلص التدريجي من نظام الجرادل ثم أُلغي بالكامل في منتصف الستينيات.

أما الخرطوم جنوب فقد عرفت أحياؤها الشعبية الأدبخانات البلدية (الحُفَرْ) وعرف بعضٌ منها نظام مراحيض الجرادل مثل الخرطوم نمرة (٣) وتعويضات المقرن والمزاد حيث يقوم عمال الصحة بأخذ فضلات المنازل مساء كل يوم مستخدمين لذلك عربة كانت تجر بالجمال ثم استبدلت بجرار في أوائل الستينيات، ويتم التخلص من الفضلات في كوشة الجبل. وانتهى هذا النظام في النصف الثاني من الستينات بإلزام الأهالي بحفر مراحيض بلدية (حُفَرْ) أو سيفون. أما الأحياء الراقية في منطقة الخرطوم جنوب بالتحديد الخرطوم نمرة (١) ونمرة (٢) فقد تمت تغطيتها بشبكة مجاري الصرف الصحي منذ إنشائها في منتصف الخمسينيات.

المستشفيات والاجزخانات

.بمجيء عام ١٩٠٤م كان من بين المباني التي اكتمل إنشاؤها مبنى المستشفى العسكري في نفس موقع وزارة الصحة الحالي، وهو أيضا ذات الموقع الذي

قام فيه مستشفى الخرطوم خلال حقبة الحكم التركي. وبقيام هذا المستشفى أُنشئت المصلحة الطبية السودانية وعُيِّنَ الإنجليزي الدكتور كرستوفر مديراً لها. استُبْدِلَ في عام ١٩٢٥م اسم المصلحة الطبية السودانية بالخدمات الطبية السودانية ثم وزارة الصحة السودانية عام ١٩٥٤م. عُرِف المستشفى العسكري بمستشفى النهر وقد شهد هذا المستشفى ملحمة عبد الفضيل ألماظ واستشهاده في عام ١٩٢٤م. تم نقل هذا المستشفى في فترة لاحقة إلى أم درمان ضمن مباني السلاح الطبي. تلا المستشفى العسكري تشييد المستشفى الملكي الذي يعرف حالياً بالمستشفى الجنوبي وأحياناً بالملكي (الاسبتالية القديمة)، وقد اكتمل التشييد في عام ١٩٠٧م بينما سبقه الافتتاح إذ تمَّ في منزل خاص حوالي عام ١٩٠٣م. وفي عام ١٩١٧م تمَّ إنشاء مشرحة بالمستشفى الجنوبي. افتتح في أوائل الخمسينيات مستشفى الخرطوم (الاسبتالية الجديدة) بجوار المستشفى الجنوبي الحالي بسعة ٣٣٦ سرير آنذاك. ويعتبر الدكتور عبد الحليم محمد أول من سودن إدارة مستشفى الخرطوم (١٩٥٣–١٩٦٥م) وفي تلك الفترة كان الدكتور سليمان بسيوني حكيمباشي المستشفى والدكتور عبد الحميد بيومي كبير الجراحين. خلف الدكتور عبد الرازق مبارك الطيب الدكتور عبد الحليم في إدارة المستشفى (١٩٦٥ – ١٩٧٧م). ضمت المستشفى في تلك الفترة أقسام الباطنية، والجلدية، والأذن والأنف والحنجرة، والأسنان. شهدت فترة الحكم الوطني إنشاء مستشفى العيون الواقع إلى الشرق من كبري النيل الأزرق بشارع النيل الذي افتتح عام ١٩٥٦م ومن أشهر الأطباء الذين أداروا المستشفى الدكتور حسين والدكتور الباقر. ثم أُنشِئ مستشفى الثورة للصدر والذي عرف بعد ذلك بمستشفى الشعب (الصدرية) في عام ١٩٥٩م، وكان قسم جراحة الصدر والقلب قد بدأ في مستشفى الخرطوم عام ١٩٥٧م وكانت تجرى فيه عمليات القلب المقفول. من أشهر أطباء هذا

المستشفى الدكتور محي الدين مهدي و الدكتور النور عبد المجيد والدكتور أحمد عبد العزيز والدكتور ميرغني سنهوري. وفي عام ١٩٦٨م أُنشئ مستشفى الأشعة والذرة.

أُنشئت مدرسة كتشنر الطبية في عام ١٩٢٤م بغرض إعداد كوادر طبية سودانية، وكانت تخرج ستة أطباء في العام. بدأ هؤلاء الخريجون في العمل في المستشفى الملكي بجانب الأطباء الأجانب في نهاية العشرينيات. كما أُعِدَ معمل إستاك (معمل الأبحاث الطبية) منذ إنشائه في النصف الثاني من العشرينيات بعمل الأبحاث والتجارب التي تتعلق بدراسة الأمراض المستوطنة في السودان مثل الحمى الصفراء والكلازار، وتجهيز الأمصال ضد الجدري والكوليرا والتيفويد والتيتنوس والسعر، هذا بالإضافة إلى تحليل المأكولات والماء واللَّبن.



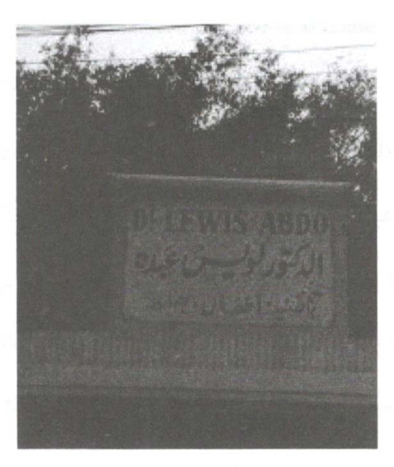


مستشفى الخرطوم

اقتصرت المؤسسات العلاجية في مدينة الخرطوم حتى أوائل الخمسينيات على المستشفيات الحكومية بجانب دار القديسة سانت ميري للولادة (مستشفى الراهبات) وبعض الشفخانات في الخرطوم جنوب مثل شفخانة السجانة وشفخانة المايقوما ودار العناية بالحُمَّل ورعاية الأمومة. ثم بدأ بعد ذلك ظهور العيادات الخاصة في الخرطوم شمال حيث ظهرت بعض العيادات لأطباء أجانب خاصة من الجالية الإغريقية. تبع ذلك افتتاح بعض الأطباء الوطنيين

لعيادات خاصة بهم ومن تلك العيادات في الخرطوم شمال عيادة الدكتور عبد الحليم محمد وعيادة الدكتور زين العابدين عبد الوهاب وعيادة الدكتور عبد القادر مشعال، وعيادة الدكتور عثمان عبد النبي وعيادة الدكتور عثمان عوض الله وعيادة الدكتور كمال زكي حسين وعيادة الدكتور عز الدين علي عامر.

أما في الخرطوم جنوب فقد تم افتتاح عدد من العيادات في الأحياء المختلفة، نرصد منها بالخرطوم نمرة (٣) عيادات كل من الدكتور محمد آدم ادهم والدكتور لويس عبده وعيادة الإتحاد. كما افتتح بالخرطوم نمرة (٢) عيادات كل من الدكتور أديب عبد الله والدكتور لؤي العتباني والدكتور محمود حسن، وعيادة الدكتور كمال يني مقار بتعويضات المقرن. ونجد أيضاً عيادتي الدكتور عباس المصري والدكتور سمير سيفين بالديوم الشرقية، وعيادة الدكتور صبحي الحكيم بالسجانة. وظهرت في منتصف الستينيات أول المستشفيات الخاصة بالخرطوم وهي بالتحديد مستشفى دار الشفاء التي يمتلكها الدكتور عبد الحميد صالح بجوار سينما كلوزيوم، ومستشفى الباقر للعيون بالخرطوم نمرة (٢).



.عيادة الدكتور لويس عبده بشارع الحرية في حي باريس

انتظمت العاصمة المثلثة ثورة صحية في عهد الحكومة الوطنية الثانية عندما تولى الدكتور عبد الحميد صالح وزارة الصحة حيث تم تطوير وتحويل كل الشفخانات إلى مراكز صحية بجانب إنشاء عدد من المراكز الجديدة. وكان حظ الخرطوم شمال من تلك الثورة الصحية مركز صحي الخرطوم والذي احتل أحد المنازل الواقعة إلى الشرق من النادي العربي ويطل على شارع البلدية في مواجهة البنك العقاري. كما شُيِّد مركز صحي المقرن في منطقة المقرن. أما في الخرطوم جنوب فقد تم تحويل شفخانة السجانة وشفخانة المايقوما إلى مراكز صحية بعد أن تمّ تشييد مباني حديثة لهما. كذلك أُنشئ مركز صحي القوز ومركز صحي الخرطوم ٣، والأخير احتل أحد المنازل الواقعة على شارع الصناعات إلى الشرق من محطة البيلي.



القابلة تحمل حقيبتها وممتطية حمارها لأداء عملها

أيضاً من الخدمات الصحية المتوفرة للمواطنين ما كانت تقوم به الزائرات الصحيات من زيارة النساء بعد الولادة في منازلهن بصورة دورية للكشف عليهن وعلى أطفالهن. هذا بجانب وجود قابلة أو أكثر في كل حي من الأحياء تحت إشراف وزارة الصحة. فقد عرفت أحياء الخرطوم عدداً من القابلات، فأول قابلة سودانية عرفتها المدينة تدعى فطومة المشلية تسكن بشارع السلطان (شارع السيد عبد الرحمن)، وكانت تتنقل بين الأحياء بحمار أبيض لتأدية

عملها، وخلفتها في المهنة ابنتها سكينة. أما اللائي عملن بعد ذلك في هذا المجال فنجد الحاجة نعيمة في الخرطوم شمال، وفي فترة الديوم القديمة نجد لبيبة في ديم النوبة وحواء السكرة في ديم القشاشة وزهرة عباس في ديم الزبيرية. انتقلن بعد ذلك إلى الديوم الجديدة حيث ظللن يمارسن مهنتهن، كما انضمت إليهن أخريات منهن السكرة إبراهيم ومكة الحاج خلف الله وآمنة النيرمة وآمنة دليل حسين وكلهن من حي الخرطوم (٣)، وزينب حسين في المايقوما، وحليمة آدم فضالي وروضة محمد سعد حدربي في ديم التعايشة، وستية المأمون في ديم العتالة، وعائشة أم سعاد في الحلة الجديدة، وبت بابورية في حي الكنوز، وأمينة بت رجب سليم وحليمة في ديم سلمان.



نساء في انتظار الكشف الطبي - الخرطوم 3-6-1960 م

عيادة الأطفال (١٩٦٠م)

تعتبر أجزخانة مرهج أول صيدلية خاصة عرفتها الخرطوم حيث تمّ افتتاحها في أوائل القرن التاسع عشر، تلتها بعد ذلك أجزخانة لندن المطلة على المحطة الوسطى بشارع الجمهورية. ثمّ ظهرت في الخرطوم شمال في الخمسينيات عدداً من الأجزخانات لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة. وهي حسب الأقدمية أجزخانة السودان وصاحبها هو موريس جنبرت، وأجزخانة العاصمة المثلثة شمال الجامع الكبير ويمتلكها محمود صالح عبد

القادر شقيق الدكتور عبد الحميد صالح، و أجزخانة قرنفلي في عمارة أبو العلا الجديدة بشارع الجمهورية، وأجزخانة شاشاتي جنوب الجامع الكبير بشارع الجامع (شارع إستاك)، وأجزخانة الحرية بشارع الحرية. وفي الخرطوم جنوب نجد أجزخانة بسوق الخرطوم ٢، و أجزخانة بسوق الخرطوم ٣ لم تستمر طويلاً، و أجزخانة الديوم بشارع القصر جنوب جوار محطة الغالي وصاحبها الدكتور سمير جرجس، و أجزخانة الصداقة عند تقاطع شارع القصر جنوب مع شارع باشدار، و أجزخانة محمود بسوق السجانة والمطلة على شارع الحرية.



منظر عام للمستشفى العسكري وكلية غردون



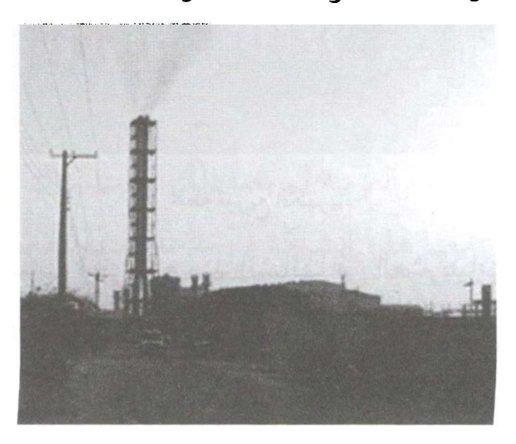
مدرسة كتشنر الطبية

خدمات أخرى

يشتمل هذا القسم على حصر ووصف عام لخدمات الكهرباء والمياه والبريد والاتصالات السلكية واللاسلكية المتوفرة بالمدينة، ولطواحينها وطوابينها ومطاعمها وفنادقها ولكوندااتها ودور العبادة فيها.

الكهرباء والمياه

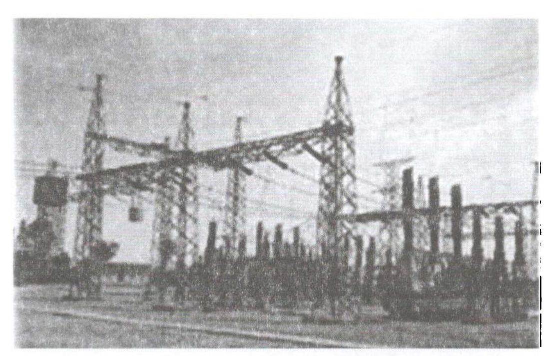
أول عهد عرفت فيه الخرطوم الكهرباء في عام ١٩٠٨م عندما أُنشئت محطة ديزل صغيرة بسعة توليد قدرها ١٠٠ كيلو وات. لإنارة قصر الحاكم العام ودور كبار موظفي الدولة. أعقب ذلك تأسيس شركة السودان للنور والمياه (شركة النور والمياه) في عام ١٩٢٥م لإدارة وتشغيل خدمات الكهرباء والمياه بموجب عقد بين حكومة السودان ومجموعة من الشركات البريطانية لتطوير خدمات الكهرباء والمياه. نتج عن قيام هذه الشركة ارتفاع الطاقة المنتجة إلى ٣٠٠٠ كيلووات مما أتاح إنارة بعض شوارع المدينة الرئيسية. تحولت شركة النور والمياه في عام ١٩٥٢م إلى شركة عامة بعد حيازة حكومة السودان لأسهم الشركتين البريطانيتين المؤسستين للشركة.



محطة بري الحرارية

ومع فجر استقلال البلاد في عام ١٩٥٦م تم تركيب أربعة توربينات بخارية في بري بطاقة ٣٠ ميقا وات مما مكن من مد شبكة الكهرباء في أحياء الديوم الجديدة والسجانة والحلة الجديدة. تَغَيرّ اسم شركة النور والمياه في عام ١٩٦٠م ليصبح الإدارة المركزية للكهرباء والمياه وأصبحت تعمل على أساس تجاري تحت مظلة وزارة الأشغال والكهرباء والمياه.

تم تشييد أول محطة كهرومائية في مطلع الستينيات في سِنَّار بطاقة توليد تبلغ ١٥ ميقا وات، تلتها بعد فترة وجيزة محطة الدمازين بطاقة تصل إلى ٢٨٠ ميقا وات. كما تم إنشاء خطوط ضغط عالي بسعة ٢٢٠ و ١١٠ كيلو فولت لربط الخرطوم بهاتين المحطتين المائيتين. ساعدت هذه الإضافة في الطاقة المولدة على قيام الكثير من الصناعات في مدينتي الخرطوم والخرطوم بحري، بجانب تمديد خطوط الشبكة لتغطي الامتدادات الجديدة. وفي عام ١٩٦٦م تم تغيير اسم الإدارة المركزية للكهرباء والمياه إلى الهيئة المركزية للكهرباء والمياه.



محطة توزيع الكهرباء

كان مصدر مياه مدينة الخرطوم منذ إنشائها في العشرينيات من القرن التاسع عشر وحتى بداية العقد الأول من القرن العشرين هو الآبار والنيل الأزرق. فقد حُفِرَت الآبار في حي الحكمدارية وفي منازل محل موسى باشا ومنازل حي السوق. أما بالنسبة للأحياء الشعبية فقد حُفِرَت آبار في الشوارع، كما كان

بعض سكان المدينة الذين يسكنون قريباً من ضفة النيل الأزرق مثل سكان حي الترس وحي المراكبية يَرِدُون النيل لأخذ احتياجاتهم من المياه.



السقا في الثلاثينيات من القرن الماضي

عرفت المدينة (الخرطوم شمال) خدمات شبكة المياه الممتدة من محطة بري التي وفرت المياه في المنازل عن طريق المواسير والصنابير مع نهاية العقد الأول من القرن العشرين، ولكن ظلت بعض أحياء المدينة تعتمد على الآبار كمورد للمياه لفترة من الزمن حتى تمت تغطيتها بواسطة الشبكة. أما الديوم القديمة في منطقة الخرطوم جنوب فقد كانت الآبار هي مصدر المياه فيها إلى أن أُزيلت في عام ١٩٤٩م، وكذلك الحال بالنسبة للسجانة والحلة الجديدة. تم إنشاء محطة مياه بمنطقة المقرن في أوائل الخمسينيات، وقد ساعدت هذه المحطة في تغطية كل الأحياء التي قامت في منطقة الخرطوم جنوب حيث امتدت شبكة المياه لتغطي أحياء الخرطوم نمرة (٢) والخرطوم نمرة (٣) والسجانة والحلة الجديدة والديوم الشرقية والغربية ثم بعد ذلك الامتدادات الجديدة التي تمت في الستينيات. ساعدت هذه الشبكة في سرعة إعمار هذه الأحياء فقد كان عدم توفر المياه سبباً في بطء العمران في أحياء السجانة والحلة الجديدة. ولمقابلة التوسع الرأسي والأفقي في المدينة والذي بدأت إرهاصاته مع بداية الستينيات عندما وزعت امتدادات الدرجة الأولى والثانية والثالثة، فقد تم إنشاء صهريج

(خزان) للمياه في الناحية الشمالية الغربية من المنطقة الصناعية وكان ذلك في النصف الثاني من الستينيات. كما تم حفر عدد من الآبار الارتوازية في الديوم الجديدة لتخفيف الضغط على محطة مياه المقرن.

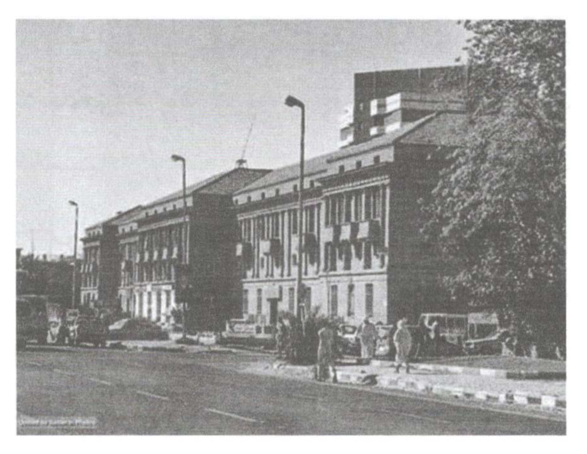
البريد

اهتمت حكومة الإدارة التركية منذ استتباب الأمر لها بالبريد وذلك بغرض تطوير التجارة، إذ رتبت منذ بداية عهدها سعاة لنقل المكاتبات وحمل النقود من وإلى الخرطوم. كان الرسم الذي يؤخذ على الرسالة المبعوثة من القاهرة إلى الخرطوم سبعة قروش ونصف وتصل في خمسين يوماً. اهتم الخديوي سعيد باشا بتنظيم البريد وإدارته وظهر ذلك جلياً في المرسوم الأول الذي أصدره أثناء زيارته للخرطوم في عام ١٨٥٧م. وبموجب هذا الفرمان تم تأسيس محطات يوجد بها هجانة وجمال بديلة على بعد كل عشر ساعات تقريباً تُقْطَع على ظهر الهجن وغطت هذه المحطات كل منطقة الجزيرة والتاكا وكردفان بجانب الطريق الواصل إلى كروسكو بمصر.

أنشئت في عهد الحكمدار جعفر صادق وظيفة مفتش عام البوستة في عام ١٨٦٥م. كان البريد في تلك الفترة ينقل من الخرطوم إلى القاهرة وبالعكس مرة واحدة كل أسبوع عن طريق سواكن والسويس. وبمجي عام ١٨٦٥م أصبح ينقل مرتين في الأسبوع عن طريق سكة حديد مصر إلى أسيوط ثم إلى الخرطوم بواسطة الهجانة في ثمانية وعشرين يوماً. أما البريد إلى الأبيض ومنها فكان يصل في أربعة أيام ونصف وإلى الفاشر في أحد عشر يوماً. أما مراسلات الخرطوم إلى الجنوب فكانت تحملها السفن الحكومية إلى فاشودة. ظل مكتب بريد الخرطوم يؤدي مهامه تحت إشراف مدير إيطالي يدعى جاكومو لومبروزو

حتى زوال الحكم التركي المصري بكفاءة أشاد بها جميع الرحالة والسائحون الأجانب.

تبنى الإنجليز في السنوات الأولى من حكمهم نفس نظام البريد الذي كان متبعاً في الفترة الأخيرة من الحكم التركي. تمَّ فتح مكتب بريد الخرطوم (مكتب البوستة) وعُيِنَ له سعاة يسعون على أرجلهم وأحياناً ركوباً على الدواب لتوزيع البريد. وفي نهاية الأربعينيات والخمسينيات أصبح لسعاة البريد دراجات هوائية (عجلات) تُثَبَت على هياكلها حقائب جلدية يوضع فيها البريد.



مبنى مصلحة البريد والبرق بشارع الجامعة

انتظم البريد واخْتُصِرَ زمن وصوله بعد وصول خط السكة حديد القادم من وادي حلفا إلى الخرطوم وانتظام قيام ووصول القطارات وإنشاء مكاتب للبريد في المدن التي يمر بها الخط. وحدث نفس الشيء بعد ربط الخرطوم وبورتسودان، والخرطوم والأُبَيِّضْ بخطوط السكة حديد. وأصبح في كل قطار عربة خاصة بالبريد تعرف بعربة البوستة تحمل البريد من الخرطوم إلى المدن الأخرى وبالعكس، حيث يُصَنَّف البريد المرسل حسب المدن ويوضع بريد كل مدينة في جوال يُكْتَب عليه اسم المدينة وتُجْمَع جوالات كل المدن

التي يخدمها قطار معين وترسل إلى محطة السكة حديد قبل موعد القيام.

شهدت خدمة البريد تطوراً آخراً عندما أدخلت خدمة صناديق البريد في فترة لاحقة، حيث أصبح بإمكان الشركات والمؤسسات والأفراد اقتناء صندوق بريد خاص في مكتب بريد الخرطوم. مع توسع المدينة ولتوفير خدمات البريد للمواطنين أُدخل نظام توكيل البريد في الخمسينيات، وفكرة هذا النظام أن يُمْنَح أحد تجار الأسواق أو الأحياء ترخيصاً بمزاولة مهام مكتب البريد من تسجيل الرسائل وتوفير طوابع البريد وصندوق البريد لاستلام رسائل المواطنين وأحياناً استلام رسائل التلغراف من المواطنين وإرسالها إلى مكتب التلغراف في المدينة. وفي منطقة الخرطوم جنوب أُعْطِيَ هذا التوكيل لأحد تجار السجانة حيث قام بإعداد مُلحق خاص لتوفير خدمة البريد، وقد عرف دكانه بدكان البوستة طيلة الخمسينيات والستينيات. وكانت خدمة البريد تقدم يومياً عدا يوم الجمعة في نفس المواعيد التي يعمل فيها مكتب بريد الخرطوم.

تم فتح مكتب بريد السجانة في الناحية الشمالية الشرقية من سوق السجانة ومكتب بريد الديوم الشرقية في الناحية الغربية من سوق الديم في النصف الثاني من الستينيات. وكان قد سبق افتتاح هذين المكتبين افتتاح مكتب بريد ميدان الأمم المتحدة. وأصبحت هذه المكاتب توفر كل الخدمات التي يوفرها مكتب بريد الخرطوم.

من أقدم طوابع البريد التي أصدرها مكتب البريد طابع يحمل صورة جندي من جنود قوة دفاع السودان وآخر يحمل صورة لعسكري الهَجَّانَة وثالث لشاب من قبيلة الهدندوة ورابع لشاب من إحدى القبائل النيلية بجنوب السودان. وكانت قيمة الطابع للمراسلات الداخلية تتراوح بين القرش والخمسة عشر مليماً حتى الستينيات.









طوابع البريد

الاتصالات السلكية واللاسلكية

حقبة ما قبل دولة المهدية

اكتمل إنشاء شبكة من خطوط البرق من مصر وإلى الخرطوم في عام ١٨٧٤م، وربطت هذه الشبكة الخرطوم بسواكن في عام ١٨٧٥م وبكردفان في عام ١٨٧٤م وبدارفور في عام ١٨٧٧م. وقد عمل مديراً لمكتب البرق جسبورن الأوروبي في الفترة من ١٨٦٤م إلى ١٨٧٤م وخلفه بعد ذلك جيجلر الألماني.

حقبة ما بعد دولة المهدية

بدأت خدمات الاتصال الهاتفي مع بناء السكة حديد عام ١٨٩٧م حيث أُدخِل معها خط تلفوني. كما أُدخِل الاتصال اللاسلكي عندما أُنشئت عام

١٩٢١م محطة لاسلكية في الخرطوم بقوة ٦ كيلو وات بهوائيات عالية. أعقب ذلك إنشاء محطة بين القاهرة والخرطوم في عام ١٩٣١م. وتمَّ إدخال خدمة الهاتف لسكان مدينة الخرطوم في عام ١٩٠٣م عندما تمَّ إنشاء عدد من الخطوط الهوائية وأول كبانية للتلفونات في المدينة (كبانية الخرطوم شمال). كما تمَّ ربط الخرطوم بكل من الخرطوم بحري وأم درمان عن طريق كيبل نهري وكبانيتين فرعيتين. بلغ عدد الخطوط في تلك الفترة ٤٢ خطاً، ويتم الاتصال بالحضور للكبانية التي تستقبل الجمهور من الساعة الثامنة صباحاً وحتى الواحدة والنصف ظهراً ثم من الثالثة مساءً حتى الخامسة مساءً عدا يوم الجمعة. وبحلول عام ١٩١٤م بلغت سعة كبانية الخرطوم ١٥٠ خطاً، واستمرت بهذه السعة حتى عام ١٩٢٢م حيث استبدلت بكبانية سعة ٦٠٠ خط وتوسعت الشبكة داخل المدينة كما ربطت بالعديد من مدن البلاد.

شهدت نهاية العشرينيات تحول نظام التليفونات من اليدوي إلى الآلي بحيث يتم الاتصال عن طريق قرص. رُبِطَت الخرطوم هاتفياً مع العالم الخارجي عام ١٩٤٦م حيث تمَّ فتح ترنك الخرطوم – القاهرة، وبدأت الخدمات الهاتفية العالمية مع كل من بريطانيا وفرنسا وفلسطين. توسعت الخدمات الهاتفية العالمية بحلول عام ١٩٤٨م لتشمل الولايات المتحدة الأمريكية وسويسرا. وعرفت المدينة نظام الهواتف العمومية (Call–box) في النصف الثاني من الخمسينيات.

في أوائل الستينيات تمَّ افتتاح كبانية الخرطوم جنوب ومعهد المواصلات السلكية واللاسلكية جوار حديقة عبود (حديقة القرشي حالياً). ساعدت هذه الكبانية في تغطية منطقة الديوم الجديدة والعمارات وامتداد الدرجة الثالثة. وفي عام ١٩٧٠م تمَّت توسعة كبانية الخرطوم شمال، كما تمَّ ربط الخرطوم بسِنَّار وعطبرة عبر شبكة المايكروويف في نفس العام. ظلت إدارة

الاتصالات تتبع مصلحة البريد والبرق منذ إنشائها وحتى عام ١٩٧٠م حيث آلت الإدارة إلى مصلحة المواصلات السلكية واللاسلكية.

الطواحين والطوابين

عرفت الخرطوم شمال ثلاثة طواحين حتى نهاية الخمسينيات من القرن الماضي وهي طاحونة مقار الواقعة في المنطقة الوسطى من شارع الحرية. كما لمقار طاحونة أخرى في الناحية الجنوبية من شارع هاشم بيك واشتهرت باسم مشغلها زعزوع إذ عرفت بطاحونة زعزوع. أما الطاحونة الثالثة فهي طاحونة كريازي في وسط منطقة السوق العربي وعرفت بطاحونة الويزو.

أما بالنسبة لأهالي الديوم القديمة فقد كان السواد الأعظم منهم يقومون بطحن ما يحتاجونه من الذرة في منازلهم حيث تستخدم النسوة لذلك «المُرحَاكة»[١٠٢]. وتعتبر عملية الطحن باستخدام المُرحَاكة من أعمال المرأة اليومية. كما أن هناك القليل من السكان كانوا يستخدمون الطواحين، إذ كانت بالديوم طاحونتان: طاحونة عبد الحميد في ديم سلمان وطاحونة الزين ود القباني في ديم أب قرشين. وتزايدت نسبة المستخدمين للطواحين بمرور الزمن وبدأ عصر المُرحَاكة في الاندثار رويداً رويداً، وبقيام الديوم الجديدة أصبح الجميع يستخدمون الطواحين.

وعند مسح منطقة الخرطوم جنوب في فترة ما بعد الديوم القديمة نجد حوالي الخمسة طواحين، اثنان منها في منطقة السجانة وهي طاحونة الزين القباني في الناحية الشرقية من السجانة وطاحونة أحمد سراج في الناحية الجنوبية الشرقية من سوق السجانة. كما توجد طاحونة ثالثة في وسط منطقة

١٠٢ المُرحَاكة حجر يُطحن عليه.

الزهور فتحت، وهذه الطاحونة كانت موجودة في هذا الموقع قبل إزالة عشش فلاتة وإنشاء حي الزهور فتحت. هذا بجانب طاحونة لمقار بالمنطقة الصناعية جوار حوش البوستة من الناحية الغربية. وكانت هذه الطواحين تعمل بالجازولين وتعرف بطواحين الحجر.

وبحلول الستينيات عرفت الخرطوم طواحين الكهرباء التي انتشرت في كل أحيائها خاصة الأحياء الشعبية منها. ومن أوائل طواحين الكهرباء طاحونة أولاد الهادي بديم تقلي، ونجد بديم التعايشة طاحونة محمد الصادق التربي وطاحونة الحاجة فاطمة بت صالح جوار دكان علي محمد وطاحونة في منزل محمد وداعة جوار دكان العبيد، وطاحونة عبدون حماد في ديم العطا، وطاحونة عدلان في سوق الديم، وطاحونة مربع ٨، وطاحونة محمد مختار جوار جامع حاج ميرغني، وطاحونة الشايقي في الناحية الغربية من الحلة الجديدة وسط، وطاحونة ود الجلال في الناحية الجنوبية من الحلة الجديدة.

انتشرت الطوابين (المخابز) في الخرطوم خاصة تلك التي تصنع الخبز البلدي (الرغيف الأسمر المدور). فنجد في الخرطوم شمال من الطوابين المشهورة طابونة النعيم والتي عرفت لاحقاً بمخبز الخرطوم وتقع شمال مدرسة الخرطوم الأميرية بنين. ونجد طابونة كليوباترا عند الناحية الجنوبية الشرقية من صينية القندول (محطة الدوران)، وطابونة علي السيد في الناحية الشمالية الغربية من صينية القندول. وإلى الشمال قليلاً هناك طابونة سيحة جوار مدرسة الراهبات، وطابونة مونديال غرب مكتب التنظيم وهي من أقدم الطوابين التي كانت تصنع الخبز الإفرنجي بجانب الخبز البلدي. ونجد طابونة شريف أحمد شرفي في الناحية الجنوبية الغربية للجامع الكبير بجوار مكتبة النهضة. كما نجد مخبز بابا كوستا في شارع الجمهورية إلى الغرب من سانت جيمس وهو مخبز أفرنجي اشتهر بصناعة الحلويات بجانب الخبز الأفرنجي.

كذلك انتشرت الطوابين في الخرطوم جنوب فنجد مخبز في سوق الخرطوم ٢، وطابونة في تقاطع شارع مجمع شروني الإسلامي مع شارع ٣٩ حيث سميت محطة بصات السجانة بالنص في ذلك التقاطع بمحطة الطابونة. ونجد طابونة عثمان عبد الله في الناحية الشمالية الغربية من الخرطوم ٣، وطابونة سيحة في سوق الخرطوم ٣. وتوجد في السجانة ما لا يقل عن التسعة طوابين توزيعها كالآتي: طابونة أحمد الدشوني بجوار ملجأ العجزة في الناحية الشمالية من السجانة، وطابونة الزين بجوار طاحونة الزين في الناحية الشرقية من السجانة، وطابونة طنون في السوق العربي بالسجانة، وطابونة عند الناصية الجنوبية الغربية لسوق السجانة. كما نجد أربعة طوابين بشارع السجانة بالنص وهي من الشمال إلى الجنوب: طابونة الزمزمي بجوار منزل نور الدائم عمر في الناحية الشمالية الشرقية من سوق السجانة، والثانية بجوار مدرسة المقل والحجير شرق سوق السجانة، والثالثة بجوار طاحونة أحمد سراج في الناحية الجنوبية الشرقية من سوق السجانة، والرابعة إلى الجنوب من مدرسة النور الخضر بالمايقوما. هناك أيضاً طابونة في الناحية الجنوبية الشرقية من ميدان العلمين بالمايقوما.

نجد في منطقة الديوم الشرقية طابونة أب كريك (طابونة ٢١ أكتوبر لاحقاً) في الناحية الشمالية الغربية من زريبة الفحم، وطابونة محمد الحسن قرني إلى الجنوب من ميدان الحرية، وطابونة عشرة في الناحية الجنوبية من ديم القنا، وطابونة بابكر المرضي جوار مدرسة عبدون حماد النموذجية بديم القنا، وطابونة ود الجلال بين ميدان الحرية وجامع طيفور. ونجد أيضاً طابونة جمعية ديم التعايشة التعاونية في الناحية الشمالية الغربية من مدرسة الراعي الصالح، وطابونة عبد الجبار التربي في ديم التعايشة. كما نجد في وسط حي الزهور فتحت طابونة ناصر اليماني بجوار طاحونة الزهور.

أما طوابين الحلة الجديدة والديوم الغربية فتشمل طابونة مهدي ود النعيمة بجوار داخليات المعهد الفني في الناحية الشمالية من الحلة الجديدة، وطابونة حاج ميرغني في الناحية الشمالية الغربية من زريبة الفحم، وثالثة بجوار طاحونة ود الجلال وتطل على شارع الحلة الجديدة.

المطاعم

مثلت المطاعم أحد وسائل الترفيه في المدينة في فترة الأربعينيات والخمسينيات وأوائل الستينيات حيث وجد الرواد فيها أجهزة الاستماع من مذياع وفونغراف والتي لم تك واسعة الانتشار حينذاك. من أشهر مطاعم الخرطوم في الأربعينيات والخمسينيات نجد في منطقة السوق العربي مطعم العيلفون الواقع جنوب مدرسة الخرطوم الأهلية، ومطعم ود تركية وشريكه لالوبة ومطعم قطيط في الناحية الجنوبية من السوق العربي، ومطعم الهلال جوار عمارة أبوالعلا القديمة ويمتلكه الزبير أحمد الزبير، ومطعم الفوال ومطعم الإخلاص ومطعم طنون ومطعم باندي ومطعم علي السيد الكوباني ومطعم المقرن، ومعظم هذه المطاعم تقع على شارع عبد المنعم محمد. تقدم هذه المطاعم أطباق اللحوم البيضاء والحمراء والفول والعدس والأصناف المختلفة من الطبيخ والسلطات بجانب الأطباق الشعبية من عصيدة وكسرة وملاح تَقَلِية وملاح أم دَقُوقَة وغيرها من الأطباق.

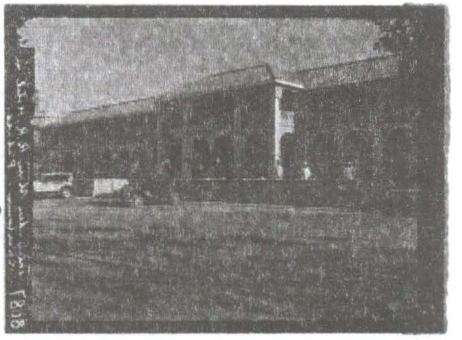
أمَّا في منطقة السوق الإفرنجي فبجانب مطعم الحلواني نجد مطعم الجمهورية في المحطة الوسطى ومطعم كريازي ومطعم تاسيوس ومطعم سويت روزانا في الخرطوم شرق جوار شركة التبغ ويسمى بمطعم الست إذ كانت تمتلكه امرأة ويعمل فيه جرسونات من الإغريق.

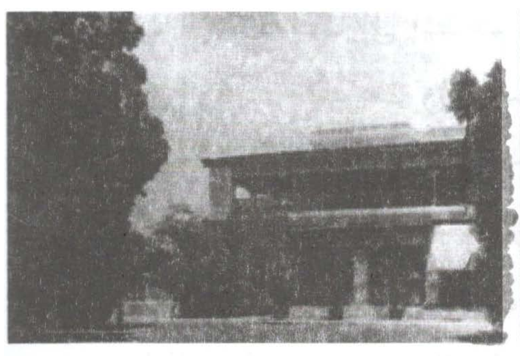
تجب الإشارة أيضاً إلى المطاعم المرفقة بفنادق الدرجة الأولى مثل الفندق الكبير وفندق السودان وإكسلسيور وصحارى لاحقاً حيث كان يرتادها الشريحة العليا للطبقة الوسطى بالخرطوم في فترة الخمسينيات وأوائل الستينيات ثم من بعد تلك الفترة أصبح يرتادها من هم دون تلك الطبقة.

ونجد في أسواق الخرطوم جنوب خاصة سوق السجانة وسوق الديم عدداً من المطاعم التي تقدم خدماتها لزبائنها من سكان تلك المناطق. فقد ضم سوق السجانة عدداً من المطاعم تفوق الخمسة، ثلاثة منها في السوق القديم واثنان أو ثلاثة في السوق العربي، فمن مطاعم السوق القديم مطعم الجمهورية ومطعم فتح الله ومطاعم السوق العربي مطعم طنون ومطعم زعرف للسمك. بينما نجد في سوق الديم ثلاثة مطاعم هي مطعم رمضان ومطعم الحرمين ومطعم محمد البربري.

الفنادق واللكوندات

من بين مباني الخرطوم التي اكتمل تشييدها بنهاية عام ١٩٠٤م مبنى الفندق الكبير المطل على شارع النيل إلى الشرق من حديقة الحيوانات، وهو أول فندق بمدينة الخرطوم والسودان قاطبة. وقد ظل منزلاً لكبار الزوار حتى أوائل الستينيات حين أنشئ فندق السودان بجواره. جاء من بعد الفندق الكبير في الربع الأول من القرن الماضي تشييد فندق فيكتوريا الذي لا يزال مبناه قائماً حتى اليوم بشارع القصر إلى الشرق من برج البركة وشمال مبنى محلية الخرطوم (شمال ميدان أبوجنزير).





الفندق الكبير في عام ١٩٣٠م وفي نهاية الخمسينيات

وبمجيء الخمسينيات شهدت الخرطوم إنشاء عدداً من الفنادق شملت فندق سانت جيمس عند تقاطع شارع الجمهورية مع شارع عطبرة، وفندق الاكروبول عند تقاطع شارع الزبير مع شارع بابكر بدري، وفندق مترو بشارع الزبير باشا إلى الشرق من بار وحلويات الجي بي، وفندق الشرق بشارع الجمهورية عند تقاطعه مع شارع ١٨. وافتتح فندق الحرمين في عمارة سليمان بن عوف بشارع الجامع الكبير (شارع إستاك) إلى الشمال من مدرسة الكمبوني، وفندق الحرية بشارع الحرية عند تقاطعه مع شارع البلدية، وفندق ليدو وفندق آسيا بناحية تقاطع شارعي سنكات والزبير باشا. ونجد فندق السواحلي عند تقاطع شارع السيد عبد الرحمن وشارع هاشم بك، وفندق التاكا جنوب شارع عبد المنعم محمد. وفي منتصف الستينيات شهدت الخرطوم افتتاح فندق إكسلسيور في عمارة قرنفلي بشارع الجمهورية تلاه افتتاح فندق صحارى في عمارة عثمان صالح بجوار عمارة قرنفلي.



فندق الأكروبول بشارع الزبير باشا

انتشرت في منطقة السوق العربي جنوب شارع السيد عبد الرحمن الكثير من اللكوندات ومن أشهرها في فترة الخمسينيات والستينيات لكوندة البحر الأحمر ولكوندة كردفان ولكوندة النيل الأزرق ولكوندة إسطفانو ولكوندة رويال.

أما في منطقة الخرطوم جنوب، فيعتبر فندق دوللي الذي تم إنشاؤه في فترة الخمسينيات أول فندق بالمنطقة، ويقع فندق دوللي شمال النجيلة الأولى بالخرطوم نمرة (٢). افتُتِحَ بعد ذلك في أوائل الستينيات فندق دي باريس (فندق كيشو) في حي المزاد في الناحية الجنوبية الغربية من مقابر فاروق، كما افتُتِحَ فندق الزهراء بالخرطوم نمرة (٢) في الناحية الشمالية الغربية من المقابر. عَرِفَت نفس المنطقة في أواخر الخمسينيات فندق الأَرز في الناحية الجنوبية من النجيلة الأولى والذي انتقل في فترة لاحقة إلى الجزء الشرقي من نفس الشارع المعروف بشارع نمرة (١) في حي العمارات.



الفندق الكبير

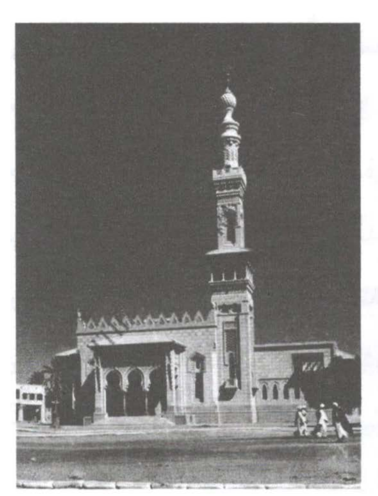
دور العبادة

حقبة ما قبل دولة المهدية

شيَّد خورشيد باشا مسجد الخرطوم العتيق في عام ١٨٣٠م في نفس الموقع الذي يقوم عليه جامع فاروق الحالي. وفي عام ١٨٣٧م هدم خورشيد بنيان المسجد وشرع في بنيان مسجد أوسع في نفس المكان واستخدم في بنائه الآجر المنقول من مدينة سوبا. اكتمل البناء في عهد أحمد أبو ودان عدا المئذنة التي تأخر إكمالها حتى حوالي عام ١٨٦٠م. ثم جاء إسماعيل أيوب وقام بإجراء بعض التعديلات والإضافات في عمارة المسجد. هدم الحكمدار محمد رؤوف المسجد للمرة الثانية في عام ١٨٨٠م وبدأ في توسعته في نفس المكان ولكن قيام الثورة المهدية حال دون إكمال البناء. وكان محمد رءوف قد أطلق عليه اسمه ولكن غير غردون الاسم إلى جامع السودان عام ١٨٨٤م. أحاط بالمسجد ميدان فسيح وجميل احتوى على أشجار اللبخ الظليلة. ظل مسجد الخرطوم المسجد الوحيد بالخرطوم طوال فترة العهد التركي المصري وكان يمثل مركزاً لتدريس العلوم الشرعية إذ قام بالتدريس فيه كثير من كبار مشايخ الخرطوم.

تجب الإشارة إلى مسجد أرباب العقائد الكائن في منطقة الترس وقد هدمه الدفتردار أثناء حملته في بداية العهد التركي المصري انتقاماً لمقتل إسماعيل باشا ابن محمد علي باشا. ظل هذا المسجد والذي كان يضم خلوة لتدريس علوم القرآن الكريم متداعياً إلى أن قام الحكمدار موسى حمدي باشا (١٨٦٢-١٨٦٥م) بعمارته من جديد، وكان يؤمه القليل من المصلين من أهالي حي الترس لقربه من ديارهم. وفي تلك الفترة أيضاً تمَّ تشييد بيت لضيافة أبناء السبيل ملحق به جامع صغير، وكان هذا البيت يعرف بسبيل عبده أفندي ويقع في ناحية المقبرة الجديدة شرق المدينة.





جامع فاروق (الخمسينيات)

قامت الكنيسة القبطية في الفترة ما بين ١٨٥٠ و١٨٦٠م وكان عدد الأقباط في المدينة حوالي الخمسمائة. شُيِّدَت الكنيسة القبطية في الناحية الشمالية الغربية من المدينة في حي الأقباط وكان لها ثلاث قباب بمظهر متواضع وارتفاع منخفض وسط المنازل المجاورة لها.

أقام الأب الإيطالي لويجي منتوري في الخرطوم ما بين عام ١٨٤٣ و١٨٤٥م حيث أسس إرسالية كاثوليكية وكنيسة صغيرة في المدينة، وضم بناء الإرسالية

خمسة غرف صغيرة. توقف نشاط هذه الإرسالية في عام ١٨٤٥ برجوع منتوري إلى مقره الأساسي بالحبشة. وفي عام ١٨٤٦م صدر قرار من البابوية الكاثوليكية بروما يقضي بتأسيس "النيابة الرسولية لأفريقيا الوسطى" بهدف رفع مستوى الأهالي علمياً وصحياً ومساعدة المسيحيين العاملين في السودان والقضاء على تجارة الرقيق على أن يكون مقر هذه النيابة مدينة الخرطوم. وصل رجال البعثة إلى الخرطوم في عام ١٨٤٨م واشترت قطعة من الأرض غرب المبنى الذي أقامه منتوري. اكتمل بناء مؤقت للإرسالية في عام ١٨٥٢م على يد عمال إيطاليين، واشتمل المبنى على كنيسة صغيرة وغرفة لتدريس الأطفال. وتواصل بناء العمارة الضخمة للإرسالية طوال عهد الحكم التركي، وفي عام ١٨٥٨م بلغ طول المبنى ١٢٤ قدماً من الشرق إلى الغرب وعرضه ٣٠ قدماً. احتلت الكنيسة حجرتين في الجناح الشرقي للبناء بينما ضم بقية المبنى سبع حجرات واسعة للإقامة والمدرسة والمخازن. كما ضمت الإرسالية حديقة واسعة إلى الشمال من المبنى تمتد إلى شارع النيل الضيق. بنيت عمارة الإرسالية من الحجر المجلوب من أم درمان والآجر المجلوب من بقايا سوبا القديمة تحت اشرف المهندس الإيطالي بيترو أجاتي، وجاءت معظم المساعدات المالية لإقامة البناء من الجماعات النمساوية لترقية الإرساليات الكاثوليكية في وسط إفريقيا.

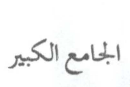
حقبة ما بعد دولة المهدية

دور العبادة في الخرطوم شمال

رغم أنَّ المسلمين يشكلون غالبية سكان مدينة الخرطوم منذ إعادة إنشائها، لم يكن قائماً فيها حتى نهاية الأربعينيات سوى الجامع الكبير الذي شيدته مصلحة الأشغال العسكرية المصرية في عهد الخديوي عباس الثاني. زار عباس

باشا حلمي الخرطوم في نهاية عام ١٩٠١م عندما كان السير ريجنالد ونجت باشا يتقلد منصب الحاكم العام، وافتتح جامع الخرطوم الكبير في ديسمبر ١٩٠١م لذا عرف طيلة فترة الحكم الثنائي بجامع عباس. وكان الجامع يضيق بالمصلين في صلاة الجمعة حيث يؤمه الكبار والصغار ممن بلغوا السابعة من العمر مما يضطر معه الكثير من المصلين أداء الصلاة خارج المسجد. وفي نهاية الأربعينيات قدم الملك فاروق ملك مصر والسودان منحة لإعادة بناء مسجد الخرطوم العتيق الذي كان قائماً في حقبة الحكم التركي المصري وتهدم بعد زوال تلك الحقبة وانتقال أهالي الخرطوم إلى أم درمان حيث السلطة الجديدة. ومن المفارقات أنَّ اكتمال بناء المسجد قد تمَّ في عام ١٩٥٢م وأمَّ المصلين فيه لأول مرة الشيخ أحمد حسن الباقوري أول وزير للأوقاف بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م التي أزاحت الملك فاروق من السلطة، ومنذ ذلك الوقت اشتهر جامع الخرطوم العتيق بجامع فاروق. لم يزد عدد مساجد الخرطوم عموم عن هذين المسجدين حتى مطلع السبعينيات.





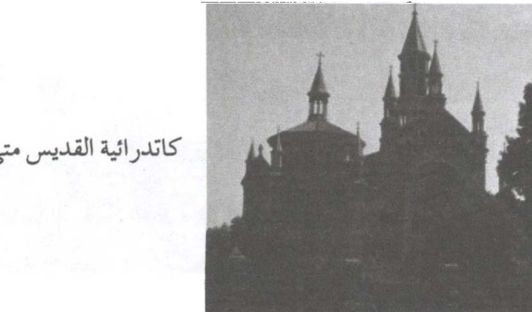
الجامع الكبير

بالرغم من قلة عدد المسيحيين مقارنة بالمسلمين في الخرطوم نجد أنَّ بالخرطوم عموم سبع كنائس تتبع مذاهب وجاليات مختلفة. تمَّ تشييد أربعة منها خلال الثماني سنوات الأولى للحكم الثنائي وهي الكنيسة البروتستانتية الملحقة بقصر الحاكم العام (القصر الجمهوري)[١٠٣]، والكنيسة القبطية الأرثوذكسية

١٠٣ تحولت هذه الكنيسة إلى متحف ملحق بالقصر الجمهوري في الستينات أى بعد الإستقلال بفترة ليست بالقصيرة.

في تقاطع شارع علي عبد اللطيف مع شارع النيل، والكنيسة الإنجيلية في الناحية الجنوبية الغربية من جامع فاروق، والكنيسة الكاثوليكية (كمبوني) في المباني التي أصبحت مديرية الخرطوم فيما بعد (تحولت الآن إلى مجلس الوزراء) ثم انتقلت إلى موقعها الحالي بشارع القصر. أما الكنائس الثلاثة المتبقية فقد تمَّ تشييدها في أزمان مختلفة أثناء فترة الحكم الثنائي وهي كنيسة الروم الكاثوليكية في تقاطع شارع الملك نمر مع شارع النيل، والكنيسة اليونانية في شارع الجمهورية بالخرطوم شرق، والكنيسة الأرمنية في الناحية الشمالية الشرقية من تقاطع شارعي الجمهورية والملك نمر وإلى الشمال من الكنيسة اليونانية .

وكما نَعِمَ المسيحيون بالحرية الدينية والعقدية والتي تمثلت في انتشار كنائسهم على طول وعرض المدينة، كذلك الحال كان بالنسبة للجالية اليهودية في الخرطوم إذ كان لهم معبد (المعبد اليهودي) يطل على شارع القصر وبالقرب من تقاطعه مع شارع السيد عبد الرحمن.


كاتدرائية القديس متى

دور العبادة في الخرطوم جنوب

نجد أن معظم سكان الديوم القديمة كانوا من المسلمين إن لم يكونوا كلهم كذلك، ورغم الاتساع النسبي لمساحة الديوم في تلك الحقبة من الزمان إلا أنها ظلت بدون مسجد (جامع) لفترة طويلة من الزمان. وعَوَضَ الأهالي

عدم وجود المساجد بإنشاء العديد من الزوايا[104] والخلاوى لإقامة صلواتهم وللذكر وللتفقه في أمور دينهم. فبجانب الخلاوى التي سبق ذكرها نجد زوايا الكباشية والبادراب في ديم سلمان وهم من أتباع الطريقة القادرية، وزاوية شيخ سعيد يعقوب للطريقة الأحمدية في ديم التعايشة، وزاوية شيخ محمد أحمد فضل للطريقة الأحمدية أيضاً بديم برتي، وكانت هنالك منافسة محببة بينه وبين شيخ سعيد يعقوب في زيادة عددية أتباع الطريقة الأحمدية. وكان شيخ محمد أحمد فضل يلبس الفرجية والقفطان متشبهاً بالأزهريين، وكان يُدَرِس الدين الإسلامي لأبناء المسلمين في المدرسة الأمريكية بالخرطوم بحري. كما كانت هناك أيضاً زاوية شيخ عوض مطر الحلفاوي وهو أيضاً من شيوخ الطريقة الأحمدية.

أنشأ حاج ميرغني محجوب زاوية في ديم القشاشة، ويعد حاج ميرغني أحد خلفاء الختمية في الديوم القديمة ثم الجديدة. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الديوم القديمة قد عرفت الطريقة الختمية عن طريق مجموعة ختمية إشلاق عباس فعند إزالته انتقلت هذه المجموعة إلى الديوم القديمة. ومن بين أفراد هذه المجموعة الخليفة عبد النبي والد الدكتور عثمان عبد النبي الذي أقام في ديم تقلي، والخليفة عبد الرحيم البشير وقد أقام في ديم عبد الكريم، والخليفة وقيع الله إبراهيم وأقام في ديم التعايشة وغيرهم. ومنذ ذلك الحين أصبح للختمية حضوراً في الديوم القديمة. تَبِع مذهب الختمية الكثير من أبناء الديوم من أبرزهم الخليفة عبد الجبار أبوبكر التربي الذي كان مغنياً قبل انضمامه للختمية، وأصبح بعد انضمامه لها يؤدي القصائد الخاصة بالطريقة مما استقطب الكثير من الشباب وصارت هنالك حضرة خاصة سميت بحضرة الشباب.

كان الأثر الدعوي والوعظي لهذه الطرق الصوفية قد بلغ شأواً عظيماً

---

١٠٤ *الزاوية هي غرفة أو فناء للصلاة.*

بين أهالي الديوم فكانت لا تمر ليلة من ليالي الديوم إلا ويسمع فيها أصوات الذاكرين ورنين النوبات من كل حدب و صوب مصدرها الزوايا المنتشرة على طول وعرض الديوم. كان المواطنون يؤدون الصلوات الخمس في جماعة في تلك الزوايا والخلاوى، أما بالنسبة لصلاة الجمعة فكانوا يؤدونها في جامع الخرطوم الكبير لعدم وجود جامع في الديوم القديمة حتى نهاية الثلاثينيات تقريباً. وكانوا عادةً بعد صلاة الجمعة يتحلقون في حلقتين أمام المسجد، حلقة الختمية لقراءة المولد وحلقة شيخ سعيد الأحمدي للذكر.

شيد شيخ كامل الأحمدي الجامع الوحيد في الديوم القديمة في نهاية الثلاثينيات في ديم القشاشة، وكان يؤُمُّ المصلين في الصلوات الراتبة بينما يخطب فيهم ويؤُمَهم في صلاة الجمعة الشيخ محمد أحمد محمد علي العزمي والد شيخ سيف الدين. وبذلك أصبح سكان الديوم لا يضطرون إلى الذهاب إلى جامع الخرطوم الكبير لأداء صلاة الجمعة بل يقيمونها في مسجدهم. وعُرِفَ هذا الجامع باسم مؤسسه حاج كامل ومازال قائماً حتى اليوم في الناحية الجنوبية الشرقية من الخرطوم نمرة (٢)، وبذلك أصبح جامع حاج كامل هو الأثر الوحيد المتبقي من الديوم القديمة. ولبقائه قصة إذ قررت الحكومة إزالته مع الديوم القديمة ولكن مع إصرار الأهالي والأحمدي بأن بيوت الله لا تُزال بل تُعَمَرْ أخذ الأحمدي يجمع الناس من الديوم الجديدة ويذهبوا للصلاة فيه، وداوموا على هذه الحال لفترة حتى رضخت الحكومة لطلبهم وألغت أمر الهدم، وبذلك ظل المسجد قائماً إلى يومنا هذا.

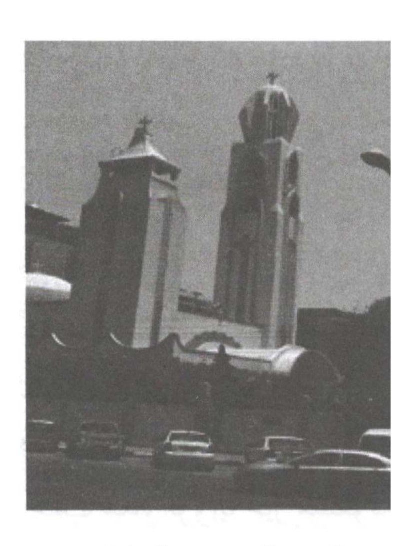
شهدت منطقة الخرطوم جنوب بعد إنشاء السجانة والحلة الجديدة والخرطوم نمرة (٣) والديوم الجديدة والخرطوم نمرة (٢) تشييد عشرة جوامع خلال عقدين من الزمان. ففي مطلع الخمسينيات أُنشئَ جامع السجانة وجامع عبد المنعم محمد بالخرطوم نمرة (٣) وجامع حاج ميرغني بالحلة الجديدة وجامع

الشايقية في منطقة تعويضات المقرن. وبحلول مطلع الستينيات تمَّ تشييد جامع السجانة الجديدة وجامع طيفور جوار سوق الديم وجامع ديم التعايشة. كما شُيِّد في منتصف الستينيات جامع الفكي السنوسي بالخرطوم نمرة (٢) وجامع عباس كمير في حي باريس وجامع شروني في الخرطوم نمرة (٢). بالإضافة إلى ذلك لا تخلو الأحياء الشعبية من الزوايا التي تقام فيها الصلوات خاصة صلوات الفجر والمغرب والعشاء بينما يؤدي غالبية سكان تلك الأحياء صلاتي الظهر والعصر في أماكن عملهم، إما القاعدون من الرجال فيؤدونها في منازلهم وذلك لأن أغلب هذه الزوايا غير مسقوفة.



جامع الخرطوم ٣

أما الكنائس في منطقة الخرطوم جنوب فقد قامت ثلاثة منها، أُنشئت الأولى في الخمسينيات في حي الخرطوم نمرة (١) إلى الشرق من ميدان النجيلة الثالثة (حديقة إشراقة). أما الأخريان فقد أُنشئتا في الستينيات، واحدة في شارع الخور في الناحية الشرقية من الخرطوم نمرة (٢) وهي الكنيسة الحبشية، والثانية في شارع ١٥ بمنطقة العمارات.



كنيسة الشهيدين بالعمارات

القضاء والإفتاء

حقبة ما قبل دولة المهدية

كان القضاء الشرعي في عهد محمد علي باشا يشتمل على جميع القضايا وتُستأنف الأحكام الصادرة منه أمام مجلس الأحكام بمصر. قام محمد علي بتعيين الشيخ أحمد السلاوي قاضياً لعموم السودان وألزم الحكمدار خورشيد ألا يقطع أمراً دون مشاورته. ثم أُنشئَ في فترة لاحقة مجلس محلي للحكم في القضايا المدنية والجنائية الكبرى، وآخر رئيس لمجلس الخرطوم المحلي محمد بك بدوي والد توفيق ونيازي. يعلو هذا المجلس مجلس استئناف تستأنف له جميع الأحكام الصادرة من مجالس السودان المحلية وكان آخر رئيس لمجلس الاستئناف حسن عبد المنعم بك جد المحسن عبد المنعم محمد.

ومن علماء مدينة الخرطوم الشيخ شاكر الرئيس مفتي السودان في عهد الحكمدار محمد رؤوف باشا (١٨٨٠-١٨٨٢م)، وكان قد أشار على رؤوف باشا بأن يتولى بنفسه قيادة الحملة ضد المهدي عند بداية ظهوره ليقضي على الثورة في مهدها قبل استفحالها، فرد عليه رؤوف باشا «خسئت

أيها الشيخ: أتريد أن ترمل زوجتي وتيتم أطفالي.» أيضاً من علماء المدينة في نهاية الثمانينيات من القرن التاسع عشر الشريف حسن المجدي قاضي الخرطوم والفقيه عبد القادر قاضي الكلاكلة والفقيه موسى مفتي المجلس المحلي والشيخ المضوي عبد الرحمن المحسي خريج الأزهر، والشيخ محمد أحمد أبودقن شيخ علماء السودان.

وكان معظم هؤلاء العلماء مقربين للنظام التركي خاصة المفتي شاكر وأحمد الأزهري وحسين مجدي ومحمد ولد حتيك وولد الدليل. وكان الشيخ الأمين الضرير من المقربين للباب العالي وللحكمدار جعفر مظهر ولمن خَلَفَهُ في الحكمدارية.[105] قليل جداً من العلماء من وقف في وجه الفساد والظلم الذي استشرى خلال عهود الكثير من الحكام الأتراك الذين تولوا السلطة في الخرطوم، ومن أشهر هؤلاء العلماء الشيخ الحسين الزهراء والذي لم يخفِ تأييده للمهدي عندما أعلن مهديته.

حقبة ما بعد دولة المهدية

تغيرً لقب قاضي عموم السودان في عهد المهدية إلى قاضي الإسلام. وبعد انهيار دولة المهدية واستعادة الخرطوم لموقعها كعاصمة للبلاد اسْتُخْدِمَ لقب قاضي القضاة وكان جميع من تولوا هذا المنصب في فترة الحكم الثنائي من المصريين. أول من تولى المنصب محمد شاكر باشا، وخلفه الشيخ محمد هارون في عام ١٩٠٤م، جاء من بعده في عام ١٩٠٨م صاحب الفضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر، وخلفه في عام ١٩١٩م الشيخ محمد أمين قراعة، ثم الشيخ محمد نعمان الجارم في عام ١٩٣٢م، ثم الشيخ حسن مأمون في عام ١٩٤٠م.[106]

١٠٥ عبد الله حسين، عرض تاريخي لشئون السودان منذ أقدم العصور إلى منتصف القرن العشرين، مصر.

١٠٦ نفس المصدر السابق.

ومن القضاة الشرعيين الوطنيين الأوائل محمد صالح الشنقيطي والدرديري محمد عثمان وأحمد عباس ومحمد علي الطيب وأحمد البدوي. ضمت أول دفعة لمدرسة الحقوق بكلية غردون كل من أحمد متولي العتباني ومحمد أحمد محجوب ومحمد أحمد أبورنات ومحمد إبراهيم النور ومحجوب علي حسيب، بينما تخرج محمد يوسف هاشم في الدفعة الثانية. ومن أوائل الذين تولوا منصب قاضي القضاة في عهد الحكم الوطني الشيخ حسن مدثر في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، خلفه محمد أحمد أبورنات، بينما تولى منصب المفتي الشيخ محمد أبوالقاسم هاشم. ومن العلماء الذين أثروا ساحة العلم الشرعي منذ الأربعينيات الشيخ محمد أحمد أبوالعزائم، وفي الخمسينيات و الستينيات الشيخ حسن طنون.

الباب الثالث

النشاط الاقتصادي والحياة الاجتماعية



الفصل التاسع

النشاط الاقتصادي

اعتمدت الخرطوم على مر الحقب ومنذ إنشائها وإلى اليوم على التجارة في نشاطها الاقتصادي، وساعد في ذلك كونها نقطة إلتقاء لكل الطرق الرئيسية في السودان سواء المتجه نحو الشمال أو الجنوب أو تلك المتجه نحو الشرق أو الغرب.

النشاط الاقتصادي في حقبة ما قبل دولة المهدية

التجارة

كان من أول نتائج اختيار الخرطوم عاصمة للسودان من قبل الحكم التركي المصري أن أصبحت الخرطوم السوق التجاري الأول بالبلاد في ميادين التسويق والتوزيع والاستيراد، بل سوقاً لكل المنطقة الواقعة بين وسط أفريقيا وبحيرة تشاد والبحر الأحمر. وبذلك أصبحت الأسواق القديمة ذات الشهرة الكبيرة على عهد سلطنة الفونج مثل بربر وشندي وسِنَّار تدور في فلك النشاط التجاري لسوق الخرطوم وتقوم على خدمته، وأصبحت مجرد محطات على طول خطوط القوافل الممتدة بين الخرطوم وجهات البلاد المختلفة. كما زاد قيام الخرطوم من أهمية بعض الأسواق مثل القضارف والقلابات وكسلا وأبوحراز وود مدني والمسلمية والأُبَيِّض حيث أصبح لهذه المدن دور متعاظم في إنعاش حركة التبادل التجاري بين تجار الخرطوم وتجار تلك المناطق. فكانت ترد الخرطوم من جهة القلابات البن الحبشي والعسل والشمع والجلود بجانب الجواري اللاتي كان تجار الخرطوم

يقبلون على شرائهن لما لهن من مركز ممتاز في حريم أغنياء العاصمة.[١٠٧] ومن جهة النيل الأبيض وشرق كردفان ترد الخرطوم الذرة والعاج والمطاط وريش النعام والخرز وأخشاب المناطق الاستوائية والزعفران وجلود أفراس النهر والماعز والثيران والزبد والعسل والشمع والسنمكة والمسك والنيلة. ويأتي من أسواق كسلا والقضارف الصمغ والعاج والجلود ودهن الحيوان وريش النعام. أما من ناحية دارفور وغرب كردفان فأهم ما تحمله القوافل القادمة عبر ومن الأُبَيِّضْ الصمغ والمطاط وريش النعام وقشر بيضه والعاج والأبنوس والجلود والسمسم والدخان والسنمكة والحنظل والماشية والرقيق. كما كان لتجار الخرطوم علاقات تجارية بتجار أعالي النيل الأزرق حيث يمدونهم بالذهب والمسك.

كان تجار الخرطوم يصدرون لغرب السودان البن والسكر والشمع والصابون، ولمناطق أعالي النيل الأبيض وأعالي النيل الأزرق والجزيرة سائر المصنوعات المصرية والأوروبية من الأقمشة القطنية والخرز الزجاجي والمشغولات الحديدية والنحاسية والأخشاب المعطرة. كانت القوافل التجارية تربط الخرطوم بكل هذه الأسواق، ولا يخلو يوم لا تدخل فيه قافلة إلى مدينة الخرطوم أو تخرج منها و لم يكن عدد جمال كل قافلة يقل عن المائتين.

أدى تأخر المواصلات النهرية في السودان عامة في تأخر النشاط التجاري بين الخرطوم وجنوب السودان. وبحلول الإدارة التركية المصرية بالبلاد كانت مسألة الكشف عن منابع النيل الأبيض من المسائل التي اهتمت بها. ومن أجل ذلك خرجت البعثات الحكومية وغير الحكومية منذ سنة ١٨٢٤م من الخرطوم لسبر غور النيل الأبيض ولكن لم تتعدى هذه المحاولات خط عرض ١٠ درجات شمالاً. أما المحاولات الجادة فقد بدأت بعد زيارة محمد علي باشا للخرطوم

---

١٠٧ د. أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

في عام ١٨٣٨- ١٨٣٩م حيث قام البكباشي المصري سليم قبطان برحلات ثلاث في النيل الأبيض. استطاع خلال أحداها من الوصول إلى خط عرض ٤ ٤، ٢° شمالاً. وساعدت هذه الحملات في فتح طريق الملاحة والتجارة إلى أعالي النيل الأبيض بعد أن شاعت الأخبار عن غنى هذه الجهات بالثروات الطبيعية النباتية والحيوانية والمعدنية ذات القيمة التجارية مما أثار أطماع التجار والمغامرين من جميع الجنسيات. وأصبحت الخرطوم مركزاً لتجمع كل التجار الأوروبيين وكذلك المغامرين والمبشرين الآتون من خارج البلاد، وبذلك زاد عدد التجار الأجانب بالخرطوم وزادت مقاومتهم لسياسة الاحتكار التي كانت تفرضها الحكمدارية على تجارة الصادر والوارد. ومن هؤلاء التجار التاجر السرديني الأصل برون روليت (الأربعينيات والخمسينيات من القرن التاسع عشر) الذي تصدى للحكمدار عبد اللطيف (١٨٤٩- ١٨٥١م) ورفض الحماية العسكرية التي يفرضها الحكمدار على رحلات الجنوب وأعلن أن سياسة الاحتكار تتنافى مع اتفاقية سنة ١٨٣٨م الدولية التي تقرر فتح باب التجارة والملاحة في جميع أملاك الدولة العثمانية لجميع الجنسيات على السواء. أيضا من مشاهير التجار الأوروبيين الذين كانت لهم رحلات تجارية إلى الجنوب في فترة الخمسينيات التاجر الانجليزي بترك والتاجر القبطي حبشي وتاجر العاج السرديني فودي.

كانت تجارة العاج الأبيض والأسود من أهم تجارة الجنوب، وقد أصبحت تجارة العاج بعد إعلان حرية التجارة في النيل الأبيض تشكل المورد الأول لدخل المجتمع التجاري في الخرطوم. وكان عدد كبار تجار العاج ستة وأكثرهم ثراء يدعى العقاد، وهنالك أيضاً محمد خير الارجاوي وود إبراهيم وغيرهم.[١٠٨] وقد ذكر د. أحمد أحمد سيدأحمد في ذلك الشأن: «فكانت رحلة الجنوب التي تعود

١٠٨ د. أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بخمسة وعشرين قنطاراً فقط منه قادرة على تغطية تكاليفها- هذا وإن كانت الرحلة في العادة لا ترجع بأقل من مائة قنطار، أما إذا رجعت بمائة وخمسين قنطاراً فهي رحلة موفقة للغاية. وكانت عشرون حبة من الخرز الزجاجي- وهي العملة الوحيدة المعروفة عند الزنوج في ذلك الوقت- تكفي للمبادلة على ناب فيل قيمته خمسمائة فرنك.»[١٠٩] وقد قُدِرَ مجمل صادرات سوق الخرطوم من تجارة العاج في الفترة بين ١٨٦٠ إلى ١٨٧٠م بأربعين ألف إلى مائه ألف من الجنيهات في العام.

لعبت الخرطوم الدور الأول في تجارة الجنوب في منتصف الخمسينيات من القرن التاسع عشر بعد فتح النيل الأبيض للملاحة وإعلان حرية التجارة فيه، وكانت الأُبَيِّضْ تلعب هذا الدور قبل ذلك. هكذا تَصَدَرَت تجارة الجنوب سائر تجارة السودان وتَصَدَرَت الخرطوم مراكز تلك التجارة. وقد حققت تجارة الجنوب لتجار الخرطوم في ما بين عام ١٨٧٠م وعام ١٨٨٠م دخلاً يقدر بستمائة ألف جنيه في العام. «وقد قُدِرَ عدد العاملين من أهالي الخرطوم في تجارة الجنوب سنة ١٨٧٠م بحوالي خمسة عشر ألفاً من الرجال من درجات متفاوتة في المجتمع. فمنهم من يسهم في التجارة بماله الذي يقدمه لطالبه بفائدة قدرها مائة في المائة – على أن يسترد الدين عاجاً يُقَيَّم عند السداد على أساس نصف ثمنه في السوق. ومنهم من يسهم بنسبة من تكاليف الرحلة، ومعظم هؤلاء من أصحاب رؤوس الأموال الصغيرة. ومنهم من يقوم بتسديد كل تكاليفها ويفوض إلى وكلاء من أهالي الخرطوم إداراتها لحسابهم، ومعظم هؤلاء من لا يسهم إلا بمجهوده ومخاطرته، وهؤلاء هم الحراس.»[١١٠]

بجانب تسويق وتوزيع التجارة المحلية،كانت الخرطوم مركزاً لتجارة

---

١٠٩ نفس المصدر السابق.

١١٠ د. أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الاستيراد من الخارج، وكانت معظم التجارة الخارجية الواصلة إلى الخرطوم عن طريق مصر أوروبية الصنع اشتملت هذه الواردات على الأسلحة من بنادق وذخائر وسكاكين وخناجر وأمواس، بجانب الأدوات الحديدية والإبر والمصنوعات الزجاجية والمرايا والخرز والصناعات الجلدية والأحذية والأقمشة القطنية والقليل من الأقمشة الحريرية والطرابيش والكحل والبقالة والصابون والخمور. كما كانت ترد أسواق الخرطوم من الهند المنسوجات الحريرية والقطنية والطيوب من عطور وخشب الساج وخشب الحق.

ولتوسيع تجارة الصادر والوارد أنشئت في سنة ١٨٦٣م شركة السودان والتي عرفت بعد ذلك بالشركة التجارية المصرية برأس مال قدره خمسين مليوناً من الفرنكات ساهمت فيه خمسة بيوت مالية من الإسكندرية ومصرف الكريدي انترناشيونال.[١١١] وقد قامت هذه الشركة بالترويج لصادرات السودان في الأسواق الأوروبية حيث قامت بعرض بعض منتجات ومحاصيل السودان في معرض باريس الدولي عام ١٨٦٧م. وكانت نتيجة هذا الترويج إنشاء شركة إيطالية في الخرطوم لتصدير المنتجات المحلية واستيراد لوازم مجتمع الخرطوم الراقي من المصنوعات الأوروبية. ثم جاءت بعد ذلك شركة ألبرت ماركيت الفرنسي لتعمل في تصدير المحاصيل، كما اشتغل في تلك الفترة الكثير من تجار الخرطوم السودانيين في تجارة الصادر التي كانت مقصورة على الأجانب حتى عام ١٨٦٠م.

الصناعة

عرفت الخرطوم العديد من الصناعات المحلية مثل صناعة الحصير والبروش والقفف (السلال) والحبال والعناقريب وبعض المصنوعات الجلدية من أحذية بلدية وسيور ومَحافظ. وكانت كل هذه الصناعات تتم في الأحياء الشعبية خاصة

١١١ نفس المصدر السابق.

حي سلامة الباشا والذي عَرَفَ أيضاً بمستوى بسيط غزل الخيوط القطنية (تَر الخيوط) ونسج الأقمشة القطنية الخشنة المعروفة بالدمور. كما حاول إسماعيل أيوب إدخال آلات الغزل والنسيج ولكن لم يكتب للمحاولة النجاح وذلك لصعوبة توفير الأخشاب اللازمة لوقود هذه الآلات.

من أهم الصناعات التي عرفتها مدينة الخرطوم في تلك الفترة صناعتي عصر الزيوت والصابون. قامت العصارات في أقصى جنوب المدينة على الأطراف الغربية لحي سلامة الباشا، وكانت تدار بالجمال. ومن أشهر المعاصر معصرة ود الجاركوك ومعصرة إبراهيم خليل القبطي. وقامت في تلك المنطقة أيضاً أول طاحونة للغلال تدار بواسطة الثيران. أما صناعة الصابون فكانت منتشرة في أماكن متفرقة من المدينة، ونجد أشهر مصنع للصابون في منطقة سوق الدكاكين وكان يمتلكه شنودة القبطي.

اشتهرت الخرطوم بمحلات الصاغة ومهارة صاغة الذهب والفضة، وكانت من أهم برامج السياح الذين يَفِدُونَ المدينة زيارة تلك المحلات. وتُنْتِج هذه المحلات حُلِي النساء وأدوات المائدة والزينة، بجانب تطعيم مقابض السيوف وأغمادها بالفضة ونقش الآيات القرآنية على أنصالها. ومن أشهر صياغ المدينة آل تَبِيدِي (التَبِيداب) ولهم محلات مرموقة في سوق الدكاكين. أيضاً قامت في الخرطوم مجموعة من الصناعات التي تعتمد على المحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية مثل صناعة تنظيف وتصنيف الصمغ العربي، وتصنيف ريش النعام حسب جودته ونواحي استعماله، وصناعة تشكيل العاج الأبيض والأسود بغرض الزينة.

ومن الصناعات التي عرفتها المدينة وتعلمها الأهالي من أفراد البعثة الكاثوليكية التي كانت تضم صُنّاعاً مهرة في فنون شتى، صناعة الآجر والجير وقطع الأحجار. فقد تعلم بعض الأهالي من البَنْاء الإيطالي الأب بيترو أجاتي صناعة إقامة الكمائن بالشكل الذي كانت عليه في القرى المحيطة بمدينة الخرطوم.

البساتين والحدائق

تُعْتَبَر حدائق الخرطوم المصدر الأول لتزويد أسواقها بالفاكهة والخُضَر، وكان للحكام الأتراك الفضل في توجيه وإرشاد السكان بفوائد الحدائق المنزلية، فقد استقدم خورشيد باشا مزارعين مصريين لتعليم الأهالي الزراعة، ومن بعده لعب سعيد باشا دوراً بارزاً في إقامة الحدائق المثمرة في البلاد وإدخال أصناف جديدة من أشجار الفواكه كما أمر بإعفاء الحدائق من الضرائب لتشجيع الأهالي على زراعة الأشجار. أدى كل ذلك إلى انتشار حدائق المنازل والمباني الحكومية على طول ضفة النيل الأزرق وبعيداً عن الضفة أيضاً حيث تُسْقَى القريبة من الضفة بالسواقي والبعيدة منها بالآبار. ومن أهم حدائق الخرطوم حديقة الإرسالية الكاثوليكية وحديقة السرايا.

ولقد ذكر بعض زوار المدينة من الرحالة أنَّ ثمار هذه الحدائق لا تنقطع عن المدينة طوال أيام السنة وأن بعض أشجار الفواكه يُثْمِر مرتين في العام مثل أشجار الموز والبرتقال والعنب والنخيل. كما كان يُزْرَع في الحدائق البطيخ والتبغ والقمح. بجانب حدائق الخرطوم كان أهالي حي الترس وحلة المقرن يزرعون الذرة بعد موسم الفيضان في منطقة المقرن والمنطقة المنخفضة جنوب غرب المدينة.

النشاط الاقتصادي في حقبة ما بعد دولة المهدية

استمر اقتصاد مدينة الخرطوم طيلة فترة الحكم الثنائي والحكم الوطني بعد ذلك يعتمد على التجارة الداخلية والخارجية كحاله تماماً في حقبة الحكم التركي المصري مع ازدياد مضطرد للعائد من قطاعي الصناعة والخدمات خاصة في فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي.

محصلة الوضع الاقتصادي للفترة ١٩٠٠-١٩٢٠م

باعتبار العقدين الأول والثاني من القرن الماضي فترة إنشاء وتأسيس للنظم الإدارية والبنيات التحتية والقدرات البشرية لمدينة الخرطوم عاصمة البلاد، نرصد بإيجاز أهم الملامح المالية والاقتصادية والإنمائية لتلك الفترة. بحلول عام ١٩٠٣م بلغ العجز السنوي في ميزانية الدولة ١٩٤ ألف جنيه حيث كانت قيمة الإيرادات ٤٦٩ ألف جنيه بينما بلغت المنصرفات ٦٦٣ ألف جنيه، وقد تمت تغطية العجز من الخزانة المصرية. بدأت التجارة في الانتعاش بعد عام ١٩٠٧م وذلك بعد زراعة القطن حيث بلغت قيمة الصادر منه ٣٠ ألف جنيه في ذلك العام. في عام ١٩٠٨م أنشأ تجار المدينة وغالبيتهم آنذاك من الأجانب غرفة الخرطوم التجارية. افْتُتِح ميناء بورتسودان في عام ١٩٠٩م، وامتد الخط الحديدي من الخرطوم إلى الأَبِّيض عام ١٩١٢م.

وضحت تقارير النصف الثاني من العقد الأول التطورات التي طرأت على مدينة الخرطوم ومعالم التقدم فيها فأشارت إلى "التراموي البخاري والمَعَدِّيات، ومد أسلاك التليفون واستيراد آليتين بخاريتين لرصف طرق المدينة، وإنشاء معمل للثلج، وإقامة حدائق عمومية وفندقين من الدرجة الأولى وعدة فنادق متوسطة، ومستشفيين وجامع فخم وأربع كنائس ومذبح عمومي، وكلية وبضع عشرة مدارس للصبيان وجريدة نصف أسبوعية ومطابع وثلاثة بنوك وأندية عديدة منها ثلاثة للاجتماع وبضعة عشر نادياً للألعاب الرياضية كسباق الخيل والتمرن على إطلاق النار ولعبة كرة الصولجان (البولو) ومتاجر عظيمة وأسواق فاخرة و دُوْر حَسَنة و شوارع متسعة."[١١٢]

أصدرت الغرفة التجارية في الخرطوم نشرة شهرية في عام ١٩١٠م باللغتين العربية والإنجليزية تُدْرَج فيها مقالات عن محاصيل البلاد وتجارتها. مع بزوغ

١١٢ جريدة السودان، ١٥ يوليو ١٩٠٧م.

العقد الثاني من القرن الماضي بلغ تعداد الأجانب في السودان أكثر من أثنى عشر ألفاً، منهم ٣١٠٤ من الأوروبيين و٩٨١٥ من المصريين والسوريين والهنود، جميعهم يعملون في الدواوين الحكومية والتجارة، ويقيم الغالبية منهم في الخرطوم. كان لليهود دور بارز في العمل التجاري سواء على مستوى الأعمال الخاصة أو شركات الأفراد أو الشركات المحدودة أو غيرها من الشركات، ويشير مكي أبوقرجة إلى ذلك بقوله: «وجَدَت مجموعة اليهود التي هاجرت إلى السودان منذ نهايات القرن التاسع عشر ملاذاً آمناً وقوماً كرماء مضيافين خالين من التعصب العرقي والديني .. فأفسحوا لهم مجالاً أتاح لهم فرصاً استغلوها لأقصى الحدود. جاء اليهود فقراء معدمين، إلا أنهم يمتلكون الخبرات والتجارب في مجالات التجارة التي اكتسبوها في مصر وبلدان أخرى فسيطروا على نصيب كبير من عمليات التصدير والتوريد.. وأقاموا علاقات تجارية واسعة في الكثير من الأسواق العالمية.. كانوا متعلمين يجيدون لغات أجنبية. ما كان السودانيون يطمحون إلى الآفاق الرحبة في التجارة في ظل إدارة بريطانية كانوا يتحاشونها ويتفادون التعامل معها، وقد خرجوا لتوهم من نظام الخليفة عبد الله الذي أغلق السودان في وجه التجارة الخارجية. وعندما تعلم أبناؤهم كانت الوظيفة منتهى الأمل ومعقد الرجاء.»[١١٣]

بحلول عام ١٩١٩م تحقق نشاط اقتصادي محدود فنشأت طبقة من التجار السودانيين، وتخرجت أعداد كبيرة نسبياً من المتعلمين السودانيين من المدارس الوسطى ومن كلية غردون الثانوية. ولكن تظل الشركات الأجنبية والأجانب الذين يديرون هذه الشركات ويمتلكونها القوى الفعالة والمؤثرة في الاقتصاد السوداني.

---

١١٣ مكي ابوقرجة، اليهود في السودان (قراءة في كتاب الياهو سولومون ملكا: أطفال يعقوب في بقعة المهدي)، مركز عبد الكريم ميرغني، ٢٠٠٤م.



صورة الجنيه السوداني عام 1961 , حيث كان يعادل 4 دولارات و 6 جنيهات مصرية وجنيه استرليني واحد و 20 ريال سعودي , ملحوظة : لم تكن في ذلك الوقت عملة للامارات او قطر

النشاط التجاري

تعتبر شركة جلاتلي هانكي وشركة سودان مركنتايل وشركة ميتشل كوتس أكبر الشركات العاملة في مجال الاستيراد والتصدير، وتكاد تحْتَكِر معظم صادرات وواردات السودان من قبل هذه الشركات. وفي ذلك يقول أحمد محمد سعيد: «كانت الشركات الإنجليزية ومعها البنوك الإنجليزية وبعض البيوتات التجارية الأجنبية المتعاونة معها هي لب الاستعمار الاقتصادي للسودان فقد كانوا يسيطرون على تجارة الوارد والصادر حيث يقوم التجار ببيع المحاصيل لتلك الشركات وشراء السلع والبضائع التي تستوردها على تجار الجملة.»[١١٤]



شركة جلاتلي هانكي – المكتب الرئيسي بشارع الخديوي/غردون (شارع الجامعة)

١١٤ أحمد عبد الوهاب محمد سعيد، الخرطوم أيام زمان، منشورات الرطوم عاصمة الثقافة العربية، ٢٠٠٥م.

افتتحت مجموعة شركة جلاتلي هانكي البريطانية العاملة في مجال النقل البحري والتجارة والأعمال الهندسية المكاتب الرئيسية لها في الخرطوم عام ١٩١١م. ويقع المقر الرئيسي للشركة بشارع الجامعة في مواجهة المجلس البلدي آنذاك. ومن الأسماء البارزة التي مرت على إدارتها الياهو سولومون ملكا وهنري رومي وموريس ماكروفيتش وجوزيف سوريانو. وضمت المجموعة شركة جلاتلي التجارية المحدودة وشركة جلاتلي الهندسية. اشتمل النشاط التجاري لقسم الاستيراد للشركة على استيراد دقيق القمح والشاي والبُن والأرز والصابون والدمورية والخيش والأسمدة والمبيدات والسجائر وصفائح الألمنيوم والبوليثلين والمواد الكيميائية والزيوت والآلات الكاتبة (امبريال). كما يقوم قسم مواد البناء بالشركة باستيراد الحديد والألمنيوم والأخشاب والإسمنت والأصباغ. أما قسم التصدير فكان يقوم بتسويق وتصدير المنتوجات السودانية للخارج ومنها بذور القطن والسمسم والفول السوداني والأمباز لعلف الحيوان والذرة وحب البطيخ والفاصوليا والفول المصري. تُعْتَبَر شركة جلاتلي هانكي الهندسية الوكيل الرئيسي لمنتوجات شركة موريس فكانت تحتكر استيراد سيارات الموريس ماينر ولواري الدودج والأوستن. كما كانت تحتكر استيراد إطارات ميشيلان وجرارات الكاتربيلار والمعدات والآليات الزراعية لشركة موريس هاريس ومكيفات الهواء وأجهزة راديو فيلِبس والمعدات المنزلية.



ورقة نقدية فئة الخمسة والعشرين قرشاً

أسست شركة سودان مركنتايل في عام ١٩٠٥م، وكانت رئاستها تشغل مبنى كبيراً في الزاوية الجنوبية الغربية لتقاطع شارعي الجمهورية والقصر. وقد نافست شركة سودان مركنتايل شركة جلاتلي هانكي في مجالي الاستيراد والتصدير خاصة في مجال استيراد العربات واللواري والمعدات والآلات الزراعية. فقد كانت وكيل شركة فورد الأمريكية المنتجة لعربات الفورد – أول أنواع العربات التي عرفتها مدينة الخرطوم منذ العشرينيات– والبيبي فورد ولواري التيمس، كما استوردت عربات الكونسل والأنجليا في الستينيات. وكانت معظم عربات التاكسي في المدينة من منتجات شركة فورد. ومن مستورداتها أيضاً جرارات الماسي فيرجسون وإطارات دنلوب وغيرها من المنتجات الأمريكية والإنجليزية. وكانت الشركة تمتلك ورشاً في كل من المنطقة الصناعية بالخرطوم وبورتسودان ومدني يتم فيها صيانة العربات والمعدات الزراعية.وكانت ورشة بورتسودان تقوم بتركيب صناديق اللواري.

أما شركة ميتشل كوتس فقد كانت وكيل لشركة جنرال موتورز التي تصنع عربات الأوبل وشركة روفر التي تصنع عربات اللاندروفر وشركة فورد الإنجليزية التي تُصَنِع لواري البدفورد. كما كانت تستورد إطارات كونتننتال وطلمبات المياه والمولدات الكهربائية والآليات الزراعية. وفي مجال استيراد السيارات هنالك أيضاً شركة برسميان التي كانت تستورد عربات الكومر والهمبر والهيلمان والهنتر ولواري الفارجو. بجانب هذه الشركات العملاقة في تلك الفترة نجد شركتي شل وموبيل أويل في مجال استيراد المحروقات من البترول والغاز، ولحقت بهم في الستينيات شركة أجب. أيضاً من شركات الاستيراد والتصدير التي تركت أثراً واضحاً على اقتصاد المدينة والبلاد بصفة عامة شركات كونتوميخالوص وعثمان صالح وشريكه حبيب كوهين ونيفوتيوس اليونانية ومجموعة شركات أولاد مراد وداؤود إسحاق وأولاده.



عملة نقدية فئة الخمسة قروش

بجانب هذه الشركات الكبيرة والمتوسطة هنالك العديد من شركات الجاليات وبعض الشركات السودانية التي تعمل في مجال الاستيراد والتصدير ولكن في مجالات محددة ومخصصة أو على نطاق ضيق. فمثلاً في مجال تصدير الأقطان هنالك شركة الأقطان السودانية وشركة راي إيفانز أخوان العالمية وفرع شركة علي باشا للأقطان المصرية، وفي مجال استيراد مواد البناء سرغاس وشركاؤه وكريازي كريادس وشركة مواد البناء وحافظ البربري وعلي دنقلا وباوارث. هنالك أيضاً شركة الأخوان البرت ونسيم قاوون لتصدير الحبوب الزيتية والأمباز، والأخوان سيروسي – فيكتور وشالوم وموريس– أشهر الدباغين والمصدرين للجلود في السودان، وشركة بيطار الهندسية، وشركة مرهج وأولاده في مجال المنسوجات وشركة معلوف وأولاده في مجال المواد الغذائية والعصائر، وشركة إمبريال للكيماويات وشركة النيل الأزرق للتعبئة والتغليف.

وفي سياق النشاط التجاري في مدينة الخرطوم، يجب ذكر العديد من الشركات والأسر والشخصيات السودانية التي لعبت دوراً رائداً في التطور الاقتصادي الذي شهدته البلاد منذ الأربعينيات وحتى الستينيات من القرن الماضي. ونرصد منها مجموعة شركات أبو العِلا وشركة عبد المنعم محمد وآل مصطفى ساتي وآل كِمير وآل كِشة وآل البِرِير وعثمان صالح وحافظ البربري والشيخ مصطفى

الأمين وبشير النفيدي وغيره ممن عملوا في التجارة العمومية وتجارة المحاصيل. تجب الإشارة إلى أنّ الحكومة كانت تحتكر استيراد بعض السلع مثل السكر.

النشاط الصناعي

أدى تطور القطاع الصناعي في مدينة الخرطوم منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى انتعاش اقتصادي كان له أثر إيجابي على حياة سكان المدينة، كما أدى إلى ازدياد معدل النزوح إلى المدينة بصورة ملحوظة في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي. فقد نشأت العديد من الصناعات الغذائية في المنطقة الصناعية بالمدينة، كما تطورت المعاصر التي كانت في تلك الناحية وأصبحت هنالك مصانع حديثة للزيوت، بجانب قيام مصانع للحلاوة (مصانع سعد وريّا وكِرِيكَاب وساتي) ومصانع للشعيرية والسكسكانية والبسكويت، ومصانع البيبسي كولا والكوكاكولا والبزيانوس ومصنع الثلج. كما قامت الكثير من ورش النجارة والحدادة والميكانيكا، بجانب جراجات وكلاء السيارات كجراج سودان مركنتايل وجراج جلاتلي هانكي وجراج ميتشل كوتس وجراج أبو العلا وجراج عبد المتعال وشركة حسونة. أيضاً نجد عدد من مصانع البلاط. قامت المطبعة الحكومية في نهاية الخمسينيات ودار صك العملة والمسبك المركزي في مطلع الستينيات. وفي تلك الفترة أيضاً افتتحت مدبغة الخرطوم.

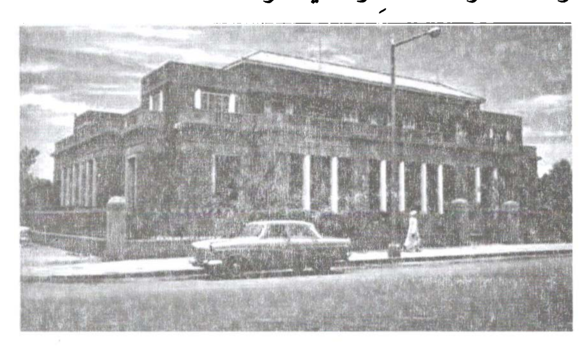
المصارف

عَرِفت الخرطوم المصارف المالية منذ العقد الثاني من القرن الماضي حينما أنشئ أول مصرف بالخرطوم في عام ١٩١٣م وهو البنك الإنجليزي المصري ، والذي أصبح اسمه بنك باركليز في عام١٩٢٥م، ثم تغير اسمه مرة ثانية إلى بنك باركليز للمستعمرات وما وراء البحار (باركليز دي سي أو) في عام ١٩٥٤م.



البنك الإنجليزي المصري (بنك باركليز)

أُنْشِئ بعد البنك الإنجليزي المصري البنك الأهلي المصري وكان يحتل موقع وزارة الإعلام الحالي بشارع الجامعة. أعقب ذلك افتتاح البنك العثماني التعاوني في شارع البرلمان إلى الغرب من مكتبة سودان بوكشوب وبنك الكريدي ليونيه الفرنسي عند تقاطع شارع البرلمان مع شارع الطيار زلفو. وجاء إنشاء أول مصرف سوداني في مطلع الستينيات حين تمَّ افتتاح البنك التجاري في موقعه الكائن عند تقاطع شارعي الجمهورية وعبد المنعم محمد. كما تمَّ في الستينيات إنشاء بعض البنوك المهنية حيث قام البنك الصناعي والبنك الزراعي والبنك العقاري. وبعد تأميم المؤسسات الاقتصادية في عام ١٩٧٠م أصبح بنك باركليز بنك الدولة للتجارة الخارجية ثم بنك الخرطوم، وبنك مصر بنك الشعب التعاوني، والبنك العثماني بنك الوحدة، وبنك الكِريدي ليونيه بنك النيلين.



بنك السودان

كان لمشروع المعونة الأمريكية الذي بدأ في مطلع الستينيات أثراً ملموساً على اقتصاد المدينة إذ ساعدت في بناء الكثير من المنشآت الاقتصادية بجانب ما قدمته من إمدادات غذائية. وفي هذا الشأن يقول أحمد عبد الوهاب محمد سعيد: «وفي المجال الصناعي قامت المعونة ببناء البنك الصناعي بميدان الأمم المتحدة ومبنى وزارة الصناعة بشارع الملك نمر وقامت بالمساعدة في إنشاء معهد البحوث الصناعية بالمقرن وإمداده بالمعينات كما تم ابتعاث عشرات من خريجي وادي سيدنا خورطقت وحنتوب للحصول على شهادات جامعية من الجامعة الأمريكية ببيروت. أما في مجال الطرق فقد تم رصف أربعة طرق تربط الخرطوم بالريف الشمالي والجنوبي وهي طريق الخرطوم بحري الجيلي، وطريق أم درمان وادي سيدنا، وطريق الخرطوم جبل أولياء، وطريق الخرطوم مدني حتى الكاملين. وحتى في مجال الإمدادات الغذائية قدمت المعونة شحنات ضخمة ومتوالية من القمح والدقيق تحت برنامج ما كان يعرف بالقانون ٤٨٠. وامتدت المعونة للقطاع الخاص فقام مصنع النسيج السوداني الأمريكي بمشاركة من المعونة كما تم تمويل شراء مطابع لصحيفة يومية مشهورة ومصنع للأحذية بالخرطوم بحري بموجب قانون Cooly الذي يشجع تمويل القطاع الخاص من المقابل المحلي بالعملة المحلية.»[١١٥]

---

١١٥ أحمد عبد الوهاب محمد سعيد، الخرطوم أيام زمان، منشورات الرطوم عاصمة الثقافة العربية، ٢٠٠٥م.

الفصل العاشر

الملامح الحياتية لمجتمع الخرطوم

يشتمل استعراض الملامح الحياتية لمجتمع الخرطوم على عادات وتقاليد أهل الخرطوم في الطعام واللباس والترفيه ونمط حياتهم اليومي. قبل الدخول في هذه العناوين نقدم وصفاً لنمط الحياة في الخرطوم خلال حقبة الحكم التركي المصري كما جاء في بعض كتابات الأجانب.

نمط الحياة في الخرطوم في كتابات الأجانب

يمكن وصف نمط الحياة في المدينة في مجمله بالغربي حيث كان سكانها جلهم من الأجانب، كما وضح من الخارطة السكانية للمدينة، يقتدون بالأوروبيين في أثاث المنازل وأنواع الملابس والمأكل والمشرب. ولكن بجانب هذا المسلك العام نجد بيان التنوع في الشارع وفي المقهى وحتى في الملهى، حيث تجد في الشارع الطربوش والقبعة والعمامة السودانية والصعيدية والسورية والهندية والبخارية أي معرضاً متنقلاً للأزياء. كما نجد مع هذا التباين تبايناً في المأكل والمشرب والملهى في مطاعم ومقاهي ومراقص وملاهي المدينة التي زاد عددها على الخمسمائة. وكان التعامل بين الناس في البيع والشراء يتم بواسطة الكثير من العملات المتداولة في مصر حينها من مصرية وتركية ونمساوية وفرنسية وإنجليزية.

اختلفت آراء من كتب عن الخرطوم في تلك الفترة فمنهم من أثار انتباهه الجانب المشرق والمضيء من المدينة المتمثل في أحياء المدينة الراقية وسوق الدكاكين ووَثَّقَ لهذا الجانب، ومنهم من أثار انتباهه الجانب الكئيب المظلم

منها المتمثل في الأحياء الشعبية وسوق الشمس فوَثَقَ له. وعموماً نجد أنَّ معظم كتابات الأوروبيين سالبة تجاه المدينة عدا القليل منها، وفي المقابل نجد كتابات أهل الشرق في العموم موجبة تجاه المدينة. وصف هؤلاء خضرة المدينة وجمال بساتينها وخصوبة ونضارة تلك البساتين التي بلغ عددها المائتين تمتد على طول ضفة النيل الأزرق من موضع المتحف القومي الحالي في غرب المدينة إلى موضع كبري النيل الأزرق في شرق المدينة. وبجانب وصفهم لجمال الطبيعة حول المدينة أشادوا بالنظام المدني والرونق الحضري وعددوا محاسنه بوصفهم لمباني أحياء الحكمدارية والمسجد التي بنيت من الحجر واللبن الأحمر وزينت بالجبس والآجر. كما ذكر البعض منهم أن المدينة تتميز بنظافة وانتظام شوارعها وخلوها من التعاريج فهي تمتد من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب. ونسوق فيما يلي بعض الأمثلة لهذه الكتابات الموجبة للمدينة. ذكر محمود طلعت في وصفه للخرطوم: «ويوجد في الخرطوم كثير من الشوارع المنتظمة وعلى جوانبها قصور مشيدة ومنازل جميلة تسر الناظرين. وهذه الشوارع تكنس وترش صباحاً وعصراً وهي لا تقل في نظافتها عن شارع محمد علي.» وأضاف قائلاً: «وبالجملة فالخرطوم مدينة توفرت فيها وسائل أسباب المدينة وكملت فيها وسائل العمران وسكانها على جانب عظيم من الرقة ودماثة الخلق والكرم والشجاعة.»[١١٦].

أما محمود القباني فقد جاء في وصفه للكنيسة الكاثوليكية وبعض أجزاء الخرطوم ما يلي: «وقد كانت هذه الكنيسة من عمائر الخرطوم الجميلة تمتد حديقتها إلى الشمال. يفصل بينهما وبين النيل، شارع عبدت أرضه، يتنزه فيه المتنزهون في الأصيل وفي الليالي، يمتد من شرق السرايا إلى غرب حديقة

---

١١٦ محمود طلعت، غرائب الزمان في فتح السودان،القاهرة، ١٣١٤هـ.

الحيوانات التي كانت ملكاً للعم المرحوم إبراهيم بك خليل من أكابر سراة[117] الخرطوم.» ويسترسل القباني في وصف المتنزهين في رياض المدينة فيقول: «--- فأنت ترى مناظر المتنزهين في الرياض ركباناً على الخيول المختلفة في آلتها فتلك بسرج تركي وأخرى بسرج سوداني أو أفرنجي والكل في غاية الفخامة من رشمات فضية مطلية بالذهب. واختلاف الأزياء في المتنزهين له منظره البديع، فهذا يلبس زياً إفرنجيا أنيقاً مع الطربوش وبجانبه آخر يلبس الزّي القديم (السراويل والشيكن). أما الطربوش المضلع فهو الزّي الرسمي لجند الباشبوزق على اختلاف أجناسهم.»ويقول القباني عن أسعار الحبوب في أواخر حقبة الحكم التركي: «أما رخص الأقوات في الخرطوم فقد أدركناه ورأيناه. فإن قيمة أردب الفتريتة من عشرة قروش إلى أثني عشر. وسمعنا كبارنا يتذمرون ويقولون إنّه كان بخمسة أو ستة قروش. وأردب القمح من ٢٥ إلى ٣٠. وكان من ١٥ إلى ٢٠ قبل أن نخلق.»[118].

أما الكتابات السالبة عن الخرطوم فتتركز في معظمها في وصف سوء الطقس وتردي الأحوال الصحية وتفشي أمراض الملاريا والدسنتاريا وكثرة البرك والمستنقعات التي يخلفها النيل بانتهاء موسم الفيضان. بجانب ذلك ركزوا في وصفهم على سوء الإدارة التركية وممارستها الجلد وتعذيب المواطنين وجباية الضرائب بالغارات المسلحة على مخازن الذرة وزرائب الماشية. فقد وصف صمويل بيكر زيارته للخرطوم عام ١٨٦٢م قائلاً: «وكانت شوارع الخرطوم مهملة وقد تراكمت عليها القمامة ورِمَم الحيوانات وتزاحم فيها نحو ثلاثين ألف نفس هم سكان الخرطوم في ذلك الوقت. وكان الواحد منهم لا يستطيع أن يقضي غرضاً دون أن يستعين بالرشوة. وكان الجلد والتعذيب شيئاً

١١٧ سراة القوم يعني علية القوم.
١١٨ محمود القباني، مدينة الخرطوم، القاهرة.

عادياً. وكان موسى باشا حمدي يجمع أرذل خصائل بني جلدته وأضاف عليها الوحشية المتناهية. والجو شديد الحرارة وعندما تهب العواصف الرملية يتحول ضوء النهار إلى ظلام ليل شديد السواد ---»[١١٩]. كما جاء على لسان رحالة أوروبي آخر يدعى شوينفيرت زار الخرطوم في سنة ١٨٦١م الآتي: «أنَّ الحالة الصحية فيها كانت في غاية السوء من جراء أجزائها المنخفضة عن منسوب النيل والتي كانت تصير بركاً ومستنقعات تفوح منها الرائحة الكريهة ويتوالد فيها الذباب والناموس. وقد تفشت الملاريا بشكل مزعج.»[١٢٠].

الطعام

كان غالب طعام الأهالي قبل دخول الأتراك السودان يتكون من البليلة[١٢١] والعصيدة ومشتقات الألبان من لبن وروب وسمن وإن تيسر الحال شي من اللحم المحمر. ثم جاءت فترة الحكم التركي المصري الذي أكسب الناس الكثير من المعارف الجديدة من بينها ثقافة الطبيخ من صلصة وزيت وملاح وسلطة. أصبح ملاح المفروك من الويكة والبامية والورق واللوبيا الطبق الرئيسي لمائدة أهالي المدينة بجانب العَصِيْدَة و الكِسْرَة التي عرفها أهل وسط السودان عامة. برعت النساء بعد ذلك في فن الطبيخ فبجانب المفروك هنالك المطبوخ من خضروات البامية والباذنجان والقرع والفاصوليا والكثير من الخضروات التي عرفتها المدينة من مصر ومن غير مصر مثل البطاطس والبامبي (البطاطا الحلوة) والملوخية وغيرها. أيضاً أصبحت هنالك بعض الأكلات التي تفردت بها المرأة السودانية مثل الكمونية وملاح البصارة وملاح التَقَلِيَة وملاح الروب الأبيض والأحمر (النِّعِيميَة).

١١٩ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ الخرطوم، ١٩٩١م.
١٢٠ نفس المصدر السابق.
١٢١ البليلة تطلق على الحبوب والبغوليات المسلوقة.

عرف أهل الخرطوم العديد من أنواع الخبز المصنع من القمح كالرغيف البلدي والشمسي والتُوستا. وحتى الستينيات كان غذاء أهل الخرطوم الرئيسي هو الكِسْرَة وأحيانا يضيفون إلى مائدتهم قليل من الخبز البلدي إذا تيسر ذلك. أما الأجانب من سكان المدينة فيعتمدون على الخبز الإفرنجي في جميع وجباتهم. عرفت المدينة الفول المصري من الجالية المصرية ومن هنا جاءت نسبته إلى مصر. وكانت وجبة الإفطار للموظفين العاملين في دواوين الحكومة والشركات غالباً ما تكون صحن من الفول المصري أو العدس مع خبز الرغيف المصنوع من دقيق القمح البلدي. وكان ذلك منذ العقدين الأولين من القرن الماضي. وبحلول العشرينيات والثلاثينيات أصبح الفول المصري الوجبة الرئيسية التي تقدمها مطاعم المدينة في وجبتي الفطور والعشاء. كما عرفت كناتين الأحياء خاصة تلك التي كان يديرها أفراد الجالية اليمنية «قدرة الفول»[١٢٢] التي تظل على نار الفحم طيلة الليل ليكون الفول مستوياً عند الصباح ويباع للراغبين من أهل الحي مع الرغيف.

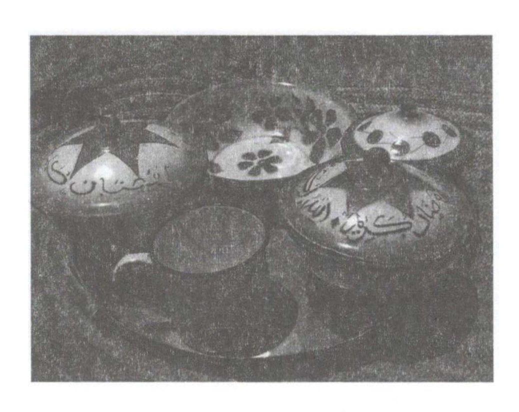
ومن الأكلات التي عرفتها المدينة من المصريين الفَتَة وهي عبارة عن رغيف (وأحيانا تضاف كِسْرَة) وأرز ومرقة لحم. وغالباً ما تقدم الفَتَة في الأتراح حيث تقدم في اليوم الخامس للوفاة (يوم الصَدَقَة)، وتقدم أيضا في الرَحْمَتَات وهي الصَدَقَة على الأموات وتتم في الجمعة الأخيرة من رمضان. كما تقدم أيضاً في مناسبات الكَرَامَة وفي حوليات الطرق الصوفية وفي العقايق. وكان الأطفال في هذه المناسبات خاصة في الصَدَقَة والرَحْمَتَات يرجزون قائلين: «الفَتَة أم تُوم حمتنا النوم يا حاجة كلتوم أدينا نشبع وبكرة نصوم».

كما عِرِفَ أهل الخرطوم من الأتراك ثقافة الطبيخ عَرَفُوا منهم أيضاً القهوة التركية، وعرفوا من الانجليز لاحقاً ثقافة شرب الشاي. فقد أصبح شاي

١٢٢ القِدْرَة اناء معدني علي شكل كروي وفتحة رأس اسطوانية يستخدم لطبخ الفول المصري.

اللّبن في الصباح عادة لكل أهل المدينة كبيرها وصغيرها، وصار منظر بائعي اللّبن في الصباح الباكر وهم يجوبون الأحياء الشعبية في المدينة على ظهور حميرهم ويطرقون الأبواب لمد السكان بحاجتهم من اللّبن الطازج من الناظر المألوفة في المدينة. ويجلب اللّبن من الكلاكلات والقرى الأخرى التي حول الخرطوم. أما بالنسبة لأحياء الخرطوم الراقية مثل الحي الإنجليزي وحي الحرس والخرطوم نمرة (١) ونمرة (٢) فقد كانت تجوب شوارعها كل صباح العربات البيضاء التابعة لمزارع كافوري لتوزع على منازل تلك الأحياء قوارير الحليب المبستر. بجانب شاي الصباح تعود أهل المدينة على تناول الشاي الأحمر- ويطلق عليه الشاي السادة - بعد وجبة الفطور وبعد وجبة الغداء. وهنالك أيضاً من يشرب الشاي بعد غروب الشمس ويعرف بشاي المغرب ويكون في الغالب باللَّبَن. أما شرب القهوة، فهو في الماضي كان مقتصراً على كبار السن من الرجال والنساء وتشرب عادة في الضحى وفي العصر ولها طقوس ومراسيم خاصة بصنعها وشربها.

أهم ما تتميز به وجبات الإفطار في شهر رمضان الكريم اختلافها الكمي والنوعي عن الوجبات العادية في الشهور الأخرى. فصينية فطور رمضان زاخرة بالعديد من أنواع الطعام والشراب التي لا تُعَد إلا في هذا الشهر. فهي تحتوي على صحن العَصِيْدَة وملاحها الذي عادة ما يكون تَقَلِية أو نِعيِّمِيَة، وكورة البلح المبلول في الماء، وصحن البَلِيلَة، وكورة سلطة الروب والعجور، وسلطانية الخشاف. بجانب ذلك نجد الصينية حافلة بالعديد من المشروبات وأهمها على الإطلاق كورة الحِلُو مُر وكورة النَّشاء، كذلك نجد كورة القمر الدين وكورة الآبْرِيه الأبيض وكورة الليمون. أما وجبة السَّحُور فتتكون من الرقاق أو الأرز باللَّبن بالإضافة إلى الشاي باللّبن.



أواني إفطار رمضان

نلحظ أن صرف الأسرة اليومي لعامة مواطني الخرطوم على الطعام في فترة الأربعينيات لا يتعدى الخمسة قروش في المتوسط، تستهلك في تحضير الطعام لوجبتي الغداء والعشاء الذي يتكون في الغالب من الكِسْرَة والمُلاح والسلطة في بعض الأحيان، وتحل العَصِيْدَة أو القُرَاصَة محل الكِسْرَة بالنسبة للأسر الوافدة حديثاً إلى المدينة. أما وجبة الفطور فتتكون عادة مما تبقى من طعام البارحة، ويحدث التغيير أحياناً في يوم الجمعة عطلة نهاية الأسبوع حيث تتناول الأسرة وجبة فطور مكونة من قراصة بالسمن أو الدمعة، أو من رشوشة سَخِيْنَة، أو فول مصري مع خبز الرغيف. ومن الظواهر الاجتماعية التي كانت تشهدها شوارع وأزقة المدينة يومياً غدو العمال في الصباح الباكر نحو أماكن عملهم وكل واحد منهم يحمل "كُورَة الفطور"، وكورة الفطور هي عبارة عن كورة (وعاء) بغطاء تحتوي على بعض ما تبقى من طعام البارحة من كِسْرَة أو عَصِيْدَة أو قُرَّاصَة مع ملاحها. وتُلف هذه الكورة بفوطة من القماش بطريقة معينة وتُربط من فوق الغطاء بحيث يسهل حملها من مكان الرباط. ويلاحظ قلة استهلاك المواطنين لخبز الرغيف في تلك الفترة ويعود ذلك لعدة أسباب منها الموروث ومنها الاقتصادي.



عمل (عواسة) القرَّاصة

ما ذكر أعلاه يمثل عادات الطعام عند عامة سكان المدينة، أما بالنسبة للتجار وأصحاب الدخول المرتفعة نسبياً فموائد طعامهم لا تختلف كثيراً عن موائد العامة في النوع ولكن قد تختلف في الكم، كأن تحتوي على صنفين من الملاح (الطبيخ)، مفروك ومطبوخ على سبيل المثال، بدلاً من الصنف الواحد الذي يميز مائدة العامة، وقد تحتوي مائدة بعض هؤلاء الميسورين أحياناً على طبقٍ من اللحم المُحَمَّر أو طبقٍ من الأرز وشئ من الفواكه خاصة في أول الشهر عند صرف الرواتب.

الملابس والزينة

حقبة ما قبل دولة المهدية

انعكس اختلاف أجناس ونحل وملل مجتمع الخرطوم على ملابس وأزياء أهل المدينة، فقد كانت أزياؤهم معرضاً لأزياء أهل الأرض كما يصفها في إيجاز جامع أحد الرحالة «فهذا يلبس زياً إفرنجيا مع الطربوش، وذاك يلبس الزِّي التركي القديم، ويرتدي رجال البعثة الكاثوليكية القفطان الأبيض المزرر من الجانبين وفوقه سترة طويلة سماوية اللون بأكمام واسعة، أما قساوسة القبط

فيرتدون القفطان والجبة أو (الزعبوط). ولباس الرأس أكثر تبايناً، فرجال البعثة الكاثوليكية يضعون فوق رؤوسهم طربوشاً بزر أزرق حريري يبدل عند الزيارات بعمامة بيضاء، أما قساوسة القبط فغطاء رؤوسهم دائما العمامة، ولباس رأس الجند الباشبوزق الطربوش المضلع، ولباس الأهالي العمائم – وهي جد متباينة، فمنها العمائم المصرية والسودانية والسورية والهندية والتركية والبخارية، إلى غير ذلك من أصناف أردية للرأس. كما كانت اللحى تختلف أيضاً باختلاف الأجناس.»[123]

أما لبس المرأة فكانت الفتاة العذراء تلبس الرحط، وهو عبارة عن سيور ذات لون وردي جميل تتشابك عند الخصر أسفل السُرَّة وتتدلى في حرية إلى الركبة، وهو ساتر تماماً لما بين السُرَّة والركبة. ويترك بقية جسم الفتاة دون رداء، والرحط دليل على عذرية الفتاة. أما المرأة المتزوجة فتلف وسطها حتى أسفل ساقيها بقطعة من القماش تسمى «قُرقَاب»، وتلبس التوب فوق القُرقَاب. هذا بالنسبة للباس نساء الأهالي، أما نساء المسلمين من الأجانب فيلبسن ما يعرف بالملاية اللَّف فوق جلابيبهن. والملاية اللَّف قطعة من قماش أسود تلفه المرأة حول وسطها وتغطي رأسها بطرفه.

حقبة ما بعد دولة المهدية

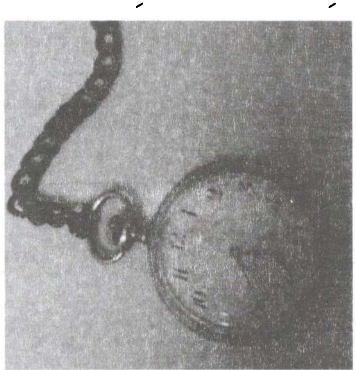
اختلفت ملابس أهل الخرطوم في حقبة ما بعد المهدية عنها فيما قبلها إذ انحسر التباين العريض في الأزياء الذي كان سائداً في الماضي إلى أنماط قليلة يمكن حصرها في زيين: الزِّي البلدي والزِّي الإفرنجي. يتكون الزِّي البلدي للرجال من سروال وعراقي كملابس داخلية ومن فوقهما جلابية (جلباب) بالإضافة إلى طاقية وعِمَّة (عمامة)، وكل هذه من الأقمشة القطنية التي غالباً ما

---

١٢٣ د. أحمد أحمد سيدأحمد، تأريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

تكون بيضاء اللون. تجب الإشارة إلى أن الرجال الذين تخطوا مرحلة الشباب يلبسون عادةً الطواقي البيضاء بينما يلبس الشباب الطواقي الملونة خاصة المُطَرزة بالحرير الأحمر. هذا في الغالب لباس عامة رجالات المدينة من الأهالي الذين أقاموا في المدينة لفترة طويلة من الزمن وتأقلموا عليها. وهؤلاء يحافظون علي مظهرهم ونظافة ثيابهم لذا تجدها دائماً ناصعة البياض، وهذا يفسر كثرة محلات الغسيل والمكوة (كي الثياب) في مختلف أحياء المدينة حتى الشعبية منها. وعلى عكس هؤلاء نجد أن النازحين الجدد للمدينة من الأهالي لا يهتمون كثيراً بمظهرهم، فتجد منهم من يتجول في أسواق المدينة بالعراقي والسروال فقط، ومنهم من يلبس جلابية ورأسه عاري تماماً أو بطاقية بدون عِمَّة، ومنهم من يلبس التوب.[١٢٤]

أما بالنسبة للخاصة والأعيان من أهالي المدينة فيلبسون فوق الجلاليب الجبب أو القفاطين أو العبايات المفصلة من الأقمشة الحريرية أو التيل أو الصوف، بالإضافة إلى العِمَّة من قماش الكِرب المصري أو التوتال.



ساعة الجيب من مظاهر المدنية والوجاهة

للجلابية التي غالباً ما تكون من قماش الدمورية أو الدبلان أو البوبلين بألوانه

١٢٤ التوب هو لباس رجال أهل البادية، وهو من قماش الكرب الأبيض أو الدبلان، يلبس فوق العراقي بحيث يتدلى طرفاه إلى الخلف من فوق الكتفين.

المتعددة من بيجي ورمادي وأزرق وأخضر بالإضافة إلى الأبيض أو الستورنة أو السكروتة، عدة تصاميم فهناك جناح أم جكو والأنصارية وكانت لباس من ينتمون لطائفة الأنصار قبل أن تصبح لبسة قومية يلبسها الأنصار وغير الأنصار. هناك الجلابية الحجازية والتي تعرف بـ"نصف لياقة" ويلبسها المنتمون لطائفة الختمية، وهناك الجلابية بكرشليك[١٢٥]، والجلابية بدون كرشليك. والتصميمان الأخيران هما الأكثر رواجاً بين الناس. أما العراقي فَيُفَصَل من قماش السكوبيس والدوريا (قماش مخطط).

أما الأحذية المصاحبة للزّي البلدي فهي في الغالب المراكيب بأنواعها المختلفة، فالمراكيب المصنعة من جلود الحيوانات الأليفة كجلد البقر والماعز والضأن هي الأكثر شيوعاً بين عامة الناس، أما المراكيب المصنعة من جلود الحيوانات المفترسة كجلد النمر والفهد وثعبان الأصلة فيلبسها ميسورو الحال. أحياناً تُلبس الأحذية الجلدية الأجنبية الصنع مع الزّي البلدي.

أما الزّي الإفرنجي فمكوناته هي البنطلون (البنطال) والقميص، بالإضافة إلى ربطة العنق والبدلة بالنسبة لكبار الموظفين والطربوش أحياناً أو البرنيطة. يرتدي الزّي الإفرنجي تقريباً كل الأجانب الذين يسكنون المدينة من إنجليز ومصريين وشوام وإغريق وطليان وأرمن، بجانب الكثير من الموظفين من الأهالي. ونجد البعض من الموظفين الأهالي يرتدون الزّي البلدي فقد كان مسموحاً بلبس الجلاليب البيضاء والعِمّة داخل دواوين الحكومة. وكان هذا هو المشهد السائد حتى نهاية الخمسينيات.

أما اللبس الغالب لأطفال الأهالي فهو العراريق المصنوعة من الدمورية والدبلان، وتفصل لهم الجلاليب في الأعياد والمناسبات. أما أطفال الأسر

١٢٥ الكرشليك هو الفتحة الطولية التي تبدأ من فتحة استدارة الرقبة في الجلابية وتمتد إلى اسفل الصدر، وتزرر لقفلها.

الميسورة الحال فيلبسون الأردية (الشورتات) والقمصان وربما البناطلين في الأعياد. بالنسبة للتلاميذ والطلاب فكان اللبس السائد حتى أوائل الخمسينيات هو الجلاليب البيضاء والعِمم، ثم أصبح طلاب الثانويات في الخمسينيات يلبسون الأردية الكاكية والقمصان البيضاء، وتبعهم في الستينيات طلاب الابتدائي (المتوسط). بالنسبة لأحذية الأطفال والطلاب، فالأحذية التي كانت سائدة إلى نهاية الخمسينيات هي أحذية باتا التي يكون أسفلها من المطاط وأعلاها من قماش قطني سميك. وفي مطلع الستينيات عرف أطفال المدينة وشبابها الصنادل والشباشب المصنوعة من المطاط مثل صنادل الشِّدة وشباشب الوسيم. هناك أيضاً الأحذية والصنادل الجلدية للأطفال والشباب التي ينتعلها أبناء المقتدرين مادياً. تجب الإشارة إلى أنَّ معظم أطفال المدينة خاصة من أحيائها الشعبية كانوا نادراً ما ينتعلون الأحذية فهم حفاة طيلة الوقت، ولا يواظبون على انتعالها إلا عند الذهاب إلى المدارس وفي الأعياد والمناسبات.

أما نساء المدينة فكن يلبسن القِنَلات المفصلة من الأقمشة القطنية الخفيفة المعروفة بالكِرِب الملوّن (يعرَف بلهاليبو)، تعلوها الفساتين ذات الأقمشة القطنية المشجرة والتياب (التوب السوداني) التي كانت في الغالب من كِرِب الزراق والفُرَاد المحلية الصنع وهي بيضاء ولها زيق ملون وأحياناً مضلّعة. وكانت نسوة المدينة حتى الأربعينيات يلبسنَ الفِرَك[١٢٦]، وهناك نوعان من الفِرَك: فِرْكَة القرمصيص بألوانها الزاهية وفِرْكَة أم صفيحة ذات اللون الأحمر والكنارة (الزيق) السوداء. واستمرت ثيابهن على هذا الحال حتى مجي الخمسينيات حين ظهرت أقمشة الباتستا والكربشين والأمبريك والسَتَان ثم الشفون وما عُرِف بالخرطوم بالليل، وتياب ضُلع بت الباشا وضُلع عبلة وجنائن شمبات وشم النسيم ومحمد نجيب. ثمّ جاءت فترة تياب رسالة لندن

١٢٦ الفِرْكَةَ هي ثوب تلفه المرأة في الجزء الأسفل من جسدها.

وأب قجيجة والدلع ومعبود الجماهير والسلك الدبلوماسي وحبيب الروح وفتنتي وعشان خاطرك الغالي. ويلاحظ أن معظم تسميات التياب هي أسماء لأغاني شهيرة في تلك الفترة. وكان التوب حتى الخمسينيات يفصل من قطعتين تسمى الواحدة منها فِتقَة بطول أربعة أمتار ونصف المتر، تُحاكان بالتوازي مع بعضهما بالكروشية أو بالتطريز، مع تركيز التطريز على أحد الطرفين (ويسمى هذا الطرف بالجدعة) لِيَثقُل وزنَه ويَثبُت على الكتف. وفي الستينيات عرفت نساء المدينة تياب التوتال المستوردة من سويسرا ومن أسماء تياب تلك الفترة أبوكنار والمفستن.

بالنسبة للبنات فكن يلبسن الطرح[١٢٧] منذ سن السابعة، والطِرح في الغالب من قماش الكِرِب الأبيض، وبحلول الستينيات ظهرت الطِرح الملوّنة والمشغولة. كان الغالب في أحذية النساء المراكيب بجانب الشباشب المصنعة من الجلود المحلية مثل جلد النمر. وهناك شباشب لها لمعة تسمى سكر تلبس لتظهر نقش الحِنَّة (الحِنّاء)، ثم ظهرت بعد ذلك شباشب لها سيرين مخلوفين تسمى الحدوقة. أيضاً كن يلبسن المستورد من الأحذية والشباشب مثل شباشب القطيفة والتاج. كما ظهرت أحذية نسائية من المطاط اشتهرت باسم أحذية زيزي وكان ذلك في فترة الستينيات.

وسائل الترفيه

حقبة ما قبل دولة المهدية

أكثر من عرف الترفيه الحضري من سكان الخرطوم في فترة الحكم التركي المصري هم الأوروبيون وكبار رجالات الدولة من الأتراك و الشراكسة والمصريين وبعض التجار من الجنسيات الأخرى. فكان الرجال يمتطون خيولهم بآلاتها

١٢٧ الطرحة هي الخِمار.

المختلفة من تركية وسودانية وإفرنجية قبيل الشروق والغروب ويتجهون بها إلى الفضاء الواقع جنوب المدينة حيث يستمتعون بقنص الطيور من حباري ودجاج وادي، والحيوانات البرية من صيد وأرانب وغيرها. أما نساء هذه الطبقة من مجتمع المدينة فغالباً ما يقضين الأمسيات في حدائق منازلهن الواسعة يسمُرنَ ويتبادلنَ أخبار المدينة. اشتهرت المدينة أيضاً بصالوناتها، إذ كان لكل جماعة من الأوروبيين صالون خاص بهم تدار فيه طاولات القُمَار، وتقام فيه حفلات الزواج واستقبال الوافدين الجدد للمدينة ووداع المغادرين لها. أيضاً يتم في هذه الصالونات الاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية وبالمناسبات الوطنية لبلادهم.

جانب آخر للترفيه تمثل في وجود عدد من المقاهي بسوق الخرطوم يرتادها التجار والجلابة والموظفين. ومعظم هؤلاء الرواد من الأتراك والمصريين وبخاصة الكبار منهم. تقدم في هذه المقاهي المشروبات والمأكولات وبعض الألعاب مما لم تكن تعرفه البلاد قبل حقبة الحكم التركي المصري كالبلياردو والشطرنج والنرد. ومن أشهر المقاهي في العقد الأخير للحكم التركي مقهى الإغريقي جورجي تشيادي بشارع النيل الذي كان مرفق به بار، وكان بمثابة المنتدى للأوروبيين.

كان النيل الأزرق يوفر لأهل المدينة مكاناً للترفيه حيث يتوجه إليه البعض بغرض الجلوس على الشاطي والاستمتاع بالطبيعة، والبعض بغرض الاستحمام والسباحة، كما يُوفر للبعض من القادرين متعة الاستمتاع بالرحلات النهرية والنزهة بالزوارق الخاصة بهم.

أما ترفيه غالبية سكان المدينة فكان زيارة أسواق المدينة خاصة سوق الدكاكين حيث يقضي الأهالي لحظات ممتعة بالفرجة على المحلات التجارية

والبضائع المعروضة فيها من ملابس وأدوات زينة وغيرها. وسيلة ترفيه أخرى متاحة لجميع سكان المدينة في أيام السبت والأحد والاثنين من كل أسبوع، إذ تتقدم فرقة موسيقى الجيش ومن خلفها حامية الخرطوم في استعراض يخترق شوارع المدينة الرئيسية فيضفي عليها شيئا من البهجة والسرور. هنالك أيضاً لعبة الجريد التي يقوم بها جنود الباشبوزق من الأتراك والمغاربة والشايقية في أغلب أيام الأسبوع، وهي عبارة عن مبارزات بأنواع مختلفة من الأسلحة.

عرفت المدينة الحدائق العامة عندما أنشأ إسماعيل أيوب حديقة ميدان المديرية وزرع فيها أنواعاً عديدة من الأشجار والزهور وكساها ببساط من النجيل الأخضر. وكانت تصدح فيها موسيقى الجيش كل مساء. كما عرفت الخرطوم في أواخر العهد التركي المصري الحاوي وما يقدمه لمشاهديه من فقرات اعجازية.

حقبة ما بعد دولة المهدية

لرسم صورة لحال ترفيه أهل المدينة منذ بداية إعادة تعميرها بعد انهيار دولة المهدية وحتى مطلع العشرينيات نِسْتَعين بما كَتَبَ حسن نجيلة على لسان شيخه الراوي «كان مجتمعنا في تلك الفترة قبل أكثر من ثلاثين عاماً خالياً من هذه الملاهي العامة التي يؤمها الناس ويجدون فيها متنفساً، كان مجتمعنا جافاً إلا من تلك الجلسات الخاصة التي تعقد في الدور خلسة لإنتهاب المسرة، فلا دور للرياضة ولا أندية ولا حدائق عامة. وكانت هنالك دار وحيدة للسينما وكانت صامتة لم تنطق بعد. يؤمها بعض الصبية والشباب أحياناً، وينظر إليها الشيوخ شذراً كأنها رجس من عمل الشيطان!». [128]

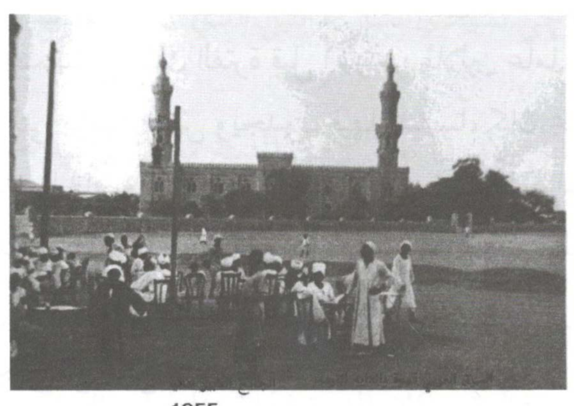
بعد تلك الفترة عرف أهل الخرطوم الترفيه بارتياد القهاوي (المقاهي) والملاهي

١٢٨ حسن نجيلة، ملامح من المجتمع السوداني، مكتبة الحياة، بيروت.

القليلة المتوفرة والمطاعم. فنجد غالبية المواظبين على الترفيه من سكان المدينة يقصدون القهاوي المنتشرة في أسواق المدينة، بينما نجد البعض الذي يبحث عن الترفيه من حين إلى آخر يتجه إلى دور الملاهي والمتاحف المحدودة العدد في المدينة. هنالك أيضاً بعض الحدائق العامة والميادين الخضراء الموجودة في المدينة والتي يلجأ إليها المواطنون للترويح عن أنفسهم. نعطي فيما يأتي وصفاً لوسائل الترفيه في المدينة وملازاته الأخرى.

القهاوي

انحصر الترفيه في فترة العشرينيات من القرن الماضي على القهاوي حيث يجتمع سكان المدينة خاصة المتعلمين والمثقفين منهم في الأمسيات يحتسون الشاي والقهوة ويدخن البعض منهم الشيشة وفي أثناء ذلك يتبادلون الحديث في شتى المواضيع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ويجتمع كثير من رواد تلك القهاوي حول طاولات «لعب الورق» و «الضُمَنَة» و»الطاولة» يلهون ويتسامرون في تنافس بريء في أغلب الأحيان ولا يخلو من بعض المراهنات في أحيانٍ أخرى.



1955

إحدى قهاوي الخرطوم جوار الجامع الكبير في أوائل الخمسينيات

من أشهر وأقدم القهاوي بالخرطوم قهوة حسن سعد والد محمد حسن سعد الذي بدأ حياته جندياً في الأشغال العسكرية قبل تأسيسه لقهوته التي سميت بقهوة الشيشة وذلك لأنها أول قهوة أدخلت الشيشة ضمن الخدمات المقدمة للزبائن. وكانت القهوة قائمة في موقع بقالات أولاد مُلاح جنوب ميدان الأمم المتحدة وإلى الشرق منها فضاء فسيح وذلك قبل تشييد المربع الذي شغلته مكتبة النهضة وفرن شريف أحمد شرفي وقهوة الزئبق ويشغله الآن سوق الذهب. وكان يرتاد هذه القهوة بانتظام عساكر الجيش المصري وربما يفسر هذا سبب إدخال الشيشة التي عرفها السودانيون أصلاً عن طريق المصريين. في تلك الفترة من العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي بجانب قهوة الشيشة كانت هنالك قهوتان صغيرتان في مكان نادي العمال، قهوة عبد الماجد عوض السيد الجعلي وقهوة الأمين. وكانت كل واحدة منهما عبارة عن غرفة، وقد اشتهرتا بلعب الطاولة والورق والميسر (القُمَار). ومن الرواد الدائمين لهاتين القهوتين الزئبق الذي كان يسكن أم درمان قبل إنشائه لقهوته. وكان هنالك تنافس بين هاتين القهوتين في استقطاب الزبائن وذلك بجلب المغنين لتشنيف أذان الحضور بأغاني الربابة وحقيبة الفن وإضافة جو من البهجة والسرور على أمسيات القهوة، إذ أحضر عبد الماجد عوض السيد المغني بشير الرباطابي ليغني في قهوته فما كان من الأمين إلا أن أحضر المغني علي إدريس الشايقي من ديم التعايشة ليغني أغاني حقيبة الفن في قهوته. ومن بين المغنين الذين صدحوا بأغاني الربابة في القهوتين محمد الدنقلاوي وكان كرفاقه الآخرين يغني لوحده (سولو) بدون كورس (شيالين).



قهاوي الخرطوم في أوائل الخمسينيات

عند ظهور اسطوانات حقيبة الفن في الثلاثينيات أصبحت كل القهاوي تمتلك أجهزة فُونُغراف لاستقطاب وتطريب الزبائن بأغاني سرور وكرومة والأمين برهان وغيرهم من أساطين الحقيبة وبذلك تحتفظ بهم لفترات طويلة تُقَدِم لهم من خلالها خدماتها من الشاي والقهوة. ثم جاء تدشين إذاعة أم درمان في أوائل الأربعينيات ببثها المباشر للأخبار وبعض الفواصل الغنائية الحية، ومرة ثانية تبارت القهاوي في امتلاك أجهزة الراديو ترغيباً للزبائن لارتيادها.

شيَّد بعد ذلك أحد الحلفاويين ويدُعى محمد عثمان قهوة شاركه فيها عثمان إبراهيم الملقب بالزيبق من أهالي دنقلا لِتُعرف فيما بعد بقهوة الزيبق وتصبح من أشهر مقاهي لعب الميسر في حقبة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، وكان موقعها جنوب الجامع الكبير في الجانب الشرقي من سوق الذهب الحالي.

انتشرت القهاوي الشعبية بعد ذلك في الخرطوم شمال وزاد عددها في فترة الخمسينيات والستينيات إذ ظهرت قهوة التيجاني في مكان كراج عبد

المتعال شمال الجامع الكبير وأخذت نفس صيت وشهرة قهوة الزئبق بل صارت رديفاً ومنافساً لها كمنافسة قهوة الأمين لقهوة عبد الماجد عوض السيد في فترة الثلاثينيات والأربعينيات. وظهرت قهوة الاستقلال جوار مخازن بورتسودان، وقهوة الصنايعية (الصناعية) جوار المعروضات المصرية فرع شارع الجمهورية، وقهوة الفوال شمال عمارة أبوالعلا القديمة وصاحبها محمد علي الحنوتي الملقب بالفوال وذلك لاشتهاره ببيع الفول المصري، وقهوة الهلال في موقع مطعم الهلال القديم، وقهوة البرابرة وعرفت أيضاً بقهوة الشيشة وتقع عند تقاطع شارع عبد المنعم محمد مع الشارع الممتد من الشرق إلى الغرب الواقع شمال مدرسة الخرطوم الأهلية، وقهوة علي السيد الكوباني عند صينية (دوار) القندول في تقاطع شارع السيد عبد الرحمن مع شارع عبد المنعم محمد. ويلاحظ أنَّ قهاوي الفوال والهلال والبرابرة وعلي السيد جميعها تقع على شارع عبد المنعم محمد. أما في الناحية الجنوبية الشرقية من مدرسة الخرطوم الأهلية فنجد قهوة ومطعم العيلفون وكانت أيضاً من القهاوي الشهيرة في تلك الفترة وعمل فيها كل من الجاغريو وخلف الله حمد.

بجانب انتشار القهاوي الشعبية في فترة الأربعينيات والخمسينيات نلاحظ انتشار العديد من المقاهي الراقية (الحلوانيات) التي كان يَؤُمها صفوة مجتمع الخرطوم، وكانت هذه المقاهي بجانب بُعدَها الترفيهي تمثل منتديات للثقافة والفكر وحلقات نقاش لمثقفي المدينة. كان هذا النوع من المقاهي ينتشر في الجزء الإفرنجي من أسواق المدينة حيث نجد مقهى الحلواني يحتل مكان البنك التجاري (بنك المزارع الآن) عند تقاطع شارع الجمهورية مع شارع عبد المنعم محمد حيث يجتمع كبار موظفي الدولة ومعظمهم من الأجانب آنذاك والقليل من المواطنين الذين يمثلون الصفوة. وتُقَدَم في هذا المقهى المشروبات الباردة والساخنة والمأكولات الخفيفة والحلويات مثل البقلاوة (الباسطة)

والبغاشة والتمر هندي. ويجلس رواد المقهى على مقاعد وثيرة وطاولات من الرخام، ويحصلون على أفضل الخدمات على النمط الغربي وبأسعار معقولة إذ لا يتعدى الطلب الواحد مع كوب من الماء البارد الخمسة عشر مليماً. ويشتمل الحلواني بجانب المقهى على مطعم وبار للخمور.

عند الانتقال ناحية الشرق وقبل تقاطع شارع البرلمان مع شارع القصر نجد مقهى ومرقص شناكة في موقع المعروضات المصرية الحالي. وكان هذا المقهى أحد الأماكن المحببة للأجانب المقيمين منهم والسياح وذلك لتقديمه للخمور وجلبه لبعض الفرق الموسيقية الغربية. انتقل هذا المقهى في أواخر الخمسينيات تقريباً إلى غرب المحطة الوسطى في العمارة التي بها وكالة السر للسفر والسياحة وعرفت بعد ذلك بقهوة البُن وعندها أخذ يؤمه العامة من الشعب.



أحد مقاهي الخرطوم الراقية

هنالك أيضاً مقهى خباز عند ناصية دمشيان المواجهة للخطوط الجوية السودانية في شارع الجمهورية، ويعتبر مقهى خباز أيضاً من المقاهي الراقية في تلك الفترة. وتوجد في نفس المنطقة قهوة المحطة الوسطى التي كان يؤمها المثقفون والمتعلمون من المواطنين وطلبة الجامعة، وكانت تمثل منتدىً

فكرياً وثقافياً وسياسياً وقد شهدت الكثير من الأحداث والصراعات الفكرية والسياسية بين تيارات الحركة الوطنية.

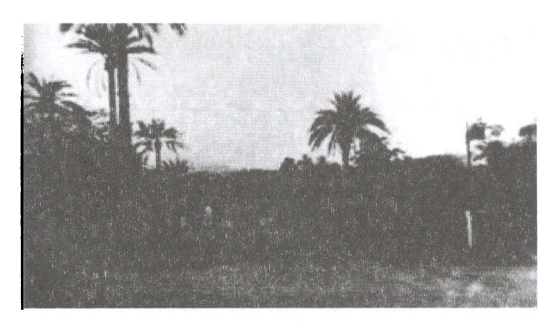
ومن المقاهي المعتبرة والمشهورة أيضاً مقهى أَتِنية ومقهى كوباكوبانا الواقعين في عمارة أبوالعلا الجديدة، ومقهى كابريس في شارع الطيار مراد، وظهرت في مرحلة متأخرة بعض الشيء مقهى أفريكانا. وقد درج بعض هذه المقاهي على تقديم الخمور بجانب السندوتشات والقهوة والشاي والحلويات. وكان يؤم هذه المقاهي خاصة مقهى أَتِنيه المتعلمون والمثقفون ووجهاء الخرطوم.

أما في الخرطوم جنوب فنجد مقهى السليماني في سوق الخرطوم نمرة (٢) وكان يواظب على ارتياده نفر خاص من سكان ذلك الحي. وفي ميدان عبد المنعم بالخرطوم نمرة (٣) نجد مقهى عبده دهب وهو ملتقى لمجموعة من مثقفي وشباب الحي. ونجد في سوق السجانة أكبر عدد للقهاوي الشعبية إذ كان فيه ما لا يقل عن العشرة قهاوي موزعة على جنبات السوق. يؤمها سكان السجانة والديوم الشرقية والغربية بغرض الترفيه والأُنس ومناقشة قضاياهم وهمومهم الحياتية والاجتماعية. وظلت هذه القهاوي طيلة فترة الخمسينيات والستينيات تمثل، بالإضافة إلى الجانب الترفيهي الذي توفره لزبائنها من ضُمَنَة وطاولة وكتشينة، منابر ومنتديات ثقافية ورياضية وسياسية. ونجد في سوق الديم عدد من القهاوي منها قهوة محجوب السيد وقهوة بِجة وقهوة محمود حاج علي (بكاش) وقهوة مصطفى ود أب جوكو وقهوة أدروب ومن ثم قهوة شاشا، يقصدها أبناء منطقة جنوب الديوم الشرقية، وكانت لها أنشطة مشابهة لتلك التي تمارس في قهاوي السجانة. أيضا لم يخلُ سوق الخرطوم نمرة (٣) من القهاوي فنجد فيه قهوة الحلفاويين. كما يوجد بوفيه ومقهى عبده دهب في وسط ميدان عبد المنعم محمد. شهدت الستينيات قهوة عبد الماجد في الحلة الجديدة يفصلها عن دكان محجوب السماني شارع الحلة.

هذه هي طبوغرافية قهاوي منطقة الخرطوم جنوب في فترة الخمسينيات والستينيات، أما إذا عدنا إلى ما قبل تلك الفترة عندما كانت الديوم القديمة قائمة فقد كانت هنالك خمسة قهاوي في المنطقة هي قهوة مجذوب عبد الماجد وقهوة التيجاني بديم التعايشة وقهوة علي السيد ومحجوب السيد بديم سعد وقهوة عبد الله أب كريك وقهوة عبد الحميد محمد في ديم النوبة.

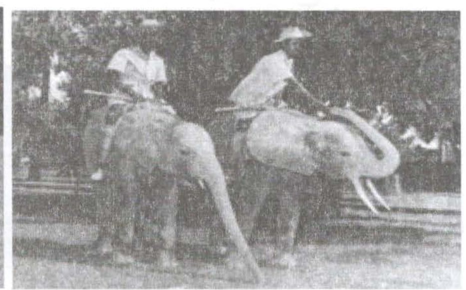
دور الملاهي والمنتزهات

ما دمنا نرصد الترفيه في مدينة الخرطوم خلال الحِقَب المختلفة من القرن الماضي فقد وجب علينا حصر ووصف دور الملاهي التي لا يزيد عددها على أصابع اليدين. فنجد في أقصى الشمال الغربي من المدينة حدائق المقرن بأشجارها الضخمة الوريفة والظليلة (أشجار اللَبَخ) عند ملتقى النيلين الأبيض والأزرق. وحدائق المقرن هي عبارة عن سلسلة من الرياض الخضراء ذات الأشجار الباسقة التي تمتد على طول شاطي النيل الأزرق إلى الغرب من ميناء الخرطوم النهري (المعروف حينها بالأسكلة والذي كان يشغل منطقة قاعة الصداقة والمتحف القومي) إلى مقترن النيلين. كانت هذه الحدائق وما زالت متنزها لسكان المدينة وقبلة للسائحين الذين يتوقون إلى رؤية ساعة الغروب عند مقرن النيلين.



حدائق الخرطوم

ونجد أيضاً في تلك الناحية من المدينة إلى الغرب من فندق السودان والفندق الكبير وبجوار مُشرَع معدية توتي حديقة الحيوانات التي عرفت بجنينة النزهة تطل على شارع النيل من الناحية الشمالية وعلى شارع الجامعة من الناحية الجنوبية، وموقع حديقة الحيوانات كانت تشغله فيما مضى جنينة ركابي. وقد حوت هذه الحديقة أغلب أنواع الحيوانات البرية من مفترسة وغير مفترسة والطيور الجارحة وغير الجارحة والزواحف، كل ذلك وسط حدائق غناء من الأشجار الوارفة الظليلة وبساط سندسي من النجيل الأخضر الناعم تحف أطرافه أزهار مختلفة الأشكال والألوان ينبعث شذاها فيملأ الآفاق عبقاً وألقاً ترتاح به النفوس. وكانت هذه الحديقة وحدائق المقرن مقصداً للمواطنين في عطلة نهاية الأسبوع وفي الأعياد يُرَوِحُون فيها عن أنفسهم من رهق الحياة وعناء السعي وراء كسب العيش.







حديقة الحيوانات (جنينة النزهة) (١٩٦١م)

توجد في نفس الناحية من المدينة صالة غردون للموسيقى عند الركن الجنوبي الغربي لصينية (دوار) الحركة الواقعة في الطرف الغربي لشارع الجمهورية في مواجهة جامع فاروق. وكانت تُنَظَم في هذه الصالة الحفلات الموسيقية حيث يتم التعاقد مع الفرق الأجنبية الغربية منها والشرقية لتضيف لليالي الخرطوم أجواءً لاهية لها حضور واسع من أعضاء الجاليات الأجنبية وقليل من المواطنين الذين يعشقون مثل هذه الأجواء الحالمة واللاهية.

وفي الجانب الشرقي من المدينة نجد مطعم وملهى (كازينو) سان جيمس عند تقاطع شارع الجمهورية مع شارع عطبرة. واشتهر سان جيمس بالفرق الموسيقية المتواترة حيث لا تخلو أمسيات نهاية الأسبوع من الحفلات الموسيقية والغنائية الصاخبة والساهرة. ويضم سان جيمس مطعماً وباراً يقدم خدماته لزبائنه يومياً نهاراً ومساءً إلى الساعات الأولى من الصباح.



سينما كوليزيوم بشارع القصر

تمثل دور السينما على قلتها مصدراً ترفيهياً أساسياً لسكان الخرطوم عامة من أجانب ومواطنين والشباب منهم على وجه الخصوص. وقد بدأت السينما في الخرطوم بظهور سينما التياترو في الثلاثينيات من القرن الماضي. والتياترو هي سينما متحركة صامتة، وكانت عروضها تتم في الموقع الذي تشغله مصلحة الإحصاء المطل على شارع الجامعة. ثم أنشئت سينما كلوزيوم في موقعها الحالي

بشارع القصر الذي كان يحتله نادي ماكابي الرياضي[١٢٩] في نهاية الثلاثينيات وبدأ معها عرض الأفلام الناطقة، ومنذ إنشائها وإلى عهد قريب أصبحت السينما هي الملاذ الترفيهي الميسر لكل من رغب في قضاء أمسية بهيجة منفرداً كان أم بصحبة. وكانت صالة السينما مقسمة إلى درجات ثلاث، الجزء الأكبر منها مؤثث بكنبات، كل كنبة منها يتسع لعدد من المشاهدين، وتسمى هذه الدرجة بالشعب ولا يتعدى سعر تذكرة دخولها ملاليم محدودة عند إنشائها في الأربعينيات وأصبحت ترتفع تدريجياً مع ازدياد متوسط دخل الفرد وارتفاع تكاليف المعيشة لتصل إلى الأربعة قروش والنصف بحلول الستينيات من القرن الماضي. أما الدرجة الثانية فتحتل الجزء الأوسط من الصالة ومُؤثثة بمقاعد فردية مصنعة من الحديد ومجلدة بالحبال المضفورة من السعف. تقع الدرجة الأولى في الجزء الخلفي من الصالة وتُعرف باللوج، ويُمَيزُها عن الدرجة الثانية مقاعدها الوثيرة وتوزيعها المريح الذي يعطي بعض الخصوصية لرواد هذه الدرجة بجانب الخدمات التي تقدم من مأكولات خفيفة ومشروبات. اشتهرت سينما كلوزيوم بتقديم أحدث الأفلام الغربية خاصة الأمريكية منها وكان يسبق عرض تلك الأفلام نشرة إخبارية مصورة.



إعلانات الأفلام

١٢٩ مكي أبوقرجة، ، اليهود في السودان (قراءة في كتاب الياهو سولومون ملكا: أطفال يعقوب في بقعة المهدي)، مركز عبد الكريم ميرغني، ٢٠٠٤م.

ظهرت بعد كلوزيوم سينما النيل الأزرق في موقعها الحالي على شاطئ النيل الأزرق، وكانت في فترة الاحتلال خاصة بالجيش البريطاني الذي كانت ثكناته تحيط بها. اشتهرت هذه السينما أيضاً بعرض الأفلام الغربية. زاد عدد دور السينما بمجيء الحكم الوطني في أواسط الخمسينيات إذ شيدت في الخرطوم شمال سينما الوطنية الخرطوم غرب في الطرف الغربي من المدينة عند نهاية شارع السيد عبد الرحمن، وكانت تقدم روائع الأفلام الغربية والعربية.
افتقرت منطقة الخرطوم جنوب لدور الملاهي عدا دارين للسينما، فقد أُنشئت سينما الوطنية الخرطوم جنوب في أواسط الخمسينيات جوار سوق الخرطوم نمرة (٣)، والتي ظلت منذ إنشائها تستقطب سكان الحي والأحياء المجاورة لقضاء أمسيات جميلة وممتعة بمشاهدة الأفلام السينمائية خاصة العربية منها إذ اشتهرت هذه الدار بعرض هذا النوع من الأفلام بين دور العرض، ولا ينسى الكثيرون من رواد السينما في أوائل الستينيات روائع السينما العربية التي قدمتها لهم سينما الوطنية جنوب مثل الشموع السوداء والحرام وظهور الإسلام وعنتر وعبلة وليلى بنت الفقراء وغيرها. تَبِع إنشاء سينما الوطنية الخرطوم جنوب إنشاء سينما النيلين في بداية الستينيات جنوب حي المايقوما في الديوم الشرقية. واشتهرت سينما النيلين بعرض أفلام رعاة البقر (الكاوبوي) الأمريكية والأفلام الهندية.

أيضاً افتقرت منطقة الخرطوم جنوب خاصة الديوم الشرقية والغربية والسجانة والحلة الجديدة إلى الحدائق والميادين الخضراء فلا نجد غير حديقة القرشي في حي الخرطوم نمرة (٣) التي أُنشئت في فترة حكم الفريق إبراهيم عبود وسميت حينذاك بحديقة عبود. كذلك هنالك الميادين الثلاثة المنّجلة في الخرطوم نمرة (٢) ويرتادها الكثير من مواطني المنطقة بغرض الترفيه والاسترخاء. ونلاحظ أن سكان الخرطوم على وجه العموم استعاضوا بالنقص في الحدائق

العامة بتنظيم رحلات ترفيهية أسرية ومدرسية ولمجموعات الأصدقاء من آن لآخر خلال عطلات نهاية الأسبوع والعطلات الرسمية إلى جنائن الجريف غرب أو غابة الخرطوم (غابة السنط) أو شاطي النيل الأبيض في منطقة الكلاكلة القبة.



عزيزه آدم منديل أثناء تتويجها بملكة جمال الخرطوم عام 1958 بكازينو سان جيمس.



عزيزة منديل ملكة جمال الخرطوم عام ١٩٥٨م توجت بكازينو سان جيمس

ونجد بجانب ارتياد أعداد مقدرة من سكان مدينة الخرطوم لهذه الدور والأماكن الترفيهية لجوء الكثيرين من عامة المواطنين إلى الأندية القبلية والجهوية المنتشرة في الأحياء الشعبية من المدينة حيث يجدون مجالاً للترفيه متمثلاً في لعب الورق و الضُمَنَة والطاولة. أما بالنسبة للخاصة والأجانب فكانت أندية الجاليات المنتشرة في الطرف الشرقي من المدينة وبعضاً منها في قلب الخرطوم شمال ملاذا ترفيهياً حصراً على الأعضاء وضيوفهم. ومن هذه الأندية نادي سودان كلوب الذي كان يحتل الموقع الحالي لوزارة الخارجية (الإتحاد الاشتراكي في فترة حكم مايو) ثم انتقل إلى موقعه الكائن غرب المجلس البريطاني، والنادي اليهودي الذي بدأ في نهاية العشرينيات في موقع سينما كلوزيوم الحالي ثم انتقل في بداية الأربعينيات خلف الكنيسة اليهودية المطلة علي شارع القصر. ونجد النادي اليوناني إلى الشرق من كبري المسلمية، وفي الناحية الشرقية من الخرطوم

نمرة (٢) نجد النادي الأرمني والنادي الكاثوليكي والنادي السوري. كذلك كانت المكتبة القبطية تقيم ليالي ترفيهية ومجالس سمر لأعضائها بصورة راتبة.

اللهو الماجن

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من بؤر للمجون والفسوق والفجور، والخرطوم ليست إستثناءً إذ لم تخلُ من بارات وأنادي وبيوت دعارة تم فتحها والتصديق لها منذ عهد الاحتلال الانجليزي المصري. فنجد عدداً من البارات قد انتشرت في الخرطوم شمال والخرطوم جنوب يمتلكها ويديرها غير المسلمين من الأغاريق والأقباط، إذ لا يسمح القانون بذلك للمسلمين، حيث تباع البيرة والمشروبات الروحية من شيري وويسكي وكونياك. وزبائن هذا النوع من المشروبات غالباً من الأجانب وبعض المواطنين من كبار الموظفين والقليل من صغارهم وذلك لغلاء أسعارها. ونرصد من بارات شمال الخرطوم أتينيه وكوباكوبانا والجي بي وسان جيمس وبار كامل عبد الشهيد (بار الضلمة) وبار كيشو بشارع الحرية. كما يوجد الكثير من الفنادق والمطاعم التي تبيع الخمور مثل فندق فيكتوريا والفندق الكبير وفندق اكسلسيور وفندق صحارى وفندق الشرق وفندق رويال وفندق الواحة ومطعم الاستقلال بشارع الزبير باشا والمطعم المجاور لمكتب البص السريع شمال مدرسة الكمبوني، هذا بجانب صالة غردون للموسيقى.

ونجد في الخرطوم جنوب بار إسكرابيه في سوق الخرطوم (٢) وبار كيشو جوار فندق دي باريس بالمزاد وبار بالناحية الجنوبية من سوق السجانة وآخر بسوق الديم وبار ومطعم مرحباً بالعمارات. كما تتوفر الخمور في فندق إفريقيا بشارع إفريقيا وفندق الزهرة بالخرطوم نمرة (٢).

أما الخمور البلدية من مريسة وكُولِميت وعرقي فكانت منتشرة في

الأحياء الشعبية من منطقة الخرطوم جنوب خاصة الديوم الشرقية والغربية، إذ نجد بعض البيوت لبيع هذه الخمور في الكثير من الأحياء وتسمى ببيوت العرقي. هذا بجانب حي منفصل للأنادي بعيداً عن بقية الأحياء حيث كان موقعه في أقصى الجنوب الغربي للديوم الشرقية إلى الغرب من مجمع الشرطة وشرق مجمع الطريقة البرهانية الحاليين. ضم الحي عدداً من الأنادي حيث تدار كل إنداية بواسطة ست الإنداية وبمساعدة عدد من النسوة اللاتي يقمن بتصنيع الخمور في المساء. تفتح الإنداية بابها للزبائن منذ الصباح الباكر ويُعلن عن ذلك برفع علم على السور يدل على استعداد الإنداية لإسعقبال الزبائن، وتغلق بابها عند الساعة الخامسة مساءً بإنزال العلم، وتُعَرِض صاحبة الإنداية نفسها للعقاب إذا خالفت هذه المواقيت. وقد يتم إنزال العلم قبل الساعة الخامسة للإعلان عن نفاد الخمور. في الغالب لا يتغير مرتادو الأنادي، ويُكَوِنون مجموعات كل مجموعة تربطهم علاقة حميمة، يتحلقون في إحدى رواكيب أو غرف الإنداية بالجلوس على بنابر يتوسطهم إناء الخمر (بُرمَة المريسة أو صفيحة الكولميت) ويقوم أحدهم بدور الساقي. يصاحب شرب المريسة أحياناً شرب العرقي وقد يكون المجلس لشرب العرقي فقط. تبدأ مجالس الشراب في الأنادي بأُنس هادي تُسرد فيه الأخبار والحكاوي والطرائف، وبمضي الوقت وعند الانتشاء يبدأ الجميع في الغناء، وعندما تلعب الخمر بالعقول ترتفع الأصوات والضحكات، ويستمرون هكذا إلى موعد إغلاق الإنداية فينفض السُمَّار بهدوء أحياناً وبالشجار أحياناً أخرى.

حي ستة بيوت هو أول حي للدعارة عرفته خرطوم الحكم الثنائي، وكان موقع هذا الحي إلى الشمال من إشلاق إسماعيل باشا (القيادة العامة حالياً) وإلى الشرق من المباني القديمة لرئاسة مجلس الوزراء. استمر الحال هكذا في هذا الحي إلى أن أُزيل في الأربعينيات من القرن الماضي تقريباً. ثم انتقلت

ظاهرة البغاء في الخمسينيات إلى المنطقة الواقعة إلى الغرب من مقابر المسيحيين التي كانت تحتل الموقع الحالي لداخليات البنات غرب كلية الطب. وعرفت هذه المنطقة في ذلك الوقت بأبو صليب نسبة إلى الصلبان التي كانت تُزين الأبواب الحديدية للمقبرة. تمددت هذه المنطقة في ستينيات القرن الماضي غرباً إلى مشارف شارع عبد المنعم محمد وشمالاً إلى شارع السيد عبد الرحمن وجنوباً إلى موقع مكتب الصحة الكائن آنذاك شمال شارع الطابية. إنتشرت بيوت الدعارة في هذه المنطقة وامتلأت ببائعات الهوى من جنسيات وعرقيات مختلفة يقصدهن الراغبون في ممارسة الرزيلة في الأمسيات.

أما في الديوم القديمة فنجد بيوت الدعارة في ديم أب قرشين الواقع جنوب ديم الزبيرية. وفيما بعد فترة الديوم القديمة نجد الظاهرة قد انتشرت في كثير من أحياء الخرطوم جنوب، إذ نجدها في الخرطوم نمرة (٣) في المنطقة الواقعة إلى الشمال من حديقة القرشي، وفي حي كوريا جنوب مفابر فاروق، وفي الحلة الجديدة شمال حي الصحة في الناحية الشمالية الغربية من مدرسة عبد المنعم يونس، وفي العمارات في شارعي (٥٧ و٥٩). كذلك نجد بعض البؤر في حي الزهور فتحت وفي تعويضات المقرن وفي الخرطوم نمرة (٢).

تم إغلاق البارات والأنادي وبيوت الدعارة في أواخر عهد حكومة نميري وبذلك تخلصت الخرطوم من هذه المظاهر السالبة والمرفوضة من المجتمع والدين.

المتاحف والحديقة النباتية

عرفت الخرطوم المتاحف منذ بداية القرن الماضي، إذ ضمت ثلاثة متاحف هي متحف السودان القومي للإثنوغرافيا القائم عند تقاطع شارع

الجامعة مع شارع الملك نمر، ومتحف التاريخ الطبيعي والطيور ومتحف الآثار وكلاهما كانا في كلية غردون عند إنشائهما (نقل الثاني إلى موقعه الحالي في السبعينيات). وكان رسم الدخول لهذه المتاحف في الخمسينيات خمسة قروش في الفترة الممتدة من نوفمبر إلى إبريل من كل سنة، وقرشان من مايو إلى أكتوبر.

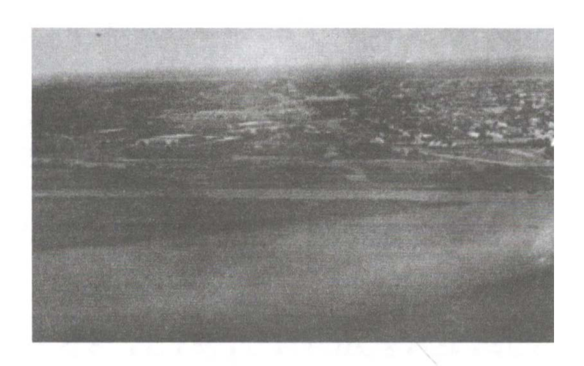
يضم متحف السودان القومي للإثنوغرافيا الذي أُنشئ بعيد منتصف القرن الماضي خمسة أقسام تمثل المناطق الجغرافية الرئيسية في السودان وهي المنطقة الثقافية الشرقية و المنطقة الثقافية الشمالية و المنطقة الثقافية الغربية و المنطقة الثقافية الجنوبية الوسطى و المنطقة الثقافية الجنوبية. هذا بالإضافة إلى صالة تسمى مدن في السودان. ويهتم المتحف بتوثيق الثقافة وتنوعها في السودان وتعدد أشكالها.

أُنشئ متحف التاريخ الطبيعي والطيور في نفس فترة إنشاء متحف السودان القومي للإثنوغرافيا. ويهتم هذا المتحف بالتوثيق للحياة البرية في السودان وما بها من حيوانات وزواحف وطيور وحشرات. وتوجد فيه الكثير من المُحَنَّطَات لهذه المخلوقات بجانب الكثير من الصور الفوتوغرافية التي تعكس الحياة البرية. أما متحف الآثار فقد تم إنشائه في فترة مبكرة إذ بدأ تشييده في عام ١٩٠٦–١٩٠٧م في الناحية الغربية من المدينة ثم استقر الرأي على شرق المدينة في داخل حرم كلية غردون. وتشاء الصدف أن ينقل إلى موقعه الحالي في غرب المدينة في مكان قريب من الموقع الذي بدأ فيه قبل ستين عاماً ونيف. يحتوي على الكثير من المعلومات و الآثار للحضارات القديمة التي قامت على أرض السودان بدءاً من كوش ومروي ومروراً بالمقرة ونبتة وعلوة وانتهاء بالسلطنة الزرقاء.

تعتبر الحديقة النباتية القائمة بمنطقة المقرن مستودعاً للأنواع النادرة من النباتات. بدأ تأسيس هذه الحديقة في أوائل الخمسينيات واكتملت بحلول عام

١٩٥٤م، وقد أشرف على إنشائها المهندس أمين ميخائيل، ثم قام بتطويرها مع إضافة الكثير من النباتات كل من محمد صالح الشنقيطي وكامل شوقي. تشتمل الحديقة على مجموعات نباتية مختلفة منها مجموعة نخيل الزينة و مجموعة النباتات العشبية و مجموعة أغصان الزينة المزهرة و مجموعة النباتات المتسلقة ومجموعة النباتات المائية ومجموعة النباتات الصحراوية. كما توجد بالحديقة أقسام للنباتات حسب الأقاليم المناخية بالسودان وهي قسم نباتات المناطق الاستوائية وقسم نباتات السافنا الغنية وقسم نباتات السافنا الفقيرة و قسم نباتات الصحراء وشبه الصحراء.

كانت زيارة هذه المتاحف والحديقة النباتية توضع ضمن برامج كبار ضيوف البلاد، فمن ضمن الذين زاروها الرئيس اليوغسلافي تيتو ورئيس الوزراء الهندي نهرو والإمبراطور الإثيوبي هيلاسلاسى. هذا بجانب ارتياد زوار المدينة من السياح لهذه المتاحف، كان يؤمها سكان المدينة في عطلاتهم، وأيضاً الدارسون والباحثون للحصول على المعلومات التي توفرها لهم هذه الأماكن.



مقرن النيلين

الفصل الحادي عشر
الأفراح والمناسبات الدينية والأتراح

يشتمل هذا الفصل على استعراض عادات وتقاليد أهل الخرطوم في مناسبات الأفراح واحتفالات الأعياد والمولد النبوي وفي مناسبات الأحزان والأتراح مع رصد مدافن المدينة في الحقب المختلفة.

الأفراح

مثلت مناسبات الزواج والختان مواسم للفرح والترفيه في الأحياء وفي المدينة ككل وذلك لقلتها من جهة وانعدام وسائل الترفيه من جهة أخرى ولأنها تمنح الفرصة لمن يفكر في الزواج وفي اختيار شريكة حياته. لذلك نجد الفرح يمتد إلى سبعة أيام وإلى خمسة عشر يوماً وأحياناً قد يتواصل إلى الأربعين عند الوجهاء والميسورين، فيحتشد الشباب والصغار والشيوخ أحياناً في سمر وطرب مستمرين من خلال الحفلات الغنائية المسائية والصباحية التي يحييها فنانو تلك الحقبة من مغنين وطنابرة، يُعرفون حينذاك بالصياع[١٣٠] وبمرقصين البنات، أمثال علي الشايقي وكرومة وسرور والأمين برهان وخليل فرح ومن جاء بعدهم مثل حسن الأمين وعبد الحميد يوسف وعبد الرحيم الأمين وغيرهم.

---

١٣٠ الصايع هو السفيه الذي يتبع هواه، ولذلك كانوا يسمُّون المغنين الصُّيّاع وهي من ساع المال أضاعه.



حنة الختان

يتم التجهيز للَّعبة (الحفلة) بإشعال الرتاين (جمع رتينة وهي مصباح قوي الإضاءة يستخدم في المناسبات) وفرش السَباتات التي تجلس عليها البنات والنساء وهن متجهات نحو الحائط، بينما الرجال بعضهم جلوس والبعض وقوف خلف النساء يفصلهم منهن مساحة واسعة تركت لرقيص البنات، ولِيُعَبر فيها أصدقاء العريس عن مشاعرهم "بالعرضة والهز والتبشير وأخذ الشَبال"، بينما يصطف الطنابرة أو المغنون على جانب هذه الساحة. وعندما يبدأ الغناء يقوم وزير العريس أو وزيرة العروس باختيار إحدى البنات للرقص، فتقوم التي وقع عليها الاختيار وتتوسط السباتة المفروشة في ساحة الرقص وتساعدها الوزيرة في إصلاح ثوبها وشعرها، ثم تبدأ في أداء رقصة الرقبة تارة متجهة نحو النساء وأخرى متجهة نحو الفنان وثالثة نحو الرجال في إيقاع متزن مع الأغنية أو الزَّمَة المصاحبة للأداء، وفي هذا إبراز لمحاسن البنت في شيء من الحشمة مما يعطي الفرصة لمن يريد أن يترك حياة العزوبية لاختيار زوجة المستقبل، وعادة ما يتم هذا بعد أن يشاهد ويراقب الشاب البنت التي يختارها لفترة من الزمن من خلال الحفلات إذ لا سبيل آخر للمشاهدة سوى هذه الحفلات. وأحياناً تبدأ البنت الرقص من عند مجلس البنات وهي متجهة نحوهن ثم تسير نحو المغنين بظهرها وعندما تقترب منهم تدور وتتجه نحوهم في إيقاع رشيق تتمايل

معه قلوب الكثير من الشباب هوىً وطرباً. وعندما يبلغ الطرب والانفعال ذروتهما بأحد الحضور من أصحاب العريس يدخل إلى إلساحة ويعرض ويهز ويُبَشِر على العريس أولاً، ثم على المغني حيث يضع له النقطة وكانت لا تتعدى القرش والقرشين في بداية الثلاثينيات، ثم يدلف نحو البنت التي ترقص ويأخذ منها الشَبَّال، يعود بعدها إلى مكانه مزهواً منتشيا بالحظوة التي نالها من صاحبة الشَبَّال.

ومن النوادر أنَّ الحفل قد يضم بنتاً واحدة أو اثنتين فقط تتزينان ببعض الحلي الذهبية مثل الفِدَو (الأقراط) والغوايش (الأساور)، ولكن رغم ذلك تجد أن كل الراقصات مُحَفّلات وذلك لتبادلهن الحلي فيما بينهن سراً دون أن يشاهدهم الرجال. وعملية التبادل هذه كانت تشمل حتى الثياب، حيث تقوم بعض البنات بتغطية الرتينة بطريقة تبدو عفوية لا تلفت انتباه الحضور من الرجال وفي تلك الأثناء يتم تبديل الثياب حيث تُمنح التي تريد الرقص الثوب الذي يظهر أناقتها ورونقها.

أما مراسم الزواج فتتم وفق آلية متعارف عليها، فعند اختيار الشاب للبنت يذهب أهله إلى منزل البنت لمشاهدتها إن لم يكونوا يعرفونها، ثم يَحْضُر الرجال من أهله ويطلبون البنت زوجة لابنهم. وفي حالة الموافقة تُقَدِم النسوة من أهله ما يعرف بفتح الخَشُم (قولة خير) وهو مبلغ من المال يتراوح بين الجنيه والجنيهين في فترة العشرينيات والثلاثينيات. ويبدأ العريس بعد ذلك في تجهيز الشيلة والمال، ومتوسط تكلفة الشيلة في تلك الفترة حوالي العشرة جنيهات تُشْتَرى بها الملابس من أقمشة فساتين وثياب وملابس داخلية وفِرْكة قرمصيص[131] (غطاء العروس). تشتمل الشيلة أيضاً على بعض المواد الغذائية مثل سكر الرأس والشاي والبلح والحلاوة والشعيرية. و لم تكن الريحة في تلك

١٣١ فِرْكة قرمصيص ثوب من حرير تلفه المرأة في وسطها.

الأيام من ضمن الشيلة بل كانت من ضمن الأشياء التي يوفرها والد العروسة. أما المال فكان يتراوح بين العشرة والخمسة عشر جنيهاً من فئة الريال، ترص كل عشرة ريالات فوق بعضها وتوضع على صينية مع بعض الحلوى والبلح. وتوضع الشيلة أيضاً في صواني وتحملها النسوة من أهل العريس وجيرانهم مع المال ويخرجن بها إلى بيت العروس في موكبٍ بهيج، وعند وصولهن إلى بيت أهل العروس يتم الاحتفاء بهن، ثم تُسَلِم إحدى أخوات أو قريبات العريس المال والشيلة لأهل العروس على مشهد من الجميع ولا تخلو العملية من فخرٍ وتباه بمقدرة العريس المادية. ويستمر أهل العروس يعرضون المال والشيلة لأيامٍ ولياٍل على كل من تحضر للمباركة.



روائح العرس

يتم بعد ذلك تحديد موعد الزواج، وعند حلول ذلك الموعد تبدأ المراسم بعزومة (دعوة) وحِنَّة العريس، حيث يقوم العريس ووالده ووالدته بدعوة كل الأهل والأصدقاء والجيران لتناول طعام العشاء، ويقوم كل مدعو بالمساهمة في كشف الفرح بمبلغ من المال تحدده أولاً علاقته بالعريس أو والد العريس وثانياً المبلغ الذي ساهم به العريس أو والده في آخر مناسبة للمدعو، وكان مبلغ المساهمة يتراوح ما بين الخمسة قروش والريال أب عشرين (عشرون قرشاً)، وكانت العادة أن يجلس اثنان من أصدقاء العريس على جانب من فناء الدار

حيث يتناول المدعوون العشاء (وغالباً بجوار مكان غسل الأيدي بعد الانتهاء من الطعام) خلف طاولة تعلوها رتينة الإضاءة وصحن باشري (صحن صيني) مملوء بالماء توضع فيه مساهمات المدعوين التي كانت من القطع المعدنية إذ لم تكن أوراق البنكنوت معروفة في ذلك الوقت، ويقوم أحد الجالسين باستلام المساهمة ووضعها في الصحن بينما يقوم الآخر بكتابة اسم المساهم والمبلغ الذي دفعه. وفي مرحلة لاحقة بنهاية الخمسينيات بعد شيوع الأوراق المالية اسْتُبدِل صحن الباشري بعلبة فارغة لحفظ المساهمات.

تبدأ قَعْدَة العريس (حنة العريس) بعد الانتهاء من العشاء، ويتم خلالها وضع الحنة للعريس وهنا ينتهز الأصدقاء المقربون للعريس وأهله التنقيط (النقطة عبارة عن مساهمة مالية للعريس تعبيراً عن المشاركة ونوع من التكافل الاجتماعي) والإعلان عن ذلك أمام الملأ بمفردات معروفة للناس في ذلك الوقت مثل "شوبش أخو العريس فلان واحد جنيه". يتم كل ذلك في جوٍ يسوده الفرح وتتخلله الزغاريد وأصوات المباركين والمهنيين بينما الجميع ينتشي طرباً لطنبرة الطنابرة أو لأغاني المغنين. ويتواصل الفرح في اليوم التالي لِحَنَّة العريس ويعتبر هذا اليوم هو يوم الفرح الكبير وينتهي بليلة الدُخلة حيث تنتقل المراسم إلى منزل العروس وتبدأ بالعقد (كتب القسيمة) والذي يكون بعد صلاة المغرب عادة. بعد انتهاء مراسيم كتب الكتاب يسير العريس وأهله وأصدقاؤه من داره إلى دار العروس وغالباً يتم ذلك سيراً على الأقدام أو بالحمير وقليل من الخيل أحياناً، يسيرون وهم يحملون القنا المشتعل بالجاز للإضاءة ويصفونها "بالسَيرة أم قناية" وذلك قبل استخدام الرتاين. وعند وصولهم إلى منزل العروس يقوم أهلها باستقبالهم ويقدم لهم الشربات ثم طعام العشاء الذي كان يتكون في تلك الفترة من الثلاثينيات من الكسرة والملاح واللحم المحمّر والسلطة.

تبدأ اللّعبة (الحفلة) بعد الانتهاء من العشاء وتستمر إلى الساعات الأولى من صباح اليوم التالي. وبانتهاء اللّعبة يدخل العريس على عروسه ولذلك تسمى الليلة بليلة الدُخْلَة، بينما يبدأ أهل العروس بتجهيز فطور العريس ويتناوله مع لفيف من أصدقائه وأقاربه، ثم يبدأ التجهيز لحفلة الصُبْحِية وتمتد إلى العصر وأحياناً إلى المغرب. وفي أمسية ذلك اليوم تجرى مراسم "الجِرْتِق" حيث يجلس العروسان على برش أحمر اللون ويتم إلباس كل منهم سبحة اليُسر والحريرة والخرزة وجنيه الذهب (King Gorge) والسيموتة بالإضافة إلى ذلك يلبس العريس هلالاً من الذهب وريالاً من الفضة (ريال مشاهرة)، ثم توضع الضَرِيرَة (خلطة من المحلب والصندل والعطر) على رأسي العروسين. ويقوم العروسان بعد ذلك ببخ بعضهما البعض باللبن ثم يرش العريس البنات بالعطر وينثر الحلوى عليهن. وتقوم بإجراءات الجرتق إحدى النساء العارفات بطقوسه ويُتفاءل بالتي يكون والداها أحياء للقيام بذلك. وكان الاعتقاد السائد بأن عدم إجراء الجرتق يعرض العروسين للنحس وعدم التوفيق في حياتهم الزوجية وقد يؤدي إلى الطلاق، بينما يضمن لهم إجراء الجرتق الحياة الزوجية السعيدة والمال والعيال. وقد اندثرت هذه العادات بمرور الزمن وأصبحت تكملةً وديكوراً للفرح أكثر منه اعتقاداً.

يستمر جو الفرح لأيام يتخللها الغناء والرقص والطرب والتخطيط لمشاريع زواج مستقبلية إلى أن تختتم مراسم الزواج بلّعبة السبوع (أي مرور سبعة أيام على الزواج)، أو لعبة الخمستاشر (مرور خمسة عشر يوماً على الزواج) وأحياناً بلعبة الأربعين. ويكون ثوب العريس عند حلول الأربعين مُشَرباً بالدهن دلالة على الاهتمام الزائد الذي يجده العريس من عروسه وأهلها. وجرت العادة أن تطول فترة إقامة العريس في منزل أهل العروس وتمتد أحياناً إلى السنتين.

الاحتفال بشهر رمضان والأعياد

حقبة ما قبل دولة المهدية

درج الحكمدار وحكومته في خلال حقبة الحكم التركي المصري على الاحتفال بالأعياد والمناسبات الرسمية، فقد كان يُحتفَل بثبوت هلال رمضان بتسيير موكب رسمي في شوارع المدينة الرئيسية في مقدمته أعيان المدينة ومديرها وبعض كبار الموظفين فوق صهوات جيادهم ومن خلفهم طابور من الجنود، وفي نهاية الموكب أعداد غفيرة من الفقهاء والدراويش والأهالي رجالاً ونساءً، ترفرف فوق الجميع الأعلام التركية ورايات الطرق الصوفية، كل ذلك تصاحبه نغمات فرقة موسيقى الجيش التي تملأ المكان. وتغلق محلات سوق الدكاكين أبوابها طوال شهر رمضان، وتهدأ الحركة في شوارع المدينة أثناء النهار بينما يتجمع سكانها في حلقات ليلاً، البعض منهم بغرض العبادة والذكر، والبعض بغرض الأنس والسمر.

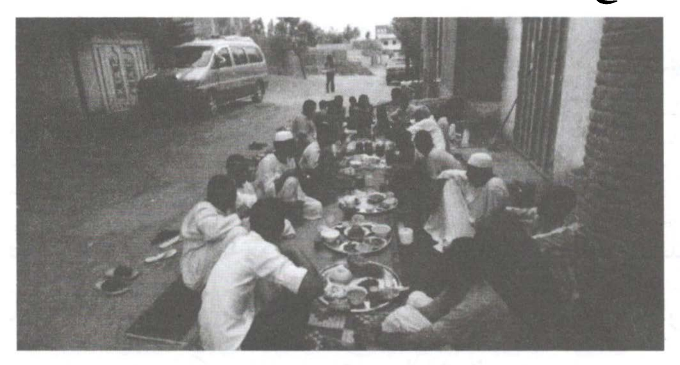
وبجانب الأعياد الدينية، يحتفل الحكمدار بالذكرى السنوية لاعتلاء الخديوي العرش حيث تزدان المباني الحكومية بالأعلام والمصابيح لثلاثة أيام بلياليها، ويقام احتفال في المساء بالسرايا يدعى إليه وجهاء وأعيان المدينة.

حقبة ما بعد دولة المهدية

يميز شهر رمضان استعدادات الأسر له بتحضير «الحلو مر» و»الآبرى الأبيض». ويتم تصنيع الأول عادة بعمل نفير بين النساء. إذ تتجمع نساء الحي الواحد كل يوم في بيت إحداهن «لعواسة» الحلو مر بعد أن تكون صاحبة المنزل قد أعدت لهن المواد المطلوبة، هذا بجانب تجهيزها لوجبة الغداء وأهم مكوناتها عادة تكون «المَرَارة» وطبخة «الكَمُّونية» والشربوت[132]. يستمر هذا النفير يومياً إلى

١٣٢ المَرَارة هي أكلة نية تتكون من بعض أحشاء الخروف؛ الكَمُّونية هي طبخة من أحشاء الخروف؛ الشربوت مشروب من التمر مخمر جزئياً.

أن تتم عواسة الحلو مر لكل أفراد المجموعة. أما تجهيز الآبرى الأبيض فتقوم به ربة كل أسرة بمفردها وربما بمساعدة بناتها. أهم المظاهر خلال شهر رمضان هو الفطور الجماعي، إذ يتجمع الرجال والصبيان في كل حي لتناول إفطار رمضان معاً حيث تُخرَج صينية إفطار من كل منزل، وينضم لهؤلاء كل عابر طريق عندما يرفع آذان المغرب.



في إنتظار الآذان

يمكن القول بأنَّ الأعياد في الخرطوم مثلها مثل الأعياد في كل مدن السودان الأخرى فهي مواسم فرح وتوسعة ومواصلة للأرحام والجيران، ويتبادل فيها الرجال والنساء والأطفال المعايدة والمحبة والمودة والأماني الطيبة، وهم يزهون في أجمل ثيابهم وحللهم وكامل زينتهم كما جرى عليه العرف الإسلامي والسوداني الأصيل. وتمتد فرحة الأعياد (عيد الفطر وعيد الأضحى) عبر أحياء المدينة وساحاتها ومنتزهاتها، فنجد في الخرطوم شمال تخصيص مكان فسيح للاحتفال بالعيد. ويقع هذا المكان في المنطقة التي يقوم عليها الآن فندق الحرمين، حيث تنصب المراجيح للأطفال وتزين الخيول والحناطير لركوبهم، وتمتلئ الساحة ببائعي المأكولات والمشروبات، ولا تخلو أيضاً من حلقات اليانصيب وألعاب الميسر(لعب المَلُوص وجرب حظك) ويتفنن في ذلك البعض حتى أصبحوا من مشاهير المدينة في ذلك الضرب من الملاهي. كذلك

نجد جنينة النزهة (حديقة الحيوانات) قد أخذت أيضاً زخرفها وتزينت بأحلى حللها وامتلأت جنباتها وميادينها بالزوار من مختلف الأعمار جاءوها من كل حدب وصوب لمشاهدة ساكنيها من الطيور والحيوانات وللاستمتاع بحدائقها الغناء الوارفة الظلال ونسيمها الزاكي النَدِي مما يضيف إلى النفوس ألقاً على ألق وبهجة على بهجة ويزيد الفرحة بالعيد السعيد.



صلاة العيد في جامع فاروق في الخمسينيات

تميز الاحتفال بالعيد في الخرطوم عن احتفالات أم درمان والخرطوم بحري بالمهرجانات الشعبية التي كانت تقام بالديوم القديمة طيلة أيام العيد، حيث تشهد الساحة الواقعة أمام منزل العمدة يعقوب أب دربازة في ديم التعايشة كرنفالات شعبية تشتمل على رقصات وأغاني وألعاب لكل القبائل التي كان لها حضور في الديوم القديمة. فنجد نقارة التعايشة والجوامعة، ورقصات ديم تقلي وديم بندة وديم برتي، وبُخَسْ وبُروج وحُرَاب ديم جبل، وكَسُّوب[١٣٣] ديم عبد الكريم. ثم ظهرت في فترة متأخرة من الثلاثينيات كيتة[١٣٤] الفلاتة.

١٣٣ الكِسُوب ضرب من غناء ورقص الكنجارة (الفور).
١٣٤ الكَيْتَة ضرب من الغناء والرقص، والطبل وآلة الكَيْتَة مشهورة بين الفلاتة.

وكانت نقارة التعايشة هي الغالبة حيث يؤدي رجال ونساء التعايشة رقصاتهم الجماعية والفردية في إيقاع ضربات النقارة فتشيع جواً من الطرب والسرور على الحاضرين، الذين كانوا يتوافدون من الخرطوم شمال وأم درمان والخرطوم بحري لمشاهدة هذه الاحتفالات وخاصة نقارة التعايشة. وكان الحاكم العام يحضر أحياناً لمشاركة المواطنين احتفالهم بالعيد ويعبر عن فرحته بالمشاركة بوضع الريشة (وسام يدل على التكريم) والنقطة على رأس الراقصة التي يعجبه أداءها. واستمرت هذه الاحتفالات الشعبية بالأعياد الدينية طيلة فترة الديوم القديمة وتوقفت في نهاية الأربعينيات عند إزالة تلك الديوم.

المولد النبوي

كان الاحتفال بالمولد النبوي في حقبة العهد التركي المصري يستمر ثمانية أيام حيث تَنْصُب كل مصلحة من مصالح الحكومة سرادقاً لها في ميدان الاحتفالات والعدالة الواقع إلى الشرق من سوق الشمس. وتزين هذه السرادق بالأعلام والثريات ويؤمها كبار الموظفين في الأمسيات حيث تعزف موسيقى الجيش من بعد الغروب إلى وقتٍ متأخرٍ من الليل. ويقام عرض للألعاب النارية في الليلة الختامية للمولد كما يقام احتفال بهذه المناسبة في دار الحكومة بفناء الحكمدارية.

درجت الخرطوم بعد إعادة إعمارها بالاحتفال بالمولد النبوي في ميدان عباس (ميدان الأمم المتحدة)، واستمر ذلك لفترة طويلة خلال النصف الأول من القرن الماضي إلى أن انتقل الاحتفال به إلى الميدان الواقع شرق الجامع الكبير وغرب مدافن الأتراك (القباب) أي الناحية الشمالية من ميدان أبي جنزير وكان ذلك في نهاية الأربعينيات. انتقل المولد بعد ذلك إلى الميدان الدائري الذي كانت تشغله مواصلات الصحافة وتحده من الجنوب المدرسة الأهلية الوسطى

ومدرسة كمبوني ومن الشمال مخازن الزئبق وعمارة ابنعوف التي تحده أيضاً من الشرق. ثم انتقل بعد حين إلى ميدان عبد المنعم (ميدان الأسرة) في فترة الخمسينيات والستينيات، حيث استمر في هذا الموقع إلى بداية السبعينيات ثم انتقل بعدها إلى موقعه الحالي بميدان الليق بالحلة الجديدة غرب شارع الحرية.

يبدأ نصب خيام المولد منذ غرة ربيع الأول من السنة الهجرية حيث تنصب خيمة المأمور (خيمة الحكومة) وعلى يمينها ويسارها تنصب خيمتا السيد عبد الرحمن المهدي (خيمة الأنصار) والسيد علي الميرغني (خيمة الختمية)، وغير بعيدٍ منهما خيمة العمدة ود كرم الله، وتتوالى بعد ذلك خيم الأحمدية شيخ كاملٍ الأحمدي وشيخ سعيد يعقوب وشيخ أحمد الأحمدي وخيم الطرق الصوفية الأخرى من إسماعيلية وقادرية وسمَّانية وإدريسية وبرهانية. ونجد على مسافة من الخيام نصبت الأكشاك والرواكيب لبيع حلوى المولد والمأكولات والمشروبات، ومن خلفها المراجيح والملاهي واليانصيب وكثير من ألعاب التسلية للصغار وللكبار أيضاً.



السيد علي الميرغني وكبار الخلفاء وضيوفهم في خيمة الختمية (١٩٣٨م)

لا يقل احتفال المواطنين بالمولد عن احتفالهم بالعيد خاصة احتفال اليوم الختامي وليلة قَفْلَة المولد، حيث يشهد ظهر ذلك اليوم زفة المولد التي كان يؤمها عدد غفير من المواطنين بمختلف قطاعاتهم المهنية من خياطين وجزارين

وحدادين ونجارين وحلاقين وعربجية وعتالة وتجار وغيرهم. ويركب كل أصحاب مهنة عربات كارو مستأجرة تحملهم وتحمل معداتهم، فمثلاً يحمل الجزارون السكاكين والسواطير، ويحمل الحلاقون المقصات وماكينات الحلاقة، ويحمل النجارون المناشير والشواكيش، ويحمل الترزية ماكينات الخياطة فوق عربات الكارو، وهكذا يفعل أصحاب المهن الأخرى. وتبدأ الزفة في تمام الساعة الثانية من بعد الظهر من المديرية وتجوب شوارع الخرطوم في كرنفال بهيج يشترك فيه المئات من الرجال والأطفال ركوباً على الدواب وعربات الكارو والحناطير أو سيراً على الأقدام، بينما يصطف آخرون على جانبي الطريق يشاركون بالتصفيق والهتاف. يمر الركب والكل فيه يهتف معتزاً بمهنته، إذ يهتف الخياطون "العزة لمين؟ للخياطين" ويهتف النجارون "العزة لمين؟ للنجارين" كذلك يهتف الجزارون "العزة لمين؟ للجزارين". وهكذا إلى أن يصلوا الجامع الكبير حيث يقابلهم رئيس القضاة ويخطب فيهم مباركاً ومهنئاً لهم حلول مناسبة المولد النبوي. ثم يتفرق الجمع ليعودوا وينتظموا مساءً حول حلقات النوبة والذكر، حيث المتصوفة يلازمون خيم طرقهم وشيوخهم، وغيرهم ينهلون من الروحانيات من مختلف الطرق، فهم تارة يستمعون لراتب المهدي في خيمة الأنصار، وأخرى يستمعون للمولد في خيمة الختمية، وتارة أخرى يرجحنون ويتأرجحون مع نوبات الأحمدية حيناً والقادرية حيناً آخراً، وهكذا يقضون أمسيتهم في ذكر الله ومدح رسوله (ص) حتى ساعة متأخرة من ليلة قفلة المولد.

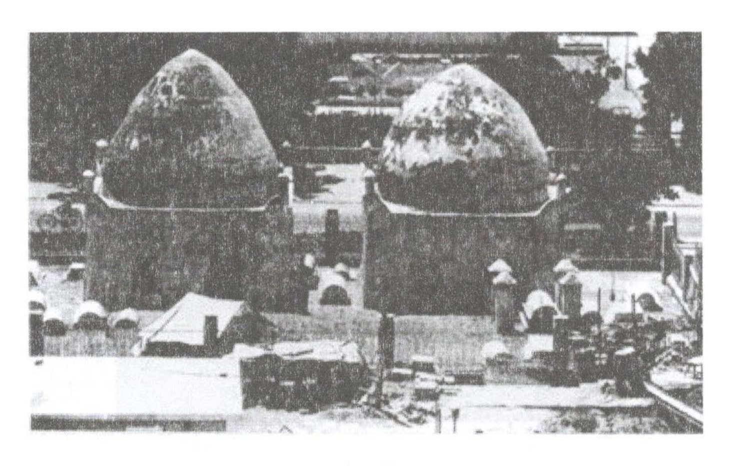
هذا بالنسبة للشيوخ وبعض الشباب، أما البعض الآخر من الشباب والصغار فتجدهم يمرحون ويلهون بين الملاهي التي تجد رواجاً واسعاً في ليالي المولد خاصة في الليلة الختامية إذ تمثل لهؤلاء النشء موسم فرح يظلون يترقبونه عاماً بعد عام.



حلاوة المولد

الأتراح والمدافن

كان أهالي منطقة الخرطوم يدفنون موتاهم قبل مجيء الأتراك في منطقة مقبرة الشيخ إمام بن محمد الفقيه المحسي الملقب حالياً بأبي جنزير والذي عاش ومات أيام دولة الفونج. وكانت هذه المقبرة قائمة في موضع جامع الخرطوم الكبير الحالي، وبعد تأسيس الخرطوم في عهد الحكم التركي استمر الدفن في هذه المقبرة التي امتدت إلى الشرق قليلاً لتشمل ناحية ميدان أبو جنزير. قامت في الطرف الشرقي منها مقابر الموظفين الأتراك والمصريين، ومن معالم هذا الطرف قبتان كبيرتان دفن تحتهما بعض حكمداري السودان المتوفين بالخرطوم. نقلت المقابر بعد ذلك إلى جنوب شرق المدينة في الموضع الذي تحتله الآن مستشفى الشعب لأمراض الصدر وكان هذا على الأرجح قبل عام ١٨٦٠م. هنالك أيضاً المقبرة المسيحية عند الطرف الجنوبي الشرقي لحلة سلامة باشا وقد أقامها منتوري المبعوث الإيطالي عام ١٨٤٣م. وبدأت في مساحة صغيرة لا تتعدى ٤٠٠ متر مربع ثم اتسعت بزيادة عدد الأوروبيين في المدينة. دفن في هذه المقبرة اراكيل بك مدير الخرطوم (١٨٥٧– ١٨٥٩م).



مدافن الأتراك بالخرطوم (القبب)

كان سكان الخرطوم عند بداية عمارتها بعد استتباب الأمر للمستعمر في بداية القرن الماضي يدفنون موتاهم في المقابر الواقعة إلى الشمال من كبرى المسلمية في منطقة مستشفى الخرطوم الحالي، ومن آثار هذه المقبرة بيان فكي وراق الموجود إلى اليوم في مستشفى الخرطوم الجديد. وعند بدء التوسع جنوب منطقة السكة حديد وقيام ديم سلمان، أول ديم يتم إنشاؤه من الديوم القديمة، اتخذ بعضُ سكانه من المنطقة الواقعة شمال شرق ديمهم مكاناً لقبر موتاهم. ومع ازدياد التوسع في الخرطوم شمال، بدأ سكان الخرطوم في دفن موتاهم في مقابر أبوجريدة، وسميت بأبي جريدة لأن أول من دفن فيها وُضِعَ على قبره جريدة من النخيل، وبالتحديد في الجزء الشمالي مما عرف لاحقاً بمقابر فاروق والواقع جنوب الديوم القديمة مباشرة، وكان ذلك في بدايات العقد الثاني من القرن الماضي. وأول من بدأ الدفن في هذه المقابر هم المصريون والشوام ولذا كان الأهالي يسمونها أحياناً بمقابر المصريين وأحياناً بمقابر الأتراك.

أما غالب سكان الديوم القديمة وسكان السجانة فكانوا يدفنون موتاهم في مقابر بلاع التي كانت تقع في الناحية الجنوبية الشرقية من السجانة، ويقوم في مكانها اليوم نادي شباب السجانة ومسجد العجيمية والعديد من الأندية

الجهوية. وسميت هذه المقابر ببلاع نسبة إلى الشيخ أحمد ود بدر الملقب ببلاع الرجال المدفون في هذه المقبرة. وبعد الانتقال إلى الديوم الجديدة وامتلاء مقابر بلاع أخذ سكان الديوم يدفنون في الناحية الجنوبية الغربية من مقابر فاروق وكان ذلك مع بداية الخمسينيات، وترجع نسبة هذه المقابر إلى الملك فاروق في أوائل الخمسينيات عندما أمر بتسويرها على نفقته ومنذ ذلك الحين أصبحت تعرف بمقابر فاروق. وهناك من يقول أن تسوير المقابر جاء بمبادرة من الخليفة عبد الجبار محمد أبو بكر التربي حيث تم تكوين لجنة لهذا الغرض برئاسته وعضوية الخليفة ميرغني محجوب وكامل الأحمدي وآخرين. وفي قول آخر أنَّ اللجنة ضمت الشيخ محمد أحمد علي شيخ الطريقة العزمية. بدأت اللجنة عملها بالاتصال بالمسؤلين وعلى رأسهم قاضي القضاة الشيخ أحمد الطاهر الذي وافق على الفكرة، ومن ثم اتصلت اللجنة بالخبير الاقتصادي المصري للمساعدة المالية وعن طريقه تم الحصول على تبرع من الحكومة المصرية. كذلك قامت اللجنة بجمع التبرعات من المواطنين ويقال إنَّ الوجيه المصري عمر طوسون ساهم بمبلغ مقدر. وبعد اكتمال بناء السور والإستراحة في نهاية الأربعينيات من القرن الماضي نُسبت المقابر بعد ذلك للملك فاروق كونه ملك مصر والسودان آنذاك.

هناك أيضاً مقابر الرميلة الواقعة إلى الجنوب الغربي من حي القوز وشرق الرميلة، يَدفِن فيها أهل الرميلة والقوز والحلة الجديدة والديوم الغربية موتاهم. كذلك توجد مقابر بُرِي الواقعة شمال غرب بُرِي المحس عند مدخل كبري القوات المسلحة، وكانت هذه المقابر تسمى مقابر ود المبارك نسبة إلى الشيخ محمد المبارك الذي توفى حوالي عام ١٨٦٠م وهو أول من دفن فيها. هذا بجانب وجود مقبرة بالمقرن في الناحية الشرقية من الحي، ومقبرتان بالجريف هما مقبرة نصر بالقلعة ومقبرة الشيطة، ومقبرة بُرِي الشريف (اللاماب) في

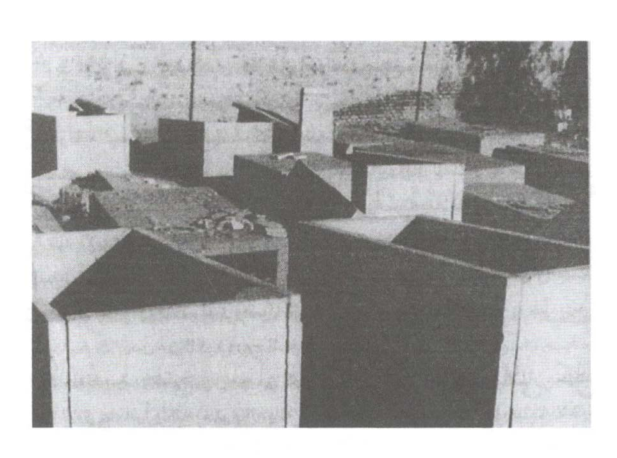
الناحية الجنوبية من الحي، ومقبرة الشجرة شمال الري المصري وشمال مصنع الاسبستوس.

بعد اتساع مدينة الخرطوم بامتداداتها الجنوبية تم تخطيط موقع للمقابر جنوب حي الصحافة في عام ١٩٨٤م، وسميت حينذاك مقبرة سلوى ثم تحول الاسم إلى مقبرة الصحافة. وتجدر الإشارةِ أيضاً إلى أن بعض أُسر الخرطوم كانوا يدفنون موتاهم في ضريح السيد المحجوب بالخرطوم بحري وفي مقبرة بري الشريف حيث يتم نقل الجنازة والمشيعين باللواري إلى تلك المقابر.



مقبرة بري اللاماب

أما مقابر غير المسلمين من المسيحيين فكانت تقع إلى الغرب من كلية الصيدلة وكلية الطب في الموقع الحالي لداخليات الطالبات. وتحول الدفن بعد ذلك إلى مقابرهم الحالية الواقعة إلى الجنوب الشرقي من تقاطع شارعي الملك نمر والطابية. كما تشتمل مقبرة الصحافة على جزء لدفن غير المسلمين. أما اليهود فكانت توجد مقابر لهم في المنطقة الواقعة بين ديم سلمان وديم سلك، ثم حُولت إلى مكانها الحالي جنوب غرب كبري الحرية.



مقبرة اليهود بالخرطوم

كما كانت أيام الفرح تمتد إلى أسابيع في الفترة من العشرينيات حتى الأربعينيات من القرن العشرين نجد أن أيام العزاء في المأتم تمتد كذلك إلى عدة أسابيع، حيث يستمر تلقي العزاء ثلاثة أسابيع (٢١ يوماً) وإلى الأربعين يوماً بالنسبة للنساء. فبنفس القدر الذي يبالغون فيه في الفرح أيضاً يبالغون فيه في الحزن. وربما كان الدافع لهذا السلوك واحد وهو سهولة الحياة والارتباط القوي بين الناس وعدم وجود ما يملأ أوقات فراغهم. فكان "برش الفراش" أي العزاء لا يرفع إلا بعد مرور عدة أسابيع على الوفاة، وأحياناً يترك العزاء مفتوحاً لحين وصول ابن أو أخ المتوفى إذا كان غائباً في سفرٍ. وخلال هذه الفترة تجد جميع أهل المتوفي وأقرباءه وجيرانه يتلقون العزاء ويترحمون على فقيدهم وينامون ليلاً على الأرض مفترشين السباتات.

يتجلى تكافل أهل الحي في أيام العزاء إذ يأتي كل فرد من أفراده بصينية الشاي في الصباح الباكر ثم صينية الغداء ثم صينية العشاء مما يخفف على أهل الميت تكاليف المأتم. هذا بالإضافة إلى الكشف الذي يَشْرِف عليه أحد الجيران ويساهم فيه كلٌ بقدرِ استطاعته المادية ويُسَلَم لأهل الميت بنهاية أيام العزاء. وعادة ما يُرفع الفراش (العزاء) بعمل الصدقة حيث يتم ذبح شاة ويعد الطعام

للفقراء والشيوخ وقارئي القرآن فتتم دعوتهم لقراءة القرآن والترحم على روح الفقيد، وتوزع عليهم قطع من قماش الدمورية الذي يشترى خصيصاً لهذه المناسبة، وتعرف هذه العملية بتوزيع الصدقة. ويتم أيضاً في نفس هذا اليوم توزيع قماش الدمورية على النساء من أهل الميت وجاراتهن المقربات لتقوم كل واحدة منهن بتفصيل ثوب وجلباب تلبسهما حداداً على الميت. وتظل هؤلاء النسوة في هذه الثياب حتى حلول الأربعين حيث تعطى كل واحدة منهن قطعة من الصابون لغسيل ثيابها وللاستحمام، وعندئذٍ ينتهي حداد أغلبهن (فك الحِدَاد) عدا قريبات الميت اللائي يستمر حدادهن لفترة أطول تستمر ستة أشهر أو سنة. وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّه يتم في مآتم بعض الأسر المقتدرة إحضار أحد الترزية ومعه ماكينة الخياطة الخاصة به إلى بيت المأتم حيث يقوم بتفصيل وخياطة ثياب الحداد لكل من تريد ذلك.

الباب الرابع

الحياة الأدبية والفنية والرياضية

الفصل الثاني عشر

الحياة الأدبية

الأدب في حقبة ما قبل دولة المهدية

من الملاحظ أنَّ محاولات الشعر العربي في عهد الحكم التركي المصري تمثل هجيناً بين العامية والفصحى، أي امتداد لما كان عليه في عهد الدولة السِنَّارية والذي عكسه كتاب طبقات ود ضيف الله.[١٣٥] ونجد أنَّ الشعر الشعبي والعامي هو الشعر السوداني الأصيل والذي استطاع أن ينقل الإحساس العفوي الصادق لإنسان ذلك الوقت. أي أنَّ القصيدة العربية بدأت شعبية أو عامية لا تخضع للغة الفصيحة.

وبشكل عام لم يسجل لنا التاريخ الكثير من الأنشطة الأدبية في مجال الشعر والنثر خلال حقبة الحكم التركي المصري عدا القليل من الشعر الذي كان يُنْظَم في مدح حكام تلك الحقبة وتم توثيقه في جريدة الوقائع المصرية. وقد ذكر عبد الهادي الصديق على لسان عزالدين الأمين ما يأتي في شأن هذا النوع من الشعر «أمَّا ما ورد إلينا من شعر فصيح مسموح بنشره وتداوله فكان جله من الشعر الزائف والذي يريد به شاعره وجه الخديوي فلا تتعدى أهميته الفنية أن تكون حبراً على ورق التاريخ - وقد اختص هذا اللون من الشعر بأنَّه شعر صِنْعَة من محسنات بديعية ولفظية والتي يستعمل فيها الشاعر عنصر العقل ويعطل جانب العاطفة».[١٣٦،١٣٧] ومثال لهذا النوع من الشعر قول الشاعر مادحاً الخديوي:

---

١٣٥ محمد النور ضيف الله، طبقات ودضيف الله، تحقيق يوسف فضل، الخرطوم، ١٩٧١.
١٣٦ عبد الهادي الصديق، أصول الشعر السوداني، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.
١٣٧ عزالدين الأمين، تراث الشعر السوداني، القاهرة، ١٩٦٩.

فالحمد لله الذي أجرى لنا ... أسبابه في عهد ذي الإحسان
ذاك الخديوي من به مصر زهت واليوم باهت سائر الأوطـان

وقد اشتهر بمثل هذا الشعر طائفة من علماء وفقهاء تلك الفترة. ومن هؤلاء الشيخ الأمين الضرير الذي مدح الجناب العالي محمد توفيق باشا بن إسماعيل باشا بقصيده نشرتها الوقائع المصرية قال فيها[١٣٨]:

الود مأدبة والصدق خوان والصادقون لدى الآداب أخوان

وجاء فيها أيضاً:

فالله يجمع هذا الجمع متبعـاً توفيـــقه وله عــز وسلطـــان
في ظل والده الممدود في عــمر وله مع الطول بالخيرات عمران
يسدي الفواضل للقوم الأفاضل لا يثنيه عما يريد الشهم شتـــان

كما هنا الشيخ أبوالقاسم أحمد هاشم الخديوي بعيد ميلاده بقصيدة نشرت أيضاً في الوقائع المصرية.

ويلاحظ أن بداية نشر إنتاج الأدباء السودانيين في الوقائع المصرية كان في عهد الحكمدار السيد جعفر مظهر (١٨٦٦- ١٨٧٣م) الذي عُرِفَ بتضلعه في العلوم الدينية والأدبية وكان مجلسه يضم الأدباء والعلماء حيث تناقش قضايا الأدب والفكر، وسرت روح حبه للعلم والأدب بين أوساط مجتمع المدينة مما زاد في تقدير الناس للعلماء والأدباء.

شهدت الخمسينيات من القرن التاسع عشر مجي رفاعة رافع بك الطهطاوي إلى الخرطوم إذ جاءها في سنة ١٨٥٣م برفقة بعض المثقفين ومكثوا فيها ثلاث سنوات بغرض إنشاء مدرسة الخرطوم. وقد سجل انطباعاته عن هذه الفترة في قصيدة نشرها في كتابه «مناهج الألباب»، وقد ذمَّ فيها السودان وأهله و لم يسلم

١٣٨ محمد عبد الرحيم، نفثات اليراع، الخرطوم.

منه طقس السودان وطعام أهل السودان وعاداتهم وتقاليدهم وألوانهم. وربما يُعزى هذا الشعور السالب في كونه جاء إلى السودان منفياً وليس مبتعثاً كما كان معلناً، هذا بجانب موت بعض رفاقه خلال هذه الفترة ويعبر عن كل هذا قائلاً:

وما السودان قط مقـام مثـلي ولا سلمـاي فيه ولا سعـــادي
بها ريح السمـوم يشـم منـه زفير لظى فـلا يطفيـــه وادي
عواصفها صبـاحاً أو مســاء ودوماً في اضطراب واضطـراد
ونصف القـوم أكثرهم وحـوش وبعض القـوم أشبـه بالجمـــاد
فلا تعجب إذا طبخوا خليطـــاً بمخ العظـم مع صـافي الرمـــاد
ولطخ الـدهن في بدن وشعـــر كدهن الإبل من جـرب القـــراد
ويضرب بالسيـاط الـزوج حتى يقال أخو بنــات في الجـــلاد
وشرح الحـال منه نصف صـدر ولا يحصـيه طـرسي أو مـدادي
ولولا البعض من عـرب لكانـوا سـواداً في سـواد في ســـواد
وحسبي فتكه بنصيف صـحبي كأن وظيفتـي لبـس الحـــداد

ثم يذكر المراد من زيارته وكيف أن السنون قد مرت دون تحقيق ذلك المراد فيقول:

ثلاث سنين بالخرطوم مرت وكيف مدارس
بدون مدارس طبق المراد
الخرطوم ترجى نعم ترجى المصانع وهي
هناك ودونها خرط القتاد
أحرى علوم الشرع قائمة لديهم
تأييد المقاصد بالمبادئ لمرغوب المعاش أو المعاد

وبالرغم من انطباع رفاعة الطهطاوي السالب عن الخرطوم فقد شهدت الفترة التي قضاها في السودان حراكاً أدبياً وثقافياً لم تعرفه المدينة ومجالسها من قبل،

فقد انتظمتها المنتديات التي كانت تضم بعض الجماعات المتجانسة من أعيان المدينة كمنتدى رفاعة الطهطاوي ومنتدى إبراهيم بك مرزوق رئيس القلم الإفرنجي بالحكمدارية ومنتديات الحكمدارين ومنتدى أحمد أفندي العوام المصري العرابي النزعة والمبعد إلى الخرطوم بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر حيث كان يدور النقاش حول الأدب والأدباء والعلم والعلماء وقضايا الساعة والأحداث الجارية في السودان.

أما الوجدان الشعبي المرتبط بالموروث الديني فقد كان متمثلاً في الشعر الشعبي الذي ضاع معظمه نتيجة للتعسف والظلم الذي كان سائداً آنذاك والإحساس بالاضطهاد الثقافي الذي نلحظه في هذه الأبيات:

اليوم أصبح ركن الدين منهدمـــاً بموت أخوانــنا في الله والعلمـــــا

وأظلمت أرضنا حقاً وقد خمدت نار الكتاب وضاع العلم وانهدما

ويستطرد صاحبها قائلاً:

وانبت ما كان موصولاً بمسجدنا من منن الخوجلي القطب وانحســـما

وانحل ما كان معقوداً بأنفسنا من السرور وأضـــحى الآن منفصمــاً

وهذا يوافق ما ذكره إحسان عباس[139] عن الأثر الصوفي والديني على الشعر السوداني منذ بدايته. في العموم لم ينقل أصحاب الشعر الفصيح مما وصل إلينا إلا بضع أبيات بينما صورها ناظمو الشعر الشعبي تصويراً لا بأس به.

ومثال من الشعر الشعبي الذي وصل إلينا من تلك الفترة قصيدة الشيخ ابن عبد الملك يرثى فيها الشريف عبد الله الريح:

مو منان أب آمنـــة الشـــريف وعفيــــف

وخصب الساحة عبد الله الخريف والصيف

هيـلا على أب قدحـــاً سبيـــــل للضيــــف

١٣٩ إحسان عباس، الشعر السوداني نظرة تقييمية، مجلة الدراسات السودانية، أكتوبر ١٩٧١.

يا سابل الستر أنت الحليم ولطيف
ويا واسع الرحاب عبد الله جاك ضعيف
شرفه في جوارك غاية التشريف
وأعطه في الجنان حد العطا ما يقيف

وأصبح نبض الوجدان الشعبي أكثر وضوحا و إبانة و فصاحة باندلا ع الثورة المهدية في بداية الثمانينيات من القرن التاسع عشر، و بروز أدباء أمثال الحسين الزهراء و محمد المجذوب والشيخ المضوي عبد الرحمن و الشيخ محمد عمر البنا. ونسوق الأمثلة على ذلك نثر و شعر الحسين الزهراء، فقد جاء في إحدى رسائله لأحد العلماء في بيان أُصول الدعوة المهدية «لا يخفى على محيط علمك أن أُصول هذا الرجل مشكلة يعز جواب إشكالها على الزمخشري محمود وفروعه كأصوله في غاية الجمود ونهاية المتانة بلا جحود»[١٤٠]. أما مثال نظمه فقصيدته التي يخاطب فيها الإمام المهدي قائلاً:

أدرت سراج الفكر في أفق خاطري فلم ألق من فيه الكمال مجمع
وما لذَّ في عيني وقلبي وقالبي ولا هاج أهوائي ضياء مضلع
ولا سامرت نفسي من الليل سمرا ولا ضمني في الدهر بيت مصرع

وتعكس القصيدة بصدق عن الانفعال الإيجابي للوجدان الوطني بشروق الثورة المهدية دون إسفاف أو ابتذال. ويواصل الشيخ الحسين الزهراء على هذا المنوال الملتزم في مدح محمد أحمد المهدي فيقول:

١٤٠ محمد عبد الرحيم، نفثات اليراع، الخرطوم.

أهاجك وصل بالأباطح يلمع	لها فيه ما شاء السراب الململمع
أم البرق في شطر العقيق ولعلع	فهاجك يا هذا العقيق ولعلع
أم الواقع المتبول بين أجادع	عليه بها طير المنية وقع
دعاك ومل النفس لولاك من ولا	به هو في البيداء واه مولع
فسامرته والليل يلهو بنفسه	وكل بكل ذي هموم موجع

ونلحظ الفصيح من القصيد في شعر الزهراء مع مزجه لشيء من العامية وأهازيجها كما أبان عبد الهادي الصديق في حديثه عن الشعر الشعبي الذي كان يأخذ صفة المقاومة للغزو التركي منذ بدايته حتى قيام الثورة المهدية وظهور القصيدة الفصيحة الداعمة للثورة، إذ يقول «واستمر هذا الشعر مع صوت الثورة المهدية حتى ظهر في صعيد القصيدة الفصحى أمثال الشاعر (الحسين الزهراء) الذي كان يمثل الوسط بين لغة الشعر الارستقراطية وبين الأهازيج الشعبية تلك.»[141] ثم جاء الشيخ محمد عمر البنا ليمتن من لبنات الشعر الفصيح ويشحذ من همم الثوار لاجتثاث الفساد والظلم ويذكرهم بفضل الجهاد، نجد كل ذلك متمثلاً في قصيدته العصماء التي تقول:

الحرب صبر واللقاء ثبات	والموت في شأن الإله حياة
الجبن عار والشجاعة هيبة	للمرء ما اقترنت بها العزمات
والصبر عند اليأس مكرمة	ومقدام الرجال تهابه الوقعات
والاقتحام إلى العدو مزية	لا يستطيع لنيلها غايات
والعمر في الدنيا له أجلٌ متى	يقضي، فليس تزيده خشيات
والفخر كل الفخر بيع النفس	لله العلي وأجرها الجنات
إن الجهاد فضيلة مرضية	شهدت بمحكم أجرها الآيات

إلى أن يقول:

١٤١ عبد الهادي الصديق، أصول الشعر السوداني، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

فانهض إلى الخرطوم إن بسوحه
أهل الغواية والمفاسد باتوا
بطروا ولاهم ثم صدوا معشراً
في الله لم تعرف لهم رغبات
وتكبرو وعتوا عتواً فائقاً
والله أكبر والسيوف هداة

و لم يكن أدباء الخرطوم في تلك الفترة بمنأى عن ما يدور خارج بلادهم إذ يسجل لنا التاريخ أيضا تفاعل هؤلاء الأدباء الملتزمون بموروثهم الديني ليس فقط بالثورة المهدية بل حتى بالثورة العرابية التي اندلعت في ارض الكنانة في تلك الفترة. فنجد الشيخ يحيى السلاوي ينظم قصيدة مستبشراً فيها بتلك الثورة ويقول:

عز العدو تشتت الأحزاب — والله ناصرنا بسيف عرابي
والقطر فيه من الرجال كفاية — في الحادثات وهم أولو الألباب
وحمية الإسلام تقضي بالوفاء — حتماً على كل امرئ أواب
ومحبة الوطن العزيز تحثهم — والفتح آذن بإتباع صواب

إرهاصات الحركة الأدبية المعاصرة

ارتبطت الحركة الأدبية المعاصرة في الخرطوم في بداياتها بكلية غردون حيث ضمت الكلية في مراحلها المختلفة عدداً من الأساتذة المصريين والشوام الذين لهم باع وشأن في الأدب العربي، مما أدى إلى تأثر الكثير من طلبة الكلية بهم وإلى اهتمام هؤلاء الطلاب بالأدب المنثور والمنظوم، وفي هذا يقول عبد الله حسين صاحب كتاب السودان القديم والجديد: «أمَّا في عهد الحكم الحاضر فإن الأدب نشأ بكلية غردون على أيدي أساتذة مصريين أجلاء اختارتهم الحكومة من خيرة

أبناء مصر علماً وفضلاً للتدريس بها فبذلوا مجهوداً عظيماً موفقاً في تعليم طلبتها العلم والأدب وثقفوا عقولهم وأضاءوا لهم سبيل الأدب وأدوا بذلك رسالة التعليم في السودان أحسن تأدية وعلى أكمل وجه. وقد تخرج على أيديهم حملة لواء الأدب في السودان الآن. ولقد ألف بعض هؤلاء الخريجين دواوين في الشعر وبعضهم في اللغة وآخرون في التاريخ. ويغذي غيرهم الصحف بمحصولهم الأدبي. ويلي هؤلاء خريجو المعهد العلمي والمدارس والذين يدرسون كتب الأدب بأنفسهم. وقد نبغ كثيرون من الشعراء والكتاب في الأدب والكتابة نبوغاً بعيد الغور.»[١٤٢] ويضيف عبد الله حسين قائلاً: « وكان لاقتناء أدباء السودان كتب الآداب المصرية أثر حميد في نفوسهم وعامل قوي على نماء ثقافتهم. ذلك أنَّ أدباء السودان يقتنون كل كتاب أدبي تخرجه المطبعة المصرية قبل أن يقتنيه المصريون ويدرسونه في شوق عظيم ودراسة عميقة بل يلتهمونه التهاماً ويشبعون أرواحهم الظامئة إلى الأدب الرفيع ثم ينسجون على منواله في النثر والنظم.»[١٤٣].
يتم فيما يأتي إلقاء الضوء على بعض أوجه الحركة الأدبية في الخرطوم.

لم يكن للخرطوم في العقد الأول من القرن العشرين شأنٌ يذكر في مجال الأدب ويعزى ذلك لقلة عدد المتعلمين من السودانيين إذ لم يتخرج منهم عدد يذكر من المدارس الحكومية التي كانت في بداية عهدها. لذا لم يظهر في هذه الفترة كتاب سودانيون على أعمدة صفحات جريدة «السودان» التي صدرت في أكتوبر ١٩٠٣م كأول صحيفة سودانية بصفتها «جريدة سياسية تجارية أدبية إخبارية زراعية». وبهذه الصفة أصبحت جريدة السودان أول منبر لنشر الإنتاج الفكري على قلته آنذاك لمواطني الخرطوم من الشريحة المستنيرة. وما لبثت إدارة الجريدة أن دعمت هذا المنبر بإنشاء مكتبة للصحف الأجنبية والأدوات المكتبية والمطبوعات أسمتها مكتبة السودان (سودان بوكشوب). تبع قيام

١٤٢ عبد الله حسين، كتاب «السودان القديم والجديد».
١٤٣ نفس المصدر السابق

مكتبة السودان إنشاء مكتبتي فيكتوريا وغردون أيضاً لتوزيع الكتب والمجلات الأجنبية. وجاءت حقبة العقد الثاني حيث بدأ أثر الخريجين من مدارس الخرطوم المختلفة في الظهور بعد أن توسعت مداركهم بقراءة الكتب والصحف الواردة من القاهرة في تلك الفترة. وفي أحد هذه المقالات دعا الكاتب والصحفي حسين شريف إلى إصدار صحيفة لنشر إنتاج الكتاب والشعراء فيقول: «إنَّ الحوادث ترشدنا والتاريخ يدلنا على أنَّ الكتاب والشعراء في كل بلد وفي كل جيل قادة الأمم والشعوب ومفتاح العقول --- وأنَّه ليس ببعيد عنا ولا غائب عن أذهاننا أمر الصحافة في هذا العصر ومنزلتها في الغرب ومصر وسيطرتها على الرأي العام وملكها لزمام الحرب والسلام، اللهم غفرانك؛ إنَّ صناعة هذا شأنها وذلك تأييدها لجديرة أن تبذل لها غالي الهمم»[١٤٤].

تبعت هذه الدعوة جهود حثيثة من بعض المهتمين بالأدب من سوريين ومصريين وسودانيين لإصدار ملحق باللغة العربية لجريدة «سودان هيرالد»١٤٥ يُعنى بالأدب العربي. وتكللت جهودهم بالنجاح في إقناع أصحاب جريدة سودان هيرالد بتبني الفكرة وإصدار «رائد السودان» في يناير ١٩١٣م كملحق عربي أسبوعي لصحيفة انجليزية. لعبت «رائد السودان» دوراً بارزاً في النهضة الأدبية والفكرية، وكان لرئيس تحريرها الأديب والشاعر السوري عبد الرحيم مصطفى قليلات[١٤٦] القدح المُعَلى في هذا الدور برعايته لتباشير النهضة الأدبية في عموم البلاد. فقد كان وثيق الصلة بأدباء ذلك الجيل من السودانيين، وكان يحثهم على الكتابة في صفحات الرائد والمشاركة في المسابقات الشعرية والأدبية التي تطرحها الجريدة.

---

١٤٤ محجوب محمد صالح، الصحافة السودانية في نصف قرن، مركز الدراسات السودانية، ١٩٧١م.

١٤٥ أنشأ الإغريقيان ساولو وخريستوفي عام ١٩١١م مطبعة فكتوريا التجارية ثم أصدرا صحيفة نصف أسبوعية «سودان هيرالد» باللغتين الأنجليزية واليونانية.

١٤٦ كان عبد الرحيم مصطفى قليلات يعمل موظفاً في مصلحة السكة حديد.

عاون قليلات في تحرير «رائد السودان» فؤاد الخطيب الشاعر السوري وأستاذ الأدب في كلية غردون وجميل الرافعي وتوفيق وهبي الأديب المصري الذي كان يعمل في سلك القضاء. نجد بجانب هؤلاء المحررين الكثير من المعاونين العرب والسودانيين من خارج مدينة الخرطوم فهناك الأديب الشاعر المصري محمد بك فاضل من عطبرة وحسن بدري من كوستي والمؤرخ محمد عبد الرحيم وعبد الرحمن أحمد من أم درمان وغيرهم كثير. وفي ذلك الشأن كتب محجوب محمد صالح مشيداً بالدور الذي لعبته جريدة رائد السودان تجاه نمو الحركة الأدبية وتطورها في تلك الفترة في مدينة الخرطوم وبقية مدن السودان بصفة عامة فيقول: «ونجد أنَّ الأدباء الذين قامت على أكتافهم الحركة الأدبية والصحفية السودانية في بدايتها كانوا يتخذون من رائد السودان منبراً لممارسة الكتابة شعراً ونثراً، وقد التقى على صفحاتها خريجو المدارس الحديثة كالشيخ عبد الله عمر البنا والشيخ عبد الله عبد الرحمن وأحمد محمد صالح وتوفيق صالح جبريل بأبائهم الذين نهلوا العلم من حلقات العلماء الدينية مثل الشيخ محمد عمر البنا مفتش المحاكم الشرعية وشيخ العلماء أبوالقاسم أحمد هاشم والشيخ بابكر بدري والشيخ عمر الأزهري.»[١٤٧]

عبد الرحيم مصطفى قليلات

كان الغرض الأساسي للشعر في العقدين الأول والثاني من القرن العشرين ينحصر في مدح المصطفى سيدنا محمد (ص)، وكانت المناسبات الدينية كالمولد النبوي ورأس السنة الهجرية وحوليات الطرق الصوفية مصادر إلهام للأدباء والشعراء ومنابر لعرض وتقديم إنتاجهم الأدبي. واستحق عبد الرحيم مصطفى قليلات في تلك الفترة لقب «شاعر المولد الأول»، فقد عُرِف في فترة

١٤٧ محجوب محمد صالح، الصحافة السودانية في نصف قرن ، مركز الدراسات السودانية، ١٩٧١م.

ما قبل الرائد عن الطريق الشعر الذي كان ينظمه وتُزَيَن به واجهات السرادقات في المولد النبوي وذلك قبل أن ينتشر التعليم والوعي بين الناس وتصبح نفس هذه السرادقات منابر شعرية وأدبية يستمع فيها الحضور لملاحم الأدباء والشعراء.

ومن شعر قليلات الذي كان يُزَيَن به واجهات السرادقات في المولد النبوي في بدايات العقد الثاني من القرن الماضي نسجل أبياته التي زانت صيوان الطريقة البرهامية:

جاد الزمـــان وزاد من تشـويقي ... وجرى دم الذكرى بكل عـروقي

يوم بمكـة أشرقت شمـس الهـدي ... وزهت نجــوم البشـر بالتأليـق

سطعت على أرض الحجـاز فنورت ... (شبه الجزيرة) واستوت (بفروق)

وسرى السنى نحو الكنانـة خافقـاً ... سنا لـواء الحـــق أي خفـــوق

يـوم به ولــــد الأمين المصطـــفى ... كنز الرسـالة ذخر كـل صدوق

يا ما أحيـلى ذكــره ذا اليــوم في ... حلقات إبراهيم فخـر دســـوق

يا رب صلِّ على الشفيع وهـــب لنا ... حسن الختام فـأنت خـير شفيق

يا ليل نحّ كراك عـــن أجفـــاني ... تالله ما أنا فيـك بالوسنـــان

لو تعلم الأطيار قـــدرك لأنثنت ... تشدو مسهدة على الأغصـان

فيك الإله حبا الزمـــان وأهلـــه ... بظهور أحمد نور كل زمـــان

من جاء بالـدين الحنيـــف وزانه ... بالعدل والمعروف والإحسـان

وأنار قلـب الجاهليـة بالهـــدى ... والصدق والتوحـيد والقـرآن

فزها بمولـــده الربيـــع وأصبـــح ... الإسلام فيه ربيـع كـل أوان

وحلا بذا اليوم المـبارك ذكــرنا ... رب الوجود بحضـرة السماني

شيخ الكرام خليفة القطب الكبير ... البار عبد القـادر الجيـــلاني

صلى الإله عليك يا خـير الورى ... يا من به شرفـــت بنو عـــدنان

أما صيوان الطريقة السمَّانية القادرية فقد كانت تُزَيِنَهُ أبياته الآتية:

كما نظم قليلات هذه الأبيات لتزيين صيوان الختمية:

أهلاً بيـــوم شفى عن عـــيد سنـى	وزهـا بميــلاد البشيــر الأحسن
ذاك النبي المصطــفى بحــر الوفـا	فخـــر الوجـود سـر كل تمـدن
العاقـــد الإيمــــان تحــت لـوائه	المنجــد الحـيران فخــر المؤمن
كنز الرسالة صاحب العلم الشريف	ونــاصر الـــدين الحنيف الأيمـن
والله لا يحلـــو الهيـــام بغــــيره	ويحـــل فيه تهتـــكي وتفنــني
فمديحـــه بيت القصيــد وقصــده	ديني وتعظيـــم الشريعـــة ديدني
ووسيلتي بعد انتهـــاج صــــراطه	ريحانة النسـب (العلي) الميرغني
وكرام أهل البيـت بيت محمــــــد	مصباح نور الكون بشر المحسـن
قسماً إذا غضـــب الزمـــان وأهله	فــأنا أنا عـــن حبهـم لا أنثـــني
صلـــى عليـــك الله جـل جـــلاله	وأعـاد هذا العيـــد بالخير الهنـي

وقد جمع قليلات الشعر الذي كان يزين به سرادقات المولد النبوي في ديوان اختار له أسم «نسمات الربيع»، واكتسب هذا الديوان شهرة واسعة بين أدباء تلك الحقبة.

وجاءت صحيفة الرائد في منتصف العقد الثاني من القرن الماضي بضروب للأدب لم يعهدها مجتمع المدينة من قبل إذ طرحت مسابقات شعرية في تشطير وتخميس بعض قصائد الشعر العربي المشهورة. وكان في ذلك صناعة شعرية متكلفة هدفت إلى شحذ قرائح الشعراء لنظم الشعر وترويضهم على انتهاج أسلوب نماذج مختارة من روائع الشعر. ويمكن القول بأن تلك الفترة كانت فترة تقليد ومحاكاة لما أُتفِقَ بجودته ورصانته من الشعر العربي. ومن الذين برعوا في هذا الضرب من الشعر في تلك الفترة من الشيوخ محمد عمر البنا وحسن عثمان بدري ومن الشباب عبد الله محمد عمر البنا وعبد الله عبد

الرحمن وعبد الرحمن شوقي وتوفيق صالح جبريل ومحمود أبوبكر وغيرهم. ونجد أنَّ جلَّ هؤلاء الشعراء من أبناء أم درمان أو من الذين أقاموا فيها ولكن معظمهم أرتبط بالخرطوم بالدراسة بكلية غردون التذكارية التي كان لها القدح المُعَلى في هذا المجال فقد خرجت للمجتمع الأدبي كوكبة من الأدباء والشعراء والنقاد التقليديين منهم والمجددين.

نماذج أدبية للفترة من نهاية العقد الثاني إلى نهاية العقد الثالث

توقفت جريدة رائد السودان في سنة ١٩١٨م، وظهرت بعدها جريدة «حضارة السودان» في سنة ١٩١٩م التي أفسحت مجالاً رحيباً للنشاط الأدبي فكتب فيها الكثير من الأدباء والعلماء منهم الشيخ محمد مصطفى المراغي قاضي قضاة السودان آنذاك والشيخ محمود ناصف والشيخ محمد أحمد المبارك وغيرهم من الأساتذة المصريين بكلية غردون والشاعر الأديب السوري المولد فؤاد الخطيب والذي عمل أستاذاً للأدب العربي بكلية غردون في بداية نشأتها، كما كتب فيها من أدباء الرعيل الأول الشيخ أحمد المرضي وأحمد عثمان القاضي ورئيس تحريرها حسين شريف. كما تفتحت على صفحات الحضارة في فترة العشرينيات براعم أدباء وشعراء كان لهم أثر عظيم في النهضة التي تلت ذلك العهد أمثال عبد الله محمد عمر البنا وأحمد محمد صالح وعبد الرحمن شوقي والأمين علي مدني ومدثر البوشي وحسين منصور وحمزة الملك طمبل وغيرهم من خريجي كلية غردون التذكارية والمدارس الأخرى. يأتي افتتاح مكتبة البازار السوداني في عام ١٩٢٠م كأول مكتبة لبيع الكتب والصحف العربية مكملاً للمنبر المقروء الذي وفرته جريدة حضارة السودان للأدباء في نهاية العقد الثاني من القرن الماضي.

محمد أحمد المبارك

من الشعراء الذين شهدتهم الخرطوم في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين الشاعر الشيخ محمد أحمد المبارك من الأساتذة المصريين بكلية غردون، ومما نظمه مرثية للأستاذ عبد المجيد بك إبراهيم ناظر مدرسة القضاء الشرعي والمعلمين بكلية غردون والذي حدثت وفاته في فبراير من العام ١٩١٩م، ويستهلها بقوله:

طـال عهـد الرحيـل بالغرباء مذ تناءوا عن صفـوة القـرباء

وتولـت أيام أنسهـم البيـض كأن لم يكـن لهم مـن بقـاء

يا تـرى هل مقـامهم لنعيـم ألفـوه في بعدهـم أو شقـاء

ليت شعري هل يرسلوني رسولاً مـن لـدنهم مبشـراً بلقـاء

ومعيداً عهـد السـرور إلينـا بعـد ما طـال عهـدنا بالبكاء

أم يدومـون في ونىً وسكـوت لا يبـالون بارتفـاع النـداء

لهف نفسي لطـامع فـي بقـاء هو في الأصل عين ذلك الفناء

لا يطيـب المقـام في دار شحناء ولا دار شقـوة وبـلاء

ثم يسرد مناقب الفقيد وأفضاله ويتحسر على فقده فيقول:

حكـم الله بالفنـاء على الخـلق جميعـاً فوجهـه ذو البقـاء

فافعلـوا الخـير ما استطعتم إليـه من سبيل كسابقي الأتقـياء

اقتدوا بالفقيد في صالح الأعمال والرفـق والتقـي والإبـاء

كان ذا رقـة وعطـف ولـين واهتمـام براحـة الأصدقـاء

رب يـوم حسبتـه فيـه كالنار استعاراً وجدته كالمـاء

عـاش في عـالم الجفـاء زمـاناً كـان فيـه نموذجـاً للوفـاء

جمـع الفضـل والمـروءة والنبل كمـا حـاز طيبـات الثنـاء

هكذا تنضـج المـواهب في مصر بـلاد النبـوغ والنبغـاء

واصل الليل بالنهـار اجتهـاداً في سبيل الوصـول للعلـياء

غير إنَّ المنى تسوق المنايا | فقضى نحبه مع الشهداء
فقدته (كلية) سار فيها | سير من يعرف الدواء للأدواء
فقدته مصر، وسودان مصر | ومضى متعباً بداء عياء
وبكاه الشباب والخلق السمح | وخير الرجال قبل النساء

فؤاد الخطيب

عاد الشاعر والأديب السوري فؤاد الخطيب إلى الخرطوم في مستهل العشرينات بعد غياب امتد لسنوات عديدة قضاها متنقلاً بين الشام والحجاز بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها. عاد بعد أن تلاشت أحلامه في قيام كيان عربي موحد بعد جلاء الأتراك عن البلاد العربية، وكان الخطيب كما سبق ذكره قد عمل مدرساً في كلية غردون في بداية نشأتها «فأحبه تلاميذه وأعجبوا به وتأثروا بنزعته الأدبية وبطريقته في معالجة الشعر الجزل»[١٤٨]. وبعودته تَحَلَّق حوله أدباء وشعراء المدينة واحتفلت بمقدمه المنتديات الأدبية فأقيمت الليالي الشعرية. ونشرت له جريدة حضارة السودان في ٢٧ يناير ١٩٢١م قصيدة عصماء نظمها بعد عودته ضمنها كل ما اعتلج في نفسه من ألم وحسرة على ما آل إليه حال بلاده الشام بعد أن احتلها الفرنسيون مما دفعه إلى اعتزال السياسة والرجوع إلى دنيا الشعر والأدب، ويبدأ القصيدة قائلاً:

نحِّ المدام ودعني أيها الساقي | هيهات تبرد من وجدي وأشواقي
تأبى اللواعج إلا أن تحملني | ما كان من عنت منها وإرهاق
كيف السلو وحولي كل نائحة | في الحي ماتحة من ذوب أماقي
وما فزعت إلى صبر أعوذ به | إلا علقت بحبل منه أحذاق
من مبلغ القوم شطت دارهم ونأوا | أني رجعت إلى شعري وأوراقي

١٤٨ حسن نجيلة، ملامح من المجتمع السوداني، مكتبة الحياة، بيروت.

عفت السياسة حتى ما ألم بها وقد رددت عليها كل ميثاق
فإنها جشمتني كل غائلة وإنها كلفتني غير أخلاقي !
وفتية من عتاة الدهر مطبقة على الشام بأغلال وأطواق
تعنو الرقاب ولا تعنو النفوس لهم شتان ما بين أرواح وأعناق
كم قائم بينهم بالأمر معتسف في حندس من ظلام الغي غساق
فما يثوب إلى رأي ولا عمل إلا تخبط في عجز وإخفاق
ولا تمر به الأوهام سانحة إلا تصدع من ذعر وإشفاق !
لله در قوافٍ كنت أنفثها وقد نأيت. ولكن سمها باقي !
ينساب في دم طاغيهم وفاجرهم منها، وتعجز عنه حيلة الراقي !

ويشير حسن نجيلة[149] للأثر البالغ الذي تركته هذه القصيدة على شعراء تلك الفترة خاصة أولئك الذين تتلمذوا على يدي الخطيب مما حدا بأحدهم وهو عبد الله محمد عمر البنا بأن يتجاوب معه بقصيدة ميمية يبدأها بأسلوب الشعر العربي التقليدي مغازلاً:

سقيت يا ربع إن ضنت يد الريم .بمدمع الصب ممزوجاً بفضل دم
ولا سقيت – وقد جشمته حرقاً أفضت به حدثاً للشيب والهرم
اهرقت من دمعه ما كان يحبسه من الحياءومحض الفضل والكرم
ما مر ذكر الألى كانوا به سكنوا إلا وقد مر معسول الحيا بفمي

ثم يخاطب أستاذه فؤاد الخطيب مادحاً ومواسياً:

لي أسوة بالذي مازال مضطلعاً بالمجد ينشده في الحل والحرم
بابن الخطيب فؤاد وهو من خضعت لقوله نافرات الشعر والحكم
فيا أديب الورى إنّا على ظمأ وأنت من فضله يروى لكل ظمي
يا من ترحلت تبغي المجد مغترباً تجتاز من علم منه إلى علم

١٤٩ حسن نجيلة، ملامح من المجتمع السوداني، مكتبة الحياة، بيروت.

جست البلاد فحدثتنا فهل بصرت ... عيناك بالحر في خفض وفي نعم

وقد بلوت الورى حيناً فهل علقت ... كفاك حبل ذمام غير منفصم

قالوا المنافق (دهري) وقد صدقوا ... فعابد الدهر منسوب إلى صنم

ظنوا الضراعة أس المجد فامتهنوا ... من الغرائب جلب الذل للشمم

ويختم البنا قصيدته مرحباً بعودة أستاذه الخطيب إلى دنيا الشعر والأدب وإلى الخرطوم:

فارجع إلى الشعر وارتع في محاسنه ... فالشعر يكشف ما بالمرء من غمم

وانشر جواهر قد أحكمت صنعتها ... لرفعة العلم والآداب والشيم

لما ترحلت ظل القطر مكتئباً ... وأصبحت لغة القرآن في بكم

فالآن إذ عدت عاد الخير وابتهجت ... بك البلاد وأبدت خير مبتسم

وقمت انطق عنها بالثناء فلم ... يقم بمعشار ما يحوي علاك فمي

ويسوق حسن نجيلة في ملامح من المجتمع السوداني قصيدة أخرى للشاعر فؤاد الخطيب ألقاها في إحدى الليالي الأدبية التي اشتهر بها آنذاك النادي المصري بالخرطوم، وكان موضوع القصيدة عن تقنية التصوير الفوتوغرافي الذي عرفه أهل الخرطوم لأول مرة في نهاية العقد الثاني من القرن الماضي. ونشرت جريدة حضارة السودان القصيدة مع مقدمة في غاية الروعة والإبداع كتبها رئيس التحرير حسين شريف قال فيها:

«تكرم حضرة الشاعر المبدع الكبير والكاتب المتفنن الخطير الأستاذ فؤاد الخطيب فطوق جيد الحضارة بيتيمة الشعر العصماء وآية العربية البينة على غزارة ما تمتلكه من ثورة وغناء تستطيع أن تخوض بها غمار المدينة الحديثة غير مجهدة تصوغ لمبتكراتها العجيبة أسماء صريحة ليست بدخيلة تضفي على معجزات الغرب حُللاً من بدائع العرب فتصف البخار كما تصف الجمال

وتنعت الكهرباء ومتصرفاتها كما كانت تنعت الطبيعة ومشاهداتها وتسلك في التعبير عن غرائب المستخدمات العصرية في نفس الطريق الذي سلكته في التعبير عن حضارتها الإسلامية حين فاجأها الانتقال والتطور ......». لتجي بعد ذلك النونية التي حازت على إعجاب الأدباء:

يا من تطوع للتصوير يولينا — *يداً صناعاً وألواناً افانينا*

ترمي بعين من البلوّر صافيةً — ما شاء من هدف لمحاً وتبيينا

كأنّها دمعة المحزون حائرة — بين الجفون مشت فاستمسكت حيناً!

حتام تلتقط الأشباح سانحة — ولا تصور فيها بعض ما فينا

إني ليطمح طرفي أن يطل على — نجوى النفوس والآم المحبينا

وكيف يجري الهوى العذري في مهج — كادت تسيل دموعاً من مآقينا!

وكيف تستشعر الأشواق موقدة — بين الضلوع فتخفيها وتبدينا

ومائسات بأبراد مفوّفة — كأنها لبست ورداً ونسرينا

أوفت إليك وفي أردانها ارجٌ — فهل شهدت غصوناً أم رياحينا

فقل لقوم يرون الطيف ممتنعاً — هذا هو الطيفُ عان بين أيدينا!

كم مر منطلقاً كالبرق منصرفاً — عنهم، وغادرهم يبكون شاكينا

لقد نظرت بنور العلم مهتدياً — فكنت منه بنور الله هادينا

وتستمر القصيدة على هذا المنوال إلى خاتمتها قائلة:

وإن عجزت بسر أن تلمّ به — فَخُذه من خالد الأشعار تلقينا

هيهات تسلم من صرف الردى صور — كر الجديدين يبليها ويبلينا

صالح عبد القادر

بمجي العشرينيات أصبح الاحتفال بالليلة الختامية للمولد النبوي يمثل مهرجاناً شعرياً يتبارى فيه الشعراء في مدح المصطفى سيدنا محمد (ص) مع

الإشارة البينة والمستترة لأوضاع البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية تحت نير الاستعمار البريطاني، هذا بجانب تزيين السرادقات بأبيات الشعر العادة التي سادت منذ العقد الثاني من القرن الماضي. وفي هذا السياق نورد قصيدة ابن الخرطوم الشاعر الثائر صالح عبد القادر والتي ألقاها في الحفل الرسمي الختامي للمولد النبوي في سرادق الحكومة وكان ذلك في العام ١٩٢٣م قبيل ثورة ١٩٢٤م.

يا صاحب القرآن مشفق	الدهر خان وحلت البأساء
عطفاً على الإسلام إن شعوبه	اجتيحت وقد لعبت بها الأعداء
عاثت به أيدي الطغاة فبدلت	أزياءه فتجاهل العلماء
ما أضعف الإسلام فيما بيننا	عز النصير وضلت الآراء
حمل الزمان عليه حملة قادر	والقائمون بأمره ضعفاء
لوم يكن ديناً قوياً لانمحت	آثاره منذ خانه الإنماء

وينتهز الشاعر الثائر الفرصة لإزكاء الحماس وإلهاب الشعور ضد الاستعمار، وكان هذا دأب الشباب العاملين في الحقل الوطني السري يتخذون من المناسبات الدينية منابر لبث كراهية الاستعمار في نفوس المواطنين.

يا أمة هضم الزمان حقوقها	كم نبهتك بوعظك الحكماء
لعبت بك الأيام لعب مقامر	فتنبأت بمصير كلا الخبراء
ما نلت من أحداث دهرك راحةً	ومن الحوادث راحة وعناء
حظ الممالك والشعوب تقدم	لكن حظك شدة وعناء
فبأي حكم قد هويت و لم تزل	فيك الحياة وتحكم العقلاء
وبأي ذنب قد قتلت و لم يزل	فيك الشعور وتنطق الشعراء؟
ومن العجائب أن تموت بلادنا	جهلاً وفيها السادة والعلماء!

يا قوم قد لعبت بكم أهوائكم ... ولحتفكم قادتكم الأهواء
نمتم وما نام الزمان وأن من ... طلب العلا ما لذه الإغفاء
خارت عزائمكم فمات شعوركم ... والله يفعل ما يرى ويشاء

ويواصل الشاعر ثورته ويصف حال المسلمين عامة وضعفهم بعد أن ابتعدوا عن شرع الله ويستنهض الهمم لنصرة الإسلام والوقوف ضد انتشار الرذيلة والفساد التي أصبح لها دياراً مشرعة الأبواب في العلن لغواية الشباب. ويلقي الشاعر اللوم على علماء الدين لما آل إليه الوضع وعدم قيامهم بواجبهم نحو الدفاع عن الدين وحياضه.

هل أوهن الإسلام عن أهله ... ما أيدوه لأنهم جبناء
خانوا عهود الله لما استهجنوا ... سنن النبي فبدلو ما شاءوا
عقدوا على هدم الشريعة وحيهم ... قد أفسدوا ما أصلح الآباء

×××

ما للمساجد لا تؤم حزينة ... تبكي عليها السنة السمحاء
وديار فسق فتحت أبوابها ... علناً وبات يؤمها الأبناء
الله أكبر كم سعت أبناؤنا ... نحو النساء وكلنا شهداء
يا معشر الإسلام عفواً لم تكن ... ترضى بهذا همة شماء

×××

أهل الشريعة ما الذي نرجوه قد ... عظم المصاب بكم يطول رجاء
هذي شريعتكم تئن لضعفها ... وجميعكم بدوائها خبراء
الدين دين الله. هذا قولكم ... لكن نسيتم أنكم نصراء
يا رحمة الله العلي تنزلي ... فالمسلمون جميعهم ضعفاء

وينهي الشاعر قصيدته مبتهلاً مناجياً «صاحب الشرف الرفيع» سيدنا محمد (ص) مبيناً ومعدداً لأفضاله وخصاله، ثم يمهرها بالصلاة عليه «ما ليل دجا أو ما بدا فجر ولاح ضياء».

يا صاحب الشرف الرفيـع ومـن لـه … انتسب العلا والعـزة القعسـاء
ماذا أقـول وفيـك كـل فضيلـة … لهجت بها الكتـاب والشعراء
نـور بدا للعـالمين به الهـدى … فتفنـنت في وصفـه البلغـاء
يا معجز الحكماء والبلغاء والفصحـاء … عفـوا هكـذا العليـاء
بالحق قلـت وأنت أصـدق قـائل … واستشهدت بحديثك الحكماء

×××

أعلنـت دين الحـق بالترغيـب … والترهيب فـانقادت لك الآراء
صلى عليـك الله ما لـيل دجـا … أو مـا بدا فجـر ولاح ضيـاء

ونلحظ أن جلّ شعر صالح عبد القادر قد نحا منحى مقاومة الاستعمار واستنكار استكانة رجال الدين وضعفهم وتقاعسهم عن نصرة الدين، ومما كتب في هذا الشأن:

ألا يا هنـد قـولي أو أجـيزي … رجال الشرع صاروا كالمعيز
ألا ليت اللحى كانت حشيشاً … فتعلفهـا خيـول الإنجلـيز

ومن شعره أيضاً ما يثبت هوية الثقافة السودانية بأنّها تمازج وتلاقي الثقافة العربية والثقافات الأفريقية،[١٥٠] فيقول:

وأنا ابن وادي النيل لـو فتشتني … تجدين في بـردي بأس أسـود
تجدين مجموع الفضيلة والنـهى … تجدين حلم البيض جهل السود
ويروقني ورد الخـدود ولفتـة … الريم المهفهف وابتسام الغيـد

١٥٠ عبد الهادي الصديق، أصول الشعر السوداني، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

محي الدين جمال أبو سيف

ومن شعراء الخرطوم الذين ذاع صيتهم في العشرينيات الشاعر محي الدين جمال أبو سيف وقد كان في تلك الفترة يشكل مجموعة أدبية ضمت كل من خليل فرح وتوفيق صالح جبريل ومكاوي يعقوب وعبد الرحمن شوقي والأمين علي مدني. ومن شعر أبو سيف هذه الأبيات من قصيدة يصف فيها رفاقه من هذه المجموعة فيبدأها قائلا:

يا أيها الطيف الملم تحية ... من مدنف بك وامق مشتاق
يهوى لقاك ولو كلمحة بارق ... عجلي، تنير النفس بالإشراق
أقصتني الأيام عنك فجبتها ... سرياً لي متن الصبا الرقراق
وقطعت بيداً لو تغلغل غورها ... جند الأبالس ضلّ في الآفاق
كيف اهتديت وما ضللت كأنما ... أسمعت خفق فؤادي التواق!

ثم يتمنى الشاعر أبو سيف أن لا يطل عليهم صباح الخميس لكي لا تنقطع جلسته مع رفاقه في كنف ظلام ليلة لا تنتهي.

لا كنت يا صبح الخميس ولا بدت ... منك الغزالة بالسنا البراق
لوددت لو أن الليالي كلها ... تدني إلي بطانتي ورفاقي
وودت لا شمس النهار مطلةً ... يوماً، ولا ذهب الأصيل بباقي
فأعيش في كنف الظلام تسودني ... فيه السكينة والجلال الواقي
وتعيد لي ذكرى مراتع جيرتي ... ومآلف الأهواء والأشواق
حيث الحضارة والنضارة والصبا ... ومجال آمال الشباب الراقي
مع فتية عقدوا الوفاء لواءهم ... برواجح الأحلام والأخلاق
وتعهدوا غرس الولاء بمجمع ... جمع القلوب على هدى ووفاق
وتقاسموا نوب الزمان بأنفس ... خلصت نجيا من ريا ونفاق

خليل فرح

رغم أن خليل فرح اشتهر بشعره الغنائي إلا أن له الكثير من القصائد الفصيحة التي نظمها في العشرينيات، ومنها قصيدة وطنية أهداها للثائر عبيد حاج الأمين أحد رموز ثورة ١٩٢٤م. وتقول بعض أبيات هذه القصيدة:

وقفٌ عليك وأن نأيتِ فؤادي ... سيان قربي في الهوى وبعادي
يا دار عاتكتي ومهدَ صبابتي ... ومثارَ أهوائي وأصلَ رشادي
كم في سمائك للنبوغ وفي ثرى ... واديك كم للعبقرية لا وادي
لك كالطبيعة في الخمائل روعة ... وعليك من سحب الجلال هوادي

ويواصل ممتدحاً الآباء الذين «قضوا شوقاً» وهم يذودون عن الديار التي لها عليهم الكثير من الأيادي البيضاء، ويمتدح أيضاً الأبناء الذين زانوا «بطلعتهم ربيع النادي»[151] ثقافة وعلماً وهم «متشابهون لدى العراك» لا تلين لهم قناة.

رعياً لآباءٍ قضوا شوقا وما ... خفيت عليهم منك بيضُ أيادي
وافى الربيع وفي ربوعك فتيةٌ ... كانوا بطلعتهم ربيع النادي
زهرٌ كأن وجوههم من نبلها ... زهر الكواكب للعيون بوادي
أبناء يعرب حيث مجد ربيعة ... وبنو الجزيرة حيث بيت أياد
متشابهون لدى العراك كأنما ... نبتت رماحهم مع الأجساد
ماذا يقول المرجفون وكلنا ... في الله والأوطان أهل جهاد
أصحاب مائدة وأسرة منزل ... ونتاج باديةٍ وفتية وادي !
هذي ديارهم وتلك ربوعهم ... فسقى ثرى واديك صوبُ عهاد

---

١٥١ المقصود هو نادي الخريجين.



خليل أفندي فرح بدري

وقد عرف عن خليل فرح ارتياده للعديد من المنتديات الأدبية ومن بين المنتديات التي كان يواظب على حضورها ديوان ومنتدي يتكون من مثقفي وخريجي كلية غردون ويضم المهندس أحمد سكر والمهندس يوسف التني وأحمد محمد صالح المطبعجي وعبد القادر سليمان وحسن غندور. كما كان من المشاركين في منتدي آخر تعقد فيه الندوات الأدبية بمنزل عبد اللطيف محمد أبو بكر التربي ويحضره بجانب صاحب المنتدى شقيقه عبد الله محمد أبو بكر ومحمد إبراهيم علي ومحمد خير الرضي وأحمد محمد صالح. وكان هناك منتدى يعقد في حديقة الشيخ أبو حسبو الواقعة آنذاك في مكان دار الرياضة الحالي ومن بين *المشاركين فيه بجانب الخليل كل من حامد البدري وحامد عبد الرحمن وأحمد* محمد صالح ومحمد أحمد محجوب وغيرهم.[١٥٢]

نماذج أدبية للفترة من العقد الرابع إلى العقد السادس (عصر النهضة)

بمجي حقبة الثلاثينيات نجد أنَّ الحركة الأدبية في مدينة الخرطوم قد ازدادت نشاطاً وازدهارا وتمثل ذلك في صدور أول مجلة أدبية. إذ شهدت الخرطوم في عام ١٩٣١م صدور «مجلة النهضة» أول مجلة أدبية أسبوعية وقد

١٥٢ نادر أحمد الشريف الحبيب، ملوك أم در، الخرطوم، ٢٠١٢م.

أشرف على نشر وتحرير هذه المجلة محمد عباس أبوالريش وكان قد أنشأ مكتبة النهضة قبل صدور المجلة. وبصدور مجلة النهضة أصبح للمثقفين مجلة تنشر دراساتهم وإنتاجهم في مجالات الأدب والعلوم الاجتماعية. وممن كتب في النهضة بجانب رئيس تحريرها محمد عباس أبوالريش كل من عرفات محمد عبد الله ومحمد أحمد محجوب وعبد الله عشري وشقيقه محمد عشري الصديق وعبد الحليم محمد ويوسف التني وقد عرف هؤلاء لاحقاً بمجموعة الفجر، أيضاً كتب فيها علي عبد الرحمن وتوفيق صالح جبريل وغيرهم. توقفت مجلة النهضة بموت صاحبها محمد عباس أبوالريش بنهاية عام ١٩٣٢م. أعقب ذلك صدور عدد من المجلات الأدبية أهمها مجلة مرآة السودان (١٩٣٣-١٩٥٨م) أصدرها سليمان كشة، ومجلة الفجر (١٩٣٤-١٩٣٧م) أصدرها عرفات محمد عبد الله.

كان صدور المجلات الأدبية في الثلاثينيات ثمرة لحراك فكري وأدبي ساد مجتمع مدينة الخرطوم والعاصمة المثلثة ككل تمثل في الحلقات والجمعيات الأدبية التي انتظمت تجمعات الخريجين آنذاك. شهدت الخرطوم في هذه الفترة نموا عمرانياً مُضطّردا مما جذب الكثير من ذوي العقول النيّرة للإقامة بها بغرض الدراسة والعمل. وفي طليعة هؤلاء محمد أحمد محجوب وعبد الحليم محمد عبد الحليم، ثمّ لحق بهم عبد الله الطيب ومحمد المهدي المجذوب ومصطفى عوض الكريم وغيرهم من الأدباء والمفكرين. وازدادت حبات العقد الفريد عدداً ونضاراً بانتقال هؤلاء الأدباء والشعراء إلى مدينة الخرطوم وتواصلت الأجيال بدءاً من رواد الحركة الأدبية بالمدينة في العشرينات أمثال محمد عباس أبوالريش وصالح عبد القادر وسليمان كشة وخليل فرح ومحي الدين جمال أبو سيف ومروراً بمحمد أحمد محجوب و محمد عبد الحليم وعبد الماجد أبوحسبو وجمال محمد أحمد وعبد الله الطيب ومحمد المهدي المجذوب ومنير صالح عبد القادر وسعد

الدين فوزي ومصطفى عوض الكريم وإنتهاءاً بمحمد إبراهيم الشوش ومحمد الواثق والحبر يوسف نور الدائم ومحمد عبد الحي وملكة الدار محمد وحبات العقد متواصلة من جيل لآخر.

محمد أحمد محجوب

يعتبر الشاعر والناقد محمد أحمد محجوب من مجموعة أدباء الثلاثينيات المجددين آنذاك وإن أُطْلِق عليهم فيما بعد جيل التقليد الثاني. عُرِفت هذه المجموعة بمجموعة كُتَاب مجلة الفجر والتي اشتملت بجانب محمد أحمد محجوب على كل من عرفات محمد عبد الله وعبد الله عشري ومحمد عشري الصديق وعبد الحليم محمد ويوسف مصطفى التني وأحمد محمد صالح. سعى محمد أحمد محجوب والكثيرون من رفاقه لتحقيق مفهوم «الأدب السوداني» الذي نادى به من قبل حمزة الملك طمبل على صفحات الحضارة، وقد أطر لهدا المفهوم بقوله «أن تكون حركة فكرية تحترم شعائر الدين الإسلامي الحنيف وتعمل على هداه وأن تكون عربية المظهر في لغتها وذوقها مستلهمة في كل ذلك تاريخ هذه البلاد الماضي والحاضر مستبقية بطبيعتها وعادات وتقاليد وأخلاق أهلها متسامية بكل ذلك نحو إيجاد أدب قومي صحيح»[١٥٣]. ويسوق الحجة لهذه الدعوة بقوله «ثقافة الأمة تتأثر بالبيئة والأخلاق كما تتأثر بطبيعة البلاد فطبيعة الإقليم وجوه وما يحدق به من مؤثرات بعيدة الأثر في تكييف أخلاق السكان -فرجل الصحراء لا بد له من أن يتحلى بالصدق والوفاء ليصدقه الآخرون ويوفون معه فيخلق بذلك جواً من الوفاء والصفاء يكفل له مقاومة صعاب الصحراء والتجول في فيافيها آمناً من سغب أو غدر»[١٥٤].

---

١٥٣ محمد احمد محجوب، الحركة الفكرية في السودان إلى أين تتجه؟، القاهرة، ١٩٣٤م.

١٥٤ نفس المصدر السابق.

هكذا كان الناقد والكاتب محمد أحمد محجوب، وبجانب مقالاته النقدية والأدبية التي بدأ بها حياته الأدبية منذ أوائل الثلاثينيات في مجلة الفجر والعديد من المجلات والصفحات الفنية في الصحف اليومية. ثم جاء كتاب «موت دنيا» والذي شاركه في تأليفه قريبه وصديقه ورفيق دربه الدكتور عبد الحليم محمد. اشتمل «موت دنيا» على مجموعة من الخواطر والذكريات في إطار توثيقي للحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية للمدينة منذ نهاية العشرينات إلى الأربعينيات.



الأستاذ محمد أحمد محجوب

أما محمد أحمد محجوب الشاعر فله من الدواوين "قلب وتجارب" و"مسبحتي ودني" و"الأندلس المفقود" التي احتوت على عشرات القصائد. وقصيدة الفردوس المفقود تمثل نموذجاً صادقاً لشاعرية المحجوب وتعكس المدرسة الأدبية التي ينتمي إليها، جاء في مقدمة القصيدة:

نزلتُ شَطكِ، بعد البينِ ولهـانا ... فذقتُ فيك من التـبريح ألـواناً
وسرتُ فيكِ، غريباً ضلَّ سامرُهُ ... داراً وشوقاً وأحـباباً وإخـواناً
فلا اللسانُ لسانُ العُرب نعرِفُهُ ... ولا الزمانُ كما كنّـا وما كـانا
ولا الخمائلُ تُشجينـا بلا بلُهـا ... ولا النخيلُ، سقاهُ الطَّلُّ، يلقانا
ولا المساجدُ يسعى في مآذِنِهـا ... مع العشيّاتِ صوتُ اللهِ رَيّـانا

ويسترسل شاعرنا في ذكر غابر أمجاد الفردوس الذي فقده العرب ويعني به الأندلس فيقول:

كم فارسٍ فيك أوفى المجدَ شرعتَهُ ... وأورد الخيــلَ وديــاناً وشطآناً

وشــاد للعُربِ أمجــاداً مــؤثّلةً ... دانت لسطوته الدنيــا ومــا دَانا

وهَلْهلَ الشعــرَ، زفزافــاً مَقاطعُــهُ ... وفجّرَ الروضَ: أطيافاً وألحــاناً

يسعى إلى الله في محــرابِهِ وَرِعــاً ... وللجمــالِ يَمدُّ الــروحَ قُــرباناً

لم يَبقَ منكِ: ســوى ذكرى تُؤرِّقُنا ... وغيرُ دارِ هوىً أصْغتْ لنجوانا

ثم يخاطب في حسرة الشاعر الأندلسي أبا الوليد بن زيدون واصفاً له حال العُربِ وكيف أصبحوا أذلة بعد أن كانت رماحهم تسد عين الشمس:

أبــا الوليــد أعِنّي ضــاع تــالدُنا ... وقد تَناوحَ أحجــاراً وجُــدراناً

هذي فلسطينُ كادتْ، والوغى دولٌ ... تكونُ أندلساً أخرى وأحــزاناً

كنّا سُراةً تُخيف الكــونَ وحــدتُنا ... واليومَ صرْنا لأهــلِ الشركِ عُبداناً

نغدو على الذلِّ، أحــزاباً مُفــرقةً ... ونحن كنّا لحــزب اللهِ فرســاناً

رماحُنا في جبين الشمسِ مُشــرَعةٌ ... والأرضُ كانت لخيل العُرب ميداناً

وينهي المحجوب قصيدته مؤكداً لأبي الوليد بأنَّهم قد عقدوا العزم على تغيير هذا الواقع المرير وما النصر ببعيد فعلاماته بدت تلوح في الأفق:

أبا الوليــدِ، عَقَدنا العــزمَ أنّ لنــا ... في غَمــرةِ الثأر ميعاداً وبرهــاناً

الجرحُ وحّــدَنا والثــأرُ جَمَّعنــا ... للنـصر فيه إراداتٍ ووجــداناً

لهفي على «القدسِ» في البأساء دامية ... نفديكِ يا قدسُ أرواحاً وأبداناً

سنجعــل الأرضَ بركــاناً نُفجّــرهُ ... في وجه باغٍ يراه اللهُ شيطــاناً

ويُنتسى العارُ في رأد الضحــى فَنَرى ... أنّ العــروبةَ تبني مجــدها الآنا

يصف الشاعر محمد المهدي المجذوب مجيئه إلى الخرطوم قائلاً «وانتقلت بعد الخلوة القرآنية في (الدامر) إلى مدارس الحكومة في الخرطوم، حتى تخرجت من كلية غردون .....»[155]. ويصف شعره بقوله «ليس لي مذهب شعري، فقد حاولت التعبير عن نفسي بصدق، و لم انتمي إلى مذهب نقدي، و لم أجعل اللغة غاية، وأخشاها، وأشتهي الخروج على قوانينها الصارمة، ولا أعرف تقطيع البيت على التفاعيل، ومازلت أتعجب في من يطيق هذا التركيب وأشهد له بالبراعة»[156]. وهو في كل هذا مختلف تماماً عن ابن عمومته عبد الله الطيب الذي ما برح يدافع عن قواعد اللغة العربية وينفر عن كل نظم لا يلتزم بالمألوف من عروض الشعر وذلك حسب ما جاء في قول الأخير «حاولت الشعر التارك للقوافي ولمألوف الأوزان تحت تأثير الفتنة ببعض ما كنا نقرأ في الشعر الإنجليزي وأنا في آخر العقد الثاني وأوائل الثالث. ثم نفرت النفس عن ذلك نفوراً. وزعم أحد المعاصرين النجباء أن شعر مسرحية البرامكة من أسلوب الشعر الحر. وهذا غير صحيح إذ لا يخلو بيت منها من سير الأعاريض المألوفات»[157]. وكان لمحمد المهدي المجذوب ديوانٌ أدبيٌ عامرٌ بالشعراء والأدباء في فترة الستينيات من القرن الماضي، وقد تأثر به عدد من الشعراء الشباب في تلك الفترة.

نظم المجذوب في العام ١٩٥١م قصيدة «من نافذة القطار» وصف فيها رحلة قام بها بالقطار من بورتسودان إلى محطة أوبو وكمسانه بين تلال البحر الأحمر، وقد بدأها قائلاً:

---

١٥٥ محمد المهدي المجذوب، نار المجاذيب، دار الجيل - بيروت وشركة المكتبة الأهلية - الخرطوم، ١٩٨٢م.

١٥٦ نفس المصدر السابق.

١٥٧ عبد الله الطيب، إصداء النيل، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الخامسة، ١٩٩٢م.

تلك أُوبُـــو وهـــذه كمســـانه ألهَمَ اللهُ كـلَّ شـيء بيـــانه

بعيُـوني ترى الحيـــاةُ وتهــوى ذاتَهـــا بين حـيرة وإبـــانَه

الضحى نائمُ الظـلال... وللنبـع خرِيرٌ..... وللحياة استكانَة

أسمع الماءَ في الغصون وقد سلسل، ملءَ اخضـــرارها، خَفَقـــانَه

والأرَاكُ الغضيضُ، يعتنق الصخرَ، ولَيـــدٌّ أذَاقَ شيخـاً حَنَـانَه

والحصى في الرمال بِيضاً يُبَـاري الزهرَ للفجر حَاشِداً مِهرَجَانَه

ويصف مسير القطار معكراً سكون تلك الجبال والتلال برعيده وصفيره وانداياح دخانه بجميع الآفاق، ويشبهه بالمارد الذي انطلق من بحر المالح مهدداً أمن تلك الجهات كما يفعل ذكر الأفعى عندما يفقد أُنثاه، فيقول:

والقطـارُ المشيـخُ ينفِضُ جنبيـهِ ويَرقَى كهـائم ذي لُبَـانَه

عَبَسَت فوقَهُ الذرى ... والجلاميدُ حَوَالَيه حانقَّاتُ الرزَّانَه

نَظَرت منه مـــارِداً زفَّه (المالِـحُ) يُلقِــي بأَمنِهـــا أُفعُـــوَانَه

صَارِخاً يأَكلُ الطريقَ وينسَــاحُ مفيضــاً بكـل أُفقٍ دُخَانَه

رَمَقَتهُ الذُّرى كما يرمُقُ الصَيَّـادُ وحشــاً جُفُولَه واكتنــانَه

رَجَّعت زَمْرَهُ كما رَجَّعَ المحزونُ قـسراً نُواحَـه واضغَـانَه

فَاتَهـــا رنَّ جَـرسُه مَرِحَ الذَّيلِ إذا مـــا التوى الطَّريقُ ألانَه

سَالَ في قيدهِ مُعِيناً وما أَعلَـم قَيـــداً عـلى أسـير أعـــانَه

وتتجلى خلفية محمد المهدي المجذوب الدينية الصوفية في قصيدة المولد والتي نظمها في عام ١٩٥٧م. فشاعرنا منذ عهد باكر شب على نار القرآن في دامر المجذوب حيث دفع به أبوه منذ طفولته الباكرة إلى ضوء هذه النار المباركة ليتتلمذ على يدي الشيخ محمد ود الطاهر المجذوب. ويثمر مخزون تلك

السنوات شعراً صوفياً جاءت أغلب لحظات ميلاده بمدينة الخرطوم وتغنت به لياليها زمناً طويلاً.

صَلِّي يا ربِّ على المُدثِّرِ

وتجاوز عن ذُنوبي

وأَعِنِّي يا إِلهي

بمتابٍ أكبَرِ

فزماني وَلِعٌ بالمُنكَرِ

×××

دَرَجَ الناسُ على غيرِ الهُدى

وتعادَوا شَهَواتِ

وتمادَوا

لا يبالون وقد عاشوا الرَّدَى

جنحوا للسلم أم ضاعُوا سُدَى

ويسبح الله الواحد الأحد ويعدد نعمه على عباده ويذكر نعمته على عباده بإرساله النذير والبشير (ص) والذي لولاه لما عرف الناس التوحيد، فيقول:

رَبِّ سبحانك مُختاراً قَدِيَراً

أنت هَيَّأت القَدر

ثمُ أَرسلتَ نذيراً ... لِلبَشر

آية منكَ ونُورَا

×××

هو عَينُ اللهِ لولا ضوؤُه

لم نرَ الباريَ في شَتَّى الصُوَر،

جَعَلَ الموتَ رَجاءَ ... وبَقَاءَ

وغِرَاساً منه لا يَفنَى الثّمر

ويسترسل في مدح خير البشر بعد الصلاة عليه، قائلاً:

صَلِّي يا ربِّ على خيرِ البَشر

الذي أسرَجَ في لَيلِ حِرَاءِ

قمراً أزهَرَ من بَدرِ السَّمَاءِ

يقرأُ الناسُ على أَضوَائه

حكمة الخَلقِ وأَسرَارَ البَقَاء ...

... مِن إله قد هَدَى بالقَلَم

علَّمَ الإنسَانَ مَا لَم يَعلَمِ

xxx

صلِّي يا ربَّ على المُدَثِّرِ

وتَجاوَز عن ذُنُوبي وأغفِرِ

وأَعِنِّي يا إِلهي بمَتَابٍ أكبر

ثم يصف ليلة ختمة المولد «بسر الليالي» وصَوَّر كيف أنَّ ميدان المولد بميدان عبد المنعم قد ازدان بالخيام والسرادق والبيارق، وعَمُرَت حلقات الذكر بالذاكرين والمادحين وإيقاعات الطبول التي تدعو الجميع إلى دخول الحلقة، يهتزون وجداً وشوقاً بذكر المصطفى (ص) في حضورٍ تعجز الكلمات عن وصفه:

ليلة المولدِ ياسِرَّ اللّيَّالي

والجمال

وربيعاً فَتَنَ الأَنفُسَ بالسِّحرِ الحَلالِ

وطني المسلمُ في ظِلِّكَ مَشبُوبُ الخَيَالِ

طافَ بالصَّارِي الذي أَثمر عُنقُود سَنَى

كالثُّرَيَّا

ونَضَا عن فتنَةِ الحُسنِ الحِجَابَا

ومَضَى يُخرِجُه زِيّاً فَزِيَّا

×××

وزها (ميدان عبد المنعم)

ذلك المُحسِنُ حيَّاهُ الغَمَام

بِجُمُوع تلتقي في مَوسِمِ

والخِيَام

قد تَبرَّجنَ وأَعلنَّ الهُيَام

×××

وهُنَا حلقةُ شيخ يرجَحِنُّ

يضرِبُ النُّوبةَ ضرباً فتئِنُّ

وتُرِنُّ

ثُم ترفضُّ هديراً أو تُجَنُّ

ورغم جذوة «نار المجاذيب» التي تضيءُ الكثير من قصائد المجذوب إلا أن عدم الرضى والشعور بالإحباط يلازم الكثير من قصائده، فنجد في قصيدته «إلى أين» مثالاً للسخرية والتهكم:

أستدبرُ الوطنَ القاسي إلى وطـنٍ   لم يعرف اليأسَ أهلُوه ولا حَقَدُوا

فيه العـدالةُ أَخـلاقٌ ومرحمـةٌ   وماَ السـلاحُ على قـانونه رَصَـدُ

هيهـاتَ ذلك أمـنٌ كُنتُ أَرقُبُـه   عشرين عاماً إذا مـا لاح يَتَعـدُ

سهرتُ أرقُبُ أطفالي وقد رَقَـدوا   وليس غيري في أحلامِهِـم أَحَدُ

وفي مقطوعة يصف فيها مقدم العام الميلادي ١٩٤٧م يقول محمد المهدي المجذوب:

الأُلى يدفنون يَنتظرونَ البعـث كـم ذا توقعتـه اللحـودُ

وأنا الحي لست أَحيـا ولا أرقُـب شيئاً ولا صِبـاً أستعيدُ

أعيني ترأم الورود ولكنَّ فـؤادي تمـوت فيه الـورود

أعرضت عنيَ النجـوم لها شغـل بما يصنـعُ القضاءُ المريدُ

لست حـراً ولسـت عبداً وقد ينعم بالقيد والهوان العبيد

ويحهم لا قلوبهم رجت الشوق ولا دمعهم رجته الخدود

وبهذه النظرة القاتمة اللا فرايحية يستقبل شاعرنا عامه الجديد وحتماً له أسبابه في ذلك.

نظم محمد المهدي المجذوب في مطلع شبابه قصيدة عصماء من أربعين بيتاً أمتدح بها الإمام عبد الرحمن المهدي وكان ذلك في العام ١٩٣٨م قال فيها:

بَهَرَت من جلالك الأَضـواءُ   وتحَّلت بحسنـك الآنـاءُ

أنت سرُّ الإمام أشرق في السو   دان منه الصفات والأسماءُ

عَلَوِيٌ في ضوئه يعرجُ الفـك   رُ قويّاً ولـيس فيه إنتهـاءُ

ما ثنتـه عـن المُرَادِ الليـالي   والليـالي لطامـح أعتداءُ

×××

ذكرَ الناسُ عهد والدكَ الهَـا ... دي وللحقِّ في البلاد استوَاءُ
والعوالي والبيضُ والخيلُ كالسيـ ... ل بأعرافهـا يسيـلُ اللّـواءُ
والنجوميُّ والخليلُ وحمـدآ ... نُ وعثمانُ جُنـدُه الأتقـياءُ
والنُّحاسُ المُرنُّ يهتزُّ للحـربِ ... فتجري على الطنينِ الدِّمـاءُ
وأبـا، يُرسـلُ المناشيرَ في إث ... رِ المَناشيرِ صُبحُهـا والمسـاءُ
والثياب المرقَّعـات سَحَابٌ ... من عذاب يخزَى به الأشقياءُ
هَتَكت سِترَ ظـالم مُستبِـدٍّ ... ليس تُجدى في رَتقه كـبريَاءُ

اغتيل الشيخ العلامة الطيب السرَّاج في الستينيات، إذ دخل عليه قاتله في منزله الكائن على شاطئ (أبوروف) قبالة مشرع معدية شمبات، وصُرِع الشيخ بذات السيف الذي طالما أمتشقه وصال وجال به في أحياء أم درمان القديمة. ورثا المجذوب الشيخ بقصيدة أسماها «مصرع السرِّاجي» جاء في مطلعها:

الشطُّ لا تـدنُ منه اليـوم شـطُّ دَم ... فإن ظمئت فعاقِر دَمعَ مُنتَقِم
أتبع جفونَكَ - إن أبصرت - راحِلَةً ... بين المَنـاكِبِ تُلقيهَـا إلى الظُّلَـمِ
وأقبل الفجر هـل أبـدى بنظـرته ... قصراً هنالك فوق الشـط لم يَـرِمِ
ما روعـةُ القمـم الطـولي مُجَـردةً ... من صَيحَةِ النسرِ تدعوُ الصبحَ للقمَمِ
في شاطئِ النيـل صُلبـانٌ مُفـرَّجَةٌ ... من حولها الصمتُ بُركانٌ بلا حُمَمِ
أودى السرِّاجيُّ لا الأقـلامُ مـانعةٌ ... ولاالسيـوفُ ولا البُقيـا من الذِّمَمِ
نَديمُك السيفُ كم نـاجيتَ شفـرتَه ... وكـان عندَك خِـلاًّ غـيرَ مُتَّهَـمِ
قضىَ عَلِيّاً وكـم قَاضـى به نَفَـراً ... لا يسمعون بغير السيف من حَكَـمِ

منير صالح عبد القادر

منير صالح عبد القادر الملقب بالأديب المقاتل من الأدباء الذين بدأ

بريقهم في الأربعينيات من القرن الماضي وله إسهامات أدبية ثرة في مجال الشعر، وهو أبن شاعر العشرينيات الثائر صالح عبد القادر أحد الأعضاء البارزين في جمعية اللواء الأبيض. ويعتبر منير صالح عبد القادر مؤسساً لـ «مجموعة أجزخانة العاصمة المثلثة الأدبية» التي ازدهرت بنشاطها في الخمسينيات والستينيات. ومن أعضاء هذه المجموعة الدكتور أحمد محمد علي والشاعر مصطفى سند والصحفي الأديب رحمي سليمان والشاعر كرف والصحافي الإعلامي عبد الغني جوهر. أهم أنشطة المجموعة عقد جلسات «محكمة الأدب» لمحاكمة السرقات الأدبية، ومن الأحكام التي أصدرتها هذه المحكمة برئاسة منير ضد أحد المتهمين: «التوقف عن أداء الشعر لمدة عام مع القراءة لتجويد قريضه». صدر لمنير ديوان شعري بعنوان «أشتات من أشتات»، ومن قصائد هذا الديوان قصيدة «نافذة إلى الله» والتي جاء فيها:

أأكبَرُ في الدهر أم أصغُرُ؟ وقد ذهب الجانبُ الأكبرُ
قَد انبهرت همّتي بالكفاحِ فليس تصوُّرُها يقهَر
تُصَوِّرُ لي أنّني قاصرٌ بحقٍّ وحجمي بها أقصر!
وراء الخيالِ أشدُّ الرحالَ وأبغي المحالَ... ولا أفتر
وكم من سؤالٍ وراء سؤالٍ توقّف يرنو ويستفسر
أعيش نَعَمْ وإلى غايةٍ وتمضي السنونَ ولا أشعر

بعد هذه التساؤلات والبحث عن الذات، بدأ الشاعر في رحلة التفكر والتدبر فيما حوله من كائنات ومخلوقات. ثم يتساءل عن عدم إدراكه لهذه الأشياء في الماضي رغم وقوعها في محيط إبصاره ليل نهار ...... ربما سبب ذلك هو خفة الصبا والشباب.

تفكَّرتُ في ملكوت الإلهِ عظيماً يُحسّ بما أُضمر
تفكَّرتُ في سَمْكه للسماءِ يُطرّزها ثوبُها الأزهر

تفكّرتُ في دَحْوِه للثرى ... ففي كلّ شئ له مَظهر
وكنتُ زماناً.... كثيرَ التَعْ ... جُلِ، أرنو إلى الشئِ لا أُبصر
لعلّ دواعي الصبا والشباب ... وكنت بها طائعاً أُؤْمَر
زمانَ الفؤادِ خفيف التحرُّ ... كِ، خفَّ إلى اللهوِ لا يُعزر

ثم يمضي منير مستذكراً أيام الصِّبا وهفوات الشباب وغفلته التي أَسعدته آنذاك وانتهت بفراقه لشبابه، ولكن ما علق بها من ذنوب رُصِدَت في صحائف لا سبيل لنكرانها يوم نشرها، إلا أنه لم يفقد الأمل في الغفران. وينهي قصيدته مناجياً ومتضرعاً وداعياً ربه أن يغفر له ذنوبه ويتوب عنه بقوله:

أتيناكَ ربّي بكلّ الخطايا ... فإنّ السماحَ بنا أجدر
أتيناكَ ربّي كما صُغتَنا ... نطافاً يُهذّبنا المحشر
نتوب !! وأنّي لنا أن نتوبَ ... ونمسحَ ما خَطّتِ الأَسْطُر
إذن فالرجاءُ محيطٌ بمَنْ ... يُزيل الذنوبَ ومن يقدر
فيا ربِّ إني كثيرُ الرجاءِ ... وأنتَ الذي بكَ ادَّثَّر
وأنتَ الذي لا تردّ الدعاءَ ... إليكَ تضرُّعنا الأكبر
أخاف أخاف حسابَ الحسابِ ... فإنّ المعرّة لا تُستر

وصل عباس محمود العقاد للخرطوم في يوليو من عام ١٩٤٢م في زيارة مفاجئة لم يكن مخططاً لها وشاع في تلك الفترة أنَّ سبب الزيارة هو تهديد النازيين لمصر بعد وصولهم للعلمين، وكان العقاد قد ألف كتاب «هتلر في الميزان» مما جعله في القائمة السوداء عند النازيين. مهما كان سبب الزيارة، فقد نتج عنها حراكاً ثقافياً وأدبياً في المدينة إذ عُقِدت الندوات وأُقِيمت الليالي الشعرية إحتفاءاً بالقادم. وفي ذلك نظم منير صالح عبد القادر قصيدة تقول:

حقق الله حائراتِ الأماني ... يومَ حلَّ العقّادُ بالسودان

خفقت حولهُ القلوبُ وجاشت   جيشانَ الورودِ بالأفنان
حنّ شطرُ الوادي الخصيب إلى الـ   مَنبع بعد الصدودِ والهجران
فأفقنا على ابتسام رؤى الأحـ   لام في موكب الهوى والحنان
وانتشينا من فورةِ الأمل النا   ضرِ، نشدو بأعذب الألحان
هذه مصرُ قد تدانت فأضفت   حُرًّ أثوابها على السودان

ثم يخاطب العقاد مشيداً بقلمه وأدبه وواصفاً له «بخالق النهضة الحديثة»:

أيها الشاعرُ العظيم وهذا الـ   نيلُ شدوٌ مُرمرق الألحان
فاستمع رنّةَ السرورِ بلقيا   كَ، تبارَى في رجْعها الشاطئان
كم تمنى السودانُ رؤياكَ حيناً   وَهْو يلقاكَ ذاكراً كلّ آن
قُطرُنا زهرةٌ يلوح عليها الطْل   بين الخفوتِ واللمعان
غادةٌ زانها الحياءُ فأفشى   سرَّها موكبُ الهوى والغواني
زهرةٌ كتَّمتْ سناها ولكن   فاح سرُّ العبيرِ في البستان
عجباً هذه الرسالةُ كم سا   رت بمأثور حكمةٍ وبيان
حين أودعْتَها قلائدَكَ الغرْ   رَ، فتاهت بمشرقاتِ المعاني
قلمٌ قد حمّلتَه شعلةَ العلـ   م، يؤدي رسالةَ الفنّان
هادياً للعقول في حِندس الجهـ   لِ، يُنير الطريقَ للعرفان
كاتبٌ جامحُ الخيالِ بعيدُ الرْ   رَاي، حلوُ الحديث عذبُ البيان
خالقُ النهضة الحديثةِ في الشر   ق، ستسمو على مدى الأزمان
شاعرٌ كم أثار بالشعرِ إحسا   ساً رفيعاً في قدرةٍ وافتنان

عبد الله الطيب

جاء عبد الله الطيب إلى الخرطوم في العام ١٩٣٥م بعد إكماله مراحل

التعليم الأولي والأوسط بمدارس كسلا والدامر وبربر لينضم إلى كلية غردون. ويعتبر عبد الله الطيب من شعراء الشباب في الأربعينيات. ومما لا شك فيه أنَّ عبد الله الطيب يمثل واسطة العقد الفريد لأدباء الخرطوم، وقد أثرى الأدب السوداني عامة نثراً وشعراً بدرر لا تحصى نجدها في مؤلفاته العديدة التي منها «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» و«الأحاجي السودانية» و«نافذة القطار» و«مع أبي الطيب»، وفي دواوين شعره «أصداء النيل» و«بانات رامة» و«أغاني الأصيل» و«زواج السمر». ويكتب في عام ١٩٤٥م قبيل سفره إلى بريطانيا بغرض الدراسة مودعاً الخرطوم قائلاً:

تقول وأرسلت دمعاً همولاً ... أحقاً أنت أزمعت الرحيلا
أما تنفك حلاً وارتحالاً ... فديتك لو أبَهْتَ لنا قليلاً
أبهت نسوة قد كدن مما ... تُخَبرِّهنَّ يُسلبن العقولا
وأنت كفيلهن فقلت مهلاً ... كفى بالله خالقنا كفيلاً
تولاَّني إذ الأيام سود ... وإذ أنا لا وليَّ ولا خليلاً
وبدَّلني مكان أبي وأميٍّ ... ذكاء القلب والصبر الجميلا
ألم ترَ أنني أجمعت أمري ... فأُلفَى مُزمعاً سفراً طويلاً
وداعاً أيها النيل المُفدَّى ... روابيك المُنيفة والسهولا
ألا يا حبذا داراتُ قومي ... إذا ما شمسُها جنحت أصيلاً
وسال على السيال لها شُعاعٌ ... وفي القادوس عسجَدُ أن تميلا
وحيَّا الله بالخرطوم روضاً ... بِحَيثُ تعانق النيلان نيلاً
فآلى القلب ينساها وينسى ... طوال الدَّوح فيها والنخيلا
وليلاً ساحراً فيها وأُنساً ... تحاذرُه المُدامةُ أن تصولا
يميناً إنَّ بين شعاب قلبي ... لعِبئاً من فراقكم ثقيلاً
ولو لا أنني أكرَهتُ نفسي ... علَى ذا البَينِ ما كانت ذلولاً

ولولا ما أَعُدُّ الصبر سلوى لسال الدمعُ من وجدي مسيلا

ويخاطب الخرطوم بعد عودته من غربته في عام ١٩٥٤م ولسان حاله غير لسانه يوم وداعه لها قبل أقل من عقد من الزمان قائلاً:

إلى الخرطوم من بعد اغتراب وبعد بلى الشَّهِيِّ من الشباب
وما الخرطوم داري غير أني غريبٌ حيثُما حَلَت ركابي
غريب في بلاديَ سَوفَ يَفنَى غريباً في سباسبها سرابي
دفنت بها الحَبيبَ من الأماني وبَايَنتُ القريب من الصحابِ
وآثرتُ الكتابَ فكان عَوني على الأيام والنُّوَب الصِّعاب
وأَلفيتُ الكَتابَ يَلُوحُ منه حَبِينُ اللهِ في الظُّلَم الرِّهَاب
كَتُومُ السرِّ مطويٌ حشاه على مثل ابتهاجيَ واكتئابي
يُحدِّثُني عن الأشبَاهِ وَلَّوْا فَحَولِي مَعشَرٌ مِثلُ الذئاب

ويواصل زَمَّهُ للخرطوم وأهلها حسب ما يراه منظاره منها ومنهم فيقول:

أَرى الخرطُومَ من، قَذَرٍ وَعَارٍ ومن دَنَس وإذهَانٍ وَعَاب
وزَهو مُنافقينَ لَهُم نُفُوسٌ تَبِضُ من الخيانَة والخلاب
وحُسَّادٍ إذا ما رُحتُ أَبنِي تَنادَوا بالمَعَاوِلِ للخَراب
وَشُغلٍ بالسفاسفِ وازدهاءٍ بإيثَارِ القُشُورِ عَلَى اللُّباب
فيا وطَناً طويل الحُزنِ أَمسى يُدبِّرُ أمرَهُ غَيرُ الصَّواب
أرَىَ نَهرَ الجحيم طَما ونادي بَنيكَ ألاَ هَلُمَّ إلى شرابي
فَعَبُّوا كُلهُّمُ كأنهم فيه عطاشاً فَبَشرِّهُم بعَاقبَة العَذاب
تَناسَوا كُلَّ مكرمَةٍ وَفَضلٍ ونحو المُخزيَات أُولو هباب
وما يَتزَاجَرُون عَنِ الدَّنَايَا وَقد بَرزَت تَبَرَّجُ كالقحَابِ
وَسُوِّدَ كُلُ مَأفُونٍ جَبَان عَقُورِ النَّفسِ ملعُونِ الإهابِ
تَحُفُّ به الخِبَاثُ من الأفاعِي وَتَتبَعُهُ الخِسَاس من الكِلاَب



بروفيسور عبد الله الطيب المجذوب

لا عجب أن يختار عبد الله الطيب أسم "أصداء النيل" عنواناً لأول دَواوينه رغم أنه لم يحتوي على قصيدة بهذا الاسم إذ نلحظ أن شاعرنا قد خص النيل بالكثير من نظمه منذ زمان بعيد، فنجده قد أتخذ منه موضوعاً للعشرات من قصائده ومقطوعاته وأهازيجه. ففي قصيدة روضة النيل التي نظمها في عام ١٩٤٧م يقول في مطلعها:

أشاق قَلبَك روضُ النيل ترمقه   ودُونَ ذلك آماد بعيدات
بحرٌ خضَم تضلُّ الساريات به   وَرَاءَهُ مصر والبيد التنوفات
أو تركَبُ اللُّوِحُ تمطو ذاتُ أجنِحة   بك الفضاءَ لها بالجو أَزَّات
ألا ترى الكون قد أبدى مفاتنه   وَرَفٌ بالرَّوضِ آفاق نضيرات
ترى الرب لاح إبريزُ الشعاع بها   ودُونها وهدَاتٌ مدلهمات
والغانياتُ بأثوابٍ تزركشها   تزينهنَّ شُفُوفٌ عبقريات
يخفقن كالزَّهرَ البَريِّ في مَرحٍ   أوهُنَّ في مَوجِه الزاهي فراشات
كأنَهن على بُعد وقد لَمَعتْ   شخوصُهن طَرَفٌ أو خيالات
لو قد رآهنَّ رَهِينُ المحبِسين إذن   زَهَته شوقاً إليهن الصبابات
ولو رآهن ذو نِيَّابَتَي بُرَعٍ   لما تَصَبّته أَطلالُ قديمات

والمقصود بذي النيابتين الشيخ عبد الرحيم البرعي والإشارة هنا إلى قصيدته «بالأبرق الفرد أطلال قديمات»[١٥٨]. وكان عبد الله الطيب منذ صغره ينشد

١٥٨ عبد الله الطيب، أصدا النيل، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الخامسة، ١٩٩٢م.

قصيدة البرعي هذه في ليالي المديح يوم الخميس والجمعة في حضرة الشيخ محمد مجذوب الطاهر المجذوب. وبعد هذا الوصف لغانيات رياض النيل، يحدد لنا الشاعر موضع هذه الرياض وصفاته فيقول:

وقد أَرى ملتقى النيلين في حُلُم   فَتَزدهيني إلى الخرطوم حنّات
فأحتسِي مِثلَها صِرفاً مُشَعشَعَةً   كُؤوسُها من سناها عسجديات
لدى ربوعٍ إذا افتَرَّ الربيع بها   غنَّت عنادلها تلك الخليات
فذكرتني قماري العُشَيرِ إذا   ناحت على عُشَرٍ ورقٌ شجيات

يعتبر عبد الله الطيب من الشعراء الذين وقفوا ضد الحداثة وتمترسوا بأصول الثقافة العربية والمحافظة على النموذج التقليدي للشعر العربي وشأنه في ذلك شأن شعراء العشرينيات التقليديين من خريجي كلية غردون أمثال عبد الرحمن شوقي والشيخ عبد الله عبد الرحمن والشيخ عبد الله محمد عمر البنا وأحمد محمد صالح ومحمود أبو بكر ويوسف مصطفى التني. فقد جدد عبد الله الطيب دعوة أولئك الشعراء بالعودة إلى أصول الثقافة العربية وأوزان الخليل في الشعر السوداني وحمل لواء هذه الدعوة زمناً طويلاً، وفي ذلك يقول:

ما لك والجزالة في زمان   يحب به من القول الهجين
تبين به وليس له سميع   وينظمه سواك فلا يبين
فإن ذوي الجزالة قد طواهم   لدى غبراته الزمن الخئون

سعدالدين فوزي

من الشعراء الذين برزوا في الساحة الأدبية لمدينة الخرطوم في نهاية الأربعينيات واستمر بريقه يتوهج حتى منتصف الستينيات سعدالدين إسماعيل فوزي بالرغم من أنَّ اسهاماته الأكاديمية في مجال الاقتصاد قد طغت على نشاطه الأدبي. يشابه أسلوب سعد الدين فوزي لحد كبير أسلوب أولئك الشعراء الذين

بزغ نجمهم في الأربعينيات ويختلف عنهم في المواضيع التي يَنْظُم فيها. يُستدل على ذلك بعنوان ديوانه «من وادي عبقر» وبمفرداته التي تأثرت بثقافة غربية مخلوطة بفكر تحرري لا تخطئها عين قارئ أشعاره. يقول في قصيدة «عودة إلى الكوخ»:

رأيتك كوخي في جلالكَ نائماً
فأقبلتُ أسعى نحو حضنكَ ساهماً
فهل أنتَ يا كوخي ستُكرِم نادماً
وتصفح عني إذ أتيتُكَ والدجى
رقيقٌ وضوءُ الفجرِ يبسم حالماً؟

×××

هجرتُكَ يوماً، والفؤادُ إلى العلا
طموحٌ. وقلبي كان غِراًّ مُضَلَّلاً
فعدتُ إلى الكوخ الذي كان موئلاً
يغالبني شوقي فأهزأ بالوَنَى
وأهزم ضعفي حين أُسرِعُ قادماً

×××

هنالك رأيتُ اللهوَ لألاءَ صاخباً
وأبصرتُ ملءَ العين غيداً كواعباً
فعدتُ إليكَ اليومَ سأمانَ راهباً
وما هزّني حسنٌ ولا شاقني هوىً
فذلك كونٌ قد أباح المآثما

وفي قصيدة "معركة الثلوج" يبدأ سعد الدين فوزي وصف حشود هذه المعركة قائلاً:

يا صاحبي هلاَّ شهدتَ اليومَ معركةَ الثلوجْ

حشد الحِمامُ بها وسائلَه على بِيض المروج

ومشي إلى الغابات مصطخبَ الخُطا جمَّ الضجيج

هو منجلُ الحصّادِ يقتطف الجنى قبل النضوج

كم من شبابٍ باسم الخطواتِ وثّابٍ بهيج

حُشِدوا إلى الموت الذي يسمو له حشدُ الحجيج

فوق الجواري المنشآتِ وتحت ألويةِ البروج

ويتساءل مستنكراً عن المدى الذي بلغته هذه المعركة:

حربُ الحضارةِ هذه يا صاحِ، هل بلغتْ مداها؟

تئد الذي يلد العلومَ وما تغار على حِجاها

مجنونة بالفتك طاغية تجور على فتاها

كم آلةٍ للفتك قاسيةٍ تُهدِّم من بناها

ويحٌ لعقلٍ يبتني مجداً ويهدمه سفاها

سكت النهى وتكلّم الفولاذُ - وا أسفاً - وتاها

لم يدّخرْ سهلاً ولا حَزْناً ولا أُفقاً تناهى

وينهي قصيدته متسائلاً عن عالم متحضر يسوده السلام وتزول فيه فوارق الأجناس:

أتُرى يشيد العلمُ أركانَ الحضارةِ من جديد؟

أتُرى تزول فوارقُ الأجناسِ في الزمن الرشيد؟

أتُرى تُشيد ثقافة كبرى تجلّ عن الحدود؟

لا شعب يفخر بانتصارٍ ناضحٍ بدم الجنود

أو سيّدٍ يختال في الدنيا على شرف المسود

المجد يعرفه ولكنْ في مؤازرةٍ وجْود

ونموذج آخر لشعر سعدالدين حيث ترك لخياله العنان في رسم عالم رومانسي يتمناه لنفسه ولمن يرافقه الدرب، فيقول في قصيدة "العودة إلى الوكر":

تعالي ننطلق في الليل كالآمال كالنور ....

دعي دنيا الأمس وامضي بنا من شر ديجور

خذي أجنحة الأملاك أو رفي كالعصفور

فاني قد ظمئت لعالم طلق الأسارير



الدكتور سعد الدين فوزي

نماذج أدبية للعقدين السادس والسابع (ما بعد عصر النهضة)

توالى صدور المجلات الأدبية والثقافية في فترة الخمسينيات لتزداد مساحات المنابر المقروءة لأدباء وكتاب المدينة، حيث أصدر الرشيد نايل المحامي مجلة الفكر وهي مجلة شهرية ثقافية في عام ١٩٥٤م وتوقفت في العام ١٩٥٨م. وأصدرت وزارة الثقافة والإعلام «هنا أم درمان» وهي مجلة تهتم بالآداب والفنون وترأس تحريرها كل من المبارك إبراهيم وحسان سعد الدين ومحمد

الفيتوري والهادي ميرغني وقرشي محمد الحسن. بدأت المجلة باسم «هنا أم درمان» ثم تغير إلى «الإذاعة السودانية» ثم «الإذاعة و التلفزيون» ثم «الإذاعة والتلفزيون والمسرح». أصدر عثمان على نور «مجلة القصة» في عام ١٩٥٦م وهي مجلة شهرية ثقافية، وكانت غير منتظمة في الصدور إلى أن توقفت في عام ١٩٦٠م. كما أصدر بابكر كرار في الفترة من ١٩٥٠م إلى ١٩٦٤م «مجلة الرسالة» وهي مجلة ثقافية شهرية رأس تحريرها عبد الله محمد أحمد. وصدرت في عام ١٩٦٥م مجلة الخرطوم من المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون، وترأس تحريرها في بداياتها فراج الطيب. بجانب هذه المجلات الأدبية هنالك أُخريات لم يصبن حظاً وافراً من الانتشار فتوقف معظمهن عن الصدور بعد فترة وجيزة مثل مجلة الآفاق الجديدة ومجلة القلم ومجلة الشباب.

وفي سياق المنابر الأدبية المقروءة لا يفوتنا الدور الذي لعبته الصحف السياسية و العامة، فقد انتهجت هذه الصحف ذات النهج الذي انتهجته حضارة السودان بتخصيصها لمساحات مقدرة من صفحاتها لنشر الإنتاج الأدبي والقضايا التي تعنى بشئون الأدب والأدباء وسميت هذه الصفحات في بعض الصحف بالصفحات الأدبية.

ومن هذه الصحف نذكر صحيفة «ملتقى النهرين» (١٩٣١م إلى ١٩٣٤م) و»النيل» (١٩٣٥م إلى ١٩٦٩م) وصوت السودان (١٩٤٠م) و»السودان الجديد» (١٩٤٣م إلى ١٩٧٠م) و»الأمة» (١٩٤٤م–) و»الرأي العام» (١٩٤٥م–) و»الأشقاء» (١٩٤٨م) و»التلغراف» (١٩٤٧م) و»الصراحة» (١٩٤٩م إلى ١٩٧٠م) و»أخبار الأسبوع» (١٩٥١م إلى ١٩٥٢م) و»وادي النيل» (١٩٥٢م إلى ١٩٥٣م) التي أطلق عليها اسم «العلم» بعد ذلك، و»الأيام» (١٩٥٣م–) و»أخبار الخرطوم» (١٩٥٦م إلى ١٩٥٨م) و»الصباح الجديد» (١٩٥٦م إلى ١٩٦٩م)، ثم «الثورة» (١٩٦٠م إلى ١٩٦٤م)

و «الصحافة» (١٩٦١م–)، ثم «أكتوبر» (١٩٦٥م إلى ١٩٦٩م) و «صوت الشعب» (١٩٦٥م إلى ١٩٦٦م) و «الأضواء» (١٩٦٨م–).

شهدت فترة الخمسينيات وبداية الستينيات سطوع نجم عدد من الشعراء الشباب منهم محمد الواثق والحبر يوسف نورالدائم ومحمد عبد الحي. ومع انصرام الستينيات كان كل من هؤلاء النماذج قد أصبح له رصيد من الإنتاج الشعري يبشر بميلاد شعراء سيكون لهم شأوٌ بين أدباء المدينة. كما شهدت تلك الفترة الميلاد المتأخر للأديب القاص جمال محمد أحمد.

جمال محمد أحمد

هنالك إجماع بين المهتمين بالقصة القصيرة أنّ الدبلوماسي الأديب جمال محمد أحمد من الرواد الأوائل الذين ولجوا هذا المجال. وقد تميز بأسلوب شيق وسلس يجمع بين الأُسطورة والتاريخ مما لا يترك مجالاً للقارئ سوى الانجذاب التام لأحداث القصة ولا فكاك منه إلا عندما يأذن له الراوي بذلك. ومن أشهر أعماله المطبوعة «سالي فو حمر» و «حكايات من أفريقيا» وهي عبارة عن مجموعة قصص قصيرة طبعت من «دار جامعة الخرطوم للنشر» في النصف الثاني من الستينيات. كما قام بالعديد من أعمال الترجمة منها «أفريقيا تحت أضواء جديدة» لباذل دافدسن.



جمال محمد أحمد

الحبر يوسف نورالدائم

يمثل الحبر يوسف نورالدائم امتداداً لأولئك الذين جاءوا إلى الخرطوم بغرض العلم (جامعة الخرطوم) مثله في ذلك مثل المحجوب والمجذوب وعبد الله الطيب ومحمد الواثق. تتلمذ الحبر يوسف على يد عبد الله الطيب، وبدت آثار تلك التلمذة واضحة في الأسلوب الذي انتهجه في نظم الشعر، إذ التزم بالمنهج التقليدي للشعر العربي وتمسك بأصول الثقافة العربية وعروض الخليل تماماً كما فعل عبد الله الطيب. ونأخذ مثالاً على ذلك قصيدته «تفرد وترفع» والتي جاء فيها:

سنَّار يا بلد الحبيب التابلِ ... حّياكِ فيضُ المبكرٌ الهاطلِ
هَذي تحيةُ شاعرٍ ذي مرّةٍ ... روَّى رباكِ بساكبٍ وبوابلِ
قد جاء يحمل للحبيبِ تحِّيةً ... يا بُعدَ محمولٍ له من حامل
إني حسدتُكِ إذ حويتِ مَنعّماً ... قصد الفؤاد بفتكةٍ من عاجِل
أفدي حماه وأفتديه باخلاً ... مُتمنّعاً أو باذلاً من باذل
أو ما علمتِ بأنني قد شفني ... وَجدٌ تعهّدني بدمعٍ هامل
وسَبَتني عينا جُوْذَرٍ برّاقتا ... نِ وجيدُ خشفٍ لَم يكن بالعاطل
ورمتني خَوْدٌ كاعبٌ بدلالها ... فجثوتُ مطعوناً بحدٌ ذابلِ
زعمت فتاةُ الحيّ أنْ ستكون لي ... مثلَ الحبيب ولاتَ حينَ تَماثُل
كذبتْكَ نفسُكَ إنّ تلك محلُّها ... فوق الثريا والسِّماك العازل
فارفق بنفسكَ بالرَّباب تفرَّدتْ ... وترفَّعتْ عن أن تُقاسَ بزائل
فلقد نصحتُك أن تلك محلُّها ... زلقٌ مزلةُ خابطٍ للعاذل

جزالة اللفظ وفصاحة المفردة والحفاظ على الروي مع سلامة التركيب والوزن كل هذه الخصائص تميز بها شعر الحبر يوسف نورالدائم كما توضحه الأمثلة التي نسوقها. ومن قصيدة «قلبي أسير مليكه» والتي تبدأ بقوله:

شاقَتْك أحداجٌ بواكرُ تُدفعُ   في الآل تُخفَض تارةَ أو تُرفَعُ
شَغفَ الفؤادَ ظواعنٌ مرموقةٌ   لا درَّ درٌ جوامد لا تدمع
لا درَّ درّي إن رأيتُ هوادجاً   تُحدَى ولُبّي ساكنٌ مستجمع
ولقد أُراني قبلها مُتجلّداً   ماضي الجَنان عزيمةً لا أجزع
قالت تُجادلنا وتجهد سَلْفعٌ   آأنتَ من يفري الفريَّ ويصدع ؟
عيبٌ أراكَ وأنت واحدُ دهرهِ   سَفَهاً تهيم بإثرهنَّ وتَتبع
قد قِيلَ أنّكَ حنبليٌ! حازمٌ   فإذا حبائلكَ الوثيقةُ تُقَطع
لمّا تَبَينَّ بينُها وتصرّمت   نُبئتُ أنكَ ساهد تتوجّع

ثم تأتي مرحلة الإعلان والتصريح فيقول:

يا من ملكتِ محاسنا مسموعةً   هيّا أسمعي إنّ المقالة تُسمَع
لو كان قلبي فارغاً لشغلْتِه   حسناتُكِ الحُسنى تَلَذّ وتُمَتِع
لكنما قلبي أسيرُ مليكهِ   فلغيره لا أستكين وأضرعُ
قد ضل مسعى من يُراضُ لغيرهِ   والأرض قبضتُهُ تذلّ وتَخضع

محمد عبد الحي محمود

ولد الشاعر محمد عبد الحي محمود في الخرطوم عام ١٩٤٤م واشتهر بقصيدته «العودة إلى سِنَّار». ذكر عنه محمد الواثق: «محمد عبد الحي كان أستاذاً للغة الإنجليزية وهو ناقد فطن متسع الثقافة انضم إلى ركب شعر التداعي وأضاف إليه الغموض الموغل الذي أتاه من قبل الشاعر الإنجليزي «إليوت» والذي تَشَبّه به في قصيدة «العودة إلى سِنَّار»[١٥٩]. إذ تحتشد «العودة إلى سِنَّار» بالغموض والصور الغريبة فقد جاء فيها:

١٥٩ مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين، إعداد الأمانة العامة لمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الجزء الرابع، الكويت ٢٠٠١م.

حُرّاس اللغةِ المملكة الزرقاء

ذلك يخطر في جلد الفهدِ

وهذا يسطع في قمصان الماء

أرواح أجدادي تخرج من

فضةِ أحلامِ النهر ومن

ليلِ الأسماء ....

ينتمي محمد عبد الحي إلى شعراء مدرسة الحداثة الذين ظهروا على الساحة الأدبية في نهاية الخمسينيات وفي الستينيات. مثال آخر لأشعار محمد عبد الحي قصيدة «التنين» والتي تقول:

رفرف التنّينُ في ليلِ المدينة

أخضرَ الجلدةِ وهّاجَ الشُّعَل

وأنار النهرَ، فالأصدافُ في الماء مرايا

والحصى في الرمل أزهارٌ غريبة

وهدايا

من مغارات الفراديس الرهيبة

ورآه الناسُ في غمرتهم بينَ اندهاش ووَجل.



محمد عبد الحي

المنابر الأدبية المسموعة

كان للخرطوم منابر أدبية مسموعة كما كان لها منابر أدبية مقروءة، ويحق لها أن تُباهي بكلية غردون التي مثلت منبراً دائماً لأدباء السودان عموماً. شهد هذا المنبر المتواصل منذ إنشاء كلية غردون التذكارية مروراً بكلية الخرطوم الجامعية ثم جامعة الخرطوم مولد جُلّ شعراء وأدباء السودان بدءاً من عبد الله محمد عمر البنا وعبد الله عبد الرحمن وأحمد محمد صالح وتوفيق صالح جبريل والأمين علي مدني ومدثر البوشي وعبد الرحمن شوقي وصالح عبد القادر وتوفيق أحمد البكري وعرفات محمد عبد الله وشاعر المؤتمر المهندس علي نور ومكاوي يعقوب ومحمود الفضلى ومحمد أحمد محجوب ويوسف مصطفى التني ومحمد المهدي مجذوب ومحمود أبوبكر وسعد الدين فوزي وجمال محمد أحمد وعبد الله الطيب وصلاح أحمد إبراهيم ومحمد المكي إبراهيم ومحمد إبراهيم الشوش ومحمد الواثق والنور عثمان أبكر والحبر يوسف نورالدائم ومحمد عبد الحي وعبد الهادي الصديق وغيرهم كثر من الذين أثروا ساحات الإبداع في مجال الأدب.

كلية غردون / جامعة الخرطوم والندوات والليالي الشعرية

ذكر الأستاذ مصطفى أبو شرف سبب قيام الجمعية الأدبية بكلية غردون بأنَّه بعد إضراب كلية غردون الشهير عام ١٩٣١م عنف الإنجليز المدرسين السودانيين بحجة أنهم لم يتصدوا للإضراب، فانبرى لهم إسماعيل الأزهري قائلاً: «أنتم لم تتركوا لنا فرصة للاتصال بالطلاب وكل الصلة التي بيننا وبينهم هي الطباشيرة والألعاب ولا نعرف ماذا يضمر هؤلاء الطلاب وذلك لمنعكم قيام الجمعيات.» ونتيجة لذلك وافقت الإدارة الإنجليزية على قيام الجمعيات، فقامت الجمعية الأدبية تحت إشراف إسماعيل الأزهري وقامت جمعية التمثيل تحت إشراف

عوض ساتي ومجلة كلية غردون تحت إشراف عبيد عبد النور والخدمات الاجتماعية تحت إشراف عبد الكريم محمد.

وقامت الجمعية الأدبية بتنظيم وعقد الندوات والليالي الشعرية بصورة دورية في الكلية، وتَدْعِي إليها الأدباء والشعراء المحليين كما تنتهز زيارات الأدباء العرب والأجانب للبلاد فتدعوهم لهذه اللقاءات. وتعد زيارة علي الجارم للكلية في عام ١٩٣٧م من المناسبات الأدبية الخالدة التي تركت أثراً واضحاً على الحركة الأدبية في مدينة الخرطوم خاصة وفي السودان على وجه العموم. وكانت الدعوة وجهت للشاعر الكبير بوصفه أحد كبار المختصين في مجال التربية والتعليم في مصر لزيارة الكلية بغرض دراسة مشروع فتح كلية للآداب بها. ويتصادف أن يهل موعد جلوس الملك فاروق أثناء تلك الزيارة، فَيَنْظُم الجارم شعراً "تهتز له محافل الأدباء في السودان" كما قال حسن نجيلة[١٦٠]. وأقيم احتفال بالجلوس في الفندق الكبير ألقى فيه الجارم قصيدته مبتدئاً بقوله:

عيد الجلى صدقت وعدك بالمنى وصدقت وعدي
علمت طير الواديين فغردت بحنين وجدي
ونظمت فيك فرائداً كانت لجيدك خير عقد
الشعر يبدي فيك زينته. ووجه الروض يبدي
نثر الربيع بك الورود نضيدة ونثرت وردي
ووشى البرود من الأزا هر وانتقى لك خير برد
فيه الرياض تبرجت وثنين من جيد وقد
كم من عيون غضة فيها ومن ثر وخد
وجرى النسيم مضمخ الأ ردان من مسك وند

١٦٠ حسن نجيلة، ملامح من المجتمع السوداني، مكتبة الحياة، بيروت.

عيد الجلوس وكم حوت ذكراك من عز ومجد
أصبت وحدك في الزمان وأين إن لم تلف عندي
صاغت سوائره لهم تاجين من مجد وخلد

ويسترسل في قصيدته إلى الموضع الذي يُحَيّي فيه فاروق تحية كلها أمل ورجاء في إعادة الأمجاد التليدة، فهل كان فاروق أهلاً لهذا؟

فاروق يا أس الرجاء ... وملتقى الركن الأسد
جملت بالقول السديد ... وساطع الرأي الأسد
وهبت لك الدنيا مفاتح ... مجدها من غير رد
وضممت برد شبابك الزا ... هي على جد وجد
خلق كازراء النسيم ... تفتحت عن نفح وند
وعزيمة لو لاطمت ... أحدا مضت أيا أحد
ظهرت من حلف الزعيم ... عنفوان المستبد
تجري على سنن المهيمن ... بين إيمان ورشد
من سار في نور الإله ... سعى إليه من كل قصد

وينهي الجارم قصيدته مشيراً إلى ما لقيه من ترحاب وحسن ضيافة في الخرطوم حتى نسي أهله وبلده فيقول:

إني نزلت بجيرة سحل ... على النجدات حشد
أنسيت أهلي بينهم ... وسلوت أخواني وولدي
الضيف في ساحتهم ... يجتاز من رفد لرفد
عقدوا خناصرهم على ... صدق الوفاء أشد عقد
ومضت أواصرنا تمد ... إلى العروبة خير مد

وكان لقصيدة الجارم هذه صداها في نفس الشاعر الكبير أحمد محمد صالح، والذي كان على نظارة مدرسة الخرطوم الابتدائية حينها، فبادله شعوراً

بشعور تَبَدى في قصيدته «فينوس يا رمز الجمال» والتي بدأها بشيء من العتاب لعدم دعوته لحفل جلوس الملك فاروق فقال:

أخلفت يا حسناء وعدي	وجفوتني ومنعت رغدي
فينوس - يا رمز الجمال	ومتعة الأيام عندي
لما جلوك على الملأ	وتخيروا الخطاب بعدي
هرعوا إليك جماعة	وبقيت مثل السيف وحدي
استنجز الوعد النسيم	وأسأل الركبات جهدي
يا من رأى الحسناء تخطر	في ثياب اللازورد
لو كان زندي وارياً	لقيتهم كفي وزندي
أو كان لي ذهب المعز	لا حسنوا صلتي وودي
لما تنكر ودهم	جازيتهم صدا بصد
هذي البراعة في يد	لو شئت كانت حد
لو شئت سالت علقماً	سماً يرى عند التحدي
فإذا رضيت فإنها	سعدٌ مصفى أي سعد
لي من بياني صارم	وكتائب العزمات جندي
حسناء ليس أبوك با	لرجل النحيل المستبد
حجبوا سناك وما دروا	أن الكواكب ذات وقد

ويواصل أحمد محمد صالح على هذا المنوال مجاراته لقصيدة عيد الجلوس حتى يصل إلى مراده في مخاطبة علي الجارم واصفاً إياه بملك القريض وطالباً منه تبيان رسالة شباب وادي النيل وحثهم لأداء واجبهم نحو أوطانهم.

ملك القريض ووارث الـ	مجد المؤثل من مصر
غرد كما شاء البيان	محدثاً عن خير عصر
أيام كان لواؤنا الجبار	من تل لوهد

وأذكر لنا عهـد الجدود وصف لنـا أيام أحد
في القادسية يوم سـار النصر من بند لـبند
قلب صحـائف مجـدنا مـن غــور لنجـد
يا وارث الأدب التليد ويا ابن الأدب الأجد
علم شبـاب الـواديين خلائق الرجل الأشد
علمهــم أن الخنـوع مذلة والجبن يـردي
علمهــم أن العقــول تحررت من كل قيـد
علمهــم أن الحيـــاة تسير في جـزر ومد
علمهــم أن التمسـح بالفرنجة غير مجدي
وأبن لهـم أن العـروبة ركن إعـزاز ومجـد

أقامت كلية غردون حفل تكريم لعلي الجارم رحب فيه أساتذة اللغة العربية بضيفهم بعدد من القصائد والكلمات الخطابية. وكان من بين أساتذة الكلية الشاعر الكبير الأستاذ عبد الله محمد عمر البنا والأستاذ الوقور الشيخ مجذوب جلال الدين والد الشاعر محمد المهدي مجذوب، وألقى كُلا منهما قصيدة ترحب بضيف الكلية والمدينة. وجارى البنا في قصيدته قصيدتي علي الجارم وأحمد محمد صالح ويصف حسن نجيلة جو القصيدة قائلاً: «استهلها بتحية الشاعر الذي جاءت زيارته في شهر مايو حيث يشتد وقد الحرارة (الصيف) عندنا وكان صيفاً قائظاً وجد فيه الشاعر مادة ليجعل من زيارة الجارم نسيماً عليلاً روَّح عن الناس وقد الصيف»[١٦١] فيقول:

ملك البيان قدوم سعد أهلاً بعهدك خير عهد
زرت البـلاد وحــرها يزداد مـن وقد لـوقد
فنـزلت بـين ربوعهـا مثل الغمام بغير رعـد

١٦١ حسن نجيلة، ملامح من المجتمع السوداني، مكتبة الحياة، بيروت.

فتنسمت نفس النسيم ... وروحت من غير وعد
ونقلت مصر وأهلها ... بجميل وجهك فأل سعد
أهلا بمبسمك الجميل ... وخلقك المرح الأشد
وبوجه سدتك الكريم ... ورأيك الحسم الأسد

ويُذَكِر الشاعر الحضور بالنيل وكيف أنه سبب القرابة بين البلدين، ثم يشيد بالجارم وبقصيدة عيد الجلوس وفي ذلك يقول:

أعليّ يا ملك البيان ... و ما لذلك من مرد
الشعر قلت هو الفرند ... فخذ نصيبك من فرندي
قلدت نابغة البيان ... ورمت باقع ة التحدي
أو كالمنار على البحار ... يضيء مرتفعاً ويصدي
أنشدت أمس خريدة ... تاهت بسالفة وخد
قنصت حبائلك الحسان ... فصدتُهنّ وأي صيد
ونفثته سحراً فأعداني ... وسحر الشعر يعدي
يا من تصدى للعلا ... وعن الحمى دفع التصدي
هذا عليّ قائماً ... متألقا يشدو ويسدي
ألبست برد كرامة منه ... فضاق علي بردي
ورشفت من كلماته ... حبب الكلام نظيم عقد
وقطعت في الخرطوم ما.. ... غرس الألى برياض نجد
وسمعت من نبراته ... هزج الحمام فذاب رشدي
سكر الرفاق وأقلعوا ... وحزت سكر الدهر وحدي

وفي ختام القصيدة يُنَصِب البنا الجارم ملكاً للواء القريض فيقول:

ملك البيان لك الرضا ... من كل مكرمة ومجد
خذ من قريضك ضوءه ... أرجو لضوئك كل مجد
وانشر لواءك وابتهج ... إنَّا وراءك خير جند

ويدلو الشيخ مجذوب جلال الدين بدلوه في تحية الجارم ويعبر من خلال هذه

التحية عن شوقه إلى أساتذته الأجلاء من المصريين الذين تلقى على أيديهم علوم اللغة في نفس المكان قبل أكثر من عقدين من الزمان فيقول:

أتيح الصفـــاء لإخـــوانه فعاد الشقيق لأوطانه

ولاق المحب حبيـبنا ونلنـا نعيم السرور بلقيـانه

وجاشت صدور بزفراتهـا وفاض الفؤاد بتحنانه

وجاء الربيعـان في موسـم فغنى الهـزار بألحـانه

وخير الربيعين محيي النفـوس ربيع القلوب بعرفانه

ويصف حسن نجيلة زيارة علي الجارم بقوله «وكانت أيام الشاعر الكبير علي الجارم التي قضاها معنا في الخرطوم في شهر مايو ١٩٣٧م أعياداً للشعر الذي كان السمة الغالبة على مجتمع المثقفين آنذاك فما منهم إلا شاعراً أو غاو للشعر، إلا قلة نادرة»[١٦٢]. وبقدر ما لاقت زيارة الجارم من تهليل وترحاب ومجاراة من إعلام المدرسة التقليدية بقدر ما تحفظ أصحاب مدرسة تحديث الشعر (جماعة مجلة الفجر) على أصداء هذه الزيارة إذ كرست عموم محيط المدينة الأدبي لشعر المناسبات الذي ما فتئوا يحاربونه.

تواصلت المنابر الأدبية في كلية الخرطوم الجامعية ومن بعدها جامعة الخرطوم مما أتاح الفرصة لظهور الكثير من المبدعين في مجالات الأدب المختلفة خلال الأربعينيات والخمسينيات والستينيات.

كلية غردون / جامعة الخرطوم والمسرح

وكان نشاط كلية غردون الأدبي ليس قاصراً على مجال الشعر والقصة والنقد بل شمل مجالات الإبداع الأخرى ومنها التمثيل الذي كان يعرف بالتشخيص في فترة العشرينيات. ويقول في ذلك حسن نجيلة «وقد اشتهر

١٦٢ حسن نجيلة، ملامح من المجتمع السوداني، مكتبة الحياة، بيروت.

جماعة من شباب الموظفين والطلبة بإجادة هذا الفن وطار لهم صيت بعيد، اذكر في طليعتهم المرحومين الأستاذين صديق فريد وعرفات محمد عبد الله. والأساتذة عبد الرحمن علي طه وعلي بدري وعوض ساتي وعلي نور (المهندس) وأبوبكر عثمان وغيرهم من فتية ذلك العهد ...... وأذكر أن كلمة (تشخيص) كانت تغلب على السنتنا أكثر من كلمة (تمثيل))[١٦٣]. ومن بواكير العمل المسرحي والذي بدأ في أوائل العشرينات تمثيل رواية صلاح الدين الأيوبي والتي شخص أدوارها طه صالح وصديق فريد في دور صلاح الدين وإسماعيل فوزي (والد سعد الدين فوزي) في دور ولي عهد انجلترا وعرفات محمد عبد الله في دور قلب الأسد ورفائيل إلياس في دور ملك فرنسا. لقيت مسرحية صلاح الدين الأيوبي تجاوباً كبير من النظارة مما شجع هذه المجموعة إلى عرض رواية أخرى في تلك الفترة هي رواية عطيل وديدمونة. ويتواصل التجاوب مع العمل المسرحي ليتم إنشاء فرقة نادي الخرطوم المسرحية في أوائل الثلاثينيات التي قامت بعرض أعمالها في سائر مدن السودان. ويشيد شاعر مجلة نهضة السودان بالتمثيل المسرحي بعد عرض مسرحية مجنون ليلى، ويرى فيه أحد دعائم النهضة:

بالنهضـــة الفنيـــة ارتقـــت الألى وبنهضة الآداب في الشبان

لا شي كالتمثيـــل يظهر غـــائباً في شاهد ومحجـباً لعـــيان

ويريك كيف تطورت في مهـدها أمم وكيف تقلـب الأزمـــان

ويريك كيــف الجـهل يهدم أمــة كانت لها الأخلاق كالبنيان

وفي تلك الفترة أيضاً قُدمت مسرحية العباسة في نادي الخريجين ولعب دور البطولة فيها عرفات محمد عبد الله الذي مثل دور هارون الرشيد وشاركه في التمثيل عبد الرحمن علي طه والسني عباس أبوالريش.

١٦٣ نفس المصدر السابق.

واستمرت جامعة الخرطوم تلعب نفس الدور الطليعي طيلة فترة الخمسينيات والستينيات في إثراء الحركة المسرحية في المدينة ولكن الدور البارز في هذا المجال تحول إلى معهد المسرح والتمثيل والموسيقى منذ أوائل الستينيات. أيضاً هنالك الجمعيات الأدبية التي انتشرت في المدارس آنذاك وأولها مدرسة الخرطوم الابتدائية التي شهدت نشاطاً أدبياً متواصلاً منذ العشرينيات وحتى الخمسينيات، وقد تعاقب على نظارتها أدباء لا يشق لهم غبار منهم الأستاذ عبد الكريم محمد والشيخ عبد الله عبد الرحمن والأستاذ أحمد محمد صالح. تواصل نشاط الجمعيات الأدبية وانتشر في كل المدارس المتوسطة والثانوية خلال حقبة الستينيات. ظهر أثر هذه الجمعيات في بروز حركة أدبية نشطة بين شباب مدينة الخرطوم في حقبتي السبعينيات والثمانينيات.

منابر أخرى

شكلت بعض أندية المدينة منابر أدبية على مر السنين ومن أشهر هذه الأندية النادي المصري (لاحقاً النادي العربي ثم نادي ناصر) ونادي المكتبة القبطية ونادي الخريجين ونادي العمال. وكانت البداية مع النادي المصري وهو من أوائل الأندية إن لم يك أول نادي أُنشئ في الخرطوم في موقعه الكائن عند تقاطع شارعي القصر والبلدية، وكان يؤمه أفراد الجالية المصرية وهي أكثر الجاليات عدداً على الإطلاق. وبجانب المصريين درج على ارتياد هذا النادي الكثير من مثقفي المدينة من مواطنين ومقيمين. ويُعزى ذلك للنشاط الأدبي الوافر والمتواصل الذي كان ينظمه النادي ليضيف لأُمسيات المدينة ألقاً وروعة وبياناً تقر به أعينُ أدبائها وشعرائها. وكان يشرف على هذا النشاط الوافر في العشرينيات الشاب المصري القاضي توفيق وهبي. انفرد النادي المصري في

تلك الفترة بإعداد وإخراج المسرحيات وعرضها على الجمهور من على مسرح النادي، وكان توفيق وهبي محور كل هذا النشاط.

من الدُور التي شكلت حضوراً في خارطة المنابر الأدبية في مدينة الخرطوم المكتبة القبطية التي يرجع تاريخ إفتتاحها إلى العام ١٩١٠م. فقد درجت المكتبة على إقامة فعاليات أدبية وفنية راتبة بمعدل فعالية كل أسبوع في ثلاثينيات القرن الماضي. وكان النشاط المسرحي من أميز ما تقدمه لمجتمع الخرطوم حيث تم عرض روائع المسرح العالمي منها على سبيل المثال لا الحصر هاملت وتاجر البندقية والمائدة الخضراء وعواطف البنين، بجانب عدد من مسرحيات نجيب الريحاني ويوسف وهبي. هذا بالإضافة للخدمة التي تقدمها لأعضائها وللباحثين بتوفير عدد هائل من الكتب بلغ في فترة من الفترات عشرة ألاف عنوان.

لعب أيضاً نادي الخريجين منذ الثلاثينيات دوراً مماثلاً لدور النادي المصري في نشر الأدب المنثور والمنظوم وفنون المسرح. وبدأ نادي الخريجين نشاطه الثقافي والاجتماعي في الطرف الجنوبي الشرقي لحي المراسلات عند تقاطع شارعي القصر والسيد عبد الرحمن ثم أنتقل إلى موضعه الأخير شمال سينما كلوزيوم (موضع البنك الفرنسي السوداني حالياً). شهد مسرح نادي الخريجين بجانب الندوات الثقافية والأدبية وعرض بعض المسرحيات الوطنية مثل بامسيكا وخليل عزة وخراب سوبا، الكثير من الفرق المصرية والنجوم المصريين أمثال بديعة مصابني وفاطمة رشدي وحكمت فهمي اللائي زُرنَ الخرطوم في نهاية الثلاثينيات مع فرقهن. نجد أيضاً نادي المكتبة القبطية في ناحية حي الترس قد درج على نشاط أدبي ومسرحي في أمسية كل خميس منذ افتتاحها في عام ١٩١٠م، حيث كانت تقيم الندوات والمحاضرات ومجالس السمر بجانب عرض المسرحيات. وانضم إلى ركب منابر الأدب نادي العمال في منتصف

الأربعينات حيث بدأ نشاطه في موقعه الأول بشارع الجمهورية جوار كل من سنجر والترزي عابدين عوض ثم انتقل إلى موقعه الحالي بشارع الجامع.

هنالك أيضاً دار الثقافة وكان مقرها في شارع الجامعة إلى الشرق من المبنى الحالي لوزارة التجارة الخارجية. وكان بها مسرح فاخر يؤمه الانجليز وتعرض على خشبته المسرحيات الانجليزية مثل عطيل وديدمونة. استمرت هذه الدار تقدم الكثير من الأنشطة الأدبية والفنية بعد الاستقلال، وظلت طيلة فترة الستينيات ملتقىً ثقافياً وأدبياً تعقد فيها الندوات الأسبوعية وتعرض الأفلام والمسرحيات الراقية المنتقاة.

تميزت هذه الدور والأندية بإعداد وتقديم برامج أدبية ثرة ومتواصلة تحتوي على المحاضرات والمناظرات والندوات والليالي الشعرية والجلسات الأدبية وعرض بعض المسرحيات العالمية والوطنية والاحتفال بالمناسبات الوطنية والدينية. أيضاً هنالك نشاط أدبي غير منتظم تقوم به بعض أندية الجاليات مثل النادي السوري والنادي الأرمني والأندية الثقافية والاجتماعية والقبلية المنتشرة في الخرطوم جنوب، وتبعتها في ذلك النهج معظم الدور والأندية المهنية التي أُنشئت في حقبة الستينيات مثل دار الأطباء ودار المهندسين ودار الصيادلة ودار موظفي الخطوط الجوية السودانية وغيرها.

ومن الأنشطة الثقافية والأدبية الملحوظة في المدينة في فترة الأربعينات والخمسينات بجانب الجمعيات والمنتديات الأدبية، أندية القراءة حيث يجتمع مجموعة من المثقفين في منزل واحد منهم بطريقة دورية ويتم مناقشة ما قرأوه من كتب ومن موضوعات في الصحف والمجلات المصرية.

المطابع ودور النشر

عرفت الخرطوم الطباعة والمطابع منذ الحكم التركي المصري حيث قامت مطبعة حجر صغيرة لم يعرف بالتحديد تاريخ وصولها إلى المدينة. وكانت تستخدم في إنجاز الأعمال الحكومية البسيطة من مطبوعات ودفاتر وتجليد. ذكر أن غردون قد استعملها في طباعة السندات التي وزعها على سكان الخرطوم كنقد للتداول عندما شح النقد خلال حصار الخرطوم. بعد فتح الخرطوم واستتباب الأمر للمهدية استخدمت هذه المطبعة منذ عام ١٨٨٨م في طبع راتب الإمام المهدي وشرحه والمنشورات ورسالة العبادي ورسالة العوام ورسالة ولد الزهراء، وكانت تعمل في تلك الفترة تحت إدارة مختار محمود وإشراف إبراهيم المطبعجي. نقلت المطبعة من الخرطوم إلى أم درمان في عام ١٨٩١م، وظلت تعمل في نشر العلوم الدينية إلى عام ١٨٩٨م حين سقوط أم درمان في يد الجيش الإنجليزي المصري. وفي ديسمبر ١٩٠١م تم نقل المطبعة من أم درمان إلى الخرطوم وسميت بمطبعة حكومة السودان، وأول ما استخدمت فيه هو طبع الغازيتة السودانية.

أما أول مطبعة خاصة فهي مطبعة صحيفة السودان التي أنشأها فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس في عام ١٩٠٣م. جُلِبَ العمال لهذه المطبعة من مصر حيث قاموا بتدريب العمال السودانيين على عمل المطابع. وكانت هذه المطبعة أول مطبعة حديثة عرفها السودان، عملت في البداية بالبخار ثم عدلت في عام ١٩١١م لتعمل بالكهرباء، واحتلت موقعاً على شارع الجامعة أمام مباني مديرية الخرطوم. تحولت ملكية مطبعة صحيفة السودان إلى شركة ماكور كوديل البريطانية في عام ١٩٢٤م. أنشأ الإغريقيان ساولو وخريستو مطبعة فيكتوريا في عام ١٩١١م وهي بذلك أصبحت ثاني مطبعة تجارية في الخرطوم. استخدمت هذه المطبعة في طباعة جريدة "سودان هرالد" منذ إنشائها ثم طباعة جريدة رائد السودان في عام ١٩١٣م.

وبنهاية العقد الثاني من القرن العشرين وبالتحديد في عام ١٩١٩م أنشئت مطبعة حضارة السودان وهي أول مطبعة يمتلكها سودانيون إذ قامت بشراكة تكونت من كل من السيد عبد الرحمن المهدي وخليل عكاشة ومحمد الخليفة شريف وحسين الخليفة شريف وعثمان صالح وحسن أبو ومحجوب فضل المولى وعبد الرحمن جميل[١٦٤]. آلت ملكية هذه المطبعة إلى حكومة السودان في العام ١٩٢٤م. حولت الحكومة مطبعة حضارة السودان إلى شركة ماكور كوديل البريطانية في عام ١٩٢٤م أي في نفس العام الذي حولت فيه ملكية مطبعة صحيفة السودان إلى ذات الشركة. وأصبحت ماكور كوديل الطابع الرسمي لحكومة السودان منذ ذلك الوقت حتى استقلال السودان في عام ١٩٥٦م.

أسس سليمان منديل مطبعة منديل التجارية في النصف الثاني من العشرينيات وكانت تطبع جريدة ملتقى النيلين ثم حلت محل ماكور كوديل في طباعة حضارة السودان منذ عام ١٩٣٤م وحتى توقفها عن الصدور في عام ١٩٣٨م. كما قامت مطبعة منديل بطباعة كل الأعداد التي صدرت من مجلة النهضة خلال فترة صدورها القصيرة.

وفي منتصف الثلاثينيات أُنشئت شركة الطباعة والنشر المحدودة التابعة لدائرة المهدي وتولت طباعة جريدة النيل منذ بداية صدورها في عام ١٩٣٥م وأيضاً جريدة الأمة في عام ١٩٤٤م. بعد قيام شركة الطباعة والنشر المحدودة وفي عام ١٩٤٠م أُسِسَت شركة مطابع السلام التي قامت بطباعة جريدة صوت السودان لسان حال طائفة الختمية. شهدت حقبة الأربعينيات إنشاء عدد من المطابع الصحفية والتجارية منها مطبعة الرأي العام ومطبعة الطابع السوداني. وتتابع إنشاء المطابع في الخمسينيات حيث تم إنشاء مطابع الصراحة، والوطنية للطباعة، وشركة الأيام للطباعة والنشر، وشركة الطبع والنشر، ودار الطباعة

---

١٦٤ محجوب محمد صالح ، الصحافة السودانية في نصف قرن، مركز الدراسات السودانية، ١٩٧١م.

الحديثة، ومطابع جريدة الميدان، ومطابع جريدة الزمان. كما شهد النصف الثاني من الخمسينيات سودنة شركة ماكور كوديل لتصبح المطبعة الحكومية التي توسعت بعد انتقالها من الموقع القديم بشارع عبد المنعم محمد إلى المنطقة الصناعية بالخرطوم في بداية الستينيات. وأيضاً تم في مستهل الستينيات (١٩٦١م) إنشاء مطابع وكالة الأخبار الأفريقية التي تولت طباعة جريدة الصحافة.

من المطابع التجارية التي ذاع صيتها في فترة الخمسينيات والستينيات مطبعة التمدن التي كانت تعتبر من المطابع الكبيرة في الخرطوم في تلك الفترة. أيضاً كانت هناك مطبعة مصر وكان لها ذات الصيت والشهرة التي كانت لمطبعة التمدن في الخمسينيات. كما شهدت الخرطوم في تلك الفترة عدداً من المطابع التجارية الصغيرة منها مطبعة عبد الجبار أبوبكر التربي التي كانت تطل على شارع الطيار مراد إلى الجنوب من تقاطعه مع شارع الجمهورية، ومطبعة الشعب التي كانت تقع على شارع الجامعة جوار المدرسة القبطية للبنات.



مكتبة سودان بوكشوب

الفصل الثالث عشر

الحيــاة الفنيــة

يتناول هذا الفصل فن الغناء والموسيقى في مدينة الخرطوم وذلك باستعراض حقبه المختلفة، ومشاهير المطربين و الموسيقيين وشعراء الأغنية الذين قدمتهم المدينة وأثروا وجدان أهلها، وأميز أغنيات هؤلاء المبدعين.

الفن في حقبة ما قبل دولة المهدية

قليل جداً ما كُتب عن فن الغناء والموسيقى خلال حقبة الحكم التركي المصري، وكل ما ورد في هذا المجال هو الحفلات الموسيقية التي كانت تحييها فرقة موسيقى الجيش في الأمسيات في ميدان المديرية الذي أنشأه إسماعيل أيوب. هذا بجانب فرق العوالم التي جاءت إلى المدينة من مصر واستقرت فيها، وعن طريق هذه الفرق عرفت المدينة العديد من ألوان الغناء والرقص مثل المصري والتركي والحبشي والأسباني. وقد ذكر في هذا الشأن د. أحمد أحمد سيدأحمد ما يأتي: «ومن ملامح مجتمع الخرطوم أنَّ ليلة من لياليه لا يمكن أن تمر دون أن تحييها جماعة من (العوالم). وقد زاد عدد هذه الجماعات منذ عهد عباس باشا الذي طَرَدَ الكثير منهن من القاهرة إلى الخرطوم. وقد أفاض الرحالة والمكتشفون من زوار الخرطوم في وصف الحفلات التي تحييها هذه الجماعات من حيث أنواع الرقص والغناء وجنسية أفرادها وما يرتدين من ملابس وطريقة تصفيفهن لشعرهن إلى غير ذلك. وتدعى هذه الجماعات لإحياء حفلات الزواج والولادة والطهور والترحيب بضيف عزيز وكذلك في المناسبات القومية. ويشترك جميع سكان الخرطوم من أفقر فقير حتى

الحكمدار في الاستمتاع بهذه الحفلات. وتعمل هذه الجماعات تحت رئاسة متعهد مختص بشئونها المالية و(عالمة) مختصة بالناحية الفنية. وكانت (الغوازي) الزنجيات يرقصن مرتديات (الرحط)، أما المصريات فرداؤهن السترات الحريرية (والبنطلونات) الوردية الواسعة. وكن جميعاً يرقصن على أنغام آلات موسيقية تعرفها هذه الأيام، ويقدمن من الرقص أنواعاً عديدة منها المصري والتركي والأسباني، ولكل نوع منه (بدلته) الخاصة. أما المغنيات فكن يغنين الأغاني المصرية والسودانية وأحياناً الحبشية. وفي السنوات الأخيرة من الحكم المصري كانت هذه الجماعات تقدم – علاوة على ذلك – بعض الفصول من التمثيل والأدوار المضحكة في بيوت كبار رجالات المدينة»١٦٥. ولم ترد إلينا أي نماذج للغناء الذي كانت تتغنى به هذه الفرق.

اشتهرت أيضاً بعض المغنيات من نساء الأهالي بإحياء حفلات المناسبات الاجتماعية من زواج وختان، ومن أشهرهن شريفة بت بلال التي كانت بجانب غنائها في الأفراح تغني في المناسبات الرسمية للحكومة وفي ذلك يقول الدكتور الفاتح الطاهر: «كانت شريفة بت بلال رائعة الصوت جميلة الشكل تغني للجيش السوداني وتصف رجولاته وبطولاته في العهد التركي، فقد شهدت حروباً كثيرة ونالت نياشين وفيرة، فأعجب بها عبد القادر حلمي باشا حكمدار السودان في آخر عهد التركية، ومنحها رتبة عقيد في الجيش التركي تقديراً لفنها وحسها القومي وكانت تلبس البدلة العسكرية وطربوشاً، وعند فتح مكوار وقعت في أسر الخليفة عبد الله، وبعد الثورة المهدية أصبحت تغني في بيوت الأفراح وتلبي الدعوات التي تقدم لها وأحياناً كانت تغني لنفسها في منزلها بحي المسالمة تذكر ماضيها السعيد مادحة نفسها:

١٦٥ د. أحمد أحمد سيدأحمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

هي يوهي شريفة بـت بـــلال

هي يوهي بت العسكر القـدام

هي يوهي شريفـة بت بـــلال

هي يوهي بت العسكر النظام»[١٦٦]

الفن الحديث

ظهرت الفرق الموسيقية في الثلاثينيات بعد انتشار آلتي العود والكمان بجانب آلة الأكورديون التي كانت معروفة منذ أواخر العشرينيات كما تثبته التسجيلات الأسطوانية التي تمت في تلك الفترة. وبفضل الموسيقى المصاحبة للأداء تغير شكل الأغنية وصارت أكثر شمولاً وعمقاً من الناحية اللحنية. من الآلات التي استخدمتها الفرق الموسيقية في تلك الفترة، بجانب العود والكمان والأكورديون، آلات الماندولين والفلوت والبانجو والرق والمثلث والصاجات والعصي وعلبة الكبريت. ومن أميز الفرق التي ظهرت في الخرطوم في نهاية الثلاثينيات فرقة الفنان حسن عطية وفرقة الفنان عبد الحميد يوسف.

أمير الطرب

ظهر في منتصف الثلاثينيات (١٩٣٦م) الفنان حسن عطية الذي اشتهر لاحقاً بأمير العود، ويقال أنَّه تعلم العود على يد عبد القادر سليمان شقيق الفنان حسن سليمان الهاوي وفي قول آخر أنَّه تعلم على يد عبد المنعم محمود خال الدكتور محمود حسين من حي الترس. وفي تلك الفترة كان حسن عطية يسكن بحي المراسلات في الخرطوم شمال، ثم انتقل إلى الخرطوم نمرة (٣) حيث تنقل

---

١٦٦ الدكتور الفاتح الطاهر، أنا أم درمان: تاريخ الموسيقى في السودان، الخرطوم، ١٩٩٣.

بين عدة منازل فيها. وكانت لحسن عطية فرقة موسيقية تضم من بين أعضائها عدداً من مثقفي الخرطوم، ومن بينهم بل من أشهرهم الدكتور محمد آدم أدهم صاحب القطعة الموسيقية الشهيرة «الأدهمية». وفي تلك الفترة ظهرت أغاني «التُم تم» بإيقاعها الراقص وكان لحسن عطية دورٌ بارزٌ في الارتقاء بهذا النوع من الأغاني الذي ارتبط بأغاني البنات ذات الكلمات و المعاني الركيكة. إذ جاء حسن عطية ومعه حسن سليمان الهاوي واستخدما هذا اللون الخفيف من الغناء مع كلمات ذات مضامين ومعان هادفة. وقد ساعد في انتشار أغاني حسن عطية بث إذاعة هنا أم درمان الذي بدأ في عام ١٩٤٠م حيث كان صوت حسن عطية هو ثاني صوت يصدح في الأثير من خلال الإذاعة بعد صوت الحاج محمد أحمد سرور، وهذا يظهر ريادة الفنان حسن عطية للأغنية الحديثة المصحوبة بالآلات الوترية.



حسن عطية

غنى حسن عطية للجمال وللحب وللمرأة وللخرطوم وللطبيعة في الكثير من الأغاني الخاصة به، كما اشتهر بأدائه الرائع لأغاني حقيبة الفن ومن ذلك رائعة كرومة هل تدري يا نعسان لمحمد بشير عتيق وتقول كلماتها:

هل تدري يا نعسان أنا طرفي ساهر

جسمي اضمحل بغرامك وأنت زاهر

أنا حالي ظاهر

عاشق نبيل يا جميل ليك حبي طاهر

وشاعر مجيد لغناك فنان وماهر

بسحر جمالك وكرم خصالك وعشان جمالك

أهوى القمر والنيل وأهوى الأزاهر

كما غنى "خداري البي حالي ما هو داري" و"الحجل في الرجل" و"ليه يا سمير ما جيت" التي رددها أيضاً الهاوي وأحمد المصطفى، وغنى أيضاً "أسمعته تغريدي ووريته تجديدي في فن الأغاني" لعبيد عبد الرحمن، و"يحيا الحب" للشاعر خضر حسن سعد، و"ست العربية" لبشير عبد الرحمن. وقد تغنى حسن عطية بعدد وافر من الأغاني لعبد الرحمن الريح منها ما ذكره فؤاد عمر في كتاب "مع رواد الغناء السوداني"[١٦٧] وهي «أنا سهران يا ليل» و»أقول أنت نور» و»يا ماري عند الأصيل» و»مالي غيرك حياة» و»نسيان» و»كلم كلم ... ولما تفوت علي سلم يا حبيب الروح» و»سألته عن فؤادي أجابني ما هو عارف» و»يا جميل يا سادة»، وهذه الأخيرة مثل كثير من أغانيه ذات إيقاع راقص خفيف وتقول كلماتها:

يا جميل يا جميل يا سادة	حبــــك جنني زيــــادة
من شفتك فـاقد نــومي	محتار طول ليلي ويـومي
صديت جددت هـمومي	وأحييت ناري الوقادة

وهناك أغنية أخرى بذات الإيقاع الخفيف وهي أيضاً لعبد الرحمن الريح

١٦٧ فؤاد عمر، مع رواد الغناء السوداني، ٢٠٠٠م.

بعنوان «يوم جميل» وتقول:

يا ملاك يا سادة يا أسمر

وحياة ورد الربيع أظهر

حلفتك بالطيور شادية

والنسمة الرايحة والغادية

والجلسة اللي في الرياض هادية

لا تحرم عيني من منظر

وتعتبر أغنية «أقول أنت نور» كلمات وألحان عبد الرحمن الريح من أروع ما أدى حسن عطية إذ أدَّاها بمصاحبة اثنتي عشرة آلة كمان وإيقاع فقط وكان يرفض أن يغنيها بمصاحبة الآلات الأُخرى.

ومن أجمل ما غنى حسن عطية لعبد الرحمن الريح أغنية «حِرمان» في بداية الخمسينيات ويقول مطلعها:

يا الحرموني منك — أنا ياحبيب قلبي — سائل دوام عنك

يا الحرموني شوفتك — أنا في قلبي صورتك — كلما ذكروا سيرتك

تزداد بي شجوني — ويجفو النوم عيوني — ويزحم قلبي حبك

وأيضاً من روائع حسن عطية أغنيته التي تقول:

حبيب عمري أنت لي كل شي

أنت روحي أنا أنت نور عيني

ثم يقول فيها:

سألوني الناس عن حبي

وعيوني بكت في دموعها شكت

وقلبي المسكين راح ما عاد لي

خايف يجي يوم تتنكر لي

أنت تنساني وتنسى هواي

وتكون مشغول بسواي

وتسيبني تروح يا حبيب الروح

ما كان دي يكون لو جُرتَ علي

يا حبيب عمري

وغنى أيضاً «سألته عن فؤادي» ومن كلماتها:

سألته عن فؤادي أجابني ما هو عارف

عن سبب هيابي أجابني ما هو عارف

أهوى الذي ضناني ورماني بنباله

ولا سأل في حالي ولا خطر بباله

يراني أنا أو أراه وأقيف ذليل قباله

وأقول ليهُ أنت سيدي وفيما عني صارف

وغنى أيضاً «على النجيلة جلسنا»:

على النجيلة جلسنا طَرِبنا واتآنسنا

عن الهوى اتحادثنا

قضينا ليله لذيذة نراها برهة وجيزة

قلوبنا فيها طموحة ونفوسنا فيها عزيزة

كما غنى لمحمد علي عبد الله «زرعوك في قلبي»:

زرعوك في قلبي يا من كساني شجون

ورووك من دمي يا اللادن...العرجون

يا الباسم الهادي نورك سطع ... هادي

وغنى للمرأة السودانية ولدورها في الحركة الوطنية أغنية «يا سعاد»:

هبي يا سعاد وأنت يا ثريا

نعلن الجهاد ننشد الحرية

هبي يا عديلة قبلي سلامك

خففي الألم ضمدي جراحي

طرزي العلم غني لكفاحك

يا فخر الشعوب عشت يا سوداني

دقات الطبول هتفت ليك تنادي

حرري السهول وانصري البوادي

كما غنى للخرطوم مهد طفولته ومرتع صباه ورمز وطنه الكبير «ألوان الزهور»:

زانت أرضها وأصبح بعضها ينافس بعضها ألوان الزهـور

زانت أرضها ألوان الزهور وشدت روضها أسراب الطيور

عبقت جوها أنسام من عطور مسكر غير كؤوس من خمر النفوس

لاشك هي عروس النيل وحدها ألوان الزهور

في المقرن تشوف الأشجار صفوف والنيل حولها كالعابد يطوف

تسكر من زلال ومن خمر الحلال ويعم الجمال طولها وعرضها ألوان الزهور

مغناها الجميل يحرس أرض النيل ويسقي السلسبيل

للروض والنخيل جيلاً بعد جيل هي بكرة وأصيل

تزداد كل يوم في الرقي والعلوم والسودان عموم

عارف مجدها ألوان الزهور

ويعتبر حسن عطية مدرسة فنية متفردة لها بصمة واضحة على خارطة الغناء السوداني مثله في ذلك مثل من سبقوه ومن عاصروه ومن جاءوا بعده مثل محمد أحمد سرور وعبد الكريم عبد الله مختار (كرومة) وإبراهيم الكاشف وأحمد المصطفى وعثمان حسين وإبراهيم عوض وعثمان الشفيع ومحمد وردي وعبد الكريم الكابلي. وقد اشتهر حسن عطية بديوانه العامر بأنشطته الأدبية والفنية إذ ظل منذ مطلع الستينيات يشهد عقد الكثير من الندوات والورش الفنية التي كانت تضم الأدباء والشعراء والفنانين.

الطرب الجميل (السهل الممتنع)

لمع في فترة العشرينيات أول صوت نسائي في ديم سلمان بالديوم القديمة إذ ظهرت عائشة موسى، التي اشتهرت بعائشة الفلاتية، بغنائها في الأعراس وأدائها لأغاني السيرة والتُم تُم، ثم انتقلت إلى أم درمان بعد أن اشتهرت في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات.

حضر إبراهيم حسن أبوجبل الذي اشتهر بإبراهيم الكاشف من مدني ليعمل في النجارة مع المقاول جورجي كللنجي، وأقام في ديم التعايشة حيث أحيا أول حفلة له بعد وصوله إلى الخرطوم وكان حينها يغني بالرق ويعرف بإبراهيم مدني. وانتقل إبراهيم الكاشف بعد ذلك إلى أم درمان حيث ذاع صيته واشتهر، ثم عاد وسكن في حي الزهور فتحت في الخرطوم في أوائل الستينيات. ومن أغاني الكاشف التي كان يرددها عند قدومه من ود مدني إلى

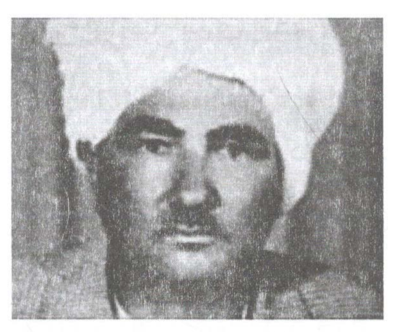
الخرطوم «نغيم فاهك» و»بي حب مية» و»أنت بدر السماء» و «الشاغلين فؤادي» وكلها من نظم شاعر ود مدني علي المساح، وتقول كلمات الأخيرة:

الشاغلين فؤادي تايهين فايقين يحكي البيَّ ذارف دمع المايقين
تالي القبلة شايف لي برقاً لمع والصيد في الخمائل يا ناس اجتمع

يلا يا أحبة نسترق السمـــع ما بطيق القعدة والمــايق دمــع
حب أحبابي لي مولاي قـدرو انسلبت لحومي وأعضائي خـدرو
لاموني العوازل بي حالي ازدروا هم سايقين [illegible] تايهين مـا دَرو

وقد حظي إبراهيم الكاشف بأن يكون الصوت الغنائي الثالث الذي يبث من خلال إذاعة أم درمان بعد محمد أحمد سرور وحسن عطية.

بنهاية الثلاثينيات وبداية الأربعينيات كان يتربع على قمة الفن في الخرطوم بجانب الفنان حسن عطية الفنان عبد الحميد يوسف، وكان والده يوسف عاشور الاسكندراني مُنتَدب من مصر ليعمل في قوة دفاع السودان. وولد عبد الحميد يوسف في حي المراسلات في عام ١٩١٥م بالخرطوم شمال، وهو نفس الحي الذي نشأ فيه حسن عطية وحسن سليمان الهاوي، ثم انتقل وأسرته إلى السجانة. امتهن حرفة البناء ثم المقاولات وقد أشرف على بناء الكثير من مباني الدولة مثل إشلاق الشرطة والسجون بالخرطوم بحري.



عبد الحميد يوسف

بدأ عبد الحميد حياته الفنية في الثلاثينيات بترديد أغاني حقيبة الفن، ومن بين الأغاني التي كان معجباً بها ويرددها كثيراً أغنية عبد الله الماحي "يا أماني وجار بي زماني". نحى عبد الحميد بعد ذلك منحىً آخر حيث شارك مع زملائه إبراهيم الكاشف وحسن عطية وأحمد المصطفى في إدخال الآلات الموسيقية للأغنية السودانية، إذ أدخل آلتي الكونترباص والتشيلو بالإضافة إلى الكمان الذي كان معروفاً. لهذا يعتبر عبد الحميد يوسف من فناني "النقلة" الذين نقلوا الأغنية السودانية من حالٍ إلى حالٍ وذلك بإدخاله عناصر جديدة إلى أغنية حقيبة الفن. فبجانب الأداء الصوتي الجميل الذي تميز به فقد أضاف إلى الأغنية اللازمات الموسيقية والفكرة الموسيقية الجديدة (المقدمة الموسيقية) مع كثافة الآلات الموسيقية. ويتفق الكثير من المختصين في الغناء كما يقول عبد الفتاح الله جابو بأنَّ "صوت عبد الحميد يوسف هو أجمل الأصوات على الإطلاق التي عرفتها ساحة الغناء السوداني من حيث الإمكانات والنقاء بجانب وضوح المخارج وسلامة الأداء"[١٦٨]. وتزكية أخرى لعبد الحميد يوسف من قِبَل عازف الكونترباص محمد سليمان أبوسريع إذ قال: «إذا اعتبر هايدن أبو السمفونية في الموسيقى الغربية، فنحن نعتبر عبد الحميد أبو الميلودية في الأغنية السودانية»[١٦٩]. تميز عبد الحميد بجانب جمال الصوت وقوته بمقدرته على إسماع المئات من الجماهير في الحفلات العامة دون استخدام أدوات تكبير الصوت.

وكان لعبد الحميد يوسف فرقة موسيقية مميزة من ضمن أعضائها في نهاية الأربعينيات وأوائل الخمسينيات الفنان عثمان حسين الذي كان عازفاً لآلة العود. ولعبد الحميد يوسف أكثر من مائة وخمسين أغنية جميعها من ألحانه،

---

١٦٨ لقاء في سهرة تلفزيونية بثتها الفضائية السودانية في مطلع العام ٢٠٠٥م.

١٦٩ نفس المصدر السابق.

ولكن المسجل منها دون العشرين أغنية. وقد تعاون مع العديد من الشعراء، وكان أول من تعامل معه هو الشاعر محمد بشير عتيق فغنى له «اذكريني يا حمامة»، وكان متولي عيد مدير الإذاعة يجيز بها أصوات الفنانين الجدد، إذ تحتاج الأغنية في أدائها إلى الغليظ والحاد معاً مما يُصعِّب من مهمة المؤدي. وتقول بعض كلمات الأغنية:

اذكريني يا حمامة كلمــا الساجع ترنم بهـواي وحبي لجمـــالك

اذكريني يا حمامة كلما هطلت غمامة في مساك أو في صباحك

كل من في الكون نام عيني ليه فقدت منامها أنت يا الكاحلك نعاسك

الجحيم من هجرك أرحم عني يالشاغلك دلالك

روحي لو ما فات ثمارها اذكريني أنا يا حمامة في ذهابك

أو في إيابك ثم في فترة غيابك

وكان عبد الحميد ينهي أداء هذه الأغنية بأخرى خفيفة تعرف بالكسرة تقول كلماتها:

لي تعالي يا حمامة واطفي ناري يا حمامة

أنا داير العنب أنا ولو اباني العنب أنا

زرعوك وين شتلوك وين يالعنب

بس قول لي كيف زرعوك يالعنب

في جنة رضوان حارسنو العجمان ودايرنو الغزلان

وغنى لمحمد بشير عتيق أيضاً «الذكرى اللذيذة يا روحي العزيزة» و «تيه بدلالك وأنفرد» والتي تقول:

تيه بدلالك وأنفرد يا جوهر الحسن الفريد

وصفك عجيب حلو منظرك والينظرك كل يوم يرى حسنك جديد

أوجمت أرباب الفصاحة وقادة الرأي السديد

أنا لو أقول من سطوتي يلين الحديد

لا شك أذوب من نظرتك وضَي الخديد

أنا للحسان بشعري كم طوقت جيد

لكن محال أحصر ثناك مهما أجيد

وغنى عبد الحميد للشاعر حسين محمد حسن أغنية «خدعوك وجرحوا سمعتك» قبل أن يغنيها الفنان خضر بشير، كما غنى له «على موج الأثير»:

على موج الأثير أهديك تحياتي

في هواك وحياة نبِيٍّ نفسي لغيرك أبية

ليت شعري يا ظبية تدري ما بيٍّ من عذابي

ومن أشهر أغنيات عبد الحميد يوسف في الأربعينيات أغنية «غضبك جميل زي بسمتك» للشاعر حميدة أبوعشر، وتعتبر هذه الأغنية من علامات التحول في الأغنية السودانية إذ خرج فيها على النمط التقليدي للغناء السوداني بابتدائها بمقدمة موسيقية مع إضافة اللزمات الموسيقية الواضحة و بذلك انعتقت الآلات. الموسيقية من تقليد الفنان كما كان يفعل الكورس في أغنية الحقيبة. ومن كلمات «غضبك جميل»:

غضبك جميل زي بسمتك

على كل حال شكلك بديع غضبك جميل زي بسمتك

حكم الغرام بتذللي حكم الجمال بتدللك

الاشتياق والاحتراق والوجد لي

الابتسام والانسجام والحسن لك

عجباً تكون باسم وديع

على كل حال شكلك بديع غضبك جميل زي بسمتك

نظرات عيوني لمحنتي في خيالي جمال في بهجتك

خايف خدودك تنجرح من نظرتي

خايف فؤادي يذوب غرام من نظرتك

ومن بين الشعراء الذين تعاون معهم عبد الحميد، علي محمود التنقاري فغنى له «لي أماني جميلة»، كما غنى لإسماعيل حسن «ظلموني وظلموه» والتي تقول:

ظلموني وظلموه عن عيوني أبعدوه

أبعدوه وقالوا جفا أنا خِلي غاب عني اختفى

يا حليل زمن الصفا في ظلالنا الوارفة

أبعدوك يا حبيبي ديل قصدهم قصداً عجيب

أنت في قلبي القريب رغم هجرك يا حبيب

ليالينا الكانت جميلة زي زهور في خميلة

الله يجازي ديل و ديل الفرقونا في يوم وليلة

تجب الإشارة أيضا إلى أنَّ عبد الحميد غنى أغنية «آه يا حبيبي» في ثنائية (دويتو) مع عائشة الفلاتية.

نَظَّمَ طلعت فريد وزير الاستعلامات والثقافة في أوائل الستينيات مسابقة مطرب الجماهير بحدائق المقرن وقد فاز بهذه المسابقة عبد الحميد يوسف كأول فنان يلقب «بمطرب الجماهير».

ومن الفنانين الذين ظهروا في حقبة الأربعينيات حسن سليمان الملقب بالهاوي من مواليد ١٩١٥م، وهو شقيق عازف العود عبد القادر سليمان وكانت أسرته تسكن حي المراسلات بالخرطوم شمال حيث كان والده شيخاً لهذا الحي، ثم انتقلت أسرته في نهاية الأربعينيات إلى الخرطوم نمرة (٣) والبعض منها إلى القوز. عمل حسن سليمان موظفاً بوزارة المالية والوظيفة في الأربعينيات كانت تعني الميسرة ومن هنا جاء لقب «الهاوي».



حسن سليمان الهاوي

وقد شغل ضمن نشاطه الفني منصب سكرتير رابطة الفنانين في فترة الخمسينيات. واشتهر الهاوي بأدائه للأغاني الخفيفة مثله في ذلك مثل الفنان حسن عطية بل ردد بعض أغنيات الأخير مثل أغنية "ليه يا سمير ما جيت". وغنى لعلي المساح أغنية "نصف الهوى" كما غنى "الملاك الساكن" وغنى لعبد الرحمن الريح "يا ساكنين البراري" و"لو أنت نسيت أنا ما نسيت نشأتنا الأولى أيام جهالتنا وزمن الطفولة". ومن أشهر أغانيه أغنية "ما شقيتك" للشاعر خضر حسن سعد وتقول:

ما شقيتك أنت الشقيتني

ما جفيتك أنت الجفيتني

ما نسيتك أنت النسيتني

في خيالك لو كان لقيتني

راعي نص الهوى والغرام

ما الخضاب الحنن يداك

و ما الإبار الدقت شفاك

هل خطيباً طالب يداك

أم ده زيناً قلبوه شين

كما غنى حسن سليمان قصيدة أبي القاسم الشابي "عذبة أنت" والتي يقول مطلعها:

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام

كالفجر كالصباح الجديد

أيضاً هناك الفنان حسن درار ابن ديم التعايشة الذي بدأ حياته الفنية كعازف كمان مصاحباً لسرور وكرومة في الثلاثينيات، ثم تحول إلى الأداء، وكان بذلك أول فنان وترى أنجبته الديوم القديمة. وظهر حسن درار كمطرب في أواخر الأربعينيات وتميز باستقامته، حاله في ذلك حال نقيب الفنانين أحمد المصطفى، و لم يعرف عنه طيلة حياته الفنية الغناء في بيوت الأفراح. وكان من أبرز المؤسسين لرابطة الفنانين مع إبراهيم الكاشف وحسن سليمان وحسن عطية وأحمد المصطفى والدكتور محمد آدم أدهم. ويعتبر حسن درار من المُقِلين في عطائهم الفني، ولكن كان قليله مميزاً ارتبط بوجدان عشاق فنه في الخمسينيات والستينيات. ومما غنى أغنية من كلمات وألحان عبد الله حامد العربي يقول مطلعها:

عيونها السودة الجميلة عيون الحور ما مثيلها

نظرة منك توحي لي الهجران يا ظبية

وبنهاية الأربعينيات جاء عهد ابن السجانة عثمان حسين الذي بدأ حياته الفنية عازفاً للعود في فرقة الفنان عبد الحميد يوسف كما ذكر أعلاه وانضم للإذاعة في عام ١٩٤٧م. ويمثل عثمان حسين نموذجاً متفرداً للأغنية السودانية كما وصفه الموسيقار أنس العاقب في ندوة له عن تواصل الأجيال في فن الغناء ودور حقيبة الفن في تثبيت شكل الغناء، إذ قال «...ونجد أنَّ الإذاعة نشرت الأغنية السودانية فظهر جيل أحمد المصطفى حيث تتلمذ على يد سرور وكانت أغنياته مميزة حيث تظهر الموسيقى الكلمات قبل أن يبدأ هو بالغناء مثل أغنية «في سكون الليل» .... أما التلميذ الثاني فهو الكاشف الذي تتلمذ على الحقيبة وتمرد عليها والثالث هو عثمان حسين وهو لم يتمرد و لم يتتلمذ على يد أحد بل بدأ وحده فظهر بشكل مختلف....». تميز عثمان حسين باختياره للمفردات الرصينة ذات المعاني والمضامين التي تدغدغ وجدان العاشقين، فغنى لصلاح أحمد محمد صالح في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات «مات الهوى» والتي تقول:

أنا المظلوم جفاني حبيب فراقه وهجره لي لهيب

أنا الحبيت وما خنت و لعهود الوداد صنت

قضيت العمر في هواهم نسيت الدنيا إلا هم

ولما نالوا .... مرماهم جفوني وقالوا حبي جنون

وقالوا كتير عجيب وغريب

وغنى لصلاح بعد ذلك «نابك ايه في هواه» وغنى له أيضاً:

يا الحبايب كيف تسافروا تسيبونا

لما توصلوا في دياركم اذكرونا

ومرة مرة في ديارنا زورونا

اذكرونا واذكروا النزهة الجميلة

يوم كنا نلهوا في روض الخميلة

اجتمعنا والحبايب حوالينا

وافترقنا والمطر يكب علينا

كما غنى له:

خلاص يا قلبي جافوك

نسوا الإخلاص ونسيوك

فحاول أنت أنساهم

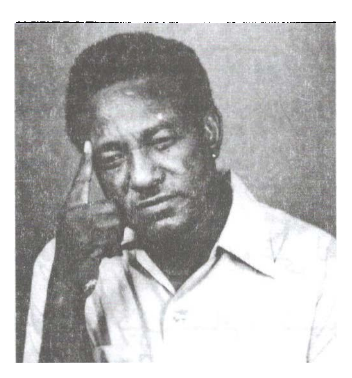
و لا تحفل بذكراهم

و قول للماشي يغشاهم

أمانة تقول لمن هجروا

فراقكم لينا أمروا مريب

وغنى عثمان للشاعر حسين عثمان منصور «خِلاني لاموني ... وعابوا عليَّ هواك».



عثمان حسين

شكل عثمان حسين والشاعر حسين بازرعة ثنائية استمرت لعقدين من الزمان ونيف، أثريا فيها فن الغناء السوداني بدررٍ خالداتٍ. ومثلت فترة هذه الثنائية عنفوان عطاء عثمان حسين الإبداعي. ومن ضمن نتاج هذه الفترة "القبلة السكري":

كيف أنسى ذكراك

والهمس والبسمة

و حرارة الأنفاس

في قبلتي لما

ضمتك يمناي

يا سعد دنياي

وغفوت في صدري

نشوانة بالأحلام

وقدم له أيضاً "من أجل حبي":

جاي تترجاني أغفر ليك ذنبك

ما كفاية الشفته من نارك وحبك

أنت فاكر تاني أرجع لك وأعاتبك

لا يا ناكر دربي أصبح ما هو دربك

كنت تحلم بالسعادة هي في كلمة مودة

هي غير ما أنت فاكر وهي في نبضة مشاعر

في القلوب الما بترد أي طارق أي زائر

شايلة هم الدنيا زاده ومالية كل الكون بشائر

اجتمعنا على المحبة في ثواني

في طريق مفروش بحبي وحناني

و افترقنا كل واحد في طريقه

أنا ضائع و أنت مخدوع بالأماني

كل زادي في ضياعي

قلبي .... مفتوح للأحبة

وغنى لبازرعة أيضاً " لا وحبك":

لا وحبك ولن تكون أبداً نهاية

أنت عارف نظرتك هي البداية

ولن تغير حبنا السامي وشاية

حبنا أكبر من الدنيا ...... وأطول من سنينها

فيه من وطني المسا لم أحلى طيبة وأغلى زينة

وفيه من حريتي معنى وغنوة من روحك حزينة

يسعد العاشق صداها وتفرح الدنيا الحزينة

وضمت قائمة الثنائي عثمان وبازرعة أيضاً "إن تريدي ياليالي":

إن تريدي ياليالي تسعدينا تجمعينا كما كنا

ما تلمي زول علينا

يا الحبايب كيف ..... تسافروا وتسيبونا

لما توصلوا في دياركم ..... اذكرونا

مرة مرة ..... في وطنا ..... زورونا

تجدونا كما كنا والجرح كتر علينا

وغنى له أيضاً "عشقتك":

عشقتك وقالوا ليَّ عشقك حرام

قالوا ليه تعشقوا وأيامك ربيع

تقضي ليلاتك مسهد وابتساماتك دموع

زاد حياتك يبقى غيره وتطفي من عمرك شموع

ومن الأغاني الخالدة لهذا الثنائي أغنية "شجن" و"قصتنا" المحتشدتين بالمرارة والعذاب والبكاء بعكس ما جاء في قصيدة "القبلة السكرى" التي تفيض بالعواطف الجياشة والأحلام الوردية والآمال العريضة. ويقول في مطلع الأولى:

لمتين لمتين يلازمك في هواك مُر الشجن

ويطول بأيامك سهر و يطول عذاب

يا قلبي لو كانت محبته بالثمن

يكفيك هدرت عمر حرقت عليه شباب

لكن هواه أكبر وما كان لثمن

والحسرة ما بتنفع و ما بجدي العتاب

أحسن تخليه لليالي و الزمن

يمكن يحس ضميره و يهديه للصواب

أما "قصتنا" فتقول:

بالمعزة بالمودة البينا بأغلى الصِلات

بالهوى العشناه بأعصابنا خمس سنين ومات

بالعذاب الشفته والسر الكتمته معاك وبأقل الطيبات

استحلفك اترك سبيلي وسيبني وحدي أقاسي مر الذكريات

أنا بحناني الغالي خصيتك وحبيتك بكل جوارحي وعواطفي العميقة

وأنا شلت من أجلك هموم الدنيا قاسيت من جراحها وكل ضيقها

ولسعادتك أنت كم ضحيت واتغربت ما خليت طريقة

وفي مسيري المضني من أجل ..... الحقيقة

وقد غنى عثمان حسين لعشرات الشعراء غير الذين ورد ذكرهم أعلاه، فمن بين من غنى لهم عوض أحمد خليفة "عشرة الأيام":

عشرة الأيام ما بصح تنساها

كأنه ماحبيتك وكأنه ماعشناها

وضمانا أحلى غرام

وإسماعيل حسن "عارفِنه حبيبي":

عارفنه ... حبيبي عارفني ... بحبه

ده حرام عليكم تقيفوا في دربه

حارمني ..... ليه ليه والله بحبه

وقرشي محمد حسن "خمرة العشاق" و "اللقاء الأول":

يا حبيبي أقبل الليــل علينـــا	وضفاف النيل قد أصغت إلينا
وحباب الكأس ذابت في يدينا	وارتشفنـاها تباعـاً فارتوينــا

عندما تغفوا الأزاهر في الربـى	والنسيم الحلو يهفــوا رطبــاً
والندامى يسكبــون العنبـــا	يرشفون الكـأس حبباً حببــاً

وعلي محمود التنقاري "حارم وصلي مالك":

حارم وصلي مالك يا المفرد في عصرك

ويا الكامل جمالك

شاغل فكري مالك ومشغول بي دلالك

وما هماك سهادي و توليهي و بعادي

وعبد المنعم عبد الحي "ليالي المصير":

يا ليالي المصير قولي لخلنا

أوراق الخريف سارت حولنا

يا ليالي الرجاء عودي علنا

إن لاح الضياء يبدو ظلنا

في عرض السماء وفي دنيا المنى

والسر دوليب "حبيب الروح" و"قلبي فاكرك":

حبيبي ليه قلبي فاكرك وأنت ليه

خالي قلبك خالي ... خالي والله ما عليه

كنت فاكر ألقى عندك الحنان تغمرني بيه

قلبي يرسى ألقى جنبك الأمان ويدوم عليه

لو قلت حبيبي سلاني ودع حبه ونساني

مابصدقكم!! دا حبيبي الروح بالروح

أنا عارف حبه إلَّ داري بعطفه عليَّ

نساني غرامه البيَّ قاسمني الليالي الهنية

و غنى له "داوم على حبي":

داوم على حبي

وأسأل على قلبي

ما تفكر ما تفكر تنساني

يا أغلى من روحي عليَّ

وأعز من نور عينيَّ

مالي غيرك ماليَّ

وغنى "محراب النيل" للتيجاني يوسف بشير والتي أظهرت مقدرات عثمان حسين في التلحين والتأليف الموسيقي، ويقول فيها:

أنت يا نيلُ يا سليـل الفـــراديس نبيــل موفق في مســـابك

حضنتك الأفلاك في جنة الخلــد ورقت على وضئ عــبابك

وأمدت عليك أجنحة خضــراء وأضفت ثيــابها في رحابك

فتحدرت في الزمان وأفرغت على الشرق جنة من رضــابك

عجب أنت صاعداً في مراقيك لعمري أو هابطاً في انصبابك

كم نبيل بمجد ماضيك مأخوذ وكم ساجد على أعتابك

ومن أغنيات عثمان حسين أيضاً "الفراش الحائر" و"ظلموني الأحبة" وهناك أيضاً "طيبة الأخلاق" التي تقول كلماتها:

ياطيبة الأخلاق فراق حبيبي الما بنطاق

الريد يا طيبة الأخلاق

ليه يا دنيا تختاري تشيلي حبيبي من جواري

أنا القدمت تذكاري وليهو حطمت آمالي

معاك يا طيبة الأخلاق

قادر ربنا الخلاق أداكي الخلقة والأخلاق

هايم وليك حبيب مشتاق يا تومتي الزمان فراق

ومن أغانيه الخفيفة "ناس لا لا" و"ما بصدقكم" و"حبيبي جفا".

وتطول قائمة إبداع عثمان حسين ويصعب حصرها في هذا المقام فقد قدم أكثر من مائة وعشرين أغنية مسجلة كلها للإذاعة السودانية.

الطرب و الإبداع

لم يقتصر احتضان الخرطوم للإبداع الفني على أبنائها فقط ولكن شمل كل من جاء إليها باحثاً عنه، والقائمة تطول بهؤلاء بدأً من إبراهيم الكاشف الذي كان أول مقر له بالديوم القديمة عندما جاء من مدني في الثلاثينيات، وكذلك الحال بالنسبة لإحدى قمم الطرب السوداني الفنان محمد عثمان وردي. جاء وردي للعاصمة منقولاً في النصف الثاني من الخمسينيات ليعمل مدرساً في مدارسها، وأقام في حي المزاد بالديوم الشرقية ومنها بدأ يشتهر إلى أن أصبح نخلة سامقة في سماوات الغناء الحديث كسموق النخيل في سماء عبري. جاء إلى الخرطوم بلا رصيد من الأغنيات الخاصة به ولكن بصوت ملائكي ومقدرات أدائية غير عادية وطموح فني غير محدود.



ابن صاي محمد عثمان وردي في مسقط رأسه

تلقفت الخرطوم وشعراء الخرطوم وملحنو الخرطوم محمد عثمان وردي فكان الناتج لهذه المعادلة قمة فنية أطربت وأشجت وجدان جميع السودانيين لعقود ماضية وآتية. كانت البداية الفنية الحقيقية لوردي مع الشاعر والملحن خليل أحمد عبد العزيز فكانت الأغاني التي ارتحلت معها الأحاسيس الإنسانية وحلقت في عوالم من الطرب الشجي: "يا طير يا طائر" و"الليلة يا سمرة" و"الحب والورود". ثم جاءت الانطلاقة مع شاعر السجانة إسماعيل حسن، التي وصفها عبد الجليل محمد عبد الجليل في مقالته بمناسبة العيد السبعين لوردي "حياة عامرة بالإبداع ....."[١٧٠] حيث قال: «الزمان مارس ١٩٥٨م المكان الخرطوم وتحديداً حي السجانة التقيا هذا الإبداع الأستاذ وردي والشاعر إسماعيل حسن .... فقدم هذا الثنائي الرائع الجميل ما لذّ وطاب من الكلمات والألحان الجيدة الجميلة المترعة من دواخل الوجدان والمعايشة كَوَنا بحق عقد الانسجام العاطفي، بعثا ألواناً من الطرب الأصيل ...».

قدم هذا الثنائي المبدع لوحات فنية وجمالية ستظل خالدة في وجدان الشعب السوداني منها «سؤال» و»بعد أيه» و»يا ناسينا» و»لو بهمسة» و»نور العين» و»ذات الشامة» و»الوصية» و»خاف من الله» و»عوده» وغيرها. وفيما يلي بعض النماذج لهذه الأغنيات. فأغنية «سؤال» تبدأ كلماتها بـ:

كده أسأل قلبك عن حالي أسأله

تنبيك عن سؤالك أشواقي أسأله

أسأل عيونك يا أجمل حبيب

وأسأل لي خدودك براها بتجيب

أما أغنية «يا ناسينا» التي قدمها وردي في بداية الستينات فتقول:

١٧٠ عبد الجليل محمد عبد الجليل، العيد السبعين من العمر المديد للعملاق الغنائي وردي: حياة عامرة بالإبداع ...، جريدة الصحافة، الخميس ٨ أغسطس ٢٠٠٢م.

يا ناسينا يا جافينا .... حن علينا

حبيب مشتاق أشوف عينيك

و أشوف الموج على خديك

هناي في بسمتك ... في وقفتك ... في مشيك

بالغالي العزيز أفديك

ونالت أغنية «نور العين» حظاً وافراً من الشهرة وما زالت، وقد اختيرت أغنية الموسم لعدة سنوات وتقول كلماتها:

يا نور العين أنت وينك وين؟

قلبي الحابيك ما خان لياليك

ما ناسي الماضي ما تقول ناسيك

ما بدَّل حبه أبداً ما أتنكر ليك

لكن الأشواك والنار حواليك

ونموذج آخر لغناء العواطف الإنسانية الصادقة يتمثل في أغنية «خاف من الله» والتي جاء فيها:

سنين و أيام قضيت عمري في لوعة

أنادي الليل وأقول يا ليل أنا المظلوم عزاي دمعة

وجد وردي في إسماعيل حسن ضالته ومَدَدَه الذي قويت به شوكته ليزاحم وينافس الكبار الذين امتلأت بهم ساحة الغناء في عصره الذهبي أمثال إبراهيم الكاشف وأحمد المصطفى وحسن عطية وعثمان حسين وإبراهيم عوض. ثم بدأ وردي يتعامل مع شعراء من مدارس شتى ديدنه في الاختيار جدة الموضوع وصدق الإحساس ومعاني الكلمات وروعتها. وبهذه المعايير غنى وردي

للجيلي محمد صالح «توبة من هواكم توبة» و»الحِبَيب قلبو طيب»، ولعبد الرحمن الريح «أسعد الأيام»، وللطاهر إبراهيم «حرمت الحب والريدة»، ولإبراهيم الرشيد «سليم الذوق»، وللصاوي عبد الكافي «أمير الحسن» و»حبيب القلب»، ولكمال محيسي «جمال الكون»، ولمحمد يوسف موسى «عذبني وتفنن في ألوان عذابي»، وغنى لعبد المنعم عباس «أخادع نفسي» والتي تقول:

شبابي معاك ما أضيع أمانيه

وعمر هواك ما أقصر لياليه

رضيت بي ظلمه أحياه وأقاسيه

ولو خلاني ما بقدر أخليه

أخادع نفسي بي حبك وأمنيها

وغنى للجيلي عبد المنعم «مرحباً يا شوق»:

لم يكن إلا لقاءً وافترقنا

كالفراشات على نار الهوى

جئنا إليها واحترقنا

كان طيفاً وخيالاً... ورؤى

ثم ودعنا الأماني وأفقنا

بالذي أودع في عينيك إلهاماً وسحراً

والتقى الفنان محمد عثمان وردي مع التيجاني سعيد في رائعته «من غير ميعاد»:

كل الطيوب الحلوة يا مــولاتي والجيـد الرقيق

واللفتة والخصل اللي نامت فوق تسابيح البريق

وخطاكي والهدب المكحـل وفتنة التـوب الأنيق

في لحظة مرت كالظلال تعبر رؤاي إحساس عميق

فتحت جرح الليل عزاء ومن صمتي ما قـادر أفيق

وغنى وردي لأبي آمنة حامد «بنحب من بلدنا ما بره البلد» و «قالوا بتحب قلت ليهم مالو». كما شكل ثنائية مع إسحق الحلنقي فقدما العديد من الأعمال الرائعة تمثلت في «أعز الناس» و»يلا وتعال» و «الصورة» و»فرحي خلق الله» و»قطر الندى» و»دوري دوري يا أيام» و»عصافير الخريف» وغيرها. وقائمة الغناء العاطفي عند محمد وردي لم تكتمل بهذا السرد، فقد تعامل الفنان مع شعراء آخرين.

كما غنى وردي للعاطفة غنى للوطن أغنيات خالدات، فقد غنى لعبد الواحد عبد الله ومرسي صالح سراج ومحمد المكي إبراهيم وصلاح أحمد إبراهيم والطاهر إبراهيم ومحجوب شريف وغيرهم. وكما قال عنه مرة أخرى عبد الجليل محمد عبد الجليل: «.... إنَّ الوطن والغناء يسريان في دم وردي ويتجاوبان مع مشاعره .... ولذا صار أستاذنا وردي عنواناً للأغنية الأفريقية والعربية ....»[١٧١].

فن الحقيبة

كانت الأغاني السائدة في مطلع القرن العشرين «هي عبارة عن إنشاد ودوبيت تغنى في حفلات السمر بطريقة المجاراة في الجرس والوزن على النمط الذي نسميه اليوم في مدن وقرى البلاد أغاني طنبور أو كرير (وهي أغاني قصيرة تردد في بيوت الأفراح بغرض الرقص عليها ... عبارة عن رميه تؤدى بالحلق

١٧١ عبد الجليل محمد عبد الجليل، العيد السبعين من العمر المديد للعملاق الغنائي وردي: حياة عامرة بالإبداع ..، جريدة الصحافة، الخميس ٨ أغسطس ٢٠٠٢م.

(الحنجرة) وتعتمد أساساً على متانة حنجرة الطنبارة وقوة احتمالها) وبعدها تدخل المجموعة تطنبر بحلوقها وتصفق بأياديها مع ضرب الأرض بالأرجل كوسيلة لإخراج إيقاع منغم ترقص عليه الفتيات.»[١٧٢]

ثم جاءت «الفترة الفنية الأولى» كما سماها الدكتور الفاتح الطاهر[١٧٣]، والتي عرفت بفترة حقيبة الفن التي استمرت من بداية العشرينيات حتى منتصف الثلاثينيات. اتفق الكثير من أهالي الخرطوم بأنّ الفنان علي إدريس الشايقي من ديم التعايشة يعتبر من أوائل الفنانين الذين ظهروا في الخرطوم وذلك في فترة العشرينيات. وكان قبل ذلك أحد الشيالين للحاج محمد أحمد سرور وانفصل عنه وأنشأ كياناً خاصاً به وأصبح يُرَقص البنات. والمقصود بترقيص البنات هو أنَّه أصبح فناناً يغني في اللعبات أي الحفلات، ففي تلك الفترة كانت تطلق على المغني كلمة مرقص بنات ويوصف بالصايع أو الصعلوك ويرجع ذلك لطبيعة المجتمع الدينية المحافظة التي كانت ترى في الغناء نوعاً من الانحلال. غنى علي الشايقي للكثير من شعراء الحقيبة ولكن نجد أكثر من غنى له هو الشاعر صالح عبد السيد (أبوصلاح)، إذ شكلا ثنائية في تلك الفترة المبكرة للغناء السوداني. تميز الشايقي بصوت شجي وبنبرة فيها شيء من الحزن الجميل. ومن الأغاني التي غناها علي الشايقي لأبو صلاح في عام ١٩٢٩م أغنيته التي تقول:

من مناظر الحفلة الجميلة   ليلـة تُرجـح بألـف عـام
يا ظبية الناظـر كَحيـلة   طرفي سـاهر دون الأنـام
قلبي في إيدك ومـا لاقي   حيلة كيف يزورني طيف المنام

وغنى لأبو صلاح أيضاً «يا أم جبين بدري» و»العجبتيها وفي دروعها كابِّي حرْتيها» و»سبعة زينة الدنيا وسعودها».

١٧٢ الدكتور الفاتح الطاهر، أنا أمدرمان: تاريخ الموسيقى في السودان، الخرطوم، ١٩٩٣.
١٧٣ نفس المصدر السابق.

اشتهر علي الشايقي على مستوى الديوم القديمة أولاً ثم على مستوى الخرطوم عامةً، إذ غنى لفترة من الزمن في قهوة الأمين بسوق الخرطوم شمال عندما كان بشير الرباطابي يغني في قهوة عبد الماجد عوض السيد. ذاع صيت علي الشايقي حتى صار منافساً لأستاذه وشيخه سرور. ومن حكاوي هذا التنافس أنَّ علي الشايقي كان في إحدى الليالي يُحيي لعبة (حفلة) في الإسطبلات وكانت في تلك الفترة في مواجهة إشلاق إسماعيل باشا (القيادة العامة حالياً) من الناحية الشمالية، وجاء سرور و وجد علي يُرقص في البنات فما كان من الأول إلا أن خلع برنيطته (من المأثور عن سرور مواظبته على اللبس الإفرنجي) وضرب برأسه رأس علي الشايقي (وكان سرور مشهور بروسيته) حتى سال الدم من رأس الأخير، ولكن رغم ذلك استمر علي في ترقيص البنت التي كانت على السباتة والدم يسيل من رأسه حتى انتهى من الأغنية التي كان يؤديها وهي أغنية:

من مناظر الحفلة الجميلة　　　ليلة ترجح بى ألف عام

ثم حاول بعد ذلك الانتقام لنفسه وتدخل الحضور وفضوا الاشتباك بين الاثنين. وفي هذه الحكاية دلالة على مكانة علي الشايقي الفنية في تلك الفترة وبلوغه شأواً أصبح معه الحاج محمد أحمد سرور مؤسس أغنية حقيبة الفن يعمل له ألف حساب. ترك علي الشايقي الخرطوم وسافر إلى الأُبَيِّض واستقر بها في عام ١٩٣٦م.

أيضاً من الشخصيات الفنية التي أقامت في الخرطوم في فترة العشرينيات عبد المطلب أحمد عبد المطلب المشهور بحدباي والذي اشتهر كشاعر لأغاني حقيبة الفن ولقب بشاعر الجمال، فهو بجانب شاعريته كان فناناً مؤدياً للكثير من أغاني حقيبة الفن وله عدد من الأسطوانات. وحدباي في الأصل من منطقة

الجيلي، ولد في مدينة أم درمان، وعمل كاتباً ثم سائقاً في هيئة توفير المياه وسكن الخرطوم شمال ثم الديوم في فترة العشرينيات، وعُرف بصداقته لخليل فرح.



عبد المطلب أحمد حدباي

يعتبر حدباي من شعراء الحقيبة الأوائل وغنى له الكثير من فناني الحقيبة، فقد غنى له الحاج محمد أحمد سرور في عام ١٩٢٩م أغنية زهر الرياض والتي يبدأ مطلعها بقوله:

زهر الرياض في غصونه ماح واتراخى في الساحة أم سماح

شايقني من طبعه الجماح هاك مني أقوالاً صحاح

لا كلفة لا خوف لا لحاح خائني عيني الشحاح

ثم يقول:

الحبهُن فيني من قديم ما زجِنو بالدم والأديم

خدام جناين يا نديم لا زلت لامن انعدم

بوصف كمال ليلاتنا ديل ما بنسى أصوات الهديل

وأبدع في موسيقاها الموسيقار وهبة كما يظهره تسجيل نهاية الأغنية في الأسطوانة. ومن أغاني وألحان حدباي أيضاً "البي صباها اسمعوا قولي بحكي

نباها" سجلها بصوته في أسطوانة في مصر في مستهل الثلاثينيات. ومن نظمه أيضاً شعار برنامج حقيبة الفن الإذاعي التي تقول كلماته:

الليلة كيف أمسيتو يا ملوك أم دُر

يبقى لينا نسيتو .... المنام أبى ليّ

بالسقام لجسمي وخليل أكسيتوهُ

مالو لو بى طيف المنام آسيتوهُ

قدم خليل فرح إلى مدينة الخرطوم في عام ١٩٠٨م ليلتحق بكلية غردون طالباً في مدرسة الصناعات، وبعد إكماله للدراسة توظف في البوستة. سكن في حي الترس حيث ظهرت مواهبه وإبداعاته الفنية منذ بداية العشرينات، وكان يؤلف كلمات أغانيه ويلحنها ويؤديها بنفسه على آلة العود التي لم تكن منتشرة حينذاك. ويحكي الدكتور الفاتح الطاهر عن تفرد تجربة الخليل الغنائية واختلافها الجوهري عن النمط السائد في ذلك الحين فيقول: «أما أسلوب مرافقة العود فقد أخذه عن بعض هواة الغناء المصريين الذين كانوا يسكنون معه في الحي «حي الترس» أكد به فوراً مواهبه الممتازة، مما جذب انتباه المستمعين نحو الإمكانيات المبهجة للآلات الموسيقية، وعلى خلاف ممثلي الاتجاه الفني الأم درماني من الذين كانوا يؤلفون الأغاني التي تتغنى بجمال المرأة وأحاسيس الحب، كان خليل فرح يضمن أغانيه مواضيع كثيرة رحبة، إذ كانت ذات طبيعة ثورية سياسية تدعو للنضال من اجل حرية البلاد. وذات طبيعة ملحمية تتغنى بجمال الوطن، وذات طابع وجداني مما ميزها بسمة الرجولة مقارنة مع أغلبية أغاني المطربين الآخرين التي كانت تحمل طابعاً نسوياً، وقد كانت أغاني خليل فرح المكرسة للطبيعة السودانية بمثابة قمة إبداعية، فقد عبر بدقة بالغة عن توحد الطبيعة شاعراً بنفسه جزءاً لا يتجزأ من تكوينها وبذلك حرر كلام الأغاني من

الابتذال والسوقية والتفاهة ونقلها إلى إطار النظافة والثقافة والتعبير الفني الراقي عن أحاسيس النفس البشرية. ...... تعتبر التجارب التي قام بها خليل فرح في حقل الشكل في أغنياته تجارب جريئة كشفت عن حسه المرهف وفكره الرفيع ولذا كان له تأثير على مدرسة أم درمان الفنية حيث تجاوب معه الناس ووجدوا في ذلك نمطاً جديداً للأغنية غير أغنية أم درمان التي كانت تعتمد على الترداد والتطريب.»[١٧٤]

رغم أنَّ خليل فرح كان يسكن في حي الترس بالخرطوم شمال إلا أنَّه كان كثير التردد على الديوم القديمة خاصة ديم التعايشة حيث كان يسكن زميل دراسته وصديقه عبد اللطيف التربي. وللخليل قصيدة مشهورة نظمها في عام ١٩٢٨م في مناسبة زواج عبد اللطيف يقول فيها:

فتَك ملأ الظل الوريف

في الحفلة نوار الخريف

شال نومي محياه الظريف

ما بننسى في الجمع اللفيف

الحشمة والطبع العفيف

والروقة في الدور الخفيف

واتقلد الدرعة أم سفيف

ولا ينسي في القصيدة أن يكفر للعريس مرضه خلال أيام العرس بقوله:

الوردة شن سوت وجل

واتقلعت ملت الحِجل

غير قدرة المولى الأجل

١٧٤ الدكتور الفاتح الطاهر، أنا أمدرمان: تاريخ الموسيقى في السودان، الخرطوم، ١٩٩٣.

لا بتحوي لا بتحمي الأجل

....

العافية زي القطيف

تتمشى مع لطف اللطيف

شن زارنا من الحمى طيف

كفارة يا عبد اللطيف

ومن أغاني الخليل ذائعة الصيت أغنية «زهرة روما» التي صورت فتاة يونانية ذات فتنة طاغية وجمال ساحر خلاب، كانت تسكن في الحي الإفرنجي (حي الحرس) في الخرطوم. شاهدها الخليل فنظم فيها قوله:

فوق جناين الشاطي وبين قصور الروم

حيّ زهرة روما وأبكِي يا مغروم

دره سالبة عقولنا ولبسوها طقوم

ملكة آسرة قلوبنا تبيت عليها تقوم

الطريق إن مرت بالخلوق مزحوم

كالهلال الهلاّ الناس عليها تحوم

شوف عناقيد ديسها تقول عنب كروم

وشوف وريده الماثل زي زجاجة روم

القوام اللادن والحشا المبروم

والصدير الطامح زي خليج الروم

ومن الأغاني الخالدة للخليل أغنياته المليئة بالرمز للتعبير عن أحاسيسه الوطنية مثل « يا عزة الفراق بي طال وسال سيل الدَّمِع هطال» و»مالو أعياه النضال

بدني روحي ليه مشتاقة ود مدني» و«عزة في هواك عزة نحن الجبال»، وتقول كلمات الأخيرة:

عزّة في هواك نحن الجبـــال   لي البخوض صفاك نحـن النبـــال

xxx

عزّة ما بنـوم الليــل مـــحال   أحسب النجوم فـوق الرحـــال

أخلق الزاد كمل أنا حالي حال   متين أعود أشوف ظبياتنا الكحال

عزّة ما سليت وطن الجمـــال   ولا ابتغيت بديل غير الكمـــال

وقلبي لسواك ما شفته مـــال   خـــذيني باليمين أنا راقد شمـــال

عزّة في الفؤاد سحرك حــلال   ونار هواك شفـــا وتيهـــك دلال

ودمعي في هواك حلو كالزلال   تزيدي كل يوم عظمة أزداد جلال

وأيضاً من أغنياته الوطنية «ما غلطان» و«نوح يا حمام» و«دا هوى الأوطان» و«يا نيلنا يا نيل الحياة» و«الشرف الباذخ» التي تقول كلماتها:

نحن ونحن الشرف الباذخ دابي الكر شباب النيل

xxx

نحن الصولة ونحن الدولة نحن برانا نحمي حمانا

نحن نموت ويحيا النيل

يا نزلانا امرقوا الذِمَّة كيف ينطاق هوان الأمَّة؟

زردوا حلوقنا، وشالوا حقوقنا ديل عاوزين دمانا تسيل

ونَظَمَ الخليل قصيدة «ما هُوْ عارف قدمو المفارق» وهو يستعد للسفر إلى مصر بغرض العلاج من مرض الصدر الذي أصابه وهو في عنفوان شبابه، وكان أصدقاؤه يسمون هذه الأغنية بأغنية الوداع، ويبدأ مطلعها بـ:

ما هُوْ عارف قدمو المفارق يا محط آمالي السلام

في سموم الصيف لاح له بارق لم يزل يرتاد المشارق

كان مع الأحباب نجمه شارق ماله والأفلاك في ظلام

يا دهر اهوالك تسارق فيها كم كم شابت مفارق

ويقول فيها:

يا جميل يا نور الشقايق أملأ كاسك واصبر دقايق

مجلسك مفهوم شوفه رايق عقده ناقص زول ولا تام؟

ومن أغانيه أيضاً «في الضواحي وطرف المدائن يلا ننظر شفق الصباح» و»فلق الصباح قولي أهو نورك لاح خِلي». ونلاحظ أنَّ خليل فرح لحن أغانيه وأدَّاها بصوته قبل أن يقدمها الآخرين.

تجب الإشارة أيضاً إلى أن الخليل هو أول فنان سوداني لحن الشعر العربي القديم وغناه، إذ لحن وغنى قصيدة عمر بن أبي ربيعة التي تقول:

أعبدة ما ينسي مودتك القلب ولا هو يسليه رخاء ولا كرب

ولا قول واش كاشح ذي عداوة ولا بُعد دار أن نأيت ولا قرب

وما ذاك من نعمى لديك أصابها ولكن حباً ما يقاربه حب

وعبدة بيضاء المحاجر طفلة منعمة تصبي الحليم وما تصبو

ولست بناس يوم قالت لأربع نواعم غر كلهن لها ترب

ألا ليت شعري فيم كان صدوده أعلق أخرى؟ أم علي به عتب!

كما لحن الخليل للأمين برهان العديد من الأغاني منها «بين هاتيك القصور» و«الشرق لاح نوره» و«زاهي فرعك نما».

كان الخليل يشارك في منتدى شعراء الأغنية في العشرينيات الذي كان يعقد

بصفة راتبة في دكان الشاعر أحمد حسين العمرابي بالسوق العربي حيث يلتقي بإبراهيم العبادي ومحمد ود الرضي وعبد المطلب حدباي ومصطفى بطران ويوسف حسب الله (سلطان العاشقين) وكذلك المطربين محمد أحمد سرور والأمين برهان وعبد الله الماحي.

فن الحقيبة و الديوم

كانت الديوم القديمة قبلة للكثير من الفنانين في فترة العشرينيات حتى الأربعينيات، فكان يقصدها سرور وكرومة وعمر البنا ومحمد الأمين بادي من أم درمان والأمين برهان من بحري والجاغريو من العيلفون. وكان سرور خاصة دائم الحضور للديوم سواءً لإحياء الحفلات أو لعلاقاته الاجتماعية التي كان يقيمها مع العديد من شخصيات الديوم. أما كرومة فكان كثير الظهور هو والخليل في حي القمرة بديم التعايشة إذ كانت تربطهما صداقة حميمة بعبد اللطيف التربي، لذا كان كرومة يحيي معظم حفلات هذا الحي. وكان من بين أعضاء الفرقة المصاحبة لكرومة وسرور ابن ديم التعايشة الفنان حسن درار عازفاً للكمان وابن السجانة علي صغير أحد الشيالين (أحد أفراد الكورس). كذلك كان لابن العيلفون الشاعر والفنان أحمد محمد علي الشيخ الجاغريو خال الفنان أحمد المصطفى حضور مستمر للديوم وغنى في كثير من حفلاتها. واشتهر الجاغريو بأغنياته الايقاعية مثل «سميري» و «يا رائع» و »طار قلبي مني وراح» و »الهادية راضية» و «يا حبيبي أنا فرحان» وكل هذه الأغاني رددها ابن أخته الفنان أحمد المصطفى.



أحمد محمد علي الشيخ الجاغريو

يُعزى هذا التواجد المستمر لأساطين الفن هؤلاء في الديوم لجمال وظرف شباب الديوم ولحبهم للطرب والبهجة ولرهافة حسهم الفني، وقد لازمتهم هذه الصفات حتى بعد انتقالهم إلى الديوم الجديدة. أدت هذه الصفات إلى ظهور الكثير من الأصوات الغنائية والفرق الموسيقية على مدى عمر الديوم قديمها وجديدها. فكما ذكر سابقاً ظهر علي الشايقي من ديم التعايشة في العشرينيات وسطع نجمه في الثلاثينيات، وحينها ظهر أيضاً في الديوم سعد عبد الرحيم عبد الله وأحمد الكناني وطه الأمين وكان لهم حضور في ساحة الديوم الفنية في تلك الفترة مما دفع محمد داؤود حسين لتسجيل أسطوانات لهم بعد إحضاره لماكينة تسجيل الأسطوانات.

كما شهدت الفترة الممتدة من منتصف الثلاثينيات إلى منتصف الأربعينيات ظهور عدد من مغنيي الحقيبة في منطقة الديوم و السجانة. من هؤلاء محجوب سيد أحمد وكان من الشيالة معه (كورس) جمعة نعمان وصالح سعيد من أبناء ديم التعايشة. وفي نهاية الثلاثينيات انفصل جمعة نعمان وصالح سعيد عن محجوب وشكلا ثنائياً يؤدي أغاني كرومة وسرور والأمين برهان. كما غنى جمعة نعمان منفرداً (سولو) فترة من الزمان قبل تركه الغناء في ١٩٤٦م. اشتهر هذا الثنائي في الديوم والسجانة والشجرة والقوز. ويقال أنَّ كرومة استمع لهذا الثنائي وهو

يؤدي «عيون الصيد ناعسات عَيُوني وعيون النيل حاكن عِيوني» برواية «التقيل» قبل أن يحولها إلى خفيف «نقرزان» وأثنى على أدائهم وشجعهم. وفي هذه الفترة ظهر أيضاً في الديوم صديق محمد ومصطفى كافوت، بينما ظهر في السجانة ود العوض وعلي الصغير، وكان الأخير أحد الشيالة مع كرومة، كما ظهر في منطقة البراري عباس صيام والد لاعب الهلال الهادي صيام وكانت معظم حفلاته في منطقة الديوم. لمع من البراري أيضاً بابكر خليل وله اسطوانات وكان الشيالة معه هم عمر شمام وحاج البدوي، وكل هؤلاء كانوا يؤدون أغاني حقيبة الفن.

وبنهاية الأربعينيات وانتقال أهالي الديوم القديمة إلى الديوم الجديدة ظهر عبد الرحيم الأمين الدنقلاوي وتربع على عرش أداء أغاني حقيبة الفن في مدينة الخرطوم طوال فترة الخمسينيات. وقد أخذ عبد الرحيم الكثير من فن وأسلوب كرومة في الأداء، لذا كان الكثيرون من سكان الخرطوم يعتبرونه خليفة لكرومة وامتداداً له رغم الفارق خاصة في المقدرات التلحينية الهائلة التي تميز بها كرومة و لم يضاهه فيها حتى الحاج محمد أحمد سرور. ومن أجمل الألحان التي غناها عبد الرحيم الأمين «نغيم فاهك يا أم زين دواي» وكان يرددها الفنان محمد حسنين وتقول:

نغيم فاهك يا أم زين دواي شفاي البجبر قواي

يا أم حب ركب دواي كِمِل صبري وازداد جواي

رق جسمي صابو انتحال عَلَيَّ حبك حمل الرحال

ومن حبك صار حالي حال و يالقمرة و صالك محال

ثم يقول:

أنا عديم الحب و الوداد أنا الحافظ حق الوداد

أنا الهائم والناس شداد أنا اللابس توب الحداد

وأنا الحامل البلاء ما اشتكى وأنا كاتم السر ما حكى

أنا الحُجة بحل مشبكها أنا مساح دمع البكا

ضم كورس عبد الرحيم الأمين من أولاد الديوم كلاً من عبد الله الرباطابي وطيفور و ود بلة. ومَثَلَ هذا الكورس تواصل الأجيال، إذ بمجيء الستينيات شهدت الديوم الجديدة ميلاد نجم عبد الله الرباطابي وكان كورسه في البداية يتكون من طيفور وخالد سليمان، ثم تكونت فرقة الإخوة بقيادة عبد الله الرباطابي وعضوية كل من خالد سليمان وأحمد وقيع الله وسليمان أبشر و وداعة محمد إدريس، وملأت هذه الفرقة سماوات الديوم والخرطوم عموم دفئاً وألقاً وفيضاً من الأحاسيس النبيلة. وكانت فرقة الإخوة ضربة البداية لسلسلة من الفرق الشعبية التي تواترت على الديوم في فترة الستينيات، إذ ظهر بعدها فرقة أولاد القنا بثلاثيها عطا عمر صالح وبدر الدين حسن عباس وسيف الدين بشير ثم أصبحوا ثنائي عطا وبدر الدين، كذلك في فترة من الفترات كون بدر الدين وسيف الدين ثنائي. وجاءت بعد ذلك فرقة الصداقة بقيادة قاسم محمود في نهاية الستينيات لِتَنْضُم درة إضافية في العقد الفريد للفرق الشعبية بالديوم.

يروي خالد سليمان قصة إنشاء اتحاد الفنانين الشعبيين في أم درمان فيقول « نبعت الفكرة في الخرطوم، إذ فكر عبد الله الرباطابي وطيفور وخالد سليمان ومعهم عبد الرحيم الأمين وحسن الأمين، والأخير من أم درمان، في إنشاء اتحاد يجمع الفنانين الشعبيين في الخرطوم، وتم عمل لجنة تمهيدية لذلك الغرض وشرعنا في إجراءات التسجيل، في تلك الأثناء أخذ حسن الأمين الفكرة وطرحها على زملائه في أم درمان فقاموا بتنفيذها هناك حيث أنشأوا اتحاد الفنانين الشعبيين قبل أن نُكمِل ما بدأناه فقد كنا مجموعة من الهواة بينما الآخرون فيهم الكثير من المحترفين».

ويتواصل عقد الإبداع الغنائي في مدينة الخرطوم فنرصد إبراهيم إدريس الملقب بود المقرن وقد ظهر بصوته الرخيم والمميز في أوائل الخمسينيات، وهو يعتبر من الفنانين المُقِلين المُجيدين. من الأغاني الشجية التي غناها «أنا في شخصك بحترم أشخاص» كلمات عبد الرحمن الريح وتقول كلماتها:

تُهتَ في حبك والفؤاد مجروح ما فضل مني شيء خلاف الروح

هكذا الأشواق تسمو بالعشاق من ثرى الأشباح لسماء الأرواح

حيث تروي هناك للنجوم معناك سابحة في علياك طاهرة كالأملاك

أنت أبهج نور من بدور الكمال سابحة فيك آيات من معاني الجمال

تجعل الفنان عبقري الخيال كان نظم أشعار أو عزف أوتار

تندهش أفكار والعقول تحتار يا جميل يا ما للجمال أسحار

أنا في شخصك بحترم أشخاص ---

شوف دموع عيني سايلة في خدي من لهيب الشوق

برضو ما في خلاص هكذا يا ظالم جزاء الإخلاص

كما غنى إبراهيم إدريس»أحاسيس» كلمات وألحان عبد الرحمن الريح والتي تقول بعض كلماتها:

حديث واحد ببكي وحديث واحد بفرح

بحُبك بصرح والتصريح يكون بعض الأحيان مجرح

حديث الحب ملون وواحد منه ظاهر والآخر مدون

في صفحة فؤادي من الآمال مكون

حبيبي الحب جواهر وباقات من أزاهر

تغني بيه الطبيعة على لحن المزاهر

وتسمع منه نغمة مع الأفلاك تساهر

تفهم منه كلمة بمعنى الحب تجاهر

ومن أغانيه أيضاً:

أنا بحب حبيبي براه

يا رب تتم آمالي

مساء وصبح ألقاه

أنا تعم فؤادي الفرحة

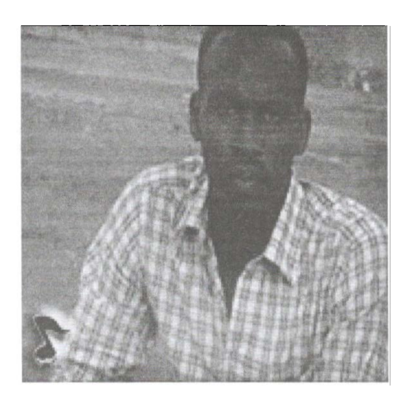
والروح تكون منشرحة

أيامي تصبح سمحة

وأسعد حياتي معاه

ومن ضمن زمرة الطرب الشجي الفنان التيجاني مختار وهو من مواليد السجانة (أوائل الثلاثينيات)، ظهر في الخمسينيات والستينيات وهو أيضاً من المُقِلِين المجيدين. كان أحد أعضاء فرقة الخرطوم جنوب للتمثيل والموسيقى وأصبح رئيساً فخرياً لها في فترة من الفترات. تمتع التيجاني مختار بصوت شجي ورخيم وكانت معظم الحفلات التي تقام في السجانة وفي منطقة الديوم هو نجمها الساطع والقاسم المشترك فيها. واشتهر بترديد أغاني الآخرين وإجادة أدائها بصورة يفوق بها أصحابها وذلك لحلاوة صوته وجماله مع أدائه المتميز. غنى لإسماعيل حسن عدد من الأغاني، ولحن له رفيق دربه الملحن خليل أحمد

عدد منها، كما تعامل مع الملحن علاءالدين حمزة بعد انضمامه للإذاعة. من أشهر أغانيه أغنية «سمرة يا سمرة» كلمات إسماعيل حسن وألحان خليل أحمد.



التيجاني مختار

كما ظهر في تلك الفترة أيضاً محمد الحويج ضمن ثلاثي العاصمة الذي ضم بجانبه السني الضوي وإبراهيم أبو دية ثم أصبح ثنائي العاصمة بعد رحيل الحويج. واحتضنت الخرطوم في الخمسينيات اثنين من أبناء ود مدني، تماماً كما احتضنت في الثلاثينيات ابن مدينتهم إبراهيم الكاشف، هم رمضان حسن مندي ورمضان زايد فسكن الأول بديم سلك والثاني بديم التعايشة، لتزداد حبات العقد عدداً ونضاراً وليضيفا نفساً جديداً للأغنية السودانية بما قدماه من درر.

احتضن جمعة باب الله من ديم سلك رمضان حسن وساعده في تكوين فرقة فنية خاصة به كان من ضمن أعضائها محمد جمعة ومرسال سيسبان وصالح شاهين وإبراهيم محمد جمعة وحمزة سعيد وعازف العود سيف عبد القادر. شكل رمضان حسن ثنائية مع الشاعر عبد الرحمن الريح الذي قام بتقديمه للإذاعة عند إضراب رابطة الفنانين في عام ١٩٥١م مما أتاح الفرصة لرمضان

وعدد من ناشئة الفنانين آنذاك ولوج دار الإذاعة. غنى رمضان لعبد الرحمن الريح «افْتتانِ» والتي تعتبر من روائع هذا الثنائي:

الزهور صاحية وأنت نائم

داعبت شعرك النسائم

و أيقظك صوت الحمائم

الزهور صاحية في خميلة

وأنت في نشوة يا جميل

وغنى له أيضاً من ألحان السيرة أغنية «حبي الرزين»:

يا حبي الرزين الجائر عليَّ

أنا أشكيك لمين الما حاسي بيَّ

أشكيك للزهور تبتسم معاي

و أيضاً غنى له «حبيب الروح نسانا مالو ماجانا» و»حبيبي الدنيا جميلة» و»دنيا الفرح» و»ليه يا زمن» والتي يقول مطلعها:

ليه يا زمن بَعدت حبيبي وزاد الألم

بعادك طال وإيه ذنبي

وذكراك عذبت قلبي

وغنى لمحمود التنقاري أغنية «تحدي»:

أنا سلمته قلبي قايلو أمين عليه

تحداني ونساني ونسى تقديري ليه

أنا سلمته قلبي وأنا أخلصت ليه

تحداني ونساني وما كان ظني فيه

في أول لقانا أظهر لي محبة

والآن مني صدٌّ ولهجراني حَبَ

معجب بجماله و بفتنة مشيه

وبأسحار عيونه الظاهر في أثيره

خلاص يا قلبي سيبه وانساه المدلل

ومن روائع رمضان حسن أغنية «الأمان» لمحمد بشير عتيق ويقول فيها:

الأمان الأمان يا حبيبي الأمان

يشغل قلبي حبك على مر الزمان

سلطان واستقر وفي جوره استمر كيف ألقى الضمان

يا ما أنت ظالم وأنا طائع أوامرك ولشخصك مسالم

ويقول فيها أيضاً:

الأمان الأمان من فاتكات عيونك وأرحم مهجتي

أنا كيف ما أخافك و مما طرفي شافك

وما حبيت خلافك وحبك منيتي

فرضي وسنتي ناري وجنتي

وغنى رمضان حسن لسيد عبد العزيز أغنية «الجمال والحب» والتي تقول:

الجمال والحب في بلادي

الحضارة وانتشارها في بلادي

وازدهارها في المدارس والنوادي

العلوم العالية و الفنون الراقية

جمالها بادي تنبي عن آثار

قوة الأفكار والبوادي

الأنجزت أعمال وخلدت تذكار

في جبين الوادي

سودانا العاجبنا رسمه

في نفوسنا مقداره يسمو

والطيور أتغنت باسمو

شكل رمضان حسن ثنائية أخرى مع الشاعر محمد الدسوقي إبراهيم فغنى له أول ما غنى «شكوى» التي يقول مطلعها: «أشكو ليك يا ربي من حبيبي الظالم»، ثم غنى له «الذكرى» والتي تبدأ كلماتها بـ:

يا غرامي الأول ذكرى لا تتحول

من فؤادي وروحي للحبيب الأول

وغنى لمحمد الدسوقي «أم حبيبتي» و»زاد الأحبة سهاد مكتوب علينا» وغيرها من الأغاني.

وتعامل رمضان حسن مع الكثير من شعراء الأغنية المحدثين بجانب الرواد، منهم إسماعيل حسن إذ غنى له «بلابل الدوح» و»ليالي حبي» و»مرت ليالي وليالي تمر». وغنى لإسماعيل خورشيد «رسالة» و»جميل يا حبيبي»، ولجعفر فضل المولي «قلبي الحائر»، ولحسن أكرد «مظلوم»، ولعلاء الدين حمزة «من غير وداع».

تجدر الإشارة إلي أنّ أكثر أغاني رمضان حسن من ألحانه حتى تلك

التي نظمها له الشاعر و الملحن عبد الرحمن الريح، إذ نلحظ أنَّ عدد الأغاني التي ليست من ألحانه لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، و منها أغنية «من غير وداع» كلمات و ألحان علاء الدين حمزة و أغنية «موعد مع الزمان» ألحان سيد عبد القادر. أجمع العديد من النقاد على امتلاك رمضان حسن لميلودية قوية و اعتماده على آلة الكمان في ألحانه مع إجادته التامة للعزف على العود، و قد تأثر الفنان محمد الأمين بمقامات رمضان حسن، كما كان الموسيقار برعي محمد دفع الله من المعجبين به، و نُسِب إلى قمة الفن المصري الفنان محمد عبد الوهاب القول بأن «أجمل صوت سوداني هو الفنان الذي يغني أغنية الأمان».

أما رمضان زايد صاحب المفردات المتميزة أثناء أدائه لأغنياته مثل مفردة «خليك مع الزمن» فمن أشهر أغانيه أغنية «ليتني زهر» لمبارك المغربي والتي يقول فيها:

أنا ليتني زهرٌ في خدك الزاهي
يحلو تلاقينا من غير أوزار

وغنى أيضاً:

عيني يا سبب الأذى
شفتي التعب شفتي الأذى
ساهرتي بي آخر جزاء
عيني يا سبب التعب
شفتي الغرام شفتي العجب
الحب في قلوبنا أنكتب

ومن الأغنيات المحببة أغنية «الما حاسة بيَّ» و التي تقول:

من يوم ما رأيتِك أنتِ شغلتي بالي

نسيت أهلي وصحابي وكل الكان حيالي

بحلم بيك دائماً ودايماً في خيالي

يا الما حاسة بيَّ وما دارية بحالي

يا التبري والماس ويا أغلى الجواهر

ويا أعز الجواهر يا من تمنه غالي

ونلحظ أنَّ أغاني رمضان زائد يغلب على نصوصها بساطة المفردات مع قوة تعبيرها واشتقاقها من واقع المجتمع.

هنالك أيضاً منى الخير حفيدة مرسال أبوحشيش لأمها، مؤسس بري أبوحشيش وديم نمرة (١)، والتي سطع نجمها في الخمسينيات والستينيات. وقد ساعدها انتسابها لفرقة الخرطوم جنوب للتمثيل والموسيقى على تطوير أدائها، وأصبحت صوتاً نسائياً مميزاً بجانب صوت عائشة الفلاتية ومهلة العبادية وفاطمة الحاج. غنت العديد من الألحان لخليل أحمد عبد العزيز. ومن أشهر أغانيها «تخاصم يوم» و»عيون المها»، وتقول كلمات الأولى:

تخاصم يوم وتصالح يوم

احترت معاك اعمل لك أيه

جارحني جفاك حارقني بنار

فؤادي معاك والله احتار

أما عيون المها فهي من ألحان عبد الماجد خليفة وتقول كلماتها:

يا عيون المها يا عيون

يا عيون أنت لون الليل

زي لونك سواده كحيل

علمتيني كيف اهواك

سبحان الذي سواك

وغنت لبشير محسن «لي حبيب شاغل بالي»:

لي حبيب شاغل بالي دائماً محطم آمالي

لي حبيب محروم منه لي زمان بسأل عنه

كالبانة بتمايل عوده كالورود نادية خدوده

جفاني ما أوفى وعوده صدَّ قاصد إهمالي

حبيبي ليه نافر مالو ومحير أفكاري دلالو

حبيبي ليه نافر مالو في الخيال شفتَ خيالو

ويأتي في القائمة أيضاً الفنان محمد حسنين الملقب بأبوسريع وسكن الخرطوم نمرة (٣) ثم انتقل إلى ديم القنا. و ساعد على انتشاره الفني الفنان حسن سليمان، وقد تأثر محمد حسنين بالفنانين عبد الرحيم الأمين وحسن الأمين وكان يردد أغنية عبد الرحيم الأمين «نغيم فاهك». ومن أول أغانيه «فوتوا فوتونا» لحسين عثمان منصور:

يا مسافرين وين وين غاب قمر دورين

بين الحنان والبين فاض في دلالك وزاد

انسوا انسونا يلا فوتوا فوتونا

كان بكره جيتونا تلقوا غرامكم زاد

وديت جواب وجواب سلام وشوق وعتاب

سقيتُ قلبي سراب يا ناس غرامكم زاد

وفي أوائل الستينيات ظهر في الساحة الفنية صوت شجي جديد لفنان شاب لم يعمر طويلاً، بدأ في تلك الفترة مع ملحن شاب، الفنان هو أحمد فرح والملحن هو حسن بابكر ومن أغنياتهم «تحلف تقول البيَّ البيّ بيك» و»الطال فراقه سنة وزيادة» و»البريده مالو تأخر بريده» والتي تقول بعض كلماتها:

البريده مالو تأخر بريده يا ناس

ليه رسائله ما بتجينا اللوم عليه أم علينا يا ناس

ما زمان حليفته بينا ما بفضل زول علينا يا ناس

ربما كترت مشاغله ولا إمكن حد شاغله

أو يجوز أهمل بَرِيدنا قلبو أصبح ما بِرِيدنا

وهنالك أيضاً الفنان زكي عبد الكريم الذي سكن في ديم سعد القدامي، ومن أوائل أغانيه في الإذاعة أغنية «يا حبيبي هواك في الروح وفداك قلبي المجروح» كلمات إسماعيل خورشيد وألحان البدري صالح، وغنى أغنية «أسأل نفسك» والتي تقول:

أسأل نفسك بينك وبين عن إخلاصنا

كيف تتجاهل شوقنا البينا

أنت نسيت أيام ما كنا

نعيش الحب في عهده الأول

ياما كتير و كتير فكرنا

وكنا بنحلم بالمستقبل

كما غنى «يا السمحة أنا جاييك عريس»، وغنى «ما مجرد غزل» التي تقول كلماتها:

ما شوية غزل و مجرد أمل

أيه لازم الزعل

و لا لزوم دلال طبعاً وانجفل

جرى شق التلال بالناس ما احتفل

لو رد السلام برقة و خجل

كنا نقول كلام أحلى من الزجل

وغنى أيضاً:

كفاية أشوفك من بعيد

أراك مبتهج وسعيد

كفاية أشوفك يا ملاك

سامي دائماً في علاك

كنت عاشق هَنَاك

وأيام سرورك عندي عيد

كم شفت في دنياك هناي

يا الراقي يا ملك الحسان

ومن أغنياته التي لاقت رواجاً، مثلها مثل أغنية «يا السمحة أنا جاييك عريس»، أغنية «أنت فريدة وملكة كونك» والتي تبدأ بـ:

أنت فريدة وملكة كونك والله سمحة

قلبي ليك وقلبك ليَّ كفاية عنادك يا بنية

وغنى للوطن «حلاة بلدي وحلاة نيلها»:

حلاة بلدي حلاة نيلها

حلاتها بشيلها في قلبي

وأشيل طنبوري وأغنيلها

حلاة الساقية لما تدور

تكب الموية تروي الطين

وغيرها الكثير من ألحان الدليب الشعبية.

فرقة الخرطوم جنوب للتمثيل والموسيقى

تأسست فرقة الخرطوم جنوب للتمثيل والموسيقى في عام ١٩٥٤م وكان أسمها نادي الخرطوم جنوب للتمثيل والموسيقى. كانت البداية في نادي الصبيان بديم سلمان حيث استمرت تمارس نشاطها فيه لمدة سنتين، ثم انتقلت إلى إتحاد الفرق بالخرطوم نمرة (٣) شمال جامع عبد المنعم. ضم إتحاد الفرق بجانب فرقة الخرطوم جنوب فرقة مصطفى فارغات «هبوبة» وفرقة ود أب قبورة. كان رئيس فرقة الخرطوم جنوب في تلك الفترة الحاج حسن شقيق الشاعر إسماعيل حسن وصهر التيجاني مختار. انتقلت الفرقة في نهاية الخمسينيات من الخرطوم نمرة (٣) لأول دار خاصة بها حيث استأجرت منزل حسن مصطفى بالسجانة في الناحية الشمالية الغربية من مدرسة الديم شرق (٢) (مدرسة عزالدين) بجوار طاحونة الزين. ثمَّ انتقلت في أوائل الستينيات إلى بيت آل مجذوب بديم التعايشة إلى الجنوب من محطة الغالي. وأخيراً انتقلت إلى

موقعها الحالي جوار نادي الأهلي في الناحية الشمالية الشرقية من السجانة في منتصف الستينيات بعد اكتمال تشييد المباني في القطعة الممنوحة للفرقة. وهنا تجب الإشارة إلى التضحيات التي قام بها العديد من أعضاء الفرقة لتأسيس دار للفرقة، ومن هؤلاء الملحن خليل أحمد الذي فكر في إقامة حفل خيري في سينما النيلين عند إنشائها في أوائل الستينيات ولتحقيق تلك الفكرة قام برهن ذهب زوجته.

وضمت أول لجنة شُكلت لتسيير الفرقة كل من عبد الرحمن محمد خير رئيساً ومحجوب عبد المالك سكرتيراً وعضوية كل من البدري صالح وعبد المجيد قسم الله وعلي ميرغني. ولعبت الفرقة منذ تأسيسها دوراً أساسياً في تطوير الموسيقى والأغنية الحديثة من خلال تعليم النوتة الموسيقية، وعقد الندوات والورش الفنية، وإقامة الحفلات الموسيقية والغنائية. درجت الفرقة منذ إنشائها وحتى منتصف الستينيات على أن تقيم حفلاً غنائياً تتخلله بعض فقرات الدراما والفكاهة في نهاية كل شهر على مسرح يعد خصيصاً لهذا الغرض. يشارك في هذا الحفل المجاني أعضاء الفرقة من فنانين وعازفين وممثلين. وكان الحفل بجانب دوره الترفيهي لأهالي الخرطوم جنوب يساعد أعضاء الفرقة في استمرارية البروفات وتجويد الأداء واكتساب الخبرة في الوقوف على خشبة المسرح والتعامل مع الجمهور خاصة بالنسبة للمبتدئين. هذا بجانب احتكاك هؤلاء المبتدئين مع المتمرسين إذ كانت الفرقة وما زالت تضم نخبة من الفنانين والملحنين والعازفين من مختلف الأجيال مما يساعد على التواصل.

من أوائل المطربين في الفرقة في فترة نادي الصبيان محمد أحمد الفيل من عطبرة، ورمضان زايد من مدني، ومحمد حسنين، وعباس إسكوب الذي كان يجيد تقليد عبد العزيز محمد داؤود، والأمين علي سليمان، وموسى أهل الهوى،

وحسن كُوْسّيب من القوز وكان يغني أغاني الحقيبة. وعاصرهم في تلك الفترة كوكبة من الملحنين والعازفين منهم عبد القادر سليمان، ومحجوب خوجلي، وعلي العقيد، وعبد الفتاح الله جابو، ومحمد إسماعيل بادي، وخليل أحمد عبد العزيز. نلاحظ أن اثنين من هؤلاء العازفين يعتبران من أوائل عازفي العود بالخرطوم[١٧٥] وهم عبد القادر حسن وعلي العقيد الذي تعلم العزف على يديه الفنان سيد خليفة. شهدت فترة إتحاد الفرق انضمام آمنة خير الله للفرقة، وقد ساعد في انضمامها بابكر محمد أحمد الملقب بالمحامي، وأُطلِق عليها فنياً منى الخير بواسطة محمد إبراهيم ود الأسطى. وفي هذه الفترة أنضم إلى الفرقة أيضاً الفنان حسن درار، وبواسطته حصلت الفرقة على مسرح خشبي من دعاية الكوكاكولا.

لحق بكوكبة المطربين في الفرقة رمضان حسن والتيجاني مختار وزكي عبد الكريم ومحمد وردي، كما لحق بكوكبة ملحنيها وعازفيها عبد الله حامد العربي وعوض رحمة وبدوي كابو وعلي ميرغني وحمزة سعيد بدري والبدري صالح وأحمد بريس وعوض الله جابو وقسم الله جابو. ثم أنضم إلى الركب في فترات لاحقة الفنانون خليل إسماعيل وأحمد فرح وعثمان مصطفى وإبراهيم موسى أبّا وعبد العظيم حركة ومصطفى سيدأحمد ويوسف الموصلي وعلي السقيد وعبد المنعم الخالدي وعثمان الأطرش وأحمد شاويش وحيدر حدربي. وانضم لهذا الركب في فترة متأخرة عدد من الأصوات الشابة أصبح لها اليوم شأوٌ عظيمٌ في عالم الطرب والإبداع، من هذه الأصوات سميرة دنيا والطيب مدثر وخالد محجوب (خالد الصحافة) وفيصل عبد اللطيف (فيصل الصحافة) ومصطفى السني. ونرصد من الملحنين

١٧٥ أوائل عازفي العود بالخرطوم هم يحي زهري باشا وعبد القادر سليمان وعلي العقيد وعثمان جلود.

والعازفين حسن بابكر وبشير عبد العال والحبر سليم وحامد الطيب بشير وحسن فضل ومحمد سراج الدين والنور جمعة ومحجوب دكس وسليمان أبو داؤود وعبد العزيز حسن محجوب (عبد العزيز عصفور) وأسامة بيكلو.

بجانب هذه الأسماء التي لمعت في سماء فن الخرطوم والسودان قاطبة، هنالك آخرون من أبناء الخرطوم جنوب لهم إسهامات مقدرة في التطريب وإشاعة الفرح والبهجة في النفوس المتعطشة للإمتاع الحسي عن طريق فن الغناء والموسيقى ومن هؤلاء الرشيد خشم الموس وبابكر كردمان وعيسى الحاج وختم عربي وصديق الكحلاوي وعجاج وإبراهيم شاشة ومعظمهم كانوا أعضاءً في فرقة الخرطوم جنوب للتمثيل والموسيقى.

مَثَل إنشاء مركز شباب السجانة في نهاية الستينيات وأوائل السبعينيات إضافة مقدرة للحركة الفنية في الخرطوم جنوب، إذ تكونت في المركز بعض الفرق الشبابية في مجال الموسيقى. كما أنشئ فيه فصل لتعليم النوتة الموسيقية والعزف على الآلات، وأشرف على هذا الفصل في تلك الفترة الأساتذة إسماعيل عبد الرحيم ومحمد آدم المنصوري. وهكذا أصبح هناك رافدين يتمثلان في الفرقة والمركز لتغذية وتطوير الحراك الفني في مدينة الخرطوم.

تجب الإشارة إلى أنَّ الكثير من أعلام الموسيقى قد تتلمذوا على دهاقنة العازفين في فرقة الخرطوم جنوب أمثال عبد الفتاح الله جابو وعلي ميرغني وعبد الله عربي. فعلى سبيل المثال لا الحصر تتلمذ كل من الموسيقار بشير عباس والعازف محمد عبد الله محمدية على يد عبد الفتاح الله جابو. وكان عبد الفتاح في نهاية الخمسينيات وأوائل الستينيات يقوم بعزف منفرد للألحان الشرقية في الحفلات التي كانت تقام في سينما الوطنية بالخرطوم غرب وكان عبد الفتاح يطلب أحياناً من بشير عباس أن يرافقه بالعزف على العود، وقد

ساعد ذلك في تقديم بشير عباس للجماهير.

يلاحظ أنَّ النشاط الموسيقي لفرقة الخرطوم جنوب هو البارز، بينما نجد أنَّ الأنشطة المسرحية الأخرى المتمثلة في التمثيل متواضعة للغاية و لم تلعب الدور الذي لعبه نشاط الغناء والموسيقي من إثراء وتطوير للأغنية والموسيقى وتقديمه للكثير من المبدعين في هذا المجال على المستوى القومي، هذا إذا استثنينا فترة إتحاد الفرق عندما انضمت الفرقة إلى فرقة مصطفى فارغات وفرقة ود أب قبورة حيث شهدت تلك الفترة نشاطاً مسرحياً مقدراً. ورغم الضمور المسرحي هذا نجد الخرطوم قد رفدت النشاط المسرحي بعدد من الدراميين المميزين منهم بلقيس عوض ومحمد عبد الرحيم قرني وعبد الله جكنون وغيرهم.

شعراء الأغنية في الخرطوم

هل يمكن القول بأنَّ أغنية الحقيبة هي أغنية أم درمانية؟ أجاب على هذا التساؤل طارق شريف في كتابه «كرومة كروان السودان» حيث ذكر «إننا لا نستطيع أن نصف أغنية الحقيبة بأنَّها أغنية أم درمان! إلا إذا اتخذنا أم درمان رمزاً للعاصمة القومية بأضلاعها الثلاثة استناداً إلى قول الراحل حسن نجيلة: إنَّ تاريخ فن الغناء في السودان في مبتدأه لا يعترف إلا بالشعراء المجددين الثلاثة إبراهيم العبادي بمدينة أم درمان وخليل فرح بمدينة الخرطوم وصالح عبد السيد (أبو صلاح) بمدينة الخرطوم بحري وذلك قبل أن ينتقل إلى أم درمان»[١٧٦].

عموماً لم تحظ الخرطوم بمثل ما حُظيت به أم درمان من شعراء

١٧٦ طارق شريف، كرومة كروان السودان،٢٠٠٢م.

الأغنية في فترة حقيبة الفن، إذ لم يكن في الخرطوم من شعراء الحقيبة في فترة العشرينيات سوى شاعر الجمال عبد المطلب أحمد عبد المطلب «حدباي» الذي غنى له الحاج محمد أحمد سرور أغنية «زهر الرياض في غصونه ماح» كما غنى له آخرون من فناني الحقيبة. هذا بالطبع بجانب الشاعر الكبير خليل فرح. ومن شعراء الأغنية في فترة الأربعينيات والخمسينيات الشاعر المغمور عبد المعطي الصادق التربي والملقب بالحِمَلي والذي غنت له الفنانة عائشة الفلاتية. ومن شعراء تلك الفترة أيضاً أحمد محمد علي الشيخ الجاغريو وغنى له أحمد المصطفى وحسين عثمان منصور وغنى له عثمان حسين ورحمي سليمان وغنى له حسن سليمان وعثمان حسين، والشاعر خضر حسن سعد وغنى له أيضاً حسن سليمان.

وبنهاية الخمسينيات وبداية الستينيات بدأت ساحة الشعر الغنائي تشهد إسهامات مقدرة من شعراء الخرطوم فظهر الشاعر خليل أحمد وغنى له محمد وردي ومنى الخير والتيجاني مختار، وشاعر »الذكريات» المبدع الجيلي محمد صالح وغنى له عثمان مصطفى والتيجاني مختار ومحمد حسنين ومحمد وردي وعثمان حسين ومحمد ميرغني، وشاعر «ذات الشامة» إسماعيل حسن ود حد الزين وغنى له الكثيرون منهم محمد وردي وأحمد فرح ومحمد ميرغني، والصادق الياس وغنى له أحمد الجابري وعلي إبراهيم اللحو وصلاح بن البادية وحمد الريح، والشاعر حدربي محمد سعد وغنى له محمد ميرغني، ومرسي صالح سراج وغنى له محمد وردي، وحسين بابكر وغنت له فرقة جاز الديوم، والشاعر سليمان عبد الجليل وغنى له حمد الريح وسيد خليفة، والشاعر صلاح حاج سعيد وغنى له محمد ميرغني والطيب عبد الله ومصطفى سيدأحمد، ومحمود حسن خضر وحسن الزبير وغنى له مصطفى سيد أحمد ومحمد ميرغني وغيرهم.

شهدت الخرطوم منذ الديوم القديمة الورش الفنية التي تستمع إلى الأعمال الفنية خاصة الجديد منها وتقومها شعراً ولحناً وأداءً، ويعود ذلك إيجاباً على المؤدي والملحن والشاعر. وتتكون هذه الورش الفنية من مغنيين وعازفين وشعراء ومتذوقين لفن الغناء. مهد لهذه الورش منذ العشرينيات من القرن الماضي عبد اللطيف محمد أبوبكر التربي، فبحكم صداقته للكثيرين من فناني وشعراء تلك الحقبة أولاً، ولحبه الشديد وذوقه الرفيع لفن الغناء ثانياً، كان منزله بديم التعايشة بالديوم القديمة يشهد الكثير من جلسات الاستماع الفنية التي يمكن تسميتها مجازاً بالورش الفنية وذلك لأنّه كان يدور فيها لحد كبير نشاط مشابه لذلك الذي يتم في ورش اليوم. لا تكاد تخلو جلسة من تلك الجلسات إلا وكان حاضراً فيها واحد من عمالقة الفن في تلك الفترة مثل خليل فرح ومحمد أحمد سرور وكرومة وعلي الشايقي وحدباي وغيرهم.

شهدت الخرطوم شمال في عام ١٩٣٤م تكوين مجموعة (ورشة) فنية ضمت سرور والأمين برهان وعمر البنا وود الرضي والعمرابي وشريف أحمد عمر وديمتري البازار. درج أفراد هذه المجموعة على الاجتماع نهاية كل أسبوع في منزل ديمتري لمناقشة القضايا الفنية وكيفية تطوير فن الغناء.

استمر ديوان (صالون) عبد اللطيف التربي يؤدي دور الورش الفنية حتى الخمسينيات، أي حتى بعد انتقاله إلى ديم التعايشة بالديوم الجديدة. ونحى منحى عبد اللطيف التربي في النصف الثاني من الخمسينيات والستينيات بعض "ذويقة" فن الغناء في تكوين ورش فنية لإبداء الرأي في الإنتاج الجديد لبعض الفنانين الذين يَطرَبون لفنهم ويهتمون بأمر مسيرتهم الفنية. ومن هؤلاء دقاش الترزي وعبد الوهاب عبد الرحيم البقاري الترزي المشهور بتوماس

وصالح سعيد يعقوب وعثمان أب كريك. بجانب هؤلاء كانت هنالك مجموعة عثمان حسين الفنية بالسجانة والتي تضم مجموعة من العازفين من بينهم حسن بابكر وعبد الله عربي وبعضاً من متذوقي فن عثمان حسين ومن بينهم الشاعر الأم درماني السر دوليب والذي غنى له عثمان حسين عدداً من الأغاني من بينها "ما بصدقكم" و"ناس لا لا". وهناك أيضاً مجموعة فنية أخرى في الطرف الشمالي من السجانة وبالتحديد في منزل الشاعر إسماعيل حسن والتي كانت تضم في مرحلة من مراحلها الفنان محمد وردي وفي مرحلة أخرى الفنان أحمد فرح بجانب مجموعة من العازفين والمتذوقين. وفي تلك الفترة أيضاً تكونت رابطة السجانة الفنية والتي ضمت العديد من الفنانين والعازفين والشعراء من بينهم خليل إسماعيل وحسن بابكر وعبد الفتاح الله جابو وعوض رحمة وأحمد بريس وعبد الله عربي. كما ضمت رابطة السجانة الشاعر الجيلي محمد صالح بعد مجيئه من الأبيض عام ١٩٥٩م وكان يهتم بمراجعة الشعر الذي يتغنى به فنانو الرابطة.

فرق موسيقى الجاز

إحدى الظواهر الفنية التي تستحق الرصد في أوائل الستينيات بروز فرق موسيقى الآلات النحاسية أو ما يعرف بموسيقى الجاز. وقد بدأت هذه الظاهرة بالتحديد في الديوم الشرقية، إذ شهدت أحياء ديم الزبيرية وديم بندة وجنوب المايقوما قيام أول فرقة جاز وعرفت بفرقة جاز الديم. وكان للفرقة نادٍ في ديم الزبيرية تجرى فيه بروفاتها. وضمت الفرقة نخبة من العازفين الشباب من أبناء الديوم يقودهم عازف الساكسفون الماهر عمر عبده المشهور بأغنية «حاجة كولن كولن» وأغنية «إذا متنا مين ح يغني»، وكان

يرتدي جلباب الهوسا «القرمبوبو» عندما تؤدي الفرقة فواصلها الغنائية. وتضم الفرقة بجانب عمر عبده عازف الجيتار صلاح عبد اللطيف وعازف البيزجيتار عوض إسماعيل وعازف الترامبيت موسى عبده وعازف الترامفون ود الديم وعازف الدرامز موسى قُلل ومغنى الفرقة محمد كبو والراقص سمير روك. توفى الفنان عمر عبده ومعظم أفراد فرقته في حادث حركة أليم بطريق الخرطوم مدني، وذرف الكثيرون من أبناء وبنات الديوم وعشاق موسيقى الجاز الدمع السخين على من رحلوا من أفراد الفرقة، وبرحيلهم إنطوت صفحة الفرقة.

ظهرت بعد ذلك فرقة جاز الأصدقاء بقيادة صلاح عبد اللطيف بعد أن ترك فرقة جاز الديم. ومن الفرق التي ظهرت في تلك الفترة فرقة النسر بقيادة العم قسم الله جابو ومغني الفرقة مصطفى قسم الله، وبدأت هذه الفرقة نشاطها بموسيقى القرب ثم أدخلت الآلات النحاسية. ومن عازفي هذه الفرقة محمد فضل الله بستله وخميس داؤود وسيد عيسى وموسى عبده. ظهرت أيضاً فرقة جاز النجوم في النصف الثاني من الستينيات بقيادة الفنان سليمان أبوزيد الذي سبق له الظهور مع فرقة الخرطوم الثانوية القديمة للموسيقى. وكانت فرقة الخرطوم الثانوية تضم بجانب سليمان أبوزيد الفنان السموأل إبراهيم وعازف الساكسفون محيي الدين أبوالعزائم أبوالريش وعازف الدرامز صلاح أبوالريش وعازف الترمبيت مكي الكناني وعازف الترامفون إبراهيم فضل المولى وعازف الجيتار حسن محمد عثمان وعازفي الكلارنيت ميرغني كباشي وهاشم حمدالنيل ضيف الله وعازفي الأكورديون نورالدين إبراهيم كاشف وعصام جنيدابي. وكانت فرقة الخرطوم الثانوية تحت إشراف الصول العم قسم الله ولعبت هذه الفرقة دوراً فاعلاً في موسيقى الجاز في النصف الثاني من الستينيات وكانت تشارك في كثير من حفلات العاصمة بجانب فرقة الحقيبة

التابعة للمدرسة والتي كان يقودها الثنائي محمد محسن ومحمد خوجلي. ظهرت في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات فرقة هاي لايف بديم سلمان ولكن لم يكتب لها النجاح إذ لم تستمر طويلاً.

وقد حظيت فرقة جاز الديم بصيت وشهرة تعدت نطاق العاصمة المثلثة إلى مدن السودان الأخرى، وكانت حفلاتها تمثل تظاهرات شبابية حاشدة، مما أزعج وقتها الكثيرين من المعجبين والمتذوقين للموسيقى الوترية وأصابهم شي من الوجل على موسيقاهم من هذا المد الجارف لموسيقى الجاز. ففي تلك الفترة، أي فترة الستينيات، كانت أسهم فرق الجاز بصفة عامة هي المرتفعة حيث كانت معظم حفلات مناسبات الأفراح تحييها هذه الفرق بجانب أنها أصبحت القاسم المشترك لكل الحفلات العامة.

الفصل الرابع عشر
الحياة الرياضية

كرة القدم

عرفت الخرطوم أول ما عرفت من أنواع الرياضة كرة القدم عن طريق جنود الجيش الإنجليزي، إذ تعلمها منهم شباب المدينة وأتقنوها في فترة وجيزة، ثم أصبح الجنود يتبارون مع طلبة كلية غردون أحياناً ومع بعض الشباب من بري أحياناً أخرى. أسس ذلك لقيام أول منافسة لكرة القدم بالخرطوم في العشرينيات وهي منافسة كأس الحاكم العام وعرفت بكأس المصالح، وكانت تضم فرق مصلحة الأشغال وهي أكبر المصالح الحكومية، ومصلحة السكة حديد، ومصلحة الوابورات، والمديرية التي كانت تضم البوليس والتنظيم، ومصلحة المعارف، ومصلحة الصحة، ومصلحة المخازن والمهمات، وقوة دفاع السودان، والري المصري. كان فريق الأشغال أكثر الفرق إحرازاً لكأس المنافسة في العشرينيات والثلاثينيات يليه فريق السكة حديد ثم الوابورات، بينما أصبح للري المصري وقوة دفاع السودان والمديرية فرقٌ قويةٌ في الأربعينيات استطاعت بها إحراز البطولة أكثر من مرة. أول ميدان أقيمت فيه هذه المنافسة هو الميدان الواقع جنوب دار القضاء، وكانت في طرف هذا الميدان «مسطبة» يجلس عليها الإنجليز وموظفو الدولة بينما يصطف المشاهدون من عامة المواطنين حول الميدان. انتقلت المنافسة بعد ذلك إلى ميدان عباس واستمرت فيه طيلة الثلاثينيات، ثم توقفت لفترة من الزمن ثم عادت حيث انتقلت إلى ميدان بالخرطوم غرب قرب موقع دار الرياضة الحالي (أستاد الخرطوم) بجوار السلخانة. وكانت تجرى في هذا الميدان منافسات بين بعض فرق المهنيين مثل

تيم المقص (الترزية) وتيم الحلاقين، كما كان هناك فريق للإغريق يسمى رويال ويلعب فيه معهم بعض المهنيين.

شهدت فترة العشرينيات أيضاً إنشاء عددٍ من الفرق الرياضية خارج منطقة الخرطوم شمال. ففي منطقة الديوم القديمة تكون فريق ست وردة وفريق الخديوي وفريق ديم سلمان، كما تكون في ناحية بري فريق بري أولاً ثم فريق أبو حشيش. واتخذت فرق الديوم من الميادين الواقعة بين الديوم من جهة وبين إشلاق توفيق والسكة حديد من الجهة الأخرى ملاعباً لها، وأشهر هذه الميادين كان يعرف بميدان الخديوي. ومن بين أسماء اللاعبين في أواخر العشرينيات شاكوش لاعب فريق الخديوي وعبيد جبارة الله وعبد الرحيم عبد السخي لاعبا فريق مصلحة الأشغال والشريف محمود لاعب الري المصري.

شهدت كرة القدم في فترة الثلاثينيات والأربعينيات تطوراً ملحوظاً إذ تأسست في هذه الفترة العديد من الفرق والأندية الرياضية ومن أهمها النيل والأهلي والشبيبة والفجر والفاروق في الخرطوم شمال. كما تكونت في الديوم القديمة، بجانب الفرق التي تأسست منذ العشرينيات، فرق فكتوريا والحلفاء والعلمين، ويتضح من أسماء هذه الفرق أنها تكونت في بداية الأربعينيات من القرن الماضي أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية، والنسر والبرنس ثم المؤتمر. ومن اللاعبين الذين اشتهروا من فرق الديوم القديمة عبد المجيد رمضان (لقب بأبو زيقات) وخالد الصديق والطاهر وقيع الله ونور الدائم عبد الله وحسن محمد نور وأولاد الهادي محمد أحمد (محمد أحمد والبدري وإبراهيم) وأولاد شيخ سعيد يعقوب (صالح ومحمد). واستمر ميدان عباس في احتضان المنافسات بين هذه الفرق بجانب منافسات كأس المصالح. وهنالك العديد من الشخصيات التي كان لها إسهامات مقدرة في عملية التطوير التي تمت في تلك الفترة منها محمد علي الحانوتي الفوال وعبد الرحمن صغيرون وعثمان

أحمد ياسين وجمال توفيق بدوي وكثيرون غيرهم من المواطنين والأجانب. من الأجانب الذين كان لهم دور تطويري في مجال كرة القدم المستر قَرَد فهو بجانب كونه أحد المشرفين على النشاط الرياضي في الخرطوم فقد كان يشارك في تحكيم المباريات رغم فقدانه لإحدى رجليه، ومن إنجازاته تنظيمه لمنافسات كأس مأمون شيخ الصاغة بالخرطوم. ومن حكام تلك الفترة أيضاً بجانب مستر قرد، كرم الله محمد علي كرم الله ومحمد أبو العلا.

بجانب أبناء الخرطوم الذين لعبوا لأندية الخرطوم وسيأتي تفصيلهم لاحقاً هنالك الكثيرون منهم الذين لعبوا لأندية أم درمان وعدد لا بأس به لعب لأندية الخرطوم بحري. ومن الذين اشتهروا عبد الرحيم القطر وكمال عبد الرحمن وكمال فضل وخوجلي أبو الجاز وصالح غريب وأبو زيد فرح وفيصل السيد وعصمت لاظ وياسين حاكم وعبده ساتي وعوض الصافي ومزمل دفع الله وعبد العزيز حسن وبدر عبد المحمود وشريف سليمان وعبد المحمود إبراهيم وعبد الرحيم بمبيدو وعبد القادر العبيد وفيصل تاج السر ومصطفى كندو وأحمد ناصر وأحمد ميرغني وأحمد شمس الدين وأحمد سالم وإسماعيل دوكة وباشريك محمد باشريك ومهداوي إسحق الفكي وكثير غيرهم.

وقدمت الخرطوم عدداً من الحكام الدوليين منهم شاكر النحاس وكمال بدوي وأحمد قنديل ومحمد الأمين بابكر جعفر وإدريس أحمد محمود. ومن إداري اتحاد كرة القدم قدمت الخرطوم يحيى طاهر وجعفر عطا المنان وعدلي محمد توفيق وجعفر ميرغني وصالح جرجس ود. الرشيد بدوي وصغيرون الزين وبدر التهامي وعثمان عبد الله ومحمد عابدين والطيب شيخ إدريس. ومن المدربين محمد عابدين ويوسف مرحوم وجعفر درار ومحمد محمود وعثمان الواثق وبكري عبد الجليل وعبده موسى وإسماعيل عبد الرزاق.

تميزت الكرة الخرطومية بالمنافسة والنِديَّة بين فريقي النيل والأهلي منذ إنشائهما مثلهما في ذلك مثل الهلال والمريخ على مستوى الفرق الأم درمانية. زادت حدة هذه المنافسة بعد منتصف الخمسينيات عندما أصبح الناديان يمثلان الكرة الخرطومية بين أندية الدرجة الأولى على مستوى العاصمة المثلثة. لذا كان كلا الفريقين يحرص على إحراز مرتبة متقدمة على الآخر، وتبلغ المنافسة ذروتها في مباريات الفريقين وكانت لا تخلو من إثارة وشد وجذب وجدل لا ينحصر فقط بين أعضاء الفريقين وإدارتيهما بل يتعداهم إلى المشجعين، ويتم ذلك مباشرة وعبر كل وسائل الإعلام المتاحة. وكان التنافس بين الإدارتين يحمي وطيسه خلال فترة التسجيلات وفي اكتشاف اللاعبين الجدد ذوي المواهب الواعدة.

نادي النيل

تأسس نادي النيل في عام ١٩٣٤م ويعتبر العمدة كرم الله وأولاده وأبناء حسين طاهر بك من حي الترس جوار جامعة القاهرة من المؤسسين للنادي، ثم ضم النادي العديد من أسر الخرطوم شمال. وبداية نادي النيل كانت بفريق ملتقى النيلين الذي تغير اسمه إلى نادي الطلبة، وكان هذا النادي يتخذ من النادي النوبي جوار منزل العمدة كرم الله من ناحيته الشمالية مقراً له. وكان لهذا النادي أنشطة أخرى بجانب النشاط الرياضي، إذ كانت له فرقة موسيقية بجانب إقامته مركزاً لمحو الأمية ودروس تقوية لطلبة المدارس، وساعده في ذلك أن معظم أعضائه كانوا من طلبة كلية غردون وربما لهذا السبب ترجع تسميته بنادي الطلبة. كان أعضاء الفريق عندما تكون له مباراة يرتدون زي الفريق في النادي النوبي ثم يتجهون نحو ميدان عباس وخلفهم الفرقة الموسيقية تعزف مقطوعات للتشجيع حتى يصلوا إلى الميدان. وفي أثناء اتخاذ نادي الطلبة من

النادي النوبي مقراً له تم تغيير الاسم إلى النيل بناءً على اقتراح عضو مجلس إدارة النادي عثمان أحمد ياسين في ذلك الحين. وأصبح النادي بعد ذلك بلا مقر لفترة من الزمن، وكان لاعبو الفريق خلالها يتجمعون قبل المباريات في منزل جمال بدوي جوار صينية القندول لارتداء زي الفريق والاستعداد للمباريات، ويجتمعون بعدها في قهوة مصطفى علي محمود (مطعم الإخلاص) جوار شروني. اتخذ النادي بعد تلك الفترة مقراً له في أحد المنازل جوار مدرسة الخرطوم غرب الأولية، و لم يلبث أن انتقل إلى جوار مدرسة الخرطوم الأميرية بنين حيث ظل هناك لفترة من الزمن، ثم انتقل مرة أخرى إلى منزل يمتلكه عبده دياب كان يُستغل في صناعة الظهرة ويقع بجوار عيادة عبد القادر مشعال وطلمبة شل بتقاطع شارع السيد عبد الرحمن وشارع إستاك، أي الموقع الذي تشغله الآن عمارة أولاد عيد الله. شهد هذا الموقع الأخير ذيوع صيت نادي النيل في الخمسينيات وأصبح نداً لا يستهان به لأندية أم درمان الهلال والمريخ والموردة منذ تلك الفترة حتى اليوم، وقد حصد الفريق ثمار ذلك بتتويجه بطلاً على الدوري في موسم ١٩٦٣-١٩٦٤م بقيادة مدربه خوجلي أبو الجاز آنذاك، وهي المرة الأولى التي يفوز فيها فريق من منطقة الخرطوم بكأس الدوري.

من الإداريين الذين تولوا إدارة نادي النيل عبد الرحمن صغيرون وهو أول رئيس للنادي، وحسن سليمان الهاوي وهو أول سكرتير للنادي، وعثمان أحمد ياسين ثاني رئيس للنادي، وجمال توفيق بدوي الذي عمل سكرتيراً للنادي بعد منتصف الثلاثينيات ثم أصبح ثالث رئيس للنادي، ودكتور عبد الحميد إبراهيم ولعب للنادي وأصبح بعد ذلك عضواً في مجلس إدارته، وألفي جرجس عضو مجلس الإدارة. وضم نادي النيل في فترة الأربعينات وأوائل الخمسينات مجموعة من أميز لاعبي الخرطوم في تلك الفترة، وكان من ضمن

هذه المجموعة الطيب عبد الله رئيس نادي الهلال والذي لعب في حراسة مرمى نادي النيل، وجعفر سليمان، وسليمان حسين، وأحمد حسين طاهر، وحسن سليمان، وحامد علي شاش، والدكتور أحمد عبد المجيد التقر، وزكي داوود، وحسن دقل والد اللاعب نجم الدين، ومصطفى شبر، وعبدون شاهين، وكيسو، وشحروط، ومحمد سليم ضربها، وحارس المرمى عمر عثمان، والأخوين محمد وإبراهيم زايد، وكارضقل صالح عبد المحمود كارضقل، والطيب قسم الخالق من الفتيحاب، وحسن صالح فار، ومحمد عبد الرزاق السِمِع. وجاء بعد هؤلاء أسماء لازالت في ذاكرة الكثيرين ممن شاهدوا فرقة النيل في منتصف الخمسينيات منها محمود حسن سعد، ومحمد عابدين أورنجيتا، وعبد الكريم سرور، وفيصل محمود، وخوجلي أحمد حسن أبوالجاز الذي لعب للنيل حوالي موسمين ثم انتقل إلى نادي المريخ، وعثمان الواثق، وعوض جولط، وبرعي سليم، وحكيم الجاك. وواصل المسيرة نجم الدين حسن، ويوسف مرحوم، وكشة، ويونس سعيد أب ضرس، وفضل نوبة، وحسن يس أبو إسكندر، و فاروق ونان، و السر حسين، و عبد الله باتا، وكمال علي صالح، وموسي خليل، و مصباح عبد الله، و هارون جقلو، وحسن أشول، وعبده موسى، ويوسف أبوصلعة، وشمس الدين البارودي، وبكري عبد الجليل وغيرهم من شباب الخرطوم.



فريق نادي النيل الذي أحرز بطولة الدوري لعام ١٩٦٣-١٩٦٤م

بجانب نشاط كرة القدم كان لنادي النيل العديد من الأنشطة الرياضية الأخرى أهمها كرة السلة والملاكمة وكمال الأجسام وألعاب القوى. ويعتبر فريق النيل لكرة السلة من الفرق الوطنية الرائدة في هذا المجال وهناك العديد من الأسماء التي اشتهرت ضمن الفريق منهم تسفاي وعباس خوجلي وحسين باروني والزين خوجلي ومصطفى المصري وعرزون.

نادي الأهلي

تأسس نادي الأهلي في نهاية الثلاثينيات وكان قبل ذلك يسمى بنادي العاصمة ورعى النادي منذ تأسيسه محمد علي الحِنُوتي المشهور بالفوال صاحب قهوة ومطعم الفوال، وهو من أصول مصرية وربما هذا فيه إيحاءً بأن التسمية جاءت تيمناً بالنادي الأهلي القاهري شيخ الأندية العربية والأفريقية. عند بداية نشاط نادي الأهلي كان لاعبو النادي يجتمعون في منزل أحمد الدميج الكائن غرب قهوة مصطفى علي محمود لارتداء زي النادي وللاستعداد للمباريات. وبعد فترة من الزمن أُسِسَ أول مقر للنادي بجوار مدرسة الخرطوم الأميرية وجوار الموقع الثاني لنادي النيل. وانتقل النادي بعد ذلك إلى الدار الواقعة إلى الجنوب من عيادة مشعال بجوار لكوندة كردفان والموقع الثالث لنادي النيل.

من أشهر الإداريين الذين أداروا نادي الأهلي أبو القاسم علي عمر وعزيز غبريال وصالح جرجس، وعباس علي كمير، وحسن عكاشة، والدكتور محمد علي منصور، وجعفر عطا المنان، والهادي المأمون المرضي، ومحمد حسن المرضي، ومأمون حسب الرسول. لعب للنادي الأهلي الكثيرون من أبناء الخرطوم الذين شهدت لهم ملاعب كرة القدم بدءً بميدان عباس وانتهاءً بالملاعب والاستادات في فترة الستينيات التي كانت تجري عليها المنافسات التي يشارك فيها النادي. ففي فترة ميدان عباس لعب للأهلي مصطفى الدميج،

ومحجوب الدميج، وأحمد عباس، والسر ود الخليفة، وكُشّيَب، ومُسَحَر، ومحمد سرور، ومصطفى الميل، ودردق، ومصطفى حسن، وحسن عكاشة، وكَلوُل، و ود أبشر، والله جابو وشقيقه الأسيد الذي لعب للنيل ثم الأهلي. وتسلم الراية من بعد هؤلاء الإخوان أنور وأحمد وفيصل السيد مكي، ومحمد محمود، وحسن دقدق، وحِبُو، وسمير محمد علي، وإبراهيم كبير، ويوسف محمد علي، وسعد الفن، وعبد الله عبد الرحمن سنكيت، وحمزة شكت، وأحمد حامد العربي، وصلاح سيكرت، وعوض سعيد، وحسن الدنقلاوي، والسيد بدوي، وحسن بدوي، ومحمد عثمان دقلولة، وغيرهم.

نادي ديم سلمان

يعتبر نادي ديم سلمان أعرق أندية الخرطوم على الإطلاق إذا استثنينا نادي بري، إذ تم تأسيسه في العقد الثاني من القرن العشرين في ديم سلمان بالديوم القديمة. وكان في نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات له الغلبة على معظم الفرق التي ينازلها سواءً من الخرطوم أو من أم درمان. امتلك نادي ديم سلمان بعد الانتقال إلى الديوم الجديدة داراً خاصة به تقع إلى الشرق من زرائب الحطب والقش بديم سلمان، وكان له بجانب نشاط كرة القدم نشاط في مجال كرة السلة ضمن فرق الدرجة الثالثة.

من أميز لاعبي نادي ديم سلمان في الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات محمد عبد الرازق أحمد السِمِع الذي انتقل بعد ذلك إلى فريق النيل العاصمي ثم سافر إلى السعودية بصحبة لاعب مميز أخر من لاعبي ديم سلمان أيضاً هو النور سليم ليلعبان للوحدة السعودي. أيضاً من لاعبي النادي في فترة الأربعينيات ناصر سعد والخليفة محمد بارود وعبد المجيد محمد عثمان وعمر كوكو وعبد الله خميس المشهور بـ كرُوْس وأحمد سليم ضربها وإبراهيم بلال ومحمد

عبد العزيز وحسن عبد الرازق وعبيد جبارة الله. وقد أصبح معظم هؤلاء اللاعبون إداريين بحلول الخمسينيات، بينما تميز في هذه الفترة من اللاعبين إبراهيم يحي ومحمد عبد الله صالح ويوسف فنجري وعجاج ومحمود عبد الله والسر العسكري وجربوع وسعد الفن. أما في فترة الستينيات فقد تميز من اللاعبين برعي سليم وحمزة شَكَت وفاروق محمد فضل المولى وربيع محمد فضل المولى وأحمد إسحق علي وعلي إبراهيم وأزهري جعفر وعمر عبد الرحمن كدباس ومحمد الصادق سانتو وعبد الله سنكيت ونصر دراكولا. ونرصد من إداريي الستينيات حسن حسين دقس والإغريقي أسبيرو وعبد الله خير الله وحمد عبد العزيز والطيب حاج أحمد التلب وسليمان بشير وبشير عبد الغني وأحمد المصطفى فؤاد وسليمان الحاج (برغوت) وحسن الطيب عبد الكريم.

أندية وفرق أخرى

ومن أندية الخرطوم شمال في فترة الأربعينيات بجانب النيل والأهلي، نادي الفجر الذي كان اسمه قبل ذلك سير سيفيلد هول (نسبة إلى سير سيفيلد هول، مدير مديرية الخرطوم ١٩٢٩-١٩٣٦م). أسس نادي الفجر كل من بلال أحمد والدكتور أحمد عبد المجيد إدريس والدكتور سعدالدين فوزي وأحمد الكنزي (المشهور بخرباش)، رأسه بعد ذلك مصطفى المشلي، ولعب له جابر أبوالعز وعصمت لاظ. وكان هناك أيضاً نادي الشبيبة ولعب فيه مجموعة من الأقباط والإغريق، ونادي الفاروق الذي أسسه القباني وكان مقره في جانبٍ من الجزء الشمالي من ميدان أبوجنزير الذي كانت تشغله ميادين للتنس. كما كان للنادي اليوناني فريق لكرة القدم يعتبر من فرق الصدارة. أيضاً كان للجالية اليهودية فريق لكرة القدم يسمى ماكبي.

ومن فرق الديوم القديمة بجانب ديم سلمان، فريق النسر الذي أسسه حسن ود الشايقية ومحمد فضل ولعب فيه خالد سيدأحمد، ومكوه، ومحيريقة، وجعفر حسن. كما لعب للنسر كل من دردق ومصطفى حسن ومُسَحَر قبل انتقالهم لنادي الأهلي. هناك أيضاً نادي البرنس الذي تأسس بديم القشاشة عام ١٩٣٦م وأصبح منافساً لدوداً لديم سلمان. ومن مؤسسي هذا النادي عبد الرازق عوض الله وعوض الكريم إسماعيل الطاهر وعلي الطاهر حسن كَبَسَا.

وفي سياق أندية الخرطوم الرياضية يجب أن نذكر نادي بري، رغم أنَّ منطقة بري خارج إطار مدينة الخرطوم التي نتناولها في هذا السِفر وذلك لأنها حتى الستينيات من القرن الماضي لم تكن تتبع للخرطوم من الناحية الإدارية، بجانب أنها كانت تمثل كياناً مستقلاً مثلها مثل المقرن والقوز والرميلة. ولكن رغم ذلك تجب الإشارة لنادي بري وذلك لأثره البيِّن على تطور الكرة في الخرطوم. فنادي بري يعتبر شيخ الأندية الرياضية السودانية فهو الأقدم تأسيساً حيث تم تأسيسه غير الرسمي في العام ١٩١٨م في بري المحس، بينما كان التأسيس الرسمي في العام ١٩٣٧م حيث تشكل أول مجلس إدارة للنادي من حسن حسين رئيساً وإبراهيم مصطفى عبد الفتاح سكرتيراً وعضوية علي العمدة كرم الله وإبراهيم كرجة والمبارك الفكي خوجلي وقسم السيد بخيت وعبد الله محمد أحمد ومحمد مختار الشفيع. وقد خَرّجَ النادي للكرة السودانية عمالقة مازالت أسماؤهم في ذاكرة كل عشاق كرة القدم، رغم أنَّ هذه الأسماء تركت الملاعب منذ الأربعينيات والخمسينيات. فنادي بري قدم كُشّيَب، وجنجة، وجربان (الذي احترف في أوائل الخمسينيات في نادي الوحدة بالسعودية ثم بناديي الزمالك والترسانة المصريين)، وماجد، وزُرْقَان، وقَرمبع، وعباس صيام، ومحمد صيام، ومحمد جابر، وبرجل، وأحمد قنديل،

وغيرهم. وقد شهد ميدان عباس كل هؤلاء النجوم الذين سحروا النظارة بمهاراتهم وإبداعاتهم مما جعل الذاكرة تقف عندهم.



فريق بري ١٩٥٤-١٩٥٥

بعد الانتقال إلى الديوم الجديدة واصلت فرق ديم سلمان والنسر والبرنس نشاطها في مجال كرة القدم. كما تأسس في النصف الثاني من الخمسينيات فريق الهلال بالديوم الشرقية وكان يَجري تمارينه بالميدان الواقع في ديم تقلي إلى الشرق من الساحة الشعبية الذي عرف بميدان الهلال. أيضاً تأسس في تلك الفترة فريق الشباب وفريق النجم الأحمر. وكانت تجْرَي في تلك الفترة في الميدان الذي يُعرف بالساحة الشعبية حالياً مباريات أسبوعية بين فرق الهلال والشباب والنجم الأحمر بالإضافة إلى فريق اليونان الذي يضم لاعبين من الإغريق ويشترك معهم اللاعب حسن صالح كامل المشهور بحسن فار. ومن لاعبي الهلال في تلك الفترة جزيرة وميجر وحامد عوض الله وعوض الصافي، ولنادي الشباب لعب سعد أحمد الفن، وعوض رحمة. وتوقف فريقا الهلال والشباب عن نشاطيهما في أوائل الستينيات عند تكوين رابطة الديوم الشرقية. أيضاً تأسس في الخمسينيات في الحلة الجديدة والديوم الغربية فرق الدفاع

والرِيح والسلام، وكانت المنافسة بين هذه الفرق تُجْرَى في ميدان رابطة الحلة الجديدة الحالي الواقع غرب ميدان الليق.

منافسات ليق الخرطوم

تُمثل منافسات ليق الخرطوم قمة المنافسات الكروية على مستوى مدينة الخرطوم وضواحيها وذلك لقوة الفرق المنضوية تحت لوائه وتدافعهم نحو تصدر المنافسة للوصول للسنترليق ثم للدرجة الثانية. ضم ليق الخرطوم حوالي الاثني عشر فريقاً في فترة الستينيات وارتفع العدد بعد ذلك ليقارب الخمسة عشر فريقاً. نصيب الخرطوم من هذا العدد سبعة فرق في الستينيات هي ديم سلمان والبرنس، الذي بدأ نشاطه بالحلة الجديدة ثم انتقل إلى ديم القنا، وكلاً من جلاس والزومة، اللذان بدءا نشاطيهما بديم سلك ثم انتقل الأول إلى ديم جبل والثاني إلى السجانة الجديدة، والنسر والعلمين بالسجانة، والتعايشة بديم التعايشة. ثم ارتفع عدد فرق الخرطوم إلى تسعة فرق في أوائل السبعينيات بانضمام الديم وسط والامتداد. أما الفرق التي تمثل ضواحي الخرطوم آنذاك فهي القوز والرميلة والحماداب والشجرة والمقرن والجريف ووادي النيل.

ومن أشهر لاعبي الليق في فترة الستينيات من ديم سلمان برعي سليم وحمزة شكت وأب كمر وعبد الله سنكيت وعمر كدباس وحسن صديق ومحمد عبد الصادق سانتو. ومن فريق العلمين السر سعيد وعوض سعيد وحسن عبد السلام وأحمد الرفاعي وهارون جقلو وكمال فيات وحسن أشول وعمر فضل الله وعمر دقس وعبد الله دقل ومصباح عبد الله وعبد المنعم عبد الرحيم وكمال علي خيري وصالح حسن أحمد، ومحمد صالح أبوشام. ومن فريق النسر حسن ود الفضل وعلي الله جابو وعبد العزيز المبارك و عمر شلبي وعبد

الله محمد إدريس وعمر محمد إدريس وصلاح الاتش وحسن محجوب وفيصل رضوان. ومن البرنس عمر محجوب وفيصل صديق والأمين الطيب وبدرالدين حاج سعيد وحسن لُولِي وإسماعيل دوكة وحسن دوكة ومحمد مختار ومهداوي لاعب المريخ لاحقاً. ومن فريق التعايشة بدوي كابو وعبد الرحمن مهدي وإبراهيم عبد الله فرج وإسماعيل عبد الرازق ومصطفى عبد الرازق وربيع إبراهيم الضي ويوسف محمد علي وأحمد أبو حديد وعبد الله جاه الرسول وإبراهيم أحمد. ومن فريق الديم وسط عمر خواجة وخليل لِيلِي وصلاح عبد اللطيف (صلاح جيتار) وحسين سند وبومبيدو وموسى كابو وإسماعيل كابو، ومن فريق جلاس وداعة أحمد إدريس وعوض دوكة وخضر عطا المنان وعثمان حامد، ومن فريق الزومة إبراهيم محجوب وكنة وهاشم عزالدين وعباس عيسى (ركس) وعادل العوني.

اشتهر العديد من إداريي فرق ليق الخرطوم ممن أسهموا في تطوير لعبة كرة القدم وتركوا بصمات واضحةَ في هذا المجال، منهم على سبيل المثال لا الحصر حسن ود الفضل من إداريي فريق النسر، والأمين الطيب من إداريي فريق البرنس، ومصباح عبد الله من إداريي فريق العلمين، ومحمد أحمد موسى وعبد الشافع يعقوب وخاطر بشار من إداريي فريق التعايشة، وأحمد عبد الحفيظ وعوض أحمد طه من إداريي فريق الزومة. ومن حكام الليق المتميزين أحمد قنديل وفؤاد سليمان وعثمان عبده وفيصل سيحة وبابكر عبد الله حلبتو وغيرهم.

تشكلت من بعض مشجعي ليق الخرطوم روابط لتشجيع فرقهم وكانت هذه الروابط لا تخلو من الظرفاء الذين يمجدون فرقهم ويتندرون على فرق الآخرين نذكر منهم خميس البلي من ديم سلمان والجزار حسن الطيب من القوز وخليفة النور من الإسطبلات وود أقرع من السجانة وباب الله سيك من الديوم الشرقية، وقد سبقهم في الظرف علي الطيار.

روابط الناشئين لكرة القدم

بدأ الاهتمام بالناشئين في مجال كرة القدم في بداية الستينيات، حيث تم تأسيس هيئة رعاية الناشئين في العام ١٩٦٣م وكان محمد كرار النور أول رئيس لها وحامد صالح السكرتير التنفيذي. هدفت الهيئة إلى تنظيم أنشطة فرق الأحياء وتكوين روابط تتبع لها وتتقيد باللوائح التي أعدتها لذلك الغرض وتمنع لاعبي أندية إتحاد كرة القدم من اللعب في فرق الروابط التي تصنف كفرق أحياء. على هذا الأساس تم إنشاء عدد من الروابط وإضافة الأهلية منها للهيئة. نتج عن ذلك إقامة روابط الحلة الجديدة والخرطوم ٣ والديوم الشرقية والقوز والسجانة والمايقوما والخرطوم غرب في مدينة الخرطوم التي تعنينا. لكل رابطة من هذه الروابط إدارة تتكون من رئيس وسكرتير وأمين مال ونائبين للرئيس والسكرتير بالإضافة إلى ممثلين للأندية ومندوب للحكام وآخر للمدربين. تقوم المنافسة في هذه الروابط على أساس الدوري حيث يُقسم الموسم إلى دورتين وفي كل دورة يقابل كل فريق جميع الفرق الأخرى المنضوية تحت لواء نفس الرابطة. كما تُجْرَي منافسة سنوية بين منتخبات الروابط على كأس هيئة رعاية الناشئين.

سبق تأسيس هيئة رعاية الناشئين قيام عدد من الروابط الأهلية أولها رابطة الحلة الجديدة والتي بدأت تمارس نشاطها في عام ١٩٦١م في نفس موقع ملعبها الحالي غرب ميدان الليق. تلتها رابطة السجانة في الناحية الغربية من مقابر بلاع، ورابطة الخرطوم ٣ في ميدان عبد المنعم، ورابطة الديوم الشرقية في ميدان الكفاح آنذاك (الساحة الشعبية)، ورابطة القوز. كان يدير نشاط هذه الروابط الأهلية قبل قيام الهيئة مجالس أهلية، حيث ينظم مجلس كل رابطة المنافسات التي تقام بين فرقها. ومن أنشط الإداريين في تلك الفترة المبكرة علي تميم الدار سكرتير رابطة القوز وتاج السر إبراهيم صالح من رابطة الحلة الجديدة

ومحمد الحسين من رابطة المايقوما. اشتهر من الحكام الخليفة المكي الحنفي الذي ترأس رابطة الخرطوم ٣ في فترة لاحقة، ومصطفى ترتار لاعب نادي الأهلي.

رابطة الديوم الشرقية

تعتبر رابطة الديوم الشرقية من أوائل وأقوى روابط الناشئين في مجال كرة القدم إذ تم تكوينها في بداية الستينيات، وكان بداية النشاط فيها أهلياً ثم أصبحت إحدى روابط هيئة الناشئين عند تأسيس الهيئة عام ١٩٦٣. اتخذت الرابطة من الميدان الواقع في ديم تقلي إلى الجنوب من ديم التعايشة، وعرف بعد ذلك «بالساحة الشعبية»، ملعباً للمنافسات التي تقيمها. وناهز عدد الفرق المنضوية تحت لواء الرابطة خمسة عشر فريقاً موزعةً على مناطق الديوم المختلفة. وتتنافس هذه الفرق سنوياً على كأس الرابطة الذي تقام مبارياته على دورتين. ومن هذه الفرق فريق المؤتمر في الناحية الغربية من ديم التعايشة ومن أشهر اللاعبين الذين مروا على النادي عبد الرحمن مهدي وعبد الصادق مصطفى ومحمد محمود لياقة والأخوان برعي وموسى وبدر خليل ومحمد عبد الله كلاي وصلاح باشاب. ومن أشهر إدارييه عبد الرحمن محمد علي الدبل وحمزة محمد علي ومحمد النور أحمد. وفي الناحية الجنوبية من ديم التعايشة نجد فريق الكفاح ومن لاعبيه الأوائل ميجر وجزيرة وبشرى حسن عجب وفؤاد يوسف وأبوالقاسم الفاضل ومحمد إبراهيم كناني وصالح كامل وبابكر عبد المحمود وسليمان شاشوق وهاشم فضل المولى والطيب الصديق وعبد القادر العبيد ومصطفى الصديق، ومن الإداريين الطاهر إلياس (محشية) وخالد حسن طه. أيضاً في المنطقة الشمالية من الديوم نجد فريق الأمل في المزاد والشعبية والزهور فتحت ولعب له عبد الله زكريا والأخوان عباس قيلة وجعفر الفكي والأخوان محمد وصلاح إبراهيم كاشف وعوض شدَّة ومحمد يس ومحجوب

شطة ومحمد صالح عبد القيوم ومختار الزين ومن إدارييه محمد أبوالروس وسيف الدين محمد حسين. ونجد في الناحية الغربية من ديم تقلي فريق المجد ولعب له إسماعيل فضل المولي وإبراهيم فضل المولي وكمال علي صالح وعبد العزيز حسن وجعفر البعيو. وفي الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية من الساحة الشعبية، أي في الناحية الشرقية من ديم تقلي والشمالية من ديم العتالة نجد فريق الربيع ومن لاعبيه المُميزين عمر رحمة الله وجبارة وحارس المرمى سعيد وحسن علي ريحان وسعد الفن وإدريس بركية والتلب محمد أحمد سليمان ورمضان علي (شكلة) وحسن علي وصلاح سيكرت. وفي منطقة ديم أبوريش وديم كارا يوجد فريق الدينمو ومن أميز لاعبيه عبد الرحيم بومبيدو وكاظم رمضان وسيف الدين بارودي وأشهر إدارييه عمر عبده. ونجد في الناحية الجنوبية من ديم برتي فريق الحرية ومن لاعبيه سوماك وعبد القيوم النِمِتِّي ومحمد دور ومحجوب أشول وجعفر لِيْلِي. وفي ديم العطا، إلى الشرق من سوق الديم، نجد فريق الاستقلال ولعب له محمد كباكا والنور يعقوب وهاشم المحسي وجعفر عباس وصلاح نقد.

نلاحظ أن كل الفرق التي سبق ذكرها تقع ملاعبها ومراكز أنشطتها إلى الشمال من شارع باشدار، أيضاً هنالك العديد من الفرق التي تقع ملاعبها إلى الجنوب من شارع باشدار. ففي ديم النوبة وديم سعد القدامي نجد فريق الطليعة الذي ظل يديره لفترة طويلة علي فقيري، وخَرَّجَ هذا الفريق لاعب الهلال الشهير في الستينيات عبد المحمود إبراهيم كما لعب له المدرب محمد حسن نقد وعباس شاشوق وشيخ إدريس إبراهيم. أما في الناحية الشرقية من ديم سعد القدامي والشمالية من السجانة الجديدة والممتدة إلى الناحية الغربية من ديم القنا فكان بها فريق الرعد والعاصفة والنصر، ومن لاعبي الرعد أولاد الجاك وعبد الله يحي إستيف ومحمد جعفر وهاشم علي وجمال إسماعيل والأخوان

مزمل ومدثر ومصطفى دفع الله ، ومن الإداريين محمد دفع الله. ومن أشهر لاعبي العاصفة عزالدين عبد المحمود التربي وعثمان كِفِلِي، أما النصر فقد لعب له حسن تِرجِل وفيصل ود الكَكُو ومصطفى الكندو ويوسف ود أب جوكو وبكري هيمت، ومن إداريه عبد الرحمن عبدون وعبد القيوم التركي. وفي ديم القنا نجد فريق الوطن ومن لاعبيه المُميزين عنتر عطا المنان وحربي إدريس ومزمل دفع الله وأحمد سالم ومن إداريي الفريق جعفر عطا المنان. وضمت المنطقة الجنوبية من السجانة الجديدة فريقي النجم الأحمر والشروق، ومن لاعبي النجم الأحمر خليل لِيْلِي الجزار وعبد المنعم خواجة وعبد المنعم الحلبي ومحمد سعيد ومصطفى شاويش، ومن إدارييه أولاد الخواجة. أما فريق الشروق التابع لنادي ناوا الذي انضم إليه فريق الهدف من رابطة السجانة في منتصف الستينات فقد لعب له حسن أشول وأحمد شمس الدين وصلاح الفاضل وحسن العبد ومحمد محجوب وبكري حريقة ومحمد عيسى التقر والجعلي صديق ومبارك آدم وسمير محمد حسن، ومن الإداريين ساتي بكري وحسن الرضى وعثمان قانون وجُرافي. ومن فرق رابطة الديوم الشرقية أيضاً فريق الاتحاد الذي لعب له محمود يحيى وسيف الدين العربي وعلي عبد الله وسالم حسن، ومن الإداريين الريس فتحي، وفريق رمز السلام (فريق أبناء العسيلات) ولعب له كَرَّاب وغلام ومحمد العربي ومحمد قاقو وعلي فرح والحبر وكان على إدارته مصطفى الضقيل.

تميزت المباريات بين فرق رابطة الديوم الشرقية بالمنافسة الحادة والقوة مما جعل مهمة تحكيم هذه المباريات أمراً ليس بالهين على الطواقم التي تُوكل إليها هذه المهمة. ومن أشهر الحكام الذين شهدتهم رابطة الديوم الشرقية الطاهر إلياس (محشية) وزكي جبارة وعلي الصافي و بابكر عبد الله حلبتو وأحمد الخليفة أبوبكر وسيد أحمد الشايقي وعبد العظيم أب كوع ويحي جميل ومحي

الدين عبد الرسول (جقدول). كانت إدارة الرابطة تتم بواسطة لجنة مكونة من رئاسة وسكرتارية وأمانة للخزانة بجانب مناديب الفرق. ومن أشهر الإدارات التي مرت على الرابطة في فترة الستينيات تلك التي ترأسها هاشم عبدون حماد وعمل سكرتيراً لها وداعة محمد إدريس. أيضاً من الإداريين المميزين الذين خدموا الرابطة في فترة الستينيات وأوائل السبعينيات أحمد الحاج أحمد ومحمد الحسين وأحمد عبد البين وعلي فقيري وهاشم عبدون وعبد القيوم التركي وصلاح عبد الرازق وإدريس بركية وعلي الصافي.

رابطة الحلة الجديدة

أُنشئت رابطة الحلة الجديدة عام ١٩٦١م وهي كما يذكر عبد المنعم تميم من إداريي هيئة رعاية الناشئين أول رابطة أهلية تشهدها مدينة الخرطوم. وهي أيضاً من أوائل الروابط التي انضمت إلى الهيئة عام ١٩٦٣م. اتخذت الرابطة منذ إنشائها من الميدان الواقع غرب ميدان الليق الحالي ملعباً لمنافساتها، واحتفظت بجمهورها وبحضور مقدر للمباريات التي تنظمها رغم مجاورتها لمنافسات الليق الحامية الوطيس دائماً. من الفرق المنضوية تحت لواء الرابطة القانون، والجزائر، وبنفيكا الذي تحول إلى رابطة القوز في فترة لاحقة، والإصلاح، والإخوة، والهدف، والجبابرة، والدفاع، والأمير، والعلم، والنجوم، والمهرجان، ونجوم إفريقيا. خَرَّجَت الرابطة الكثير من اللاعبين الذين لعبوا في فرق الدرجة الأولى منهم شريف سليمان الذي لعب للهلال في أوائل الستينيات، وعبد الله عبد السيد سكران وبرعي سليم وعوض محجوب لعبوا للنيل، وإسماعيل دوكة ويوسف أحمد عبد العزيز ومحمد عبد الرحمن آدم ومزمل لعبوا للموردة، وعبد الله عثمان عبد الرحمن سنكيت وفيصل صديق ومحمد عثمان حسن آدم دقلولة لعبوا للأهلي، ومهداوي إسحق علي لعب للمريخ.

ومن رواد العمل الإداري الرياضي بفرق وأندية الحلة الجديدة عبد المجيد محمد عثمان ويس حاكم وحمد عبد العزيز وحسن حسين دقس وعبد الله سعد وكمال النحاس سكرتير نادي النيل في فترة لاحقة. أيضاً من مشاهير الإداريين بالرابطة حاج ديدي وعبد اللطيف محمد عثمان وتاج السر إبراهيم صالح وحسن الطيب ومحمد حاج علي وأحمد الفكي البرسال ويس علي ومصطفى صالح والأب الروحي للرابطة فاروق محمد علي. أما الحكام فنرصد منهم حاج أحمد ويس علي ومحمد أحمد البزِح وعوض حموقة والطيب حسن وعبد الجليل الرصد وعوض أحمد موسى وعبد الله سعد وفؤاد سليمان.

رابطة الخرطوم ٣

تأسست رابطة الخرطوم ٣ في منتصف الستينيات بُعيد تأسيس رابطة الديوم الشرقية، واتخذت من أحد الملاعب الواقعة في وسط ميدان عبد المنعم محمد مركزاً لمنافساتها الكروية. وضمت رابطة الخرطوم ٣ عدداً من فرق المنطقة بالإضافة إلى فريق أو فريقين من الخرطوم ٢، ومن بين هذه الفرق الرائد والتاج والنجم الأحمر والشبيبة والتضامن وزحل والنهضة والاتحاد والجيل والنيران. و يقع ميدان فريق الرائد في الناحية الشمالية من ميدان عبد المنعم ومن لاعبيه طارق بشير وسعد مكي حسن أبو وأحمد حمو ورشاد البلك وعبد المنعم طه. و نجد ميدان فريق التاج في الناحية الشمالية الغربية من ميدان عبد المنعم ومن اشهر لاعبيه عبد العزيز التهامي وإبراهيم البيلي. وفي الناحية الشرقية من ميدان عبد المنعم نجد فريق الشبيبة، بينما نجد فريق زحل وفريق التضامن الذي لعب له عبد الله البيلي في الناحية الجنوبية من ميدان عبد المنعم.

أما الفرق التي تقع ميادينها خارج منطقة ميدان عبد المنعم فهي فريق النجم الأحمر من منطقة السكة حديد، و فريق الجيل من الخرطوم نمرة (٢) شرق حديقة

القرشي، و فريق النيران من السجانة. و من أميز لاعبي فريق النجم الأحمر عبد الجبار وأحمد زكريا، و من لاعبي فريق الجيل الأخوين فوزي و أحمد حامد الملك، وبابكر خليل، أما فريق النيران فقد لعب له أحمد طيفور وكمال حمد و بابكر محمد أرباب و محمد المصطفى وفيصل محمد محمود و سيف الدين يوسف سنهوري.

ومن اللاعبين الذين ذاع صيتهم في رابطة الخرطوم ٣ يوسف أبوصلعة الذي لعب لنادي النيل في النصف الثاني من الستينيات، واشتهر أيضاً كل من الزين النحاس والدرديري النحاس وعبد الرحمن نقد وعبد الرحمن عبد الظاهر ومحجوب مدثر.

وتماثل إدارة الرابطة إدارات الروابط الأخرى من حيث الهيكلة، ومن أشهر الإداريين الذين مروا على رابطة الخرطوم ٣ صلاح تميم الدار والنور التنقاري وحنفي وبابكر البدوي.

رابطة الخرطوم غرب

تأسست رابطة الخرطوم في عام ١٩٦٣م مع إنشاء هيئة رعاية الناشئين. بدأت الرابطة بثلاثة فرق من منطقة الخرطوم غرب هي الكفاح (سيد أتيام الربطة) الذي تغير اسمه إلى الإتحاد، والأمير الذي تغير اسمه إلى الثورة، واللهيب الذي احتفظ باسمه بعد إنشاء الرابطة. وكان قد أنشأ فريق اللهيب مجموعة من أبناء الجالية اليمنية ثم أنضم له فريق الثورة الذي كان يضم أولاد إشلاق البوليس. أنضم للرابطة بعد ذلك فرق العروبة والرسالة والبحيرة من حي المقرن، والوحدة من الإشلاق، والنجوم من السوق العربي، والعزيمة من الخرطوم غرب.

خَرَّجَت رابطة الخرطوم غرب عدد من اللاعبين المميزين منهم لاعبو

الكفاح عثمان الضقيل والأخوين علي وعثمان شِغَيل لعبوا للنيل، ولاعب اللهيب نصرالدين علي مزكى المشهور بالثعلب لعب للموردة، ولاعب الرسالة قمر الدولة عوض لعب أيضاً للموردة، ولاعب الإتحاد عادل سراج النور لعب للأمير البحراوي. أيضاً برز من فريق الأمير الفاتح خواجة ومن الإتحاد داؤود تبن. ونلاحظ أنَّ عدداً من لاعبي فرق الرابطة أصبحوا فيما بعد على رأس إدارات هذه الفرق مثل لقمان محمد صالح لاعباً ثم إدارياً في فريق اللهيب، الأخوين هاشم وعبد الإله الزبير لاعبان ثم إداريان في فريق الكفاح/الإتحاد، وكمال عمر لاعباً ثم إدارياً في الأمير/الثورة. بجانب هؤلاء برز يحي مرسي وصلاح أحمد إدريس في إدارة العروبة، عادل أحمد عبد الله في إدارة الرسالة، وهاشم بشير كوجاك في إدارة الوحدة، وبرز من إدارة الرابطة صلاح طه إسماعيل. أما في مجال التحكيم فنرصد عثمان أبوكفة، وعبد العزيز، والفاضل طرزان،والحكم صلاح طه إسماعيل بجانب كونه إدارياً.

رابطة السجانة

تعتبر رابطة السجانة من الروابط العريقة بمنطقة الخرطوم وقد بدأ نشاطها الرسمي في منتصف الستينيات وقد سبق ذلك نشاط أهلي منذ أوائل الستينيات. ومنذ بداية نشاطها الكروي اتخذت من الجزء الغربي من مقابر بلاع ميداناً لمنافساتها، وبعد عمارة ذلك الجزء تحول الميدان إلى موقعه الحالي الذي كان يمثل المنطقة الوسطى لمقابر بلاع قبل إزالتها. وكانت منافسات الرابطة جاذبة لقطاع عريض من جمهور المشاهدين الذين يأتون من السجانة ومن الأحياء المجاورة للسجانة. كما كان العديد من إداريي فرق الدرجة الأولى كالهلال والمريخ والنيل والأهلي يحرصون على حضور مباريات رابطة السجانة وغيرها من الروابط بحثاً عن المواهب.

وكان عدد الفرق المنضوية تحت لواء الرابطة حوالي العشرة فرق هي السهم والترسانة والزمالك والتضامن والوحدة والنيران وبوهين والصاروخ والهدف والنسر الذهبي. وكل هذه الفرق من منطقة السجانة عدا الهدف والنسر الذهبي. فالهدف من ديم التعايشة وقد حل محله فريق الشعلة من نفس المنطقة بعد تَحَوُل الأول إلى رابطة الديوم الشرقية بانضمامه لفريق الشروق التابع لنادي ناوا. أما النسر الذهبي فينتمي أعضاؤه إلى الزهور فتحت والشعبية.

من أشهر اللجان التي مرت على الرابطة اللجنة التي تكونت من أحمد إبراهيم رئيساً وساتي بكري سكرتيراً وسيد كامل أميناً للخزينة، ومن الأعضاء المناوبين للفرق الذين ضمتهم تلك الجنة عباس سا لم مندوباً للزمالك ومحمد حاج على مندوباً للسهم ومصطفى عبد الجليل مندوباً للتضامن ومحمد الطيب مندوباً للوحدة ومحمد صالح خليل مندوباً لبوهين.

شمل النشاط التنافسي لرابطة السجانة بجانب الدوري والسداسيات كأس المرحوم عبد الرحيم القطر ابن السجانة ولاعب الهلال المشهور وكأس مصطفى كيشو القطب الهلال اللامع في فترة الستينيات. إضافة إلى هذه المنافسات الدورية كان يتم تنظيم مباريات ودية مع بعض الفرق القوية من الروابط الأخرى مثل فريق الجزائر من رابطة الحلة الجديدة وفرق الاتحاد والدينمو من الخرطوم ٣ وفرق النجم الأحمر والحرية والوطن من رابطة الديوم الشرقية.

قدمت رابطة السجانة عدداً من اللاعبين الموهوبين الذين نالوا حظاً من الشهرة على مستوى مدينة الخرطوم منهم أبوزيد أحمد أبوزيد وجبر الله ومحمد عبد الله والسر سمكة من الزمالك وحسن أشول ومصطفى تنقو من التضامن وآدم دراج من الترسانة ومحمد الطيب من الوحدة وقمر محمد عثمان وشقيقه الطاهر محمد عثمان من السهم وأحمد شمس الدين وسمير محمد علي (ود أم

كشكوش) ومحمد محجوب الحاج وعطا كوكو وخلف الله باب الدين وعم عبده ومحمد عيسى التقر والتلب محمد أحمد سليمان وسمير آدم (سكسكة) والجعلي صديق وصلاح الفاضل من الهدف وحسن العبد من الصاروخ. ومن حراس المرمى المشهورين زكي محمود من السهم ومحمد الطيب من الوحدة وعباس طاموسة من السهم وعبد الله المشهور بالكابتن هُوي من الهدف.

كما قدمت الرابطة لاحقاً حكمين دوليين: عثمان عبده ويعتبر أول حكم دولي من رابطة السجانة والآخر هو الطاهر محمد عثمان لاعب فريق السهم. ومن حكام الرابطة الذين اشتهروا الحكم حسن كديس من حكام الجيل الأول للرابطة، وأنضم لقائمة المحكمين في نهاية الستينيات محمد موسى سلامة وسعد محمد رمضان وإبراهيم آدم عبد الرحمن.

رابطة المايقوما

تأسست رابطة المايقوما عام ١٩٦٧م حيث بدأت كنشاط أهلي واتخذت من الميدان الواقع غرب مركز صحي المايقوما وشرق سينما النيلين ملعباً ومركزاً لمنافساتها منذ ذلك الوقت وحتى اليوم. وضمت رابطة المايقوما حوالي العشرة فرق من المايقوما والأحياء المجاورة، والفرق هي العلم والأمراء والوادي والنيران والبركان والهجرة والمايقوما والنافعاب وبوهين والكرو.

وقد اكتسبت رابطة المايقوما منذ إنشائها شعبية وحضوراً جماهيرياً لافتاً للانتباه لقوة المنافسة بين فرقها ويعزى ذلك للسياسة التي اتبعتها إدارتها بالسماح لكل فريق بتسجيل خمس لاعبين من الدرجات المختلفة حتى الدرجة الأولى. ويقول السر المرضي أحد الإداريين الأوائل للرابطة بأن نشاط الرابطة في نهاية الستينيات أزعج المرحوم محمد كرار النور الذي كان مسئولاً عن تكوين جهاز

الناشئين التابع لشئون الرياضة. فقد كان محمد كرار مديراً لسينما النيلين آنذاك مما جعله متابعاً للنشاط المتنامي لرابطة المايقوما الأهلية، وشعر بأنَّ ذلك النشاط يعيق أنشطة جهاز الناشئين فطلب من إدارة الرابطة ضمها للجهاز مقابل حصولها على دعم لكل أنشطتها وإلا سيأمر بإيقاف نشاطها، وقد وافقت اللجنة على الانضمام.

خَرَّجَت رابطة المايقوما المئات من اللاعبين ممن برزوا ولمع نجمهم من خلال المنافسات التي تنظمها الرابطة ثم التحقوا بفرق اتحاد كرة القدم بدرجاته المختلفة ومنهم على سبيل المثال فتحي آدم سبيل لاعب نادي الأهلي وشمس الدين الرشيد وعبده موسى لاعب نادي النيل وزنقل لاعب نادي بري وديجانقو ومنقستو وطارق أحمد آدم وصلاح محمد خير وحسين ود اليماني وعادل مدني والرشيد استرليني وبابكر حمزة وعلي جكسا والقائمة تطول. ومن بين المنافسات التي اشتهرت الرابطة بتنظيمها بجانب دوري الرابطة كأس السفير الكويتي عبد الله السريع وكأس فيصل محمود وكأس البدري الهادي.

تعاقب على رئاسة إدارة الرابطة بالترتيب أحمد وداعة والسر محمد علي وبله العوض والسر المرضي، وتعاقب على السكرتارية عامر عثمان وفتح العليم إلياس وميرغني بيك. ومن أبرز إداريي الفرق أحمد عبد الرحمن حبشي وياسين الفحل وعصام محمد أحمد عيسى وعبد الرحيم الشفيع وجزيرة وعبد العزيز كيرية وكامل محمد علي. ومن منجزات رابطة المايقوما تنظيمها أول دورة لتأهيل حكام تحت الدرجة إلى حكام روابط والذين التحقوا بعد ذلك بإتحاد كرة القدم بدرجاته المختلفة ومن هؤلاء السر محمد علي وبابكر عبد الله وعامر عثمان وعلى عبد القادر وعثمان قاسم، وكان قد أشرف على تلك الدورة الخبير أحمد قنديل والأستاذ محمد الأمين بابكر.

رابطة القوز

تأسست رابطة القوز عام ١٩٦٥م ومن مؤسسيها عبده دوشي ودياب بلال وأنور عالم ومحمد خير. اتخذت الرابطة من الميدان الواقع شمال مدرسة القوز الأولية (هاشم عبدون حالياً) وجنوب مركز صحي القوز مقراً لمنافساتها. بدأت الرابطة كالكثير من روابط المنطقة أهلية وكان من أشهر فرقها الريح والصحراء، وبعد انضمامها لهيئة رعاية الناشئين زاد عدد الفرق المنضوية تحت لوائها على العشرة فرق. بعد الانضمام تغير اسم فريق الريح إلى الوحدة ثم الجلاء، كما تغير اسم فريق الدفاع إلى الشبيبة. أما بقية الفرق فهي القولد والإتحاد ولوممبا والنجوم والجوارح والفجر والعاصفة والسلام.

وكبقية روابط منطقة الخرطوم قدمت رابطة القوز العديد من نجوم أندية الدرجة الأولى فقد قدمت للنيل كل من أزهري السر وفتحي عبد الله ومحمد خير وبحر وناصر الطيب وحسن الطيب والأخير لعب أيضاً للهلال، وقدمت للأهلي كمال فرغلي وعماد لوفا، وقدمت للقوز محجوب الجاك. من أبرز إداريي الفرق موسى بريمة والأستاذ كرم وحسين كامل وعباس عبد القادر وأبوالحجاج وعلي تميم الذي شغل منصب سكرتير الرابطة في فترة لاحقة. وبرز في التحكيم جعفر حمد ومرضي وخضر كارجويل والسماني حجازي ومحمود ويكة وعبد الله مرحوم.

الأنشطة الرياضية الأخرى

عرفت الخرطوم بجانب كرة القدم عدداً من المناشط الرياضية التي أدخلها الإنجليز والجاليات الأجنبية مثل التنس الأرضي والإسكواش وكرة السلة وكرة الخيل (البولو) وكرة الجولف وسباق الخيل (الفروسية). بدأت رياضة

سباق الخيل في العشرينيات في نفس الموقع الذي يقوم فيه مطار الخرطوم، ثم انتقل إلى ودمدني ومنها إلى أم درمان وأخيراً إلى موقعه الحالي جنوب الديوم الجديدة. أصبح موقع سباق الخيل بعد نقله إلى ودمدني ميداناً لكرة الجولف إلى نهاية الثلاثينيات تقريباً عندما أُنشئ مطار الخرطوم. أما كرة الخيل فكانت تلعب في الفسحة الواقعة جنوب إشلاق عباس. استأثر ضباط وجنود الاحتلال البريطاني إلى نهاية العشرينيات بممارسة كل هذه الأنشطة الرياضية إضافة إلى التنس الأرضي والإسكواش وكرة السلة حيث كانت الملاعب لهذه الألعاب متوفرة في ثكنات الجيش الإنجليزي ببري. أُنشئت في نهاية العشرينيات عدد من ملاعب التنس في الفضاء الواقع إلى الشمال من ميدان أبي جنزير، انتقلت هذه الميادين في الخمسينيات تقريباً إلى الناحية الجنوبية من حي المطار وزرعت بالعشب الأخضر في فترة لاحقة. كما شهدت مدينة الخرطوم في فترة الثلاثينيات والأربعينيات قيام صالة للتزلج يمتلكها اليهودي ماتياس ناحمياس.

نالت فرق الخرطوم قصب السبق في الكثير من المجالات الرياضية مثل كرة السلة والسباحة والملاكمة. ففي مجال كرة السلة نجد في الخرطوم معظم الفرق التي اشتهرت في هذا المجال، حيث نجد العمال والنادي العربي والنيل والمكتبة القبطية والنادي اليوناني والكاثوليك والأرمن. ونلحظ أنه تبقى من العقد الفريد لكرة السلة فريقا الكوكب البحراوي والمريخ الأم درماني. ومن الذين اشتهروا في إدارة نشاط كرة السلة بمدينة الخرطوم محمد عثمان ياسين والعميد أبو الدهب وفاروق معني وفاروق البلك واللواء محمد طه إسماعيل وحسن أبو جبل وعاطف محمود. ومن اللاعبين المرموقين في فرق الخرطوم حسين باروني ومحمود خليل وحسن خليل وعاطف محمود والإخوة محمود وسمير وأزهري محمد علي ومصطفى ود المصري وبركات أحمد ياسين ومعاوية بابكر ومحمد عرزون وإبراهيم عرزون وعباس خوجلي وفاروق البلك وأحمد خميس ومحمد علي

الأعيسر وفيصل السيد ووليم أندريه وحبيب اسطمبولية ودوت ملوال وفتحي شامي ومايكل بنجامين وشارلس بوث ديو.

وكانت منافسات كرة السلة تجري في ملعب مجمع الشباب والرياضة الواقع جنوب كبري المسلمية وأيضاً في ملاعب الأندية إذ يمتلك كل نادٍ من الأندية ملعباً خاصاً به. كما تجدر الإشارة إلى المنافسات القوية التي كانت تنظم بين الحين والآخر بملعب جامعة الخرطوم وتشترك فيها كل أندية الخرطوم بالإضافة إلى منتخب جامعة الخرطوم.

أما بالنسبة للسباحة فاشتهرت في الخرطوم أربعة فرق هي الخريجين والعربي والأرمني واليوناني، ومن الإداريين الذين اشتهروا في مجال السباحة عبد الله سليمان ومحمود خضر خلف الله وفتحي عبد اللطيف وعصام الواثق وميرغني أبوشنب. أما اللاعبون الذين برزوا في مجال السباحة فمنهم ممدوح مصطفى وعادل سعيد وماجد طلعت فريد وسارة جاد الله وسلطان كيجاب وجون ماشيك وسيف الشايقي وعادل حمامة.

ونجد فرق أندية العمال والخريجين والنيل الخرطومية قد احتكرت حلبات الملاكمة وألعاب القوى فيما بينها. فقد اشتهر الكثير من أبناء الخرطوم وأصبحوا نجوماً يتربعون على عروش الأوزان المختلفة للملاكمة منهم عبد اللطيف محمد عباس وحيدر محمد محمود وعلي عثمان الأقرع وعبد الحميد لومبا وموسى آدم وعثمان طنون ومحمد فرج الله وجون بوث ديو ومحجوب كريم وحسب الله نوجا والكثير غيرهم. ومن حكام الملاكمة عبد المنعم مكي وحسن رشوان وسامي كامل وسيد أحمد المكي، ومن الإداريين الدكتور عبد الله قلندر ومحمد علي بشير الطريفي وعبد الله محمد الحسن ومحجوب سعيد. كما نجد الكثير من الأسماء التي كان لها إسهامات مُشَرِفة على المستوى الوطني

والإقليمي في مجال الملاكمة منهم سعيد عبد القادر صاحب الميدالية الذهبية في البطولة الإفريقية وأحمد فرج الله وأحمد الحاج موسى وعبد الوهاب عبد الله ومحمد أُوشي. وفي مجال رفع الأثقال نرصد حيدر قطامة وعادل ميرزا وفتحي الربعة.

كما نرصد ريادة شباب الخرطوم في مجالات التنس الأرضي وتنس الطاولة وكرة اليد والكرة الطائرة. فمن الرواد الأوائل في مجال التنس الأرضي أميل مرعي قرنفلي وفريد طوبيا وصديق البنا وأبوبكر الطاهر ودكتور الأقرع وحسبو محمد السيد، وبانصرام العقد السابع أصبح هؤلاء الرواد هم المهتمون بإدارة هذا الضرب من ضروب الرياضة. وفي نهاية الستينيات برز من اللاعبين الأخوين سامي وعادل طلعت فريد، وبهيج عبد الرازق، والأخوين يحي وفتحي عثمان، والأخوين مندور ومحمد رشدي، والأخوين عمر وهنادي علي طه، والأخوان عباس ومحمد وعمر نورالدائم، وعبد الله جحا والنجومي والأمين عثمان. أما في مجال الكرة الطائرة وكرة اليد فقد جاء التميز متأخراً، فكان لمركز شباب السجانة قصب السبق بعد إنشائه في السبعينات، وممن اشتهروا في الكرة الطائرة نذكر كمال عيسى وعادل محمود وخالد طه، وفي كرة اليد عوض باب الله ومحمد خضر ومحمد حسن مجمر وعبد الله محمد أحمد المصري وعادل عوض سعيد.

المرافق الرياضية لأندية الجاليات والأندية الأخرى

لعبت أندية الجاليات التي كانت منتشرة في الخرطوم نمرة (١) والخرطوم نمرة (٢) طيلة النصف الثاني من القرن الماضي دوراً هاماً في ممارسة العديد من الأنشطة الرياضية المختلفة مثل كرة السلة والكرة الطائرة وتنس الطاولة والتنس

الأرضي والسباحة. وتضم قائمة هذه الأندية النادي الأغريقي والنادي الإيطالي والنادي الأرمني والنادي الكاثوليكي والنادي السوري والنادي العربي. هذا بجانب نادي المكتبة القبطية ونادي الخريجين ونادي العمال. ونجد في كل هذه الأندية مرافق رياضية تضم الميادين والصالات وكذلك المسابح في كثير منها، وقد شهدت هذه المرافق الكثير من المنافسات بين الأندية.

يعتبر مركز شباب السجانة منذ إنشائه في أوائل السبعينيات أحد المحافل الرياضية المميزة ليس في الخرطوم فقط بل في العاصمة قاطبة، وقد اشتهر المركز على النطاق القطري في مجال الكرة الطائرة وكرة اليد. ومن المناشط الرياضية الأخرى بالمركز تنس الطاولة والملاكمة وألعاب القوي، فبجانب ملاعب الكرة الطائرة وكرة اليد توجد به حلبة للملاكمة وأخرى لألعاب القوى. ويوفر المركز للشباب كل المعدات والأدوات الرياضية لهذه الألعاب مع وجود مدربين أكفاء.

محفل رياضي آخر في منطقة الخرطوم جنوب هو نادي الأسرة بالخرطوم نمرة (٣)، الذي شُيِد في ميدان عبد المنعم أثناء ولاية اللواء طبيب عبد الله قلندر لمحافظة الخرطوم. أصبح نادي الأسرة عند اكتماله في السبعينيات من القرن الماضي معلماً مهماً من معالم مدينة الخرطوم إذ ضم العديد من المناشط الرياضية والثقافية. فقد احتضن صالتين لتنس الطاولة وصالة للبلياردو وصالة للشطرنج وصالة للإسكواش وحلبتين للملاكمة والمصارعة وميادين للكرة الطائرة وكرة السلة والتنس الأرضي وملعبين لكرة القدم، أي أنه أصبح بمثابة مدينة رياضية كاملة، هذا بجانب مسرحين كبيرين للمناشط الثقافية والأدبية والفنية.



خاتمـــة

يمثل هذا السفر جهداً متواضعاً للتوثيق لمدينة الخرطوم عبر الحقب الزمنية المختلفة منذ إنشائها وحتى السبعينيات من القرن العشرين، مع إضافة الامتدادات والأحياء التي اضيفت إلى مدينة الخرطوم بعد تلك الفترة في محلق في نهاية الكتاب. قصدتُ فيه تناول المواضيع التي لم يتم تناولها البتة أو تم تناول جزيئات منها في المطبوعات المتوفرة للقارئ، وتجاهلتُ تلك التي استوفتها الأقلام توثيقاً ونقداً وتحليلاً مثل دور الخرطوم كعاصمة سياسية. ولعل فيما ورد في السفر استثارة للباحثين المتخصصين في الغوص بشيء من التفصيل والتحليل المنهجي في موضوعاته. عند حدوث ذلك فقط أكونُ قد وفقتُ فيما هدفتُ إليه وهو إبراز الدور الحضاري والعمراني والثقافي والاجتماعي لمدينة الخرطوم.

وبالله التوفيق.

المصادر والمراجع

كتب ومقالات:

١. أحمد أحمد سيدأحمد، تأريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢. الفاتح الطاهر، أنا أم درمان: تاريخ الموسيقى في السودان، الخرطوم، ١٩٩٣.

٣. المبارك إبراهيم، تاريخ مدينة الخرطوم، ١٩٤٠م.

٤. إحسان عباس، الشعر السوداني نظرة تقييمية، مجلة الدراسات السودانية، أكتوبر ١٩٧١.

٥. أحمد عبد الوهاب محمد سعيد، الخرطوم أيام زمان، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربية، ٢٠٠٥م.

٦. حسن نجيلة، ملامح من المجتمع السوداني، مكتبة الحياة، بيروت.

٧. خالد المبارك مصطفى، التعليم العالي بالسودان، دار البحار، ١٩٨٥م.

٨. طارق شريف، كرومة كروان السودان، منشورات الشريف، ٢٠٠٢م.

٩. طارق علي العاني و د. غانم سعد الله حساوي، التعليم المهني في الوطن العربي، مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٦م.

١٠. عبد الهادي الصديق، أصول الشعر السوداني، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

١١. عبد الله الطيب، أصداء النيل، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الخامسة، ١٩٩٢م.

١٢. عز الدين الأمين، تراث الشعر السوداني، القاهرة، ١٩٦٩.
١٣. عون الشريف قاسم، قاموس اللهجة العامية في السودان، الدار السودانية للكتب، ٢٠٠٢م.
١٤. عبد الله حسين، كتاب السودان القديم والجديد، ١٩٤٧م.
١٥. عبد الله حسين، عرض تاريخي لشئون السودان منذ أقدم العصور إلى منتصف القرن العشرين، مصر.
١٦. عبد الجليل محمد عبد الجليل، العيد السبعين من العمر المديد للعملاق الغنائي وردي: حياة عامرة بالإبداع ..، جريدة الصحافة، الخميس ٨ أغسطس ٢٠٠٢م.
١٧. محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ الخرطوم، دار الجيل – بيروت، ١٩٩١م.
١٨. محمد المهدي المجذوب، نار المجاذيب، دار الجيل – بيروت وشركة المكتبة الأهلية – الخرطوم، ١٩٨٢م.
١٩. محمد النور ضيف الله، طبقات ود ضيف الله، تحقيق يوسف فضل، الخرطوم، ١٩٧١م.
٢٠. محمد عبد الرحيم أبو ذكرى، نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع، الخرطوم.
٢١. مكي ابوقرجة، اليهود في السودان (قراءة في كتاب الياهو سولومون ملكا: أطفال يعقوب في بقعة المهدي)، مركز عبد الكريم ميرغني، ٢٠٠٤م.
٢٢. محمد أحمد محجوب، الحركة الفكرية في السودان إلى أين تتجه؟، القاهرة، ١٩٣٤م.

٢٣. محمود القباني، مدينة الخرطوم، القاهرة.

٢٤. محمود طلعت، غرائب الزمان في فتح السودان، مطبعة الاسلام – القاهرة، ١٣١٤هـ.

٢٥. محمد عبد الرحيم، نفثات اليراع، الخرطوم.

٢٦. محجوب محمد صالح، الصحافة السودانية في نصف قرن، مركز الدراسات السودانية، ١٩٧١م.

٢٧. سعاد عبد العزيز أحمد، التعليم الأجنبي في السودان ١٨٩٨ – ١٩٥٦م، دار جامعة الخرطوم للنشر، ٢٠٠٢م.

٢٨. سليمان كشة، تأسيس مدينة الخرطوم و المهدية، ١٩٦٦م.

٢٩. فاطمة بابكر محمود، سلسلة قضايا الإسكان في السودان: أعمال سعد الدين فوزي ٢، معهد الدراسات الأفريقية البديلة – لندن، ١٩٩٦م.

٣٠. فؤاد عمر، مع رواد الغناء السوداني، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٣١. جريدة السودان، ١٥ يوليو ١٩٠٧م.

٣٢. مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين، إعداد الأمانة العامة لمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الجزء الرابع، الكويت ٢٠٠١م.

٣٣. نادر أحمد الشريف الحبيب، ملوك أم در، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ٢٠١٢م.

مواقع اسفيرية:

١. مصعب الصاوي، ديوم الخرطوم .. حالة خاصة جداً، الرأي العام، http://www.alghoraiba.com/forum/viewtopic.php?f=2&t=3327.

٢. تصنيف أحياء الخرطوم – ويكيبيديا، http://wikimapia.org

٣. الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org.

٤. هاجر محمد الشيخ، لقاء مع محمد عبد الله التربي، 2009/8/3: http:// rabitat3.yoo7.com/t107-topic

أسماء الذين أسهموا بتزويد المؤلف بالمعلومات التي اعتمد عليها في الطبعة الأولى:

١. عبد الرحيم عبد السخي بادي – مواليد الديوم القديمة
٢. عبد الجبار حسن علي – مواليد الديوم القديمة
٣. موسى فرج الله إبراهيم – مواليد الخرطوم شمال
٤. رحمي محمد سليمان – مواليد الخرطوم شمال
٥. كرم الله محمد علي كرم الله – مواليد الخرطوم شمال
٦. مصطفى أبوشرف – مواليد الخرطوم بحري
٧. خوجلي أحمد حسن أبوالجاز – مواليد الخرطوم شمال
٨. جمعة نعمان أحمد – مواليد الديوم القديمة
٩. حسن محمد أحمد – مواليد الديوم القديمة
١٠. إبراهيم عبد الرازق مرجان – مواليد الديوم القديمة
١١. آمنة محمد سرور – انتقلت من الأبيض إلى الديوم القديمة في الأربعينيات من القرن الماضي
١٢. عبد الوهاب بلمون صالح – مواليد الخرطوم شمال
١٣. حسن عبد التام مرزوق (كدك) – مواليد الديوم القديمة
١٤. يحيى زكريا أبوبكر أرباب – مواليد الديوم القديمة
١٥. الطاهر عزالدين المقبول – مواليد الديوم القديمة
١٦. خديجة عبد الله عبد اللطيف – مواليد الخرطوم شمال
١٧. مبارك بين – مواليد الديوم القديمة
١٨. محمد عثمان إدريس محمد أحمد – مواليد الخرطوم شمال

١٩. عبد المنعم الواثق المرضي – مواليد الخرطوم شمال

٢٠. كمال عثمان الملك – مواليد الديوم القديمة

٢١. خالد عبد الرحمن محمد صالح – مواليد الخرطوم شمال

٢٢. سيدة عبد الله عبد اللطيف – مواليد الخرطوم شمال

٢٣. محمد شريف عبد الرسول – مواليد الخرطوم شمال

٢٤. هارون جبر الدار عبد الله حامد – مواليد الديوم القديمة

٢٥. خالد سليمان سعد – مواليد الديوم القديمة

٢٦. السر المرضى محمد نور – مواليد السجانة

٢٧. محمد حسين عبده – مواليد الديوم القديمة

٢٨. ياسر محمد عبد الله – مواليد الديوم الشرقية

٢٩. ناجى أحمد ساتى – مواليد الخرطوم جنوب

٣٠. السر محمد إدريس – مواليد الخرطوم

٣١. سعد رزق عنبر – مواليد الديوم القديمة

٣٢. صلاح إسماعيل إبراهيم – مواليد الديوم القديمة

٣٣. عبد النبى محمد طه – مواليد الديوم القديمة

٣٤. حسن محمود – مواليد الديوم القديمة

٣٥. عوض جادين فضل المولى – مواليد الديوم القديمة

٣٦ عيسى موسى هرون – مواليد الديوم

٣٧. عبد العزيز إبراهيم نقد – مواليد الديوم القديمة

٣٨. عباس إبراهيم الإمام – مواليد الخرطوم شمال

٣٩. فيصل محمد أحمد سليمان – مواليد الديوم القديمة

٤٠. إبراهيم آدم عبد الرحمن – انتقل من كوستي إلى الديوم في الستينات

٤١. سيف الدين أحمد سعيد– مواليد السجانة

٤٢. الموسيقار البدري صالح – مواليد السجانة

٤٣. محمد علي الحسن السيد – مواليد الديوم القديمة

٤٤. عبد الله عثمان عبد الرحمن (سنكيت) – مواليد الديوم القديمة

٤٥. محمد إسحق علي – مواليد الديوم القديمة

٤٦. محمد عبد الرازق أحمد السِمِع – مواليد الديوم القديمة

٤٧. بشرى عيسى العبيد – مواليد الديوم

٤٨. عبد المنعم تميم الدار – مواليد الخرطوم

٤٩. نصرالدين علي مزكى – مواليد الخرطوم غرب (إشلاق البوليس)

أسماء الذين أسهموا بتزويد المؤلف بالمعلومات التي اعتمد عليها في الطبعة الثانية:

١. عبد الله (خليفة) ضيف الله علي محمود – مواليد الديوم القديمة
٢. بابكر بله النور بلال – مواليد بري اللاماب
٣. أحمد عبد الماجد أحمد سرير – مواليد الديوم القديمة
٤. عبد المنعم كرار بلة – مواليد القوز
٥. بكري إسماعيل إبراهيم – مواليد الديوم القديمة
٦. بدر الدين أحمد عواض – مواليد الخرطوم نمرة (٣)
٧. محمد يوسف أبو إدريس – مواليد حي الترس بالخرطوم غرب
٨. محمد حسن إبراهيم – مواليد الديوم القديمة
٩. عبد الرحيم نمر يحي – مواليد الحلة الجديدة
١٠. الطيب الأمين إبراهيم – مواليد المايقوما
١١. ميرغني السر – مواليد القوز
١٢. عصام عبد العال خالد – مواليد الخرطوم
١٣. محمد زكي محجوب – مواليد توتي
١٤. عبد الله عبد السلام النور – مواليد توتي
١٥. علي حسن إبراهيم – مواليد الديوم الشرقية
١٦. حسن محجوب عثمان بابكر – مواليد الديوم القديمة

ملحق الامتدادات السكنية والأحياء المضافة لمدينة الخرطوم حتى العام ٢٠٠٠م

الامتدادات السكنية جنوب وشرق المدينة

العمارات

حي العمارات من الأحياء السكنية الراقية بمدينة الخرطوم، بل كان منذ إنشائه في النصف الأول من ستينيات القرن الماضي ونهاية الثمانينيات منه الحي الأرقى على الإطلاق في كل العاصمة المثلثة. وسمي بحي العمارات لأنه أول حي تشيد فيه مباني وعمارات عالية، كما كان البعض يطلق عليه غابة الأسمنت وذلك لأن كل مبانيه مشيدة بالإسمنت المسلح ولا مكان فيه لمباني الطين. وقد تم تخطيط وتشييد الحي في فترة حكم الفريق إبراهيم عبود للسودان، لذا هناك قول بأنَّ البعض كان يرى تسميته بحي عبود. يقع الحي غرب مطار الخرطوم الدولي ويفصله عنه شارع إفريقيا (شارع المطار)، وإلى الجنوب من حي الخرطوم نمرة (٢)، وشرق مقابر فاروق والمزاد والشعبية والزهور فتحت والديوم الشرقية ويفصلها عن كل هذه الأحياء شارع محمد نجيب، وشمال مربع الخدمات حيث تُطل على الحي الإدارة العامة والمنسقية العامة للخدمة الوطنية.



حي العمارات

يتكون حي العمارات من قسمين الدرجة الأولى في الناحية الشمالية منه وتبدأ من شارع (١) إلى شارع (٣٥) والدرجة الثانية في الناحية الجنوبية وتبدأ من شارع (٣٧) إلى شارع (٦١)، وجميع هذه الشوارع تبدأ من شارع محمد نجيب في الغرب وتنتهي شرقاً عند شارع إفريقيا ولها ترقيم فردي فقط. وهناك شارع الملك عبد العزيز موازٍ لشارعي محمد نجيب وإفريقيا ويقسم الحي إلى جزئين شرقي وغربي. وتتسم منازل الحي باتساع مساحاتها إذ تبلغ مساحة المنزل بالدرجة الأولى (٨٠٠) متراً مربعاً بينما تبلغ مساحته بالدرجة الثانية (٦٠٠) متراً مربعاً. ويحظى الحي بشوارع مسفلتة وخدمات متكاملة، إذ تم توفير شبكات المياه والكهرباء ومجاري الصرف الصحي ومجاري مياه الأمطار قبل البدء في تشييد المنازل.

يكتظ حي العمارات بمعالم مهمة من أشهرها سوق شارع (١٥) وسوق شارع (٤١) حيث البقالات والمحلات التجارية لبيع الملابس والأثاثات والمواد الصحية والإلكترونيات والكافتيريات والمطاعم. ففي سوق شارع (١٥) نجد سوبرماركت الحاوي ومعرض سامسونج واف ام للاستثمار ومريدي بلازا للشقق الفندقية والدار الاستشارية ومحمد جابر للأثاث والديكور وكونز للملابس الجاهزة وداماس للذهب ومحطتي بنزين النيل (سابقاً توتال) وبتروناس (سابقاً موبيل أويل). وكان يضم في الماضي مطعم وبار مرحباً واستديو صلاح. ونجد في منطقة السوق مسجد الحاج أحمد أبو زيد وكنيسة الشهيدين. أمَّا في سوق شارع (٤١) فنجد مركز قلادة وكفتيريا هارفي وصاج السمك والمطعم السوري وبجواره مسجد صادق أبوعاقلة والكنيسة الكاثوليكية.

وتطل على شارع إفريقيا الكثير من المطاعم والكافتيريات، فهناك مطعم أمواج ومطعم جاد ومطعم جراند كافيه ومطعم إستيرس ومطعم رويال بروست ومطعم كاك وكافتيريا سوليتير وديبو نيرز بيتزا وغيرها من المطاعم والكافتيريات.



مطعم الجراند كافيه في شارع إفريقيا

وفي الحي مدرسة الخرطوم الثانوية بنات ومدرسة حسونة الثانوية بنين ومدرستا العمارات (١) و(٢) بنين لمرحلة الأساس ومدرستا العمارات (١) و(٢) بنات لمرحلة الأساس ومدرسة القبس الخاصة بنات ومدرسة المنار الجديدة الخاصة بنين والكلية الأردنية السودانية وكلية السلام للغات. ويوجد بالحي مستشفى ابن سينا الحكومي، بجانب عدد من المستشفيات الخاصة منها مستشفى دار الأطباء ومستشفى شوامخ ومستوصف النيل بجانب العديد من الصيدليات ومكاتب مؤسسات التأمين الصحي.

ومن الهيئات الدبلوماسية والمنظمات توجد السفارات الهندية والروسية والماليزية والأثيوبية والسعودية والقطرية والتشادية ومنظمة الصليب الأحمر. وكذلك نجد شركة المهاجر العالمية وحديد الزامل والمجلس الفيدرالي للصيدليات والسموم. وفي جنوب الحي يوجد فرع الرياضة العسكرية ومركز التدريب النفطي ومختبرات النفط المركزية. كذلك نجد فيه بنك التنمية الصناعية وبنك البركة وبنك فيصل الإسلامي وبنك الثروة الحيوانية وبنك تطوير الصادرات والبنك السعودي السوداني وبنك بيبلوس والبنك الأهلي المصري.

وبالحي العديد من النوادي إذ نجد دار المهندس والنادي القبطي ونادي بنك

السودان ونادي الجمارك في وسط الحي، بينما نجد نادي الخرطوم في الناحية الشمالية من الحي ونادي المحامين في الناحية الجنوبية منه.

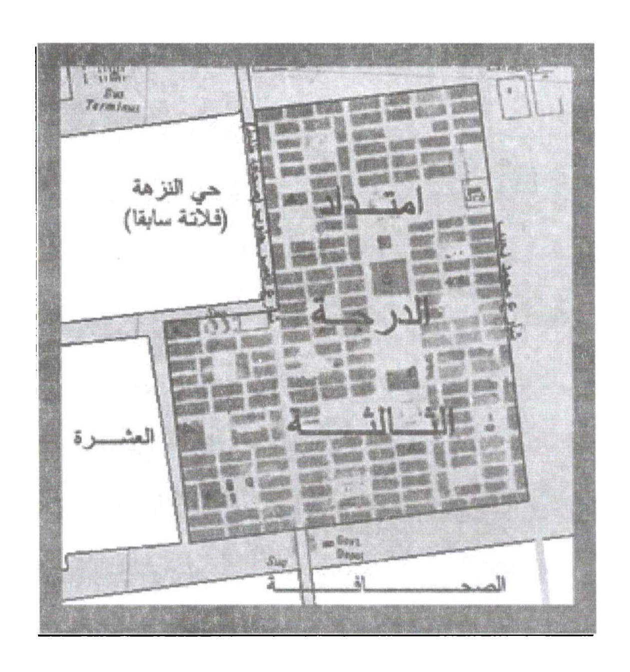
سكن الحي الكثيرون من المشاهير في شتى مناحي الحياة منهم الفريق إبراهيم عبود، ورغم أنه من أنشأ الحي إلا أنَّه كان يسكن في امتداد الدرجة الثانية وليس الأولى، وبابكر علي التوم المعتمد السابق للعاصمة والفاتح بشارة الحاكم الأسبق لكردفان ومحمد توفيق وزير الثقافة الأسبق والدكتور محي الدين صابر وزير التربية والتعليم الأسبق ومأمون إبراهيم الإمام مدير التعليم الأسبق ونجيب يسي تاوطروس وبروفيسور النذير دفع الله والدكتور مأمون إدريس عبد الكريم والدكتور عبده حسن دهب والسفير جمال محمد أحمد والفريق عثمان إبراهيم والأستاذ مصطفى أبو شرف. ومن رجال الأعمال عبد اللطيف أبو رجيلة، الذي ارتبط اسمه بمواصلات الخرطوم، وعلي دنقلا وعبد المنعم حسونة وآل أبو العلا. ومن سكان الحي أيضا الفنان شرحبيل أحمد وفتح الله داؤود وسمير وديع وصلاح الدين أحمد كرار وهاشم أبو سمرة والدكتور الهادي الزين النَّحاس وبشير علي بشير ومحمد الحسن فرح مختار وإبراهيم حسن علام وهاشم عثمان منصور وإبراهيم أبو الريش وعبد الوهاب أبو شكيمة وأحمد الرضي جبارة والأستاذة نفيسة محمد حسن.



شارع ١٥

امتداد الدرجة الثالثة

يعتبر امتداد الدرجة الثالثة بالإضافة إلى امتدادي الدرجتين الأولي والثانية من أنجح خطط الإسكان في مدينة الخرطوم بعد الاستقلال من ناحية تخطيط المربعات والمساكن ومساحاتها وتوزيع الميادين واتساع الشوارع وتوفر الخدمات. امتداد الدرجة الثالثة حي شعبي تم توزيع مساكنه على ذوي الدخل المحدود في أوائل الستينيات من القرن الماضي على سكان الأحياء الشعبية القديمة في الخرطوم وهي الخرطوم نمرة (٣) والسجانة والديوم الشرقية والغربية والحلة الجديدة، وذلك لزيادة أفراد الأسر مع ضيق منازل تلك الأحياء. يقع حي امتداد الدرجة الثالثة جنوب الديوم الشرقية حيث يفصلهما القسم الجنوبي لجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، وشرق حي النزهة والعشرة، وشمال حي الصحافة، وغرب ميدان الخدمات والأندية حيث جهاز شئون العاملين بالخارج ونادي سوداتل ونادي الصيادلة ونادي الضرائب وعدد من المدارس الخاصة وجامعة المستقبل والحديقة العالمية. ويضم الحي أربعة عشر مربعاً تأخذ الترقيم بدءاً من مربع (١) عند الطرف الشمالي الغربي من الحي مباشرة جنوب جامعة السودان – الفرع الجنوبي (الكلية المهنية سابقاً) وانتهاءً بمربع (١٤) في الطرف الجنوبي الشرقي من الحي. وتقع كل المربعات شرق شارع القصر جنوب عدا مربعي (٧ و ١١) اللذين يقعان غرب الشارع. وسكان الحي مثلهم مثل سكان الأحياء الشعبية القديمة في مدينة الخرطوم يمثلون مختلف قبائل السودان من الغرب والشرق والشمال والوسط.



امتداد الدرجة الثالثة

يوجد بامتداد الدرجة الثالثة خمس مدارس أساس للبنين تأخذ الأرقام من (١) إلى (٥)، وكذلك مثلها للبنات. كما توجد مدرسة كعب بن زهير أساس بنين ومدرسة المعالي أساس بنات بمربع (١٠)، ومدرسة الشيماء أساس بنات بمربع (١١)، ومدرسة الامتداد الثانوية بنات بمربع (١)، ومدرسة الامتداد الثانوية بنين ومدرسة فاطمة عبد الرحيم ومدرسة المرضي بميدان الخدمات، ومدرسة المعالي الثانوية الخاصة بمربع (٧).

أما بالنسبة للخدمات الصحية فهناك مستشفى الأكاديمية الخيري في ميدان الخدمات، وفي مربع (٨) مركز سمير الصحي ومستشفى سارة وغنيمة للولادة ومستشفى حمزة الخيري في مربع (٣)، بالإضافة إلى العديد من الصيدليات الخاصة.

ومن المعالم الأخرى بحي امتداد الدرجة الثالثة نرصد في مربع الخدمات في

وسط المربعات قسم شرطة الامتداد ومحكمة الامتداد وعدد من الأسواق منها سوق الجوهرة وسوق الندى بجانب حلواني البصري، ومن المعالم بمربع (٧) ستوديو جاد الله جبارة.

تنتشر المساجد والزوايا في معظم مربعات حي الامتداد فنجد جامع الامتداد الكبير ومسجد التقوى في مربع الخدمات. كما نجد مسجد مربع (٢) وزاوية مربع (٧) ومسجد مربع (٨) وزاوية مربع (٨)، ومسجد السلام في مربع (١٠) ومسجد مسيك في مربع (١١) حيث مجمع ومقر جمعية الكتاب والسنة وزاوية مربع (١١)، ومسجد مربع (١٢) وزاوية مربع (١٣) وزاوية مربع (١٤).

يضم الحي أيضاً عدداً من الجمعيات التعاونية والأندية الرياضية والثقافية والاجتماعية منها جمعية مربع ٤ والجمعية الخيرية لمربعي (٤ و٨)، والجمعية التعاونية لمربع (١١) ونادي الامتداد ونادي مربع (٣) ونادي البحيرة الرياضي الثقافي الاجتماعي بمربع (١٢) (مركز شباب مربع (١٢) سابقاً) ونادي فريق الصحراء الرياضي بمربع (١٣). كما نجد عدداً من الميادين تخص هذه الأندية وغيرها مثل ميدان مربع (٣) وميدان النجم الأحمر في مربع (٤) وميدان مربع (٧) وميدان مربع (٨) وميدان الوحدة وميدان الاتحاد وميدان رابطة الامتداد بميدان الخدمات.

تعتبر منافسات رابطة الامتداد من أقوى منافسات الروابط، وقد أدى ذلك بأن تتنافس فرق الدرجة الأولى والثانية وليق الخرطوم في تسجيل النجوم من فرق الرابطة. وتضم الرابطة عدداً من الفرق منها الجزائر والدينمو وسلام (١) وسلام (٤) والصحراء والنجوم والبحيرة وسلام (١١) والوحدة والاتحاد والنجم الأحمر واللواء الأبيض والعلمين. ومن لاعبي فريق الجزائر التيمان

حسن وحسين ومحمد فرنسي وسامي وزراع، ومن الدينمو في الستينيات والسبعينيات الطاهر محمد عثمان (الحكم الدولي فيما بعد) وإسماعيل عطا المنان ومن بعدهم الهادي عبد الرحيم وكامل ود الجاك، ومن الوحدة مرتضى وعزالدين الفار (عزو)، ومن اللواء الأبيض جمال خميس، ومن العلمين ناصر جبريل، وأيضاً من لاعبي الرابطة معتصم عوض خوجلي.

لنادي الامتداد فريق كرة قدم (فريق امتداد الدرجة الثالثة) وهو من فرق ليق الخرطوم منذ سبعينيات القرن الماضي ومن أميز اللاعبين الذين لعبوا للفريق قمر محمد عثمان والساحر والنور البقاري. بجانب كرة القدم لنادي الامتداد أنشطة رياضية أخرى، مثل الكرة الطائرة ومن نجومها هيثم أبو شارب ومؤمن الطويل، ورفع الأثقال ومن الناشطين في هذا المجال علاء الدين عبد الجبار ومجاهد ومحمد لطفي.

نذكر من سكان حي امتداد الدرجة الثالثة في مربع (١) آل ميرغني صالح ميرغني وآل عبد الوهاب عباس كرنديس وعثمان قمر الدين، وفي مربع (٢) آل محمد عطا المنان الشايقي وعثمان أحمد النعيمة وآل فتحي عبد اللطيف الحكيم والحاج سعيد جويلي، وفي مربع (٣) آل سر الختم كابرين وآل قسم السيد فرح بطران وآل إبراهيم موسى أبوبكر وآل فريجون. وفي مربع (٤) عبد الرحمن سلياب والحاج علي فرغلي ولاعب الهلال محمد حسين كسلا وآل عبد الرحمن عمر المنشاوي وعثمان أشول،وفي مربع (٥) آل عبد الرحيم شرفي وحسن أحمد كافي وإسماعيل محمد موسى بخت وخليل محمد فضل المولى. وفي مربع (٧) آل عباس مالك وآل عبد الكريم آدم سعيد وفضل الله الجعلي المسلمابي وفنان الكاركتير عزالدين محمد عثمان والفنانة قسمة وآل بشير حسن شاع الدين. وفي مربع (٨) قسم الله جيب الله وعلي إغيبش وآل محمد أور ناصر والعقيد صلاح الدين علي الصغير والشيخ حران. وفي مربع

(٩) الصحفي مصطفى عالم وآل حسن أحمد جمعة وآل خالد أحمد عون الله وآل العاقب الفكي محمد الشيخ.

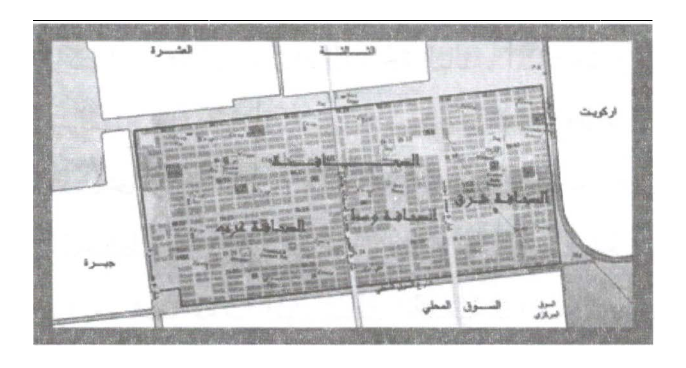
ونجد في مربع (١٠) الصادق حسن إبراهيم وآل الشيخ عبد الله علي سليمان الجعلي وآل مبارك أحمد الفكي وآل جابر محمد حسين وآل حسن الزبير محمد، وفي مربع (١١) آل أحمد صالح حجي وآل محجوب الكوتش وآل إسماعيل أنور داؤود والشيخ محمد أحمد البدري وعلي الخزين والحاج عوض عبد الله أحمد الأمين (كع) وآل كمال دقدق وحكمت جبريل جبارة. وفي مربع (١٢) نجد صالح قورتي وإبراهيم المشلى والشاعر خليفة الصادق وآل أحمد علي عمسيب وآل دقش. كما نرصد من سكان الحي آل أبو اسكندر وآل نور الدائم أحمد بشير وآل إبراهيم هلال وعطا الفضيل محمد الحسن وبدري محمد أحمد الجمل وعلي شريف عثمان ومحمد الفاتح زيادة وآل محمد عماش وآل الشهيد الفريق طيار حسن أحمد عثمان.

الصحافة

جاءت تسمية حي الصحافة تيمناً بجريدة الصحافة التي تبنت المشروع في منتصف ستينيات القرن الماضي عندما لم تغطِ الخطة الإسكانية مدينة الخرطوم آنذاك، والتي اكتملت بتوزيع امتداد الدرجة الثالثة، المستحقين لقطع سكنية. وقد تم توزيع القطع السكنية في عهد الحكومة الديمقراطية الثانية في عام ١٩٦٨م في المساحة الواقعة إلى الجنوب من امتداد الدرجة الثالثة والعشرة. وكان يفصل المخطط آنذاك عن الحزام الأخضر في الناحية الجنوبية منه فضاءٌ واسعٌ شغله فيما بعد مجموعة من المؤسسات الخدمية القائمة إلى يومنا هذا، وهي السوق المحلي والسوق المركزي وبعض المؤسسات التعليمية ومقابر الصحافة.

وكذلك كان المخطط محاطاً بفضاءين واسعين أحدهما من ناحية الشرق أقيم فيه حي أركويت والآخر من ناحية الغرب أقيم فيه حي جبرة.

يمتاز حي الصحافة بتخطيط عمراني غير مسبوق في الخطط الإسكانية التي سبقته والتي تلته إذ يتكون من (٢٨) مربعاً. تبدأ بمربع (١٥) في الناحية الشمالية الغربية من الحي (متاخماً لحي جبرة) وتنتهي بمربع (٤٢) في الناحية الجنوبية الشرقية منه (متاخماً للسوق المركزي). وتشتمل هذه المربعات على مربعات خدمية تتوسط المربعات السكنية. فنجد بجانب الميادين الواسعة التي تتخلل المربعات، الفسحات الصغيرة بين المنازل التي يستغلها الأطفال للهو واللعب، ويستغلها الكبار للتوسعة في مناسبات الأفراح والأتراح. أما الميادين، فنجد على الأقل ميداناً واحداً في كل مربع تستغلها الفرق الرياضية لأداء تمارين ومباريات كرة القدم. أما شوارع الصحافة فهي مستقيمة ومتسعة لا يقل عرض أضيقها عن خمسة عشر متراً ويصل عرض بعضها إلى العشرين متراً، وهي كبقية شوارع مدينة الخرطوم تتمدد من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب. وبالمقاييس الحضرية لمساحات المنازل في الاحياء الشعبية تتميز منازل حي الصحافة بمساحاتها الواسعة إذ تتراوح ما بين (٣٦٠ و ٥٤٠) متراً مربعاً.



الصحافة

يحد حي الصحافة من الشرق ومن الغرب شارعان رئيسيان، إذ يفصلها في الناحية الشرقية شارع أفريقيا عن حي أركويت وفي الناحية الغربية شارع جبرة عن حي جبرة. ويُقسمها من الشمال إلى الجنوب شارعا القصر جنوب ومحمد نجيب، وينتج من هذا التقسيم ثلاثة أجزاء: الصحافة غرب وتتكون من المربعات (١٥) إلى (٢٨)، والصحافة وسط وتتكون من المربعات (٢٩) إلى (٣٥)، والصحافة شرق وتشمل المربعات (٣٦ إلى ٤٢).

خط المواصلات الرئيسي لربط الصحافة بوسط الخرطوم هو خط الصحافة ظلط الذي يمر بشارع القصر جنوب عبر الديوم الشرقية وامتداد الدرجة الثالثة. كما يوجد خط آخر هو خط الصحافة شرق بدأ بعد منتصف السبعينيات أي بعد اكتمال عمارة الحي، ويمر بشارع محمد نجيب شرق حي الزهور والديوم الشرقية وامتداد الدرجة الثالثة إلى نهاية الصحافة من ناحية الجنوب.

معالم الصحافة

تذخر الصحافة ببيوت الله إذ نجد في الصحافة غرب مسجد الصحافة غرب في مربع (١٥) ومسجد مربع (١٧) ومسجد العقيد بمربع (١٨) ومسجد السوق بمربع (١٩) ومسجد مربع (٢٢) ومسجد مربع (٢٤) ومسجد سوق مربع (٢٦) ومسجد مربع (٢٨). وفي الصحافة وسط نرصد مسجد أنصار السنه بالصحافة مربع (٣١) ومسجد الإمام علي بن أبي طالب بمربع (٣٣) ومسجد الفتح الإسلامي ومسجد الإمام مالك وجامع الصحافة وسط بمربع (٣٤) ومسجد مربع (٣٥). أما مساجد الصحافة شرق فهناك مسجد علي بن أبي طالب ومسجد مربع (٣٧) ومسجد حاج النور بمربع (٣٨) ومسجد مربع (٣٩) ومسجد الفرقان بمربع (٤٠) ومسجد مدرسة علي السيد بمربع (٤١) ومسجد القبة الخضراء بمربع (٤٢).

أما المعالم التعليمية في الصحافة فنجد في الصحافة غرب مدرسة الصحافة القرآنية الأساسية بنين وبنات بمربع (١٥) ومدرسة القادسية بمربع (١٦)، وهي من أوائل مدارس الصحافة وكانت تعرف بالحزام شمال، ومدرسة القدس الثانوية بنين بمربع (١٧) ومدرسة الصحافة مربع (١٨) لمرحلة الأساس ومدرسة حليمة السعدية لمرحلة الأساس بمربع (٢٠) ومدرسة الصحافة مربع (٢١) لمرحلة الأساس ومدرسة علي السيد الثانوية بنات بمربع (٢١) ومدرستا الشهيد عادل لمرحلة الأساس واليرموك بمربع (٢٢) ومدرسة الزبير بن العوام بمربع (٢٣)، وهي أيضاً من أوائل مدارس الصحافة وكانت تعرف بالحزام جنوب، ومدرسة خديجة بنت خويلد لمرحلة الأساس بمربع (٢٤) ومدرسة مربع (٢٥) للبنات مرحلة الأساس ومدرسة الزعيم الأزهري الثانوية بنين بمربع (٢٥) ومدارس الرجاء بمربع (٢٨) ومدرسة القدس الثانوية وقد كانت المدرسة الوحيدة المتوسطة في حي الصحافة وتسمى مدرسة الصحافة غرب المتوسطة، بينما كانت مدرستا الحزام شمال والحزام جنوب هما المدرستان الوحيدتان في فترة السبعينيات من القرن الماضي.

ونجد في الصحافة وسط مدرسة عمار بن ياسر أساس في مربع (٣٠) ومدرسة البنات الثانوية النموذجية في نفس المربع ومدرسة الشهيد الطاهر أساس للبنين بمربع (٣١) ومدرسة الشهيد الطاهر أساس للبنات بمربع (٣٣) ومدارس ساتي ومدرسة الجيل الثانوية بمربع (٣٤). وتحظى الصحافة شرق بمدرسة عبدالله بن عمر ومدرسة حلويات سعد بمربع (٣٧)، كما نجد مدارس لمرحلة الأساس للبنين والبنات في مربعي (٣٨ و٣٩)، وفي مربع (٤٠) نجد مدرسة نور الإسلام للبنين ومدرسة رابعة العدوية للبنات وفي مربع (٤١) مدرسة علي السيد الثانوية للبنين ومدرسة مهيرة للبنات.

ومن المعالم الخدمية الأخرى بحي الصحافة سوق مربع (١٩) ويجاوره مركز

الشهيد ومركز شباب الصحافة وميدان نادي النيل الرياضي، وسوق مربع (٢٦) ويجاوره مُقسم سوداتل الصحافة وقناة طيبة الفضائية هذا بجانب العديد من ميادين كرة القدم. كما توجد الجمعيات التعاونية في عدد من المربعات. ويوجد في مربع (٣٤) محلية الصحافة قسم شرطة الصحافة والإتحاد العام للمنظمات الطلابية. أما بالنسبة للخدمات الصحية فنجد مستشفى إبراهيم مالك التعليمي في مربع (٣٩).

أمّا في مجال النشاط الاجتماعي والثقافي فنرصد العديد من المراكز والأندية الاجتماعية والثقافية والرياضية منها مجمع مربع (١٧) الاجتماعي الرياضي الثقافي ومركز شباب الصحافة ومركز الشهيد بمربع (١٩) ونادي الرائد بمربع (٢٢) ونادي مربع (٢٧) الثقافي الرياضي وحديقة وميدان المولد بنفس المربع ونادي فريق النجوم الرياضي بمربع (٣٢\٣٣) ونادي مربع (٣٧) ونادي الزمالك الرياضي الثقافي بمربع (٣٨) ونادي مربع (٤١). هذا بجانب رابطة الصحافة حيث تقام المنافسات في ميدان الرابطة الواقع بين مربعي (٣٣ و٣٤) بين فرقها التي تمثل كل مربعات الصحافة، ومن هذه الفرق الرائد والأمل والمجد والشبيبة والمُشترى والوحدة والكوكب والزعيم والجزيرة والصقور والنجوم والاعتصام والجديان والعلم والأمير والوحدة والزمالك.

أنجبت واحتضنت الصحافة الكثير من أعلام ونجوم المجتمع على مستوى السودان فنجد من الذين برزوا في مجال العمل العام الفريق أول عبد الرحمن سرالختم والدكتور لام أكول ولويجي أدوك ومولانا جلال علي لطفي ومولانا أحمد هارون والدكتور كمال عبيد والسفيرة سناء حمد والدكتور محي الدين تيتاوي والمذيع إسحق عثمان والمذيعة إكرام محمد عبد الله والدكتور حمزه عوض الله ومحمد جمال الدين والشيخ محمد أحمد حسن والدكتور مبارك عيسى. وفي مجال الفن عبد المنعم الخالدي ويوسف الموصلي وجلال الصحافة

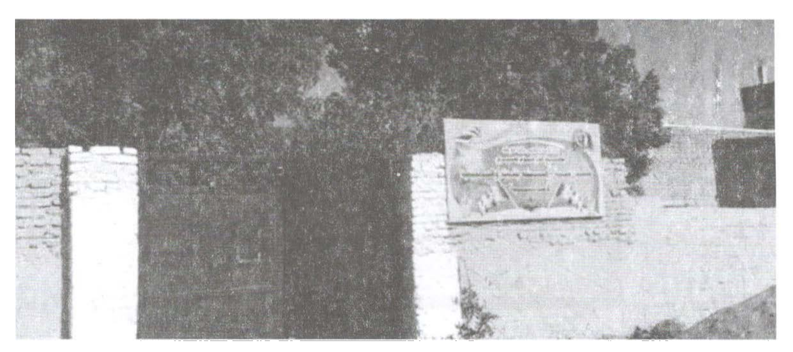
وخالد محجوب (خالد الصحافة) وفيصل عبد اللطيف(فيصل الصحافة) ومحي الدين أركويت. والفنانين التشكيليين طارق نصر الدين وعبد الله النائب. وفي مجال كرة القدم لاعب المريخ حامد بريمة وعلي المدني ولاعب بري حسن الساحر والتاج محجوب ولاعب المريخ عبد المجيد جعفر وإسماعيل عطا المنان.

ومن رواد سكان الصحافة غرب عبد الله الفكي عبد الرحمن وأولاده وآل أحمد عبد الرحمن أحمد الحمري وآل الشيخ عيسى السيد إمام مسجد سوق العشرة السابق ومحجوب أبو فداية وذو النون جبارة الطيب والهادي محمد عثمان عبداللطيف واسماعيل الجلك وآل الكاجوري وعلاء الدين شمنتود والحاج جبريل أحمد والمقاول أحمد سليمان الجباري والهادي عثمان حيمورة وحسن علي سوار وآل عثمان علي حامد وآل البدري وحسيب أحمد حسيب وآل أحمد حامد حمد النيل ومحمود قرافي وآل إشيقر وآل كليدي واللواء يوسف محمد الحسن المصري وآل محمد أحمد المنصور والعقيد محمد عبد الفتاح وآل عشميق وآل بتيك وآل حمد العوض بن عوف وخوجلي محمد أحمد الجلال وآل كمال الدين النور كمير.

ومن الصحافة وسط نذكر الفرجابي وأولاده وآل شرفي وآل وراق وعلي سعيد وداعة الله والدكتور عبد العزيز عبد الرحيم وصلاح عمسيب والحاج أحمد علي البحر وعبد الرحيم رضوان وعبد العزيز المهدي صالح وآل سرالختم عبد الله شاويش وأحمد عبد الله قبة وعوض دليل وعيسى عبد الرحمن تبن وآل شمس الدين الغوري وآل عبد العاطي وشمس العُلا عثمان وآل عبد العزيز صالح أبو العلا والحاج جيب الله ويوسف الجلالاب وآل أحمد عثمان التريبيل.

ونجد في الصحافة شرق آل محمد الأمين بابكر الدقوني والحاج عوض عمر دراش وآل سورج والحاج علي عبد الرحيم إدريس تيتاوي وأولاده والحاج

معاوية عمر ومحمد صالح المسيك وخلف الله قسم الله مكاوي وآل عثمان الإزيرق وآل الحبر وآل كنة وحسن عثمان باشاب ومحمد عوض أوشي وآل عبد الرحيم محمد نور فضل الكريم والحاج جمعه أحمد عبيدالله وآل ياسين عمر الحسن جدعة ودكتور زين العابدين عوض السيد والأرباب بابكر علي أبشر وأحمد الحسين محمد أحمد الجلال وآل عثمان عبد المجيد محمد الأمين ونصرالدين محجوب شاور وآل ميلاد نجيب وآل بندا.

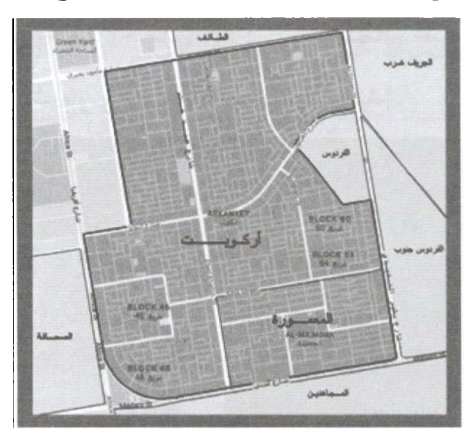


مدرسة آمنة بنت وهب أساس

أركويت

تم توزيع حي أركويت ضمن الخطة الإسكانية لذوي الدخل المحدود (درجة الثالثة) والتي أعقبت توزيع حي الصحافة وكان ذلك في السنوات الأخيرة من النصف الثاني من الستينيات. استهدف التوزيع أولئك الذين لم يحالفهم الحظ في الحصول على قطع سكنية في الصحافة. وقد جاءت التسمية من الأهالي تيمناً بمصيف أركويت، وكان هناك مقترح آخر بتسمية الحي بامتداد الصحافة. يتكون حي أركويت من (٢٦) مربعاً تبدأ من مربع (٤٣) وتنتهي بمربع (٦٨)، ويقسم شارع عبيد ختم الحي إلى قسمين: أركويت غرب وأركويت شرق. يحد أركويت غرب شارع أفريقيا من الغرب وأيضاً من الجنوب، بينما يحده من الشرق شارع عبيد ختم، ومن الشمال شارع مأمون بحيري (شارع الشرقي).

أما أركويت شرق فيحدها شارع عبيد ختم من الغرب، وشارع جوبا من الجنوب، وشارعي النخيل والسلام من الشرق، وشارع مأمون بحيري (شارع الشرقي) من الشمال. من أهم الشوارع التي تمر داخل الحي شارع البلابل وشارع الخيمة وشارع مكتب كهرباء أركويت وشارع مكتب مياه أركويت.



اركويت والفردوس شمال والمعمورة

تتميز أركويت مثلها مثل الصحافة بتخطيط حضري جيد ذو شوارع واسعة وميادين صغيرة تتوسط المنازل بجانب عدد من الميادين الكبيرة بين المربعات. وبكل مربع ما بين (٤٥٠) إلى (٦٠٠) منزل بجانب أربعة ميادين خدمات وما لا يقل عن ثلاثة مساجد وعدد من الخلاوى والزوايا والمدارس. تتراوح مساحات المنازل بين (٣٦٠) إلى (٤٠٠) متر مربع حيث تم تصنيف الأسر إلى صغيرة ومتوسطة وكبيرة ومن ثم وزعت القطع من حيث المساحة حسب هذا التصنيف.

تحتشد أركويت بالمعالم ففيها من مدارس مرحلة الأساس الحكومية ستة للبنين وسبعة للبنات إضافة إلى عشرات المدارس الخاصة لمرحلتي الأساس والثانوي. وبها عدد من المراكز الصحية منها مركز المقاصد الخيرية ومركز القلب وعدد من المستشفيات الكبيرة منها مستشفى الشيخ، بجانب عدد مقدر من الصيدليات.

ولا يخلو مربع من مربعاتها من مسجد أو مسجدين. وبالحي عدد من الأسواق يتفاوت حجم الإقبال عليها وأهمها سوق الخيمة للمواد الاستهلاكية وسوق مربع (٦٨). ومن معالم الحي رابطة أركويت التي تضم ما يقارب الخمسة عشر فريقاً هي الأخوة والنهضة والتقدم وسانتوس والزهرة والوحدة والتضامن والنجوم والأمل والمجد والميرغني والهدف والشعلة والكوكب. وترفد هذه الفرق فريق أركويت بالدرجة الثالثة وغيره من فرق المدينة باللاعبين أمثال الأخوين عباس وخالد جوليت ومحمد عقيد (البعيو).

لأركويت خط مواصلات يربطها بالخرطوم وسط وتتميز بصاته باللون الأحمر. الموقف الرئيسي لبصات هذا الخط في الناحية الجنوبية الشرقية من الجامع الكبير مع موقف بصات الجريف غرب. يتبع مسار البص شارع القصر ثم شارع الطابية ثم شارع الملك نمر ثم شارع إفريقيا (شارع المطار) حتى لفة الجريف حيث يتجه شرقاً حتى تقاطع شارع عبيد ختم. يتجه بعد ذلك جنوباً على طول شارع عبيد ختم ليمر على أول محطات حي أركويت وهي القسم الشرقي ثم محطة أربعة ثم الخيمة ثم البلابل ثم معاوية ثم الماسورة ثم لفة جوبا حيث ينحرف غرباً إلى آخر محطة في الخط وهي محطة الجامع.

سكن أركويت كثير من الرموز في المجالات المختلفة، فمن كبار التنفيذيين نرصد القاضي أبيل ألير والأستاذ عبد الباسط سبدرات والدكتور شرف الدين بانقا وبدر الدين طه وصمويل أرو. ونذكر من الأدباء والفنانين الروائية زينب بليل والشاعر إسماعيل حسن والسفير الشاعر سيد أحمد الحاردلو والفنان زكي عبد الكريم والبلابل هادية وأمال وحياة طلسم والموسيقار أسامة بيكلو. ونجد من رجال الأعمال عبد الرحمن السلاوي صاحب مصانع سلا للحلويات وعبد الله سعد الدين محمد علي كنة. وسكن الحي من مشاهير الرياضة كمال عبد الغني وبول مانوت.

معالم أركويت غرب

تشتمل المعالم الخدمية في حي أركويت غرب في المنطقة الواقعة إلى الشمال من شارع البلابل على أسواق عفراء وفندق السلام روتانا ومنتزه مدينة الطفل وبنك المال المتحد وسوق الجمعة، الذي أزيل مع بداية الألفية الحالية، ومركز السودان للقلب ومقر برنامج الغذاء العالمي للأمم المتحدة ومحطة بشائر للبترول ومدرسة الحميراء بنات ومدرسة الزريبة بنات ومدرسة الخرطوم العالمية ومدرسة أم القرى لمرحلة الأساس بنات ومدرسة سنابل للتعليم الخاص وجامعة السودان - كلية المختبرات. كما نجد مركز صحي مربع (٦٨)، ومسجد مربع (٦٥) وخلوة مربع (٦٥) ومسجد أركويت الخيمة ومسجد سليم، والمركز الثقافي والمنتزه العائلي وملعب أركويت وميدان فريق الأفارقة وميدان الترسانة وشرطة المنشآت والمرافق العامة.

من الشخصيات والأسر التي تقطن هذه الناحية من الحي في المربعات (٦٥) إلى (٦٨) نجد المهندس محجوب علي آدم وآل المرحوم عبد الفتاح عبد الماجد بخيت وآل المرحوم الدرديري سعيد الدرديري والدكتور فتح العليم محمد عبد الرحيم وآل الفحل وآل عبد المنان والأستاذ فاروق عكود وآل المرحوم عثمان فرح خليل وإبراهيم محمد إبراهيم وإدريس محمد إدريس أورتشي ومحمد علي الطيب (كتكت) وسابل محمد خير بشير وعبد الرحيم نوار وراشد عبد الرحيم علي نمر ومحمد قسم السيد جبور وآل المرحوم محمد أحمد حسن محاري وعبد اللطيف بناوي وعمر أبو سبيب ومارتن ملوال والدكتور بدر الدين عبد الرحمن والعميد (م) عبد الحميد محمود والعميد مهندس (م) عبد الله محمد حسن.

أما المعالم الخدمية في الناحية الجنوبية من أركويت غرب (جنوب شارع البلابل) فهناك من المؤسسات التعليمية مدرسة أركويت غرب الابتدائية

ومدرسة معاذ بن جبل الابتدائية ومدارس القبس الثانوية ومدارس نور الإيمان ومدرسة المصطفى لمرحلة الأساس للأولاد والمدرسة القرآنية ومدرسة الفيحاء بنين. كما نجد مسجد أركويت مربع (٤٥) ومسجد عمر بن الخطاب ومسجد عبد الله بن عباس وزاوية مربع (٤٨) وزاوية مربع (٤٥)، ومركز صحي عمر بن الخطاب وصيدلية قاشا. هناك أيضاً نادي أركويت الرياضي الثقافي، وميدان شباب مربع (٤٣) وميدان فريق الشروق وميدان فريق النجمة. نرصد أيضاً فندق سوليكس الصيني وأسواق المدينة ومطعم سيدي بيه ومطعم عيشة الحبشية وطاحونة عبد المتعال ومغلق الوفرة ومشتل مؤيد. ومن المرافق الحكومية نجد مكتب كهرباء أركويت ومكتب مياه أركويت.

أما الشخصيات والأسر التي تسكن الناحية الجنوبية من أركويت غرب في المربعات من (٤٣) إلى (٤٨) نذكر منها الدكتور ياسين محمد حسن والحاج بشرى خضر والفاضل القاضي وفتحي حكيم شنودة بشارة والحاج قابل والشيخ محمد أحمد النعمان ومحمد أحمد باشري والمهندس عبد الرحيم محمود علي عبد الله وعبد الله عبد الكريم عبدون القرموشي وعبد العظيم محمد أبو دية والسفير كمال إسماعيل ومنير بيومي خطاب وصالح عشميق ومحمد سوميت واللواء ركن (م) حامد إبراهيم حامد والمهندس طارق الأمين وعبد الجليل النذير الكاروري وبروفيسور ياسر عبد الله والدكتور علي حسنين والفاضل عكود وعبد الله فضل المرجي والحاج حسن محمد أحمد القاضي ووزير الخارجية الأسبق هاشم عثمان ومحمد صالح بركية والطيب حسب القوي وحاج الطاهر بابكر علوب ورجل الأعمال عبد الله سعد الدين محمد علي كنة وكمال علي مدني وأبو شورة وفتحي ورداني، وآل عبد الرسول يونس دهب وآل حامد أحمد الرويحي وآل عبد الله جبارة وآل عبد العال إبراهيم وآل ياسين عمر الحسن جدعة وآل محمد الحسن العركي وآل المرحوم

أحمد داؤود وآل محمد صادق الحلفاوي وآل عبد العليم عبد الله وآل عثمان عشميق واشي وآل مناع وآل شمينا وآل كدو.

معالم أركويت شرق

يحتوي الجزء الواقع شمال شارع البلابل من أركويت شرق على العديد من المعالم الخدمية فهناك مدرسة أركويت مربع (٥٠) ومدرسة علي السيد الثانوية ومدرسة أم عطية الأنصارية ومسجد سيد أحمد قريش وزاوية مربع (٥٠). كما نجد ميدان فريق المجد بمربع (٥٤) وميدان فريق الكوكب، وسوق الخيمة ومطعم هابي تايم ومصطفى عوض للمناسبات، وهناك أيضاً فرع لبنك العمال وآخر لبنك المزارع ومقسم أركويت (سوداتل).

نذكر من سكان هذا الجزء من أركويت شرق رأفت حلمي جورجي والدكتور موسى أحمد موسى وشيخ يوسف فضل المولى وصلاح كاشف ومفتي محمد سعيد والمهندس محمد الطيب حسن وبابكر طيفور ومهدي الطيب عبد الرحمن والدكتور حامد النعيم وعبد الرحمن محمد يوسف جرتلي والمهندس سيف الدين عبد الجليل ومحي الدين البرهاني وآل بابكر التوم (أسامة بيكلو وإخوته) والمهندس فيصل مضوى وآل حسن فضل والأستاذ حيدر عوض الكريم وعبده علي أحمد أبو الحيا وآل كمال عبد الماجد والأستاذ إبراهيم حسين لتاوي وشريف عبد الله عبد الرحمن سرون ومحمد صديق موسى وعثمان علي أبو والشيخ محمد الخليفة عبد الرحمن، والمرحوم الدكتور أحمد عبد القادر هباني ومحمد حسين حميداب ومحمد أحمد خلوتي والشهيد لواء عثمان بلول وآل إسماعيل محمد الدومة وحمزه حسن برسي والمرحوم حاج الكيك ومحمد صلاح العوني وفضل السيد أحمد صلاح.

أما معالم الجزء الجنوبي من شارع البلابل إلى شارع جوبا فتضم مدرسة ابن

بيضاب بنين وبنات ومدرسة أركويت شرق الابتدائية بنين ومدرسة خالد بن الوليد.بمربع (٦٣) ومدرسة سنابل الخاصة وروضة البلابل، هذا بجانب مجمع عيادات أركويت الطبية.بمربع (٦٣) وصيدلية وهيبة. كما نجد مسجد العصمة ومسجد ود البحر ومسجد مربع (٦١)، وميدان فريق النهضة وميدان فريق الإخوة، وبرج درة أركويت ومركز الصفوة التجاري ومخبز مربع (٦١) وزريبة الفحم.

ومن شخصيات وأسر هذا الحي نرصد اللواء عثمان محمد التيجاني والمهندس منفل النور والمهندس محمد أحمد دقاش والحاجة خديجة عبد الرحمن بابكر والدكتور محمد سعيد عثمان ومحمد الحسن فرج الله ومحمد الأمين كوكو والفنانة قسمة وسيد أحمد كجوك والدكتور رياض عبد الرحمن والدكتور أبو القاسم عبدون واللواء عبد العظيم عكود والدكتور ميرغني حسن الخندقاوي وعبد الرحيم هوشة وصديق البر والكابتن كمال عبد الغني وبروفيسور عبد الباسط محمد علي وآل المرحوم البروفيسور عبد الرحمن أبو زيد أحمد وآل المرحوم عبد الجليل الدويحي وآل المرحوم ود البحر وآل المرحوم إدريس ريحان إدريس.

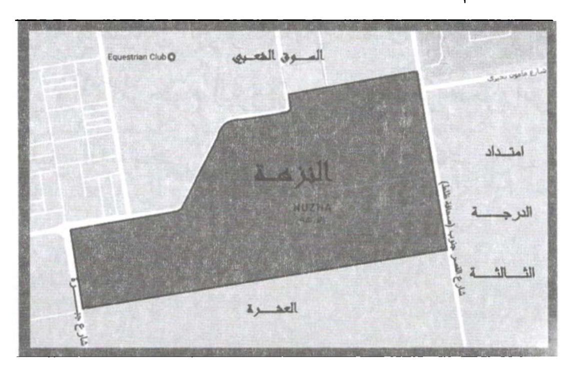


مطعم سيدي بيه

النزهة

يقع حي النزهة غرب امتداد الدرجة الثالثة مربعي (١ و٤)، وشمال مربع (٧) وحي العشرة، وشرق مخطط الأقصى السكني، وجنوب مضمار سباق الخيل والسوق الشعبي. والمنطقة هي نفس منطقة عشش فلاتة قبل تحويلها إلى حي الإنقاذ جنوب مدينة الخرطوم. وقد بيعت المنطقة بالمزاد المفتوح كمنطقة استثمارية وسكنية وكان ذلك في نهاية التسعينيات وبداية العقد الأول من هذا القرن.

تضم المنطقة مدارس النيل والمعالي الخاصة لمرحلة الأساس بنين وبنات ومدرسة الكلم الطيب الخاصة أساس بنين وبنات ومسجد حي النزهة وعمارة لمصلحة الجمارك وأخرى للتخطيط العمراني - إدارة مساحة الخرطوم ورئاسة التأمين الصحي لولاية الخرطوم.



النزهة

ومن أعلام الحي بروفيسور الأمين محمد إبراهيم أبو منقة والدكتور فيصل حسن إبراهيم ومولانا ميرغني حامد ومولانا أحمد محمد أحمد عبدالله وبروفيسور أباذر الجيلي والدكتور صلاح عبدالقادر عبدالماجد والدكتور عبدالمنعم سعد والدكتور أمير أحمد داؤود والدكتور محمود بناوي وآل حسن عوض الكريم كرومة ومحمد عثمان مصطفى.

العشرة

كانت بداية العشرة عبارة عن مجموعة من الزرائب للأغنام والأبقار يمتلكها بعض الأعراب الذين يمدون مدينة الخرطوم باحتياجاتها من الألبان في الخمسينيات من القرن الماضي، وكان من الطبيعي أن تنمو منطقة العشرة مع نمو مدينة الخرطوم وتمددها في ناحية الجنوب، إذ ازدهرت كسوق شعبي منذ الستينيات مع بداية عمارة امتداد الدرجة الثالثة. يقع حي العشرة إلى الغرب من امتداد الدرجة الثالثة وجنوب حي النزهة وشرق مخطط الأقصى السكني لشركة سوقطرة وشمال الصحافة غرب.بدأت عمارة الحي عشوائياً منذ منتصف القرن الماضي حيث سكن المنطقة مجموعة من الأعراب الذين كانوا يمدون العاصمة بالألبان. ازدهرت المنطقة بتجارة المنتوجات البلدية بعد قيام حي امتداد الدرجة الثالثة ونقل عشش فلاتة من منطقة حي الزهور فتحت إلى المنطقة الواقعة إلى الشمال منها والتي تعرف الآن بحي النزهة، ومن ثم تم تخطيطها وإدخال الخدمات من ماء وكهرباء إليها.



العشرة

المعلم الأساسي في حي العشرة هو سوق العشرة الذي له صيت واسع على نطاق مدينة الخرطوم في بيع الغلال والبقوليات والمصنوعات البلدية من

السعف. إذ يحتوي السوق بجانب الجزارة وأماكن بيع الخضار على سوق للدجاج لا يضاهيه إلا زنك سوق الخرطوم لبيع الدجاج في منتصف القرن الماضي. وللنساء سوقهن حيث يبعن نواشف المأكولات من "الويكة" و"اللوبيا" و"المصران" و"المرِس" و"الكَول"، وهناك أيضاً من يبعن "البروش" و"القفاف" و"الطباقة" و"الهبابات". كما توجد أماكن مخصصة لبيع الحبوب والبهارات وعدد من الطواحين من بينها طاحونة أولاد البرعي. وهناك جزء من السوق خاص بالسمكرية والحدادين لصناعة الحلل والكوانين والأدوات المنزلية الأخرى. ومن دكاكين السوق المشهورة دكان أولاد بلال بجانب الكثير من الدكاكين المتخصصة والغير متخصصة.

ونجد في مربع السوق مسجد السوق ومسجد الكاروري العتيق ومركز صحي العشرة ونادي العشرة ومدرسة محمد إبراهيم دياب بنات. كذلك يوجد مسجد مزاد العشرة في مربع ٥ ومسجد الصحابة في مربع ٩ ومسجد العشرة في مربع ١٢ ومدرسة مرحلة الأساس للبنين ومدرسة العلا.

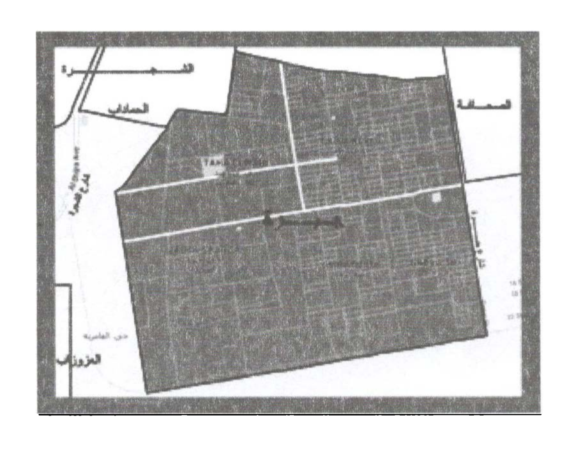
ونجد من السكان يوسف الطيب شمام وعلي أبو سقرة وآل أحمد دهب شيبون وآل عبد العال عبد النور وآل السر أبو نامة وعبد القادر محمد رحمة الله وأحمد محمد شانتير وحاتم عبد المطلب وجعفر الأمين احمد منصور بعشوم وآل ود الأحمر وآل عبد الرحيم موسى سندانه وحاج صالح علي خليفة وآل الحاج عبد الكريم خليفة بن عوف وآل الحاج كباشي خوجلي سليمان وأبو القاسم احمد عطا الله وعبدربه الحاج محمد وعمر الشيخ عبد الرازق وعبدالحبيب أحمد البخاري.



زريبة الفحم والطب

جبرة

يعتبر حي جبرة من الأحياء الحديثة إذ بدأ العمران فيه مع بداية الثمانينيات من القرن الماضي. ويعود الاسم كما أفاد الدكتور منير جبرة بطرس بأن والده جبرة بطرس كان يعمل مفتش أراضي منذ فترة الحكم الثنائي وقد عمل في الأبيض في نهاية الخمسينيات وقام بتوزيع أراضي سكنية فيها على بعض الأهالي، فما كان من هؤلاء الأهالي إلا أن سموا المنطقة التي وزعت عليهم «جبرة» إعزازاً وتقديراً له، وقد هاجر بعض هؤلاء الأهالي من الأبيض إلى الخرطوم في فترة لاحقة وأقاموا في المنطقة التي نحن بشأنها وأطلقوا عليها «جبرة» اسم المنطقة التي جاءوا منها. يحد جبرة من الشمال منطقة الشجرة العسكرية ومن الشمال الغربي إشلاق المدرعات ومن الغرب حي الحماداب بالشجرة، ويفصلها من ناحية الجنوب شارع الهوا (الهواء) عن مستودعات الشجرة للبترول ومجمع اليرموك الصناعي ومنطقة الحرفيين والمصانع، أما من الشرق فيجاورها السوق المحلي والصحافة غرب.يتكون حي جبرة من ٢٠ مربعاً، ويُقسَم بشارع السوق المركزي، المتجه من الشرق إلى الغرب،إلى جبرة شمال (المربعات من ١ إلى ١٢) وجبرة جنوب (المربعات من ١٣ إلى ٢٠).



جبرة

من معالم جبرة شمال نرصد مسجد مزاد جبرة في مربع (٢)، وفي مربع (٤) مسجد جبرة شمال وزاوية جبرة شمال ومدرسة أبو هريرة أساس بنين، وفي مربع (٥) مسجد الحاجة أم حقين العقيد (مسجد مربع ٥) ونادي جبرة ورابطة جبرة للبراعم والناشئين ومدرستي جبرة لمرحلة الأساس بنين وبنات، ومسجد مربع (٦) وزاوية مربع (٦). وفي مربعي(٨ و٩) نجد زاوية جبرة مربع (٨) ومركز صحي الشهيد خالد ومدرسة أم المؤمنين الثانوية بنات ومدرسة أسماء بنت أبي بكر الصديق لمرحلة الأساس بنات ومدرسة أبوبكر الصديق أساس للبنين وجامع الهيئة بمربع (٩). ونجد في مربع (١٠) مسجد النور، وفي مربع (١١) مسجد الشيخ عبد الحي يوسف. أما في مربع (١٢) المعروف بالدوحة فهناك الكثير من المعالم منها منتزه الدوحة العائلي ومكتب بوليس جبرة ومدرسة التيسير بنات الخاصة وجامع الطريقة البرهانية وزاوية حي بدر جبرة.

ومن معالم جبرة جنوب نجد في مربع (١٣) المعروف بالشارقة مسجد جبرة مربع (١٣) ومدرسة الأستاذة نورة ومسجد الصابونابي ومسجد أسامة بن زيد ومسجد أبوبكر الصديق ومسجد جبرة مربع (١٦) ومسجد مربع (١٧).

توجد خدمات جبرة في الجزء الشمالي من مربع (١٨) حيث مركز التدريب المهني السوداني الكوري وكلية علوم البصريات بجامعة النيلين ومسجد بلال مركز جماعة الدعوة والتبليغ في السودان وزاوية المستغفرين ومسجد أبي بن كعب وزاوية الطريقة العزمية ومسجد التُقى ومسجد القعقاع ومجمع مدارس مربع (١٨). يشتمل كذلك الجزء الشمالي من مربع (١٩) على خدمات جبرة إذ توجد هيئة إمداد الشرطة ومدرسة الهجرة وديوان الزكاة وكلية جبرة العلمية للدراسات الإسلامية وسكن أساتذة جامعة السودان ومحطة بترول بتروناس والمنظمة الدولية لمحاربة العادات الضارة. كذلك نجد مسجد السادة الأدارسة ومدارس الذكر الحكيم وكلية جبرة العلمية– قسم الطالبات. وتتمدد خدمات جبرة في مربع (٢٠) حيث نجد مباني برنامج مكافحة الملاريا والصحة الوقائية والهيئة القومية للمياه والفحص الفني للسيارات ومحطة بشائر للوقود، كذلك نجد مدرسة أم أيمن أساس بنات والمجلس الإفريقي ابن تيمية الثانوية والمجلس الإفريقي ابن القيم أساس بنين ومسجد مربع (٢٠).

من سكان جبرة شمال مربع (٢) آل الطيب حمدوك وحسن إبراهيم فرح وحسين أبوشام، وفي مربع (٣) الدكتور إبراهيم الأمين والأستاذ خالد البدوي بابكر ومحمد عبد الرحمن شنان، وفي مربعي(٤ و٥) الدكتور الصادق قسم الله الوكيل والعقيد محمد علي الأعيسر والحاج عابدين علي الشيخ وآل همام وآل عشيري وآل سعيد مختار وتاج الأصفياء محمد يوسف والحاج عبد الله فقيري وعمر نور الدائم والحاج الماحي حسن بابكر، وفي مربع (٦) آل الباقر زين العابدين ومحمد الحسن الملك ومهدي آدم بوش وآل احمد فضل بله. ونرصد في مربع (٨) آل سنين عيسى والدكتور عبد الهادي محمد نقد والعقيد جمال سعيد واللواء (م) محمد مصطفى عثمان وساتي فريجون وعثمان شمت، وفي مربع (٩) أحمد إبراهيم خير السيد والدكتور

عبد الغني إبراهيم محمد وبابكر دشين وعباس شاشوق والعميد عثمان عبد الله أبوسن وربيع عبدالعاطي. ونجد في مربع (١٠) آل عبد الله الهادي أحمد ومتوكل باشاب ومحمد صالح الطامح وحسن التلب والدكتور عبد الله حسن إدريس، وفي مربعي (١١ و١٢) الشيخ عبد الحي يوسف والشيخ حسن جعفر الحفيان واللواء مهندس عبد الله خالد سعد وأولاد كجوك وحسين الهداب علي والشاعر عوض عبد الله بخيت والشهيد طه الماحي واللواء ركن عمر حسن الطاهر والمهندس إبراهيم محمود حامد.

ومن سكان جبرة جنوب نجد في مربع (١٣) محمد عبد القادر سبيل ومحمد صادق حسون والطيب إدريس صراف وأحمد عثمان قدح الدم، وفي مربع ١٦ مدني كمال مدني وفتح الرحمن الهميم عبد المجيد والسماني عبدالمحمود الجيلي ومولانا شيخ الدين جبريل العبيد والشيخ عبد الحي إبراهيم الحفيان، وفي مربع (١٤) آل عمر محجوب البشير عبد الرحمن علبوب وأبو العزائم الطيب وبدرالدين محجوب الخير وعبد الوهاب عوض الكريم حمد، وفي مربع (١٧) حسن أحمد سعيد وعبد الرحمن أحمد مكي واللواء علي حسن عبود والفنانة نبوية الملاك. ونجد في مربع (١٥) الدكتور أحمد إبراهيم مكي والحاجة فاتن يوسف أحمد أبشر ومحجوب عثمان دقنو والدكتور أبوبكر طلحة الزاكي وآل صديق أحمد الشريفي واللواء أحمد خليل الصائم وآل محمد أحمد كوكو. ونرصد في مربع (١٨) عبدالمحمود عثمان النعيمة وسيد ماسورة بعشوم وآل الجمري هاشم فتحي وهزام علي عجبنا وآدم النور ضو البيت، وفي مربع (١٩) الشهيد إبراهيم تاج الدين ومصطفى موسى كاشف ومحمد عبد الرحمن أبو دقن ومحمد عبد الرحيم سويكت والعمدة الرشيد الريح محمد موسى وقمر الأنبياء عباس وعبد العظيم فتح الرحمن والفنانة ندى القلعة وآل جلي محمد شاع الدين والحاجة فوزية السنهوري، وفي مربع

(٢٠) اللواء أحمد محمد إبراهيم والعميد بابكر إبراهيم بابكر والدكتور هاشم حسن الأمين ومقدم جمارك حيدر محجوب.

اللاماب

يقع حي اللاماب في الناحية الجنوبية الغربية من حي الرميلة وجنوب مشروع تطوير غابة السنط وفي الناحية الشمالية من مدينة الشجرة ويحده من الغرب النيل الأبيض ومن الشرق مخططات غزة السكنية وسلاح المدرعات. بدأ عمران الحي في السبعينيات من القرن الماضي و لم يك ضمن خطة عمرانية وإنما كانت البداية بتملك بعض تجار سوق السجانة لقطع أراضي كانت في الأصل أراضٍ زراعية، تم شراؤها من أصحابها ومن ثم حُوِل الغرض منها إلى سكن. أما سبب التسمية فيرجع إلى أن أصول أصحاب الأراضي الزراعية تعود إلى نفس أصول أهالي بري اللاماب.



اللاماب

ينقسم حي اللاماب إلى اللاماب ناصر وهو يقع في الناحية الشمالية من الحي واللاماب بحر أبيض ويقع في الناحية الجنوبية منه. ونجد في اللاماب ناصر

مجمع الحسن الإسلامي والمسجد الكبير ومسجد الإمام البخاري ومسجد الحاج محمد حسن مكيال. وكذلك نجد مدرسة البحر أساس بنين ومركز صحي اللاماب ناصر. ومن سكان اللاماب ناصر نذكر الياس الحسن قرينات وإبراهيم عثمان علي مكي وعبد الرحمن محمد أحمد أرقاوي والطاهر حسن الطاهر والحاج محمد مكي عبد الكريم وآل جعفر الخندقاوي وآل التلب.

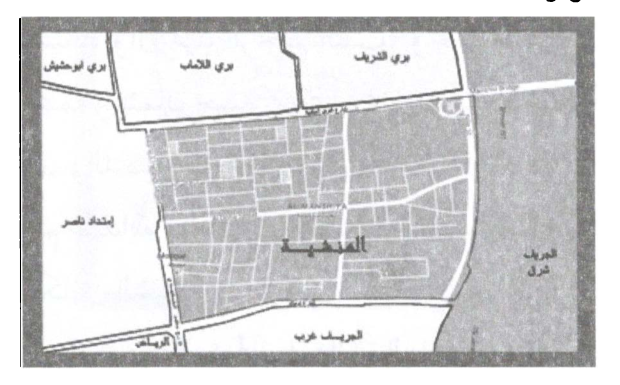
ومن معالم اللاماب بحر أبيض مدرسة اللاماب بحر أبيض ومدرسة شيكان للبنين ومدرسة أم المؤمنين المزدوجة بنات ومدرسة زيد بن ثابت القرآنية ومدرسة حسنين عبدالسيد الخاصة ومدرسة محمد علي مكي الثانوية بنات ومستشفى العناية الخاصة ومسجد اللاماب العتيق ومسجد حسن خالد ومسجد الجمعية القطرية ومسجد التقوى ومسجد الوالدين ومسجد شيخ محمد حمد أحمد إدريس ومسجد الفاطمية وقسم الشرطة ونادي اللاماب بحر أبيض ورابطة اللاماب.ومن سكان اللاماب بحر أبيض آل عبد القادر ود بدير وحسن إبراهيم حمد الكوكبي وآل أبو قرين عبد السلام وأبوعاقلة مبارك عبد الله العركي ومحمد أحمد الجلال والأمين عثمان التلب وآل الشعراني وفضل المولى عبد الله عساكر والحاج ميرغني محمد صالح الخندقاوي والدكتور صابر محمد الحسن ومكي عبد الله مكي وآل مهران محمد موسى والنور أحمد شادول الخندقاوي ومحمد أحمد عباس علي مكي وأحمد محمد حسن شريف الدشوني ولواء طبيب محمد زين محمد علي وحمد أحمد إدريس.

يستغل سكان اللاماب في الغالب خط مواصلات الشجرة للانتقال من وإلى الحي بجانب خط آخر خاص باللاماب يتبع نفس مسار خط الشجرة من وسط الخرطوم ولكن يدخل وسط حي اللاماب حتى نهايته عند المقابر في الناحية الجنوبية منه، بسعر للتذكرة يبلغ عشرة مليمات.

الامتدادات السكنية شرق المدينة

المنشية

حي المنشية من أحياء الدرجة الأولى بالخرطوم وكان في بداية إنشائه في الخمسينيات من القرن الماضي ضيعة صغيرة يسكنها بعض أثرياء المدينة. ثم نمت وتوسعت وازدهرت في الربع الأخير من القرن الماضي وأصبحت سكناً لكثير من رجال الأعمال والسياسيين والدبلوماسيين. يحد الحي من الشرق النيل الأزرق، ومن الشمال يفصله شارع محمود شريف عن بري اللاماب، ومن الغرب يفصله شارع بشير النفيدي (الستين) عن امتداد ناصر، ومن الجنوب يفصله شارع عبد الله الطيب عن الجريف غرب. جاءت تسمية الحي، كما يقول البعض، على حي المنشية بالعاصمة المصرية القاهرة لاتساع دُورِه وفخامة مبانيه وثراء قاطنيه.



المنشية

ويعتبر مسجد سيدة السنهوري من أبرز معالم حي المنشية إذ يشهد منذ إنشائه تزاحم المصلين من كل الأحياء الشرقية لمدينة الخرطوم أثناء شهر رمضان الكريم من كل عام لتأدية صلاة التراويح. كذلك يوجد بالحي مسجد المنشية مربع ٢٥ وجامع المنشية العتيق، كما يضم الحي منظمة البر الدولية. وتوجد بالحي عدداً من المدارس الخاصة والأجنبية منها مدرسة الأفق الجديد الثانوية ومدرسة

الخرطوم الفرنسية. يضم الحي عدد من السفارات فهناك السفارة الصينية والقطرية والموريتانية. ومن معالم الحي أيضاً متحف الخرطوم للفنون الحديثة والبيت السوري ومطاعم النبراس وآيسكريم دريم وبرج رئاسة شركة أم تي ان للاتصالات. كما توجد بالحي محطة للدفاع المدني (المطافئ) وإدارة حماية الحياة البرية ومجمع العيادات الأردنية التخصصية ومجمع النفيدي السكني ومجمع عبد الله سعد الدين.

نذكر من الرموز الذين يسكنون الحي الدكتور حسن الترابي والسفير عمر بريدو والمرحوم البروفيسور محمد عمر بشير والبروفيسور الهادي الطيب عباس فقيري والبروفيسور عبد السلام جريش والبروفيسور عمر السماني والبروفيسور عبد الله خوجلي.كما نجد الفريق يوسف حسين والفريق عمر سنادة والكابتن بحري محمد علي عبدالرحيم، وآل الرشيد سعد الصوفي وآل رغيم الحسن وآل قباني وآل سنادة وآل عبد الرحيم التلب، ومحمد البشير الوقيع ومأمون البرير وعلي أبو شمة وعثمان حسين رستم وعثمان عبد المجيد وأزهري باسبار وحسن الكردي، والدكتور صبحي يوسف الحكيم والدكتور الفاتح عقباوي والدكتور إبراهيم عبيدالله والدكتور سليمان أحمد سليمان، والكابتن موسى بابكر بدري والكابتن الشيخ أيوب عمر وأحمد الطيب أبو قرون وعبد العزيز المبارك وتاج السر محجوب محمد أحمد وأنور الهادي عبد الرحمن.

الرياض

يعتبر حي الرياض أحد أحياء الخرطوم الراقية تصنيف درجة أولى حسب الخطة الإسكانية، جاء تشييده في منتصف السبعينيات ليمثل إضافة معمارية نوعية لحي العمارات. يقع الحي جنوب امتداد ناصر يفصله عنه شارع الطيب صالح

(أوماك)، وشرق شارع عبيد ختم الذي يفصله عن مطار الخرطوم الدولي، وشمال شارع عبد الله الطيب الذي يحده مع حي الطائف، أما من ناحية الشرق فيحده شارع بشير النفيدي (الستين) مع الجريف غرب. قد يقول قائل أنَّ التسمية جاءت دلالة على أن مخطط الحي قُصد أن يكون مُخضراً ومُزدحماً بالحدائق الغناء، ولكن الراجح أن تسمية الرياض جاءت تيمناً بعاصمة المملكة العربية السعودية لما كانت تشهده المملكة في فترة السبعينيات من القرن الماضي من رقي وتقدم ورفاهية، ويعضد هذا الزعم تسمية الطائف التي أنشئت بعد سنوات قليلة من إنشاء الرياض.



الرياض

قسم حي الرياض ضمن خطة إسكانية إلى مربعات تتخللها أربعة شوارع رئيسية اثنان من الشرق إلى الغرب يربطان شارع الستين بشارع عبيد ختم هما شارع المشتل في الجزء الشمالي من الحي وشارع مكة في الجزء الجنوبي منه. واثنان من الشمال إلى الجنوب، الأول شارع الجزار في الجزء الشرقي من الحي ويربط شارع عبد الله الطيب بشارع أوماك، والآخر هو شارع (١١٧) ويربط شارع عبد الله الطيب بشارع المشتل. تزدحم هذه الشوارع بالأماكن التجارية

والسياحية من شقق فندقية ومطاعم ومقاهي مما يكسبها رونقاً أرستقراطياً لا يخفى على الأعين. كذلك توجد العديد من المستشفيات وعيادات العيون في شارع مكة والذي اكتسب اسمه من أبراج مكة ومستشفى مكة للعيون المطلة عليه. يضم حي الرياض عدداً من الأبراج من بينها عمارة البدر أو الرياض (١) وعمارة برج الأحلام وأبراج مكة وبرج المنار وبرج الأرباب.

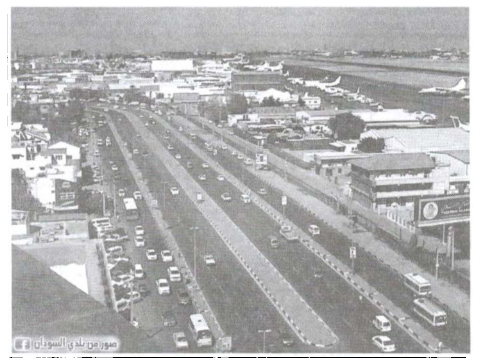
تتميز منازل الرياض بالمساحات الواسعة، إذ لا تقل مساحة المنزل عن (٦٠٠) متر مربع، والعمارات ذات الطوابق المتعددة والفلل ذات التصاميم الهندسية الخلابة والحدائق الغناء بأشجارها الوارفة وأزهارها اليانعة. ويحتشد الحي بجانب الأبراج السكنية بمعالم شتى من مؤسسات علاجية وتعليمية وتربوية ودينية وطوعية وترفيهية واقتصادية ودبلوماسية، نسُوق فيما يلي بعض الأمثلة لهذه المؤسسات. نجد من بين المؤسسات العلاجية مستشفى مكة للعيون ومركز الفيصل للعيون ومستشفى مهيرة ومستشفى دار العلاج، ومن بين المؤسسات التربوية والتعليمية مدرستي الرياض الأساسيتين للبنين والبنات ومدرسة أم معبد ومدرسة التقدم العالمية والمدرسة العربية العالمية وجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا وكلية علوم الأشعة الطبية وأكاديمية الخرطوم للعلوم الطبية والتكنولوجيا والكلية السودانية الكندية ومعهد مبارك قسم الله للتدريب والبحوث. ومن أمثلة المؤسسات الدينية والدعوية والتطوعية مسجد الذاكرين ومسجد كُنَّه شمال شارع المشتل وإلى الغرب من شارع الجزار ومسجد سيد ودعة إلى الشرق من شارع الجزار، وجامع المستغفرين ومقر منظمة الدعوة الواقعين شمال شارع مكة في الناحية الشرقية منه، مسجد الراشدين ومسجد الريان شارع عبد الله الطيب في الناحية الشرقية منه، ومنظمة حسن الخاتمة في الناحية الغربية وشمال نفس الشارع.

أما أمثلة المؤسسات الترفيهية فهناك نادي الرياض في الناحية الشرقية من الحي،

ومنتزه الرياض العائلي وبابليون يفصلهما عن الحي شارع عبيد ختم، ومطعم ومقهى سولتير في شارع الجزار، ومطاعم تايم أوت وبارميجانا وعصائر فرغلي وزنك في شارع (١١٧)، ومقهى بارستا ومطعم لذيذ في شارع مكة، ومطاعم ديبونيرز وإتلي بيتزا في شارع المشتل، ومطعم إن آند أوت في شارع النفيدي، ومطعم وحلويات الفاخر بشارع عبيد ختم، وسفاري تشل آند قريل ونعمة إلى الشمال من شارع عبد الله الطيب، وفندق الوالدين بلازا. هناك أيضاً فروع لعدد من البنوك مثل بنك الخرطوم وبنك فيصل والبنك السوداني الفرنسي، وعدد من المؤسسات الحكومية والشركات مثل الخطوط الجوية السودانية ووحدة تنفيذ السدود وشركة دان فوديو لخدمات البترول وشركة أريكسون وشركة فارما. يوجد كذلك مقار لسفارات عديدة منها الليبية والموريتانية والإريترية. ونجد من المؤسسات التجارية بقالة التسامح.

يُصَنف سكان الرياض ضمن شريحة المجتمع ذات الدخل المرتفع والقدرة المالية المناسبة والقادرة على السكن في حي راقٍ من كبار موظفي الدولة ورجال الأعمال والمهنيين وضباط القوات المسلحة، وهؤلاء يمثلون كافة مناطق السودان. ومن بين الشخصيات والأسر البارزة في حي الرياض المشير عبد الرحمن محمد حسن سوار الدهب واللواء عثمان عبد الله واللواء محي الدين أحمد عبد الله والفريق عامر الزين الحسن والفريق عبد الرحمن كمير والفريق ركن نصر الدين سليمان إبراهيم والفريق عبد الخالق إبراهيم محمد واللواء الدكتور سمير أبارو وبروفيسور عابدين محمد صالح وبروفيسور محجوب عبيد وبروفيسور مصطفى إدريس وبروفيسور هاشم الهادي وبروفيسور صديق عبد الوهاب وبروفيسور الأمين محمد الكنزي وبروفيسور سعيد عبد الرحيم والدكتور بكري مكي حمد والدكتور عمر نور الدائم والدكتور الجزولي دفع الله والدكتور عباس عبد الكريم والدكتور عبد الجليل كبوش والمهندس عبد

المنعم خوجلي والمهندس إبراهيم جبريل والمهندس سيف الدين صادق حسن عبد الله والشيخ إبراهيم محمد عثمان عبده البرهاني والسفير عبد الله علي جابر والسفير جبارة عبد الرحمن جبارة والزبير رجب وسعود مامون البرير وعبد الباقي كُنَّة ومحمد صالح باخريبة وسعد بطرس حنا والفنان شرحبيل أحمد والفنان حسين شندي وآل أبو الريش وآل الهجا وآل البدوي.

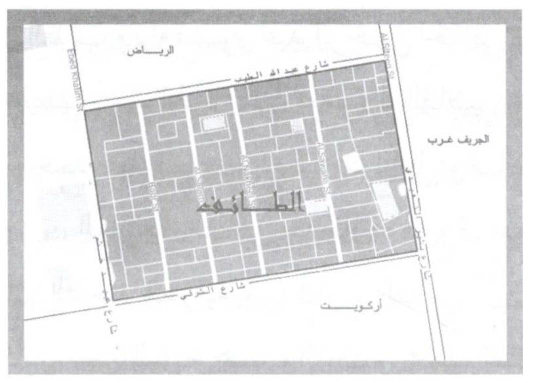


شارع أفريقيا

الطائف

لم تكن الطائف في البداية ضمن الخطة الإسكانية إذ قام بعض مواطني الجريف غرب بتقسيم أراضيهم الزراعية في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من حي الرياض إلى قطع سكنية بمساحات تتراوح بين ٤٠٠ و٥٠٠ متر مربع ومن ثم بيعها إلى المواطنين. تدخلت الحكومة بعد ذلك وأدرجتها ضمن خطتها وتصنيفها درجة ثانية. والاعتقاد أنَّ التسمية جاءت من بنات أفكار سماسرة الأراضي لترويج المنطقة كامتداد لحي الرياض وإعجاب الناس في تلك الفترة بكل ما هو خليجي. يقع حي الطائف إلى الجنوب من حي الرياض ويفصله عنه شارع عبد الله الطيب ويمتد جنوباً إلى شارع مامون بحيري (الشرقي) الفاصل بينه وبين حي أركويت، ويمتد الحي من شارع النفيدي (الستين) شرقاً إلى شارع عبيد ختم غرباً. ويمر شارع النخيل بوسط الحي من أقصى شماله إلى أقصى جنوبه

مقسماً له إلى جزء شرقي وآخر غربي. تتسم الشوارع الداخلية للحي بالضيق مقارنة بشوارع حي الرياض إذ لا يتعدى عرضها الاثني عشر متراً، هذا بجانب قلة الميادين والساحات. أما الجانب المعماري للحي فهو لا يقل عن الموجود في حي الرياض رغم صغر مساحات المنازل الذي انعكس على صغر المساحات المبنية والخضراء.

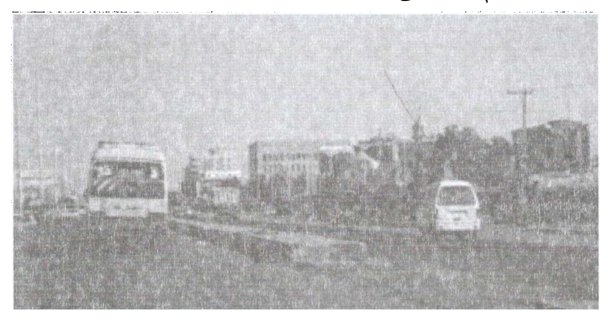


الطائف

يضم الجزء الواقع غرب شارع النخيل العديد من المرافق منها رئاسة شركة سكر كنانة وسفارة سلطنة عُمان ونادي الطائف ومسجد الخبير ومسجد السلام وقطا ليموزين والبيت الشامي ومستشفى الصفا ومدرسة المنار الجديد للبنات ومدرسة المجمع اليمني الثانوية النموذجية الحكومية للبنين ورياض ومدارس كامبريدج العالمية للأطفال. أما الجزء الواقع شرق شارع النخيل فنجد فيه قناة الشروق الفضائية ومدرسة الجريف غرب الثانوية الجديدة للأولاد ومدرسة الشهيد صلاح خضر العركي لمرحلة الأساس بنين ومسجد النخيل ومسجد المعراج والمستشفى السويدي للأطفال ونادي الطائف مربع ٥١ ولولو هايبر ماركت وأريكسون وجامعة بحر الغزال - كلية الطب وميدان الفيل.

أما بالنسبة لسكان الطائف فغالبيتهم من المهنيين خاصة الأطباء والمهندسين وأساتذة الجامعات وكذلك يوجد عدد من رجال الأعمال والتجار والموظفين.

ونجد من بين الشخصيات والأسر التي سكنت أو تسكن الناحية الغربية من شارع النخيل آل أبو زيد خليفة وآل الخبير وآل التلب والدكتور طه سيد أحمد طه والدكتور محمد أحمد كمبال والدكتور عبد الوهاب خليل عبد السلام والدكتور مراد عياد والمهندس فخر الدين عوض صالح والمهندس عبد المنعم فضل الله محمد العوين وبروفيسور النعمة وبروفيسور موسى محمد خير وبروفيسور أحمد الطيب وبروفيسور عبد الرحمن الخانجي وبروفيسور يحيى حسن حامد وبروفيسور عبد الجليل كرار ومولانا القاضي جعفر صالح محمد أحمد وآل كمال أحمد عبد العزيز وبابكر ود الجبل وصالح فريجابي وعبد الملك أبو زهرة وزين العابدين الطاهر جلجال وفاروق عبد الغني الحكيم.
ونرصد من سكان الناحية الشرقية من شارع النخيل آل نصار وآل العبيد عبد الحليم والدكتور عمر الشيخ عمر والدكتور محمد الفتح بيك والدكتور مصطفى بكري والدكتور الشيخ المجذوب والمهندس جعفر علي سليمان والمهندس علي أحمد نور مصطفى واللواء علي حسن محمد وبروفيسور نصر الدين أحمد محمود وبروفيسور يوسف حسن عبد الرحيم والأستاذ حسين خوجلي ويوسف أبو قرون وعبد الرحيم لقمان والحاج عبد الإله ناصر وعبد الرحمن حسين دوسة وأحمد السماني الفكي حسن والأستاذ فيصل خضر مكي والفريق طبيب (م) خليل بادي.



شارع عبيد ختم

المعمورة

كانت المنطقة التي يحتلها حي المعمورة جزءاً من الأراضي الزراعية التي تعود ملكيتها سواء بحقوق زراعة (بوضع اليد) أو ملك حر لأهالي الجريف غرب، مما اضطر الحكومة إلى تعويضهم قبل إدخالها ضمن الخطة الإسكانية ومن ثم توزيعها كدرجة أولى ودرجة ثانية على المواطنين، وقد تم ذلك في نهاية السبعينيات وأوائل الثمانينيات. تشمل المعمورة أربعة مربعات سكنية تبدأ بمربع (٦٩) وتنتهي بمربع (٧٢) بالإضافة إلى مربع (٧٣) للخدمات ويقع وسط المربعات السكنية. تقع هذه المربعات بين شارع جوبا شمالاً وشارع مدني جنوباً وبين شارع عبيد ختم غرباً وشارع النفيدي شرقاً. يُؤخذ على مخطط المعمورة مثله في ذلك مثل مخططات الطائف والفردوس والمربعات الجديدة للجريف غرب ضيق الشوارع الداخلية إذ يتراوح عرضها بين (٦) إلى (٨) أمتار. أما مساحات المنازل فتتراوح بين (٥٥٠ و٦٠٠) متر مربع في مربعي (٦٩ و٧٠) بينما تتراوح في مربعي (٧١ و ٧٢) بين (٤٥٠ و٥٠٠) متر مربع.



المعمورة وامتداد المعمورة

تشمل المعالم الخدمية في المعمورة عدداً من المؤسسات التعليمية مثل مدارس البيارق الخاصة ومدرسة الأوائل الثانوية والمدرسة الهندية ومدرسة محي الدين دياب الثانوية للبنات وكلية سيتي أند فيلدز. ومن المعالم الأخرى مستشفى

الشيخ ومسجد المعمورة ومسجد الشيخ دفع الله الشايقي ومسجد عمر بن العاص وزاوية حبيب بن زيد ونادي المعمورة وأسواق التسامح ومخبز ميامي ومجمع شقق وزارة الزراعة ومكتب جوازات الفئات ووحدة الدمج والتسريح للمقاتلين.

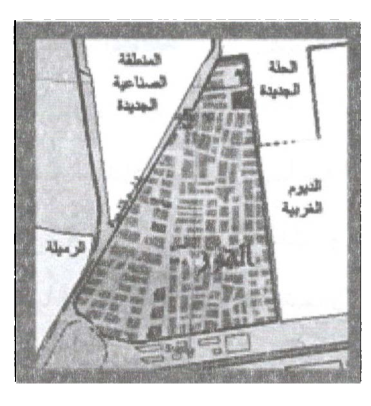
معظم سكان حي المعمورة من المهنيين والموظفين والمغتربين، نحصي منهم أحمد كباره ومحمد يوسف أحمد نورين والدكتور تاج الدين سكراب وحسن ساتي والمرحوم الدكتور حسن محمد علي والمرحوم مولانا محمد سر الختم ماجد والمهندس صالح البدوي ومحمد حيدوب والمهندس مصطفى حمزة قرشي وعبد المنعم عكاشة والدكتور محمد الأمين أحمدانة وبروفيسور علي عبد الساتر وإسحاق شداد والدكتور عثمان أبو الريش وآل العطا والمرحوم أحمد هجو وأحمد الريح فضل المحامي ووداعة عبد الله محمد سعيد وتاج السر محمد محمود وعووضه عويس علي والمرحوم طارق أمير طه والمرحوم الفنان محمد عثمان وردي وبروفيسور عبد الجليل عبد الجبار أحمد والسفير نجيب الخير وآل علقم وجلال ميرغني عبد النور ومحمد داؤود وإبراهيم آدم عبد الرحمن والدكتور الصيدلاني قاسم فضل الله والدكتور اخصائي أمراض النساء والولادة السر عبوش والدكتور المهندس الأمين الحسين البدوي وعمر عثمان الزاكي والدكتور عبد الرحمن محمد حسن بن عوف وأحمد عبد الكريم وحسبو محمد عبد الرحمن وعبد الرحيم النفيدي وبروفيسور عبد المنعم عطية والصادق نمر وصديق حسن علي وبروفيسور سعد محمد أحمد سليمان وكمال شنان وبشير الصادق جموعة والطاهر الشيخ الخواض ومامون الفكي سليمان العوض والدكتور الريح عبد الله أبو زيد والدكتور عبد اللطيف حسن عبد اللطيف ومحمد ذو النون محمود والفكي محمد جيب الله والمكاشفي محمد أحمد نور الدين.

الأحياء المضافة في غرب وشرق المدينة

القوز

يقع حي القوز إلى الشرق من امتداد المنطقة الصناعية الجديدة وحي الرميلة، وإلى الغرب من الحلة الجديدة وديم القشاشة وديم سلك، ويمتد من منطقة محطة معالجة مياه مجاري الخرطوم جنوباً إلى دار سك العملة شمالاً. وكان النيل الأبيض يصل إلى مشارف الحي في فترة الفيضان قبل إنشاء المنطقة الصناعية الجديدة، لذلك كان يوجد ترس ترابي لحماية الناحية الشمالية للحي من الفيضان. جاءت تسمية القوز نسبة لارتفاع المكان بسبب وجود الكثبان الرملية بالمنطقة. نشأ الحي نتيجة لنزوح بعض سكان منطقة المقرن للحفاظ على أنعامهم من الأغنام والأبقار، واستقروا فيما عرف حينها بقلعة (قوز) شمة، وذلك بسبب مضايقة السلطات لهم في مطلع القرن الماضي. وهناك قول بأنَّ أول من سكن المنطقة هو شخص يدعى ود ضياب وكان أهله يطلقون على المنطقة «قوز ود ضياب». كما كانت تُعرف المنطقة بقوز الرميلة.

ترجع أصول سكان أهل القوز إلى عدة قبائل أهمها المحس والجموعية والصواردة والدباسين والعبدلاب. ويرتبط أهالي الحي بأواصر صلات القربى والنسب بمعظم سكان المناطق القديمة في الرميلة وتوتي وبري والفتيحاب والجريفات والدباسين والحماداب. كان أغلب سكان الحي في الماضي يمتهنون حرفة الزراعة وذلك بزراعة جروف النيل الأبيض، ثم عملوا كمشرفين وعمال في المصالح الحكومية مثل المواصلات السلكية واللاسلكية والبريد والكهرباء والمياه.



القوز

يتكون الحي من ثمانية مربعات هي مربع (١) إلى (٦) ومربعي (١١ و١٢) في الناحية الجنوبية حيث منطقة اسطبلات الخيل. أما المربعات من (٧) إلى (١٠) فهي المنطقة الصناعية الجديدة ومخازن السكر. يعرف الجزء الشمالي من الحي بالمديرية حيث يسكن شيخ الحلة والجزء الجنوبي بالهبيكة لانخفاض أرضه. يعتبر تخطيط الحي تخطيطاً حضرياً لحد ما ولكن لا يرقى إلى تخطيط الأحياء الشعبية الأحدث منه مثل الخرطوم (٣) والحلة الجديدة والديوم الشرقية والغربية من ناحية سعة الشوارع واستقامتها وتوزيع الميادين داخل الحي. أما من ناحية مساحات المنازل فقد كانت تتسم بمساحات واسعة تتراوح في الغالب بين (٨٠٠ و١٠٠٠) متر مربع ويصل بعضها إلى (٢٠٠٠) متر مربع، ونجد الآن هذه المساحات تقسمت إلى مساحات أصغر بين أفراد الأسر. ويعزى اتساع المنازل إلى أن أهل القوز مولوعون بتربية الخيول لذا نجدهم يمتلكون اسطبلات داخل المنازل، وهم على قدر عالٍ من الدراية بسلالات الخيل، وفرسان بالوراثة مثلهم في ذلك مثل أهلهم من الجموعية، ونجد عدداً منهم اشتهر في سباقات الخيل وألعاب الفروسية، ومن أشهر أصحاب الخيول أولاد الملك ناصر وأولاد شبيلي.

كان بناء أغلب المنازل من الطين حتى سبعينيات القرن الماضي وتحولت الآن في غالبها إلى الطوب الأحمر. ومن الميزات المعمارية في منازل القوز القديمة ميزة النَّفَاج، (والنَّفَاج هو فتحة في السور الفاصل بين منزلين كوسيلة للتواصل) إذ لا يخلو منزلان متجاورين من نَّفَاج بينهما مما يدل على متانة العلاقات بين أسر الحي. وللأسف بدأت هذه الميزة تندثر في القوز وفي غيره من الأحياء الشعبية.

كان بحي القوز سوق صغير يعرف بسوق لفة القوز، أنشىء في عام ١٩٥١م لسد حاجيات أهالي الحي من مواد غذائية، إذ كان يضم عدداً من الجزارين، وتجدر الإشارة إلى أنه لا يخلو بيت من جزار في القوز، ومنهم أولاد حرمين والمرحوم أحمد عبد الرحيم والشيخ إدريس النجمي والحاج ود الرسالة وأولاده. كما كان يوجد عددٌ من النسوة يبعن الخضار منهن بخيتة وعائشة بنت الصديق والحاجة آمنة وزينب بت وهب. وبالسوق دكان أولاد حرمين وأولاد أبو نائب ودكان ود نايل ودكان أحمد سعيد ودكان فضل الله ودكان الحلاق عثمان محمد أحمد. كذلك كان بالحي عدد من الدكاكين منها دكان محمد خير ودكان أحمد أبشر ودكان عبد الله فضل ودكان شمس الدين ودكان الصائم علي ود الزين ودكان عبد الله حامد ودكان ود بُرة ودكان شيخ إدريس أحمد ودكان الجيلي الفكي عز الدين وأولاده لبيع اللبن. وكانت توجد بالسوق قهوة المرحوم العبيد بلاَّل وطاحونة الهادي أبو الريش وطاحونة حاج عبيد وطابونة صديق محمد عيسى ثم تم إنشاء عدد من الأفران منها فرن قمر وفرن عثمان ساتي وفرن اللفة وفرن سبيل.

عَرِف حي القوز تعليم الخلاوي منذ مطلع القرن الماضي إذ يوجد مسجد وخلوة الشيخ الأمين الشمباتي في مربع (٣). ثم جاء الحي الشيخ عركي المقابلي من منطقة العيلفون وأنشأ مسجداً وخلوة في مربع (٤). أيضاً هناك

جامع وخلوة الشيخ حسن النذير ومسجد مربع (٥) ومسجد مربع (٦). أما بالنسبة للتعليم النظامي فقد كان بالقوز بعض الرجال الذين على دراية بأهمية التعليم منهم حاج عبيد بلال ومحمد علي حسن وعبد الله حامد والعبيد عبد الله والرشيد البدري وفضل بشير (رئيس تحرير جريدة السودان الجديد). وكان بعض هؤلاء أعضاء في المجلس التنفيذي لمديرية الخرطوم وهم من وضعوا اللبنة الأولية للتعليم في القوز. وقد بدأ التعليم النظامي في مطلع خمسينيات القرن الماضي في منازل كل من أحمد سعيد والعبيد بلّال وبابكر ناصر حيث كان يتعلم أبناء الحي والأحياء المجاورة.

وأنشئت في النصف الثاني من الخمسينيات تقريباً مدرسة القوز (١) بنين. وأول من تولى نظارتها الأستاذ محمد فؤاد من دنقلا أعقبه الأستاذ الموسيقار علي ميرغني ثم الأستاذ عبد المجيد توفيق من حلفا (أستاذ مؤلف الكتاب في مدرسة الديم شرق الأولية) وممن لحق بهذا الركب ابن الحي الأستاذ عثمان سليمان العطايا.وفي نهاية الخمسينيات أنشئت مدرسة القوز المزدوجة بنات بنهرين، وأول من أدارتها الأستاذة بتول عبده من أم درمان ثم خلفتها الأستاذة حاجة زيدان من عطبرة وسكينة محمد أحمد من الفاشر. توالى بعد ذلك فتح المدارس في حي القوز فبجانب مدرسة القوز (١) الابتدائية بنين والمزدوجة بنات تم إنشاء مدرستي القوز (٢ و٣) الابتدائيتين بنين ومدرسة القوز المتوسطة، والتي أصبحت مدرسة أبوعبيدة الثانوية بنين، ومدرسة الحميراء الثانوية بنات.

يعتبر مركز صحي القوز، الذي كان فيما سبق شفخانة القوز، القائم في الفسحة الواقعة في وسط الديوم الغربية بين ديمي سلمان والقشاشة، المؤسسة الصحية الحكومية الوحيدة التي تُقدم الخدمات الصحية لهذا الحي والحلة الجديدة والقوز والرميلة. ويوجد بحي القوز عدد من القابلات قدمن

خدماتهن لنساء الحي منهن فاطمة حسن وكلثوم وعائشة الداية وآسيا حسن خوجلي وإحسان. توجد بالقوز نقطة بوليس، كما توجد في الناحية الجنوبية الغربية من الحي مقابر القوز والرميلة.

يضم حي القوز عدداً من الأندية الثقافية والاجتماعية، فهناك نادي القوز مربع (٤) ونادي القوز مربع (٥) ونادي القوز مربع (٦). هذا بجانب نادي القوز الرياضي الثقافي الاجتماعي الذي تأسس عام ١٩٥٨م، وله فريق لكرة القدم يلعب في الدرجة الثانية ولعب في مطلع السبعينيات في الدرجة الأولى. كذلك نجد إلى الجنوب من الحي نادي النيل بعد تحويله في أواسط الثمنينات من مقره بالخرطوم شمال. بالحي عدد من الفُرق التي تَتْبع لرابطة القوز الواقعة إلى الغرب من مركز صحي القوز، ومن هذه الفرق العاصفة والمنار والبراعم ولوممبا واللهيب والسهم. وتزاول هذه الفرق نشاطها الرياضي في مجمع نادي القوز وميدان عمار بن ياسر وميدان الحميراء وميدان مربع (٥) وميدان لوممبا.

مر على حي القوز عدد من الشيوخ الذين تعاقبوا على رعاية شئون الحي مثل موسى أبو زيد محمد ومحمد أحمد البدري والفكي عز الدين عثمان وعبد اللطيف عز الدين وعباس بابكر (أبكور). هذا بجانب الكثيرين من رجال الأعمال والتجار والشخصيات البارزة التي أسهمت في تطوير الحي منهم العبيد بلّال وعثمان عيسى وفضل بشير وعبد الله حامد عوض الله ومحمد ود الكبيدة وأحمد النحاس وعباس محمد علي ومحمد علي الأسد والملك ناصر بابكر محمد ناصر والطيب عمر حميدان والتاج محمد فضل وعبد الله حامد والشيخ إدريس عبد الله أبو زيد. وممن عملوا في مجال السياسة كل من أحمد سعيد والعبيد البلّال وتاج السر وميرغني النور ومحمد خير عبد الرحيم وحاج محمد علي الأسد وعبد الله حامد. وفي الصحافة نرصد فضل بشير وأولاد

باعو وعثمان حسن نعيمة وحافظ الخير ومبارك محمد عبد الرحمن حتة ومحمد النعيم عبد الله أبو زيد.

ومن موظفي الدولة بالحي نرصد كمال محمد عثمان النحاس والطيب محمد علي الأسد وصباحي كرار بله وعبد الرحمن مصطفى أحمد وعبد المنعم كرار بله وضمرة النور محمد وعلي مصطفى والطيب عمر الحكيم. ومن ضباط القوات النظامية اللواء أمن (م) خليفة كرار بله واللواء أمن (م) صالح بشير واللواء شرطة (م) عبد القادر أحمد عبد الرحيم واللواء سجون عماد مضوي وعقيد (م) عبد الرحمن النور محمد والعميد (م) أزهري نور الدائم والعميد (م) نصر الدين يوسف والعقيد (م) ازهري السر النور. أما الرواد في مجال التعليم في حي القوز نجد الأساتذة فؤاد وعبد العظيم الأمين كمبال وكمال أحمد عبد القادر وعثمان سليمان العطايا وعثمان شيخ إدريس وسكينة محمد أحمد ومريم بابكر وشادية شريف وإنصاف عباس.

وأسهم القوز في مجال الأدب من خلال عدد من الأدباء منهم عثمان عيسى وعلي الطاهر ومحمد ناصر الملك وفؤاد عباس وموسى محمد العوض. أما سهمه في الفن والموسيقى فتمثل في الملحن سليمان أبو داؤد وموسى محمد إبراهيم وعبد القيوم خير الله وعبد المنعم الخالدي والطيب الحوري وفايزة عيسى ومحمد عيسى وعلي الطاهر الصديق. ومنذ زمن بعيد كان في القوز منتديات أدبية وفنية شارك فيها أدباء وفنانون من خارج الحي ونجد أثر ذلك في أغاني لحقيبة مثل قصيدة عبيد عبد الرحمن في مناسبة حفل زفاف وجيه الحي حاج عثمان عيسى والتي مطلعها:

في القوز ما نسينا   وفي القوز ليس نجهل

فيهو وجدنا عينة   وفيهــو وردنا منهــل

وفي أغنية سميري للجاغريو، وقد استمرت هذه المنتديات والورش الفنية حتى العصر الحديث.

ومن مشاهير الرياضة بالقوز لاعبو أهلي الخرطوم معنى النور وكمال فرغلي وشمس الدين محمد عبد القادر ولاعب بري خليفة كرار وحارسي مرمى الهلال حسن الطيب والرشيد فيصل ولاعب الهلال كمال عبد النبي ولاعبَا المريخ عاطف القوز وعماد القوز ولاعب الهلال والمريخ حمزه أرباب ولاعب الموردة الفاضل النور ولاعب الزهرة خالد القوز، أيضاً هناك عبد المنعم صديق وبابكر مبارك (كروت)، ونجد من الحكام عبد الرحمن الخضر وأنس إبراهيم. وتجدر الإشارة إلى أنَّ جُل هؤلاء قد لعبوا لفريق القوز. وفي مجال الفروسية التي برع فيها شباب القوز نجد الملك محمد ناصر وعباس عمر وعمر الصديق وبدر الدين محمد عباس.

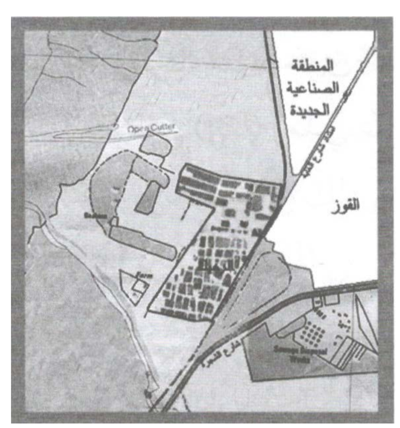
وقد اشتهر في الحي عدد من الظرفاء منهم حوى النبي الخضر وعبيد الخضر ومصطفى ود العز وموسى مصطفى (إنقا) ومدني علي الرضي.

الرميلة

حي الرميلة من الأحياء العريقة في مدينة الخرطوم مثله في ذلك مثل توتي والجريف والبراري. كان الحي يتبع إدارياً لمجلس ريفي الخرطوم بحري قبل ضمه لمجلس بلدي الخرطوم في مطلع السبعينيات من القرن الماضي. إذ كان الحي عبارة عن قرية صغيرة في فترة الحكم التركي المصري، وشهدت شواطئ هذه القرية في الناحية الشمالية منها عبور جيوش المهدية التي فتحت الخرطوم. وجاءت التسمية لتغطية الرمل لمعظم أراضي الحي وكثرة الكثبان الرملية حوله. يقع حي الرميلة في الضفة الشرقية للنيل الأبيض وتحده من

الناحية الشمالية والشمالية الشرقية المنطقة الصناعية الجديدة ومن الناحية الشرقية الجزء الجنوبي لحي القوز (مربعي ٥ و٦) ومقابر الرميلة، ومن الناحية الجنوبية اللاماب بحر أبيض والذي كان يعرف بالكندكول.

ترجع أصول معظم سكان الحي إلى الخليفاب بجانب بطون أخري من الجموعية والجعليين والعوضاب من الكلاكلات. وتشتمل هذه البطون على آل أبي خليف وآل أحمد دليل وآل صباحي وآل الإمام أحمد عبادة وآل مروح وآل عثمان ود يوسف وآل الخضر وآل العقاب وآل سعيد ود زايد وآل فضل الله وآل القرشاب وآل النويري وآل أبو عرضية وآل مصطفى العبيد.[١٧٧] ويمارس معظم سكان الحي الزراعة مع ممارسة البعض للرعي وصيد الأسماك. ويمتلك المواطنون الأراضي الزراعية الواقعة غرب الحي حيث تم تسجيلها لهم منذ عام ١٩١٢م.



الرميلة

تتضح عراقة الحي من الشكل التقليدي لعمارة المنازل وضيق الشوارع وعدم استقامتها في الجزء القديم منه، فإلى يومنا هذا غالبية المنازل مبنية بالطين، وهي في ذلك أقرب إلى النمط الريفي من الحضري كحال توتي وحارات الجريف

١٧٧ إفادة للأستاذ فضل السيد بجريدة الإنتباهة: رحلة داخل حي الرميلة بالخرطوم، علي الصادق البشير، الإنتباهة، ٢٠١٣/١/١٨

القديمة. وتتفاوت مساحات المنازل ما بين (٤٠٠ و ١٠٠٠) متر مربع. أما امتداد الرميلة الجديد فهو من الأحياء الجديدة التي أضفت معماراً راقياً للمنطقة ويقع في الناحية الشمالية من الحي القديم. كان الحي يعتمد على الآبار قبل أن تدخله خدمات المياه، فكان هناك العديد من الآبار منها بئر البدري محمد الحسن في الناحية الشمالية الغربية من الحي وبئر الشيخ محمد توم فضل المولى في وسط الحي بجوار المسجد وبئر صباحي في الناحية الجنوبية الشرقية من الحي وفي جنوبه بئر دفع الله مروح.

يوجد بالرميلة معلمان بارزان أولهما شجرة الحَرَاز المعروفة بشجرة "قرم" وتعتبر من أقدم الأشجار على شاطىء النيل الأبيض بالمنطقة. أما المعلم الثاني فهو صهريج الرميلة الذي يقع في الناحية الجنوبية الغربية من الحي في المنطقة التي كان يتخذها الجيش الانجليزي معسكراً له في فترة الاستعمار، وكان بهذا المعسكر مستشفى خلال فترة الحرب العالمية الثانية لمعالجة جنود الحلفاء. وكان المعسكر مربوطاً بطريق مرصوف إلى منطقة أبو حمامة الحالية. وكان بالرميلة معلم آخر وهو كشك عبد الله دبشك للسمك ويقع شرق الحي وغرب مقابر الرميلة وقد اشتهر بطهي الأسماك وتوفي في حادث أليم حيث دهسه قطار الشجرة.

بدأ تعليم النشء في الرميلة في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي وذلك بمجيء بعض المشايخ وتأسيس المساجد والخلاوي، تحديداً الشيخ دفع الله الغرقان والشيخ محمد توم فضل المولى والفكي محمد الأمين. أما بالنسبة للتعليم النظامي فقد بدأ في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي حيث افتتحت أول مدرسة في مسيد الشيخ دفع الله الغرقان وعين ناظراً عليها الأستاذ الماحي جاد الله من أهالي الكلاكلة. تبع ذلك افتتاح مدرسة الرميلة الابتدائية للبنات والرميلة المتوسطة للبنين، ومن ثم مدرسة الرميلة المتوسطة للبنات في عام

١٩٨١\١٩٨٢م. أما بالنسبة لتعليم الكبار فقد تم افتتاح أول دار لمحو الأمية في عام ١٩٥٥م في منزل محمد النقعو.

أما بالنسبة إلى الخدمات الصحية فقد أنشئت نقطة غيار في عام ١٩٢٧م.بمنزل إبراهيم العجيل واستمرت تؤدي خدماتها لسكان الحي إلى أن تم إنشاء شفخانة ومن ثم مركز صحي القوز حيث أصبح سكان الرميلة يرتادونه طلباً للعلاج. وأخيراً تم إنشاء مركز صحي شروني في الناحية الشرقية من الحي في مواجهة الركن الشمالي الغربي لمقابر الرميلة. يوجد بالرميلة العديد من المساجد والمراكز الإسلامية، فنجد في وسط الحي القديم مسجد ومجمع الشيخ دفع الله الغرقان الإسلامي، وليس بعيداً عنه ناحية الشمال الغربي يطل مسجد الشيخ التوم فضل المولى ومجمعه الإسلامي. كما نجد مسجد الرحمن في الناحية الجنوبية الشرقية من امتداد الحي.

كان للرميلة ومازال سهمٌ في رفد الحركة الثقافية والفنية والرياضية في مدينة الخرطوم بالمواهب والمبدعين حالها في ذلك حال بقية أحياء المدينة. ففي المجال الفني كانت للحي فرقة لغناء الحقيبة تتكون من الصافي محمد أحمد مروح ويحيى الصديق البلولة والجيلاني جاد الله، هذا بجانب آخرين منهم عبد المحمود أحمد النويري وسليمان عبد القادر الهيجة. أما بالنسبة للفن الحديث فيكفي الرميلة فخراً أنها أنجبت الفنان والموسيقار الدكتور عثمان مصطفى سليمان، وهناك أيضاً عازف العود عبد القادر برعي مع الإشارة إلى أن أول من امتلك آلة عود بالحي هو عثمان هارون محمد في عام ١٩٥٦م.

يلعب نادي الرميلة الرياضي الثقافي الاجتماعي دوراً بارزاً في مجال الرياضة فقد تأسس فريق كرة القدم بالرميلة في أوائل الخمسينيات بمسمى فريق الثورة تيمناً بالثورة المصرية عام ١٩٥٢م ثم تغير الاسم عند استقلال السودان في

عام ١٩٥٦م إلى فريق الاستقلال. وتغير الاسم مرة ثانية عند تسجيله في اتحاد كرة القدم المحلي بالخرطوم في عام ١٩٥٧م إلى الإصلاح ولتطابق الاسم مع فريق الإصلاح الأمدرماني تغيرّ إلى الرميلة. وقدم هذا النادي عدداً من اللاعبين المميزين منهم صديق محمد شرف الدين (صديق الرميلة) ظهير الهلال الطائر في الثمانينيات وشقيقيه خضر وعبد الرحمن والكوتش النعيم ويحيى عبد العاطي وأحمد البدوي وخماس ورمضان خميس وأشقاؤه محمود وحسبو ومهدي والهادي. ولعب لنادي الرميلة أيضاً عثمان حلاوى وعبد الرحمن خير الله.

شارك الكثيرون من أهالي الرميلة في الحركة الوطنية إذ انضم لنادي الخريجين كل من الصادق حسن علي ومحمد جاه الله وعبد الرحمن الصديق وسليمان عبد القادر وخالد محمد العوض ومحمد زين موسى والنعيم بابكر عبد الله وحاج العاقب أحمد النويري والطيب الجيلاني وآخرين.[١٧٨] ونرصد بجانب هؤلاء عدداً من الشخصيات والأسر البارزة في الحي كل من علي منصور وعباس فضل السيد والطيب عبد الرحيم واللواء عوض عثمان محمد وقسم السيد العبيد دفع الله وبرعي محمد العوض وعبد اللطيف علي وآل البدري وآل صباحي وآل الكريل وآل الشيخ محمد توم فضل المولى وآل الطاش وآل السبطي وآل عابدابي وآل الحوري وآل العاقب وآل النقعو وآل عجيب محمد وآل حسن بخيت وآل الحادو وآل العجيل وآل البلولة وآل الصديق وآل مروح وآل الفكي عباس أحمد دليل.

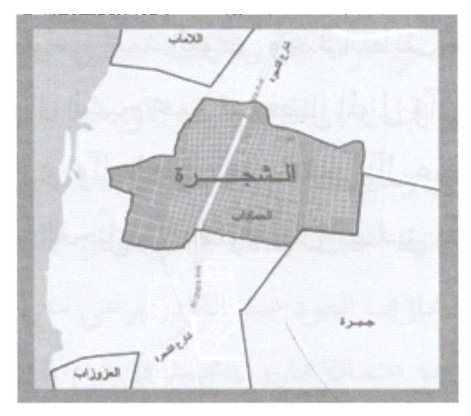
الشجرة

تعتبر الشجرة مدينة قائمة بذاتها رغم تبعيتها لمدينة الخرطوم منذ السبعينيات

---

١٧٨ إفادة للأستاذ فضل السيد بجريدة الإنتباهة: رحلة داخل حي الرميلة بالخرطوم، علي الصادق البشير، الإنتباهة، ٢٠١٣/١/١٨.

من القرن الماضي وكانت قبل ذلك تتبع لمجلس ريفي بحري. تقع الشجرة إلى الجنوب من اللاماب بحر أبيض وإلى الجنوب الغربي من سلاح المدرعات وغرب إشلاق المدرعات وشمال غرب جبرة مربع (١٢) (الدوحة) وشمال العزوزاب، ويحدها من الغرب النيل الأبيض. هناك عدة روايات تقول إحداها بأن التسمية تعود لشجرة حراز ضخمة شرق ميناء قديم للصيادين في تلك الجهة كان يسمى «أبو حلوق»، إذ كان الصيادون يتخذون من هذه الشجرة استراحة لهم، وموقعها الحالي في الجزء الشمالي الغربي للري المصري. وفي رواية أنَّ هذه الشجرة كانت تسمى بأم عش لأنها كانت وكراً للطيور المهاجرة في حلها وترحالها وتضم عدداً كبيراً من الأعشاش، وانسحب اسم «أم عش» على القرية الصغيرة المجاورة لتلك الشجرة. اتخذ محو بك، أحد إداريين الحكم التركي المصري من هذه الشجرة استراحة له وكان ذلك في عام ١٨٢٦م، ومنذ ذلك الحين أصبحت تعرف به وصار يطلق عليها «شجرة محو بك» وكذلك على قرية «أم عش».



الشجرة

أما الرواية الثانية فتقول أن غردون باشا قد اتخذ من الشجرة المذكورة معسكراً له وأنه جاء إلى موقعها عدة مرات خلال العام ١٨٧٤م لذا عرفت باسم

"شجرة غردون". وفي رواية ثالثة أنَّ المنطقة كانت تسمى "شجرة النقارة" نسبة لشجرة كبيرة في جزيرة مواجهة للشاطئ، كان يتجمع تحتها مجموعات من قبائل المنطقة لإقامة مهرجانات قبلية يلعبون فيها ويدقون النقارة. والرواية الأولى هي الراجحة أي رواية أنَّ الاسم يعود إلى "محو بيك" رغم أنَّ البعض كان يحوره إلى "محو بيه" وآخرون إلى "ماحي بيه" بينما أصبح الاسم الشائع الآن هو "الشجرة".

تضم مدينة الشجرة ثلاثة أحياء هي الري المصري في الناحية الغربية والشجرة إلى الشرق من الري المصري والحماداب في الناحية الشرقية من المدينة. يتكون حي الري المصري أساساً من مؤسسة الري المصري حيث مرسى البواخر والورش والاستراحات بالإضافة إلى منازل الموظفين والعمال والنادي والجمعية التعاونية والشفخانة ومدرسة الشجرة العربية ومسجد الري المصري. نجد في الناحية الشمالية من الحي منطقة الجنائن وسرايات واستراحات كبار موظفي الري، تليها إلى الجنوب منازل الموظفين ومن ثم منازل العمال، التي تعرف بالعنابر، وحي الخفر ونجد في أقصى الجنوب مصائد الأسماك. وتقع مقابر الشجرة إلى الشمال من مصنع الاسبستوس في أقصى شمال الحي. ويتميز هذا الحي بتخطيط منظم وترتيب واضح لا تخطئه العين بشوارع واسعة ومستقيمة ومنازل بخرائط محددة حسب الوظيفة، هذا بجانب خدمات مياه وكهرباء ممتازة.

ومن سكان حي الري المصري الشيخ محمد صقر مدير مدرسة الشجرة العربية والحاج نبيل صالح وأيمن حنفي ومحمد محمود السيد وعمر محمود صالح وخالد زغلول وجمال وراق ومصطفى عبدالرحمن علي مكي وبابكر أحمد الخضر وطارق قاسم وآل فرنساوي.

يعود تاريخ منطقة الشجرة كحي سكني إلى أكثر من مائة عام، أما التخطيط النظامي فقد عرفته المنطقة لأول مرة في عام ١٩٣٢م، حيث تم تخطيط وتوزيع القطع السكنية على سكان حي منطقة الشجرة القديمة الواقعة بين مركز صحي الشجرة شرقاً (شارع الشجرة) إلى قضيب السكة حديد غرباً وتمتد جنوباً إلى شارع الأسفلت القديم والذي يمر بوسط مربع ٣. وتتميز هذه المنطقة بالتخطيط الممتاز والمتمثل في الشوارع الواسعة والميادين الفسيحة.ومن معالم هذا الحي مركز صحي الشجرة النموذجي في أقصى شمال الحي ونادي الشجرة الرياضي ونادي الزهرة ومسجد الشهيد أحمد قاسم في وسط الحي بالإضافة إلى أربع مدارس أساس للبنين وأربع للبنات.ونجد في جنوب الحي مسجد النور ومدرستي الذخيرة بنين وبنات.

نذكر من سكان هذا الحي حسن محمد أحمد الحويج والمرحوم بروفيسور إبراهيم أبو سليم وبلال عبد الكريم والبشير الطيب البشير والحاج محمد صالح محمد كوبيل والأستاذ إبراهيم محمد شهاب وقرشي تركمان والعميد (م) بكري سيد أحمد محمد وآل علوب عبد الرحمن وآل مصطفى سالم وآل سيد أحمد الشيخ محمد عثمان وآل أبو شوك وآل محجوب جوبا وآل شحاتة وآل عبد الرحمن النجومي وآل بركات وآل عمر برشم.

يقع حي الحماداب إلى الشرق من شارع الشجرة ويحده من الشرق قشلاق المدرعات ويمتد على طول حي الشجرة. وأسلاف سكان هذا الحي من عرب الحماداب، كانوا يسكنون في الموقع الحالي للري المصري، وعندما اختارت الحكومة المصرية الموقع لقياس منسوب مياه النيل قامت بتعويضهم وترحيلهم إلى الحي الحالي والذي يعرف بالحماداب.يتوسط هذا الحي سوق الشجرة ومسجد الحماداب العتيق وضريح الفكي النور ونادي الحماداب ونادي الهدف وقسم شرطة الشجرة، بجانب مدرستي الشجرة المزدوجتين بنين وبنات. ونجد في

أقصى شمال الحي مسجد نور الدائم، كما نجد مسجد الحماداب شمال في الناحية الشرقية بجوار ميدان فريق الحماداب لكرة القدم. أما في الحماداب جنوب فنجد مسجد أنصار السنة ومدرسة الشجرة الثانوية بنين وميدان رابطة الشجرة. أيضا من معالم الأمس بالحماداب دكان صدقي الذي اشتهر بالباسطة، وطاحونة كورينا في وسط الحي وطاحونة مصطفى في حلة البئر، ودكان عبد الرحيم والفوال محمد زين في حلة دالاس شمال الحي.

نذكر بعض الأسر والأشخاص الذين يسكنون الحماداب منهم آل الحاج هاشم فضل السيد قرجاج وآل نور الدائم عمر وآل خلف الله العباس التوم وآل نور الله وآل عتيق وآل حجر بليلة وآل عبد القادر بردويل وآل موسى سوركتي وعبد اللطيف أحمد الحداد وعبدالقيوم عبد القادر ومحمد أحمد ملاح وعبد السلام عبد الحليم الشفيع وكمال المبارك عبد المجيد وحسين كنجة وجعفر أبوجبل.

يشغل فريقان من فرق مدينة الشجرة لكرة القدم مقعدين من مقاعد ليق الخرطوم (الدرجة الثالثة) منذ إنشائه تقريباً في منتصف القرن الماضي، والفريقان هما فريق الشجرة وفريق الحماداب. وتقوم رابطة الشجرة بتغذية الفريقين باللاعبين المميزين في فرقها التي من بينها الهلال والزهرة والأهلي والسلام والكفاح والأخوة من حي الشجرة، والدينمو والهدف وأشبال الحماداب ومايو والاتحاد وزحل من الحماداب. ومن أميز لاعبي هذه الفرق على سبيل المثال المرحوم بَينِّ نصرالله والحارس مرجان الذي لعب لحي العرب ببورتسودان وأولاد كباتا والنور الذي لعب للموردة. وكانت بداية نشاط الرابطة في ميدان الري المصري ثم انتقل النشاط إلى الميدان الواقع شمال نادي الزهرة ثم إلى ميدان يقع غرب خط السكة حديد وأخيراً تحول إلى ميدان الرابطة الحالي الواقع في الناحية الجنوبية من الحماداب.

كان ساكنو الشجرة ينتقلون منها وإليها عن طريق البصات الأهلية، ذات اللون الأزرق، بسعر للتذكرة يبلغ خمسة عشر مليماً. الموقف الرئيس لهذه البصات هو نفس موقف بصات الديوم الغربية في السوق العربي في الميدان الواقع إلى الغرب من شارع هاشم بك أي غرب موقف بصات عشش فلاتة (مكان عمارة بنك الخرطوم الحالية). تأخذ بصات الشجرة نفس مسار بصات الديوم الغربية إلى أن تصل أبو حمامة حيث تواصل في اتجاه الشجرة مروراً بالطرف الجنوبي من الرميلة ثم اللاماب حتى تصل أول محطة في الشجرة وهي محطة جامع نور الدائم ثم محطة السوق ثم محطة دكان حاج سعيد ومنها تصل آخر محطة وهي محطة دكان اليماني. تم إدخال بصات شركة مواصلات العاصمة لتخدم في هذا الخط في منتصف السبعينات.



الشجرة صاحبة الاسم

الجريف غرب

يقع الجريف غرب بالنسبة لخرطوم ما قبل السبعينيات من القرن الماضي، أي عندما كان يتبع لمجلس ريفي الخرطوم بحري، في الناحية الجنوبية الشرقية للمدينة ولكن بعد تمدد العاصمة جنوباً وشرقاً أصبح الجريف غرب أحد أحياء الخرطوم الواقعة في شرق المدينة. أصل كلمة جريف هو جَرِفْ بالعامية السودانية وجُرْف بالفصيحة وتعني «الجانب الذي أكله الماء من حاشية النهر

والأرض القريبة منه»[179] والجريف تصغير جُرْف. ويحد الحي من ناحية الشمال حي المنشية، ويفصلها من الغرب شارع النفيدي من الرياض والفردوس شمال والمعمورة، ومن الجنوب السواقي الزراعية، ومن الشرق النيل الأزرق. وكان الحي يحدد في الماضي من منطقة الحجر في الناحية الشمالية إلى الحجيرات جنوباً.



الجريف غرب

ذكر مصطفى شيخ إدريس عمر [180] ثلاث روايات عن نشأة الجريف غرب، أرجع الأولى إلى محمد إبراهيم أبو سليم في كتاب تاريخ الخرطوم حيث ذكر الأخير أنَّ التأسيس تم في عهد السلطنة الزرقاء على يد الخليفة يعقوب بن مجلي الملقب بضنب العقرب. وتقول الرواية الثانية أنَّ التأسيس جاء بعد خراب سوبا حيث أقام معظم جيش عبد الله جماع في منطقة الجريفات الحالية على ضفة

١٧٩ بروفيسور عون الشريف قاسم، قاموس اللهجة العامية في السودان،الدار السودانية للكتب، ٢٠٠٢م.
١٨٠ مصطفى شيخ ادريس عمر، كاتب تاريخ الجريف غرب، الحلقة الأولى، ٢٠٠٩م.

النيل. أما الرواية الثالثة فهي شفاهية وتشير إلى حدوث نزاع بين أسلاف سكان الجريف غرب الحاليين وسكان سوبا من العنج وانتهى النزاع بأن فَصَل حاكم الفونج آنذاك بأيلولة الأرض إلى أبناء الشيخ يعقوب بن مجلي. لم توضح أياً من هذه الروايات تاريخ إنشاء الجريف غرب، ولكن نخلص منها إلى عراقة الحي فهو من ناحية الإنشاء يُعد من أقدم أحياء الخرطوم، وكانت المنطقة تعرف بتَرَس ود أبو زيد.

ترجع أصول سكان حي الجريف إلى عدد من القبائل أهمها المشايخة (الزنارخة) والجموعية والدباسين، هذا بجانب أعداد مقدرة من المحس والمغاربة والجعليين. تصاهرت كل هذه القبائل وكان الناتج شخصية الفرد المنسوب للجريف (الجريفاوي). كما تجدر الإشارة إلى أنه خلال الثلاثة عقود الأخيرة سكنت في الجريف غرب أعداد مقدرة من الجاليات الأثيوبية والإريترية والمصرية والصومالية. مما أدى إلى تغيير بَينٍّ في ديمغرافية الحي خاصة في المربعات الجديدة التي أضيفت للحارات القديمة. ويضم حي الجريف غرب عدداً من الفرقان مرجعها في الغالب قبلي، وهي رقيعة القلعة (الرقيعة) وفريق الحاج (حي الزنارخة في زمان مضى) والقراريج والشيطة وتكلت والحجيرات والخلات والحجر. واشتهر من هذه الفرقان إلى يومنا هذا فريق القلعة والشيطة. تُكون هذه الأحياء الفرعية حارات الجريف غرب الست القديمة.

المعروف عن الجريفاوي في القرن الماضي اشتغاله بالزراعة، فامتلاكه للجنائن الممتدة على طول شاطي النيل الأزرق من شمال سوبا إلى المنشية جعل منه ومن التَوْاتِي الممونين الأساسيين لسكان الخرطوم بالخضر والفواكه. وكان أهل الجريف قبل تمدد الخرطوم يمتلكون كل الأراضي الواقعة إلى الغرب من حلة الجريف غرب سواء بحقوق زراعة (بوضع اليد) أو ملك حر والتي تشغلها الآن أحياء الرياض والطائف والفردوس والمعمورة، وكانت هذه الأراضي

تزرع فيها الحبوب في موسم هطول الأمطار كما تستخدم مراعي لأغنامهم. بدأ أهالي الجريف غرب في الربع الأخير من القرن الماضي بالاهتمام بإنشاء كمائن الطوب الأحمر وإنتاجه، وأخَذ الاهتمام بالزراعة يقل تدريجياً هذا بجانب توجه الشباب إلى العمل الوظيفي.

ترتبط الجريف غرب بالخرطوم وسط بخط مواصلات للبصات الأهلية، بدأت بالبصات ذات المقاعد الخشبية في الخمسينيات والستينيات ثم أعقبتها البصات الحديثة. تميَّزت بصات خط الجريف غرب باللونين الأزرق والأحمر، وكانت نقطة انطلاقها من الخرطوم جنوب ميدان الأمم المتحدة ثم انتقلت إلى الناحية الجنوبية من ميدان أبو جنزير شرق الجامع الكبير. يتبع البص في مساره شارع القصر ثم شارع الطابية ثم يعبر السكة حديد بكبري المسلمية حتى نهاية الستينيات وبعدها أصبح يعبرها بشارع الملك نمر، ومن ثم يواصل مسيره على طول شارع إفريقيا (شارع المطار) حتى لفة الجريف حيث ينحني شرقاً ليعبر الفضاء الواقع إلى الجنوب وإلى الشرق من المطار، الذي شيد فيه أحياء الرياض والطائف، إلى أن يدخل فريق القلعة حيث تبدأ أول محطاته وهي مرين ومن ثم يمر بالتالي على محطات صابرين والجامع والنادي والمدرسة والنقطة وأبكر والسينما والجرافي والوسيلة وكارسة ومحطة سبعة ومحطة سبعة ونص ومحطة ثمانية وهي آخر محطة في نهاية فريق الشيطة.

معالم الجريف غرب

يضم حي الجريف غرب عدداً من المدارس الحكومية والخاصة إذ يبلغ عدد المدارس الحكومية لمرحلة الأساس أربعة عشر مدرسة موزعة بين البنين والبنات منها مدرسة حاج علي بالحارة الثانية ومدرسة عليش ومدرسة القلعة الجديدة أساس وثلاث مدارس ثانوية أثنان للبنات وواحدة للأولاد. وهناك عدد من

المدارس الخاصة منها مدرسة طحنون الثانوية ومدرسة الجزيرة الخاصة ومدرسة الرياض الحديثة الخاصة ومدارس صلاح آدم، هذا بجانب نحو عشرين من رياض الأطفال أعرقها روضة ماما فهيمة ومؤسستها فهيمة عبد المجيد الطيب حسين التي أنشئت عام ١٩٧٩م. أما بالنسبة للكليات فنجد كلية دراسات الحاسوب بجامعة الرباط الوطني وكلية الخرطوم للعلوم الطبية وكلية الخرطوم التطبيقية وكلية الإمارات التقنية وكلية طحنون.

يوجد بالجريف غرب منشآت صحية حكومية وأهلية، فهناك مركز صحي الجريف غرب الحكومي بالحارة الثالثة ومركز صحي الفاروق بالشيطة في الحارة السادسة ومركز الشهيد أبو دجانة ومركز بنت البلد ومستشفى جرش وكل هذه مؤسسات أهلية. كما يوجد بالحي العشرات من الصيدليات. ومن المعالم الخدمية الأخرى في الجريف غرب سوق القلعة وسوق الشيطة بالحارة السادسة وسوق السمك بالحارة الخامسة. ومن أقدم المؤسسات التجارية بالحي طاحونة ود الشائب ودكان فاطمة بت عمر (أكبر الدكاكين بالحي) ودكان حسن إبراهيم، ومن أقدم الجزارين بالجريف حسن الزين وفاروق رستم وأبو بكر إبراهيم. وتوجد بالحي مقبرتان مقبرة نصر بالقلعة ومقبرة الشيطة، كما يوجد به مركزان للشرطة وعدد من نقاط بسط الأمن الشامل.

يعتبر مسجد الحارة الثالثة (مسجد فريق الحاج) المسجد العتيق بالجريف غرب إذ أسس في عهد السلطنة الزرقاء عام ١٨٠٠م، وقد تم ترميمه عدة مرات قبل أن يعاد تشييده في عهد قريب. هناك أيضاً مسجد دوحة الإيمان ومسجد فريق الحجر ومسجد الحارة الأولى، ومسجد المجمع الإسلامي بالحارة الثانية، ومسجد الحارة الرابعة ومسجد علي الحلبي بالحارة الرابعة، ومسجد النور ومسجد الفشاشوية ومسجد حي الريان ومسجد الحارة الخامسة، ومسجد طحنون ومسجد الفاتح ومسجد محمد عثمان البرهاني ومسجد جمعية قطر

الخيرية ومسجد الجريف غرب ٨٤، هذا بجانب مجمع الرضوان الإسلامي ومركز تدريب وتأهيل الدعاة التابع لجامعة أم درمان الإسلامية، وخلوة الحاجة فهيمة بالحارة السادسة وخلوة قرشي المقدم بالحارة الخامسة. توجد أيضاً بالحارة الثانية الكنيسة الإنجيلية وأرض المؤتمرات التابعة لها.

يوجد بالجريف عدد من الأندية الرياضية والثقافية والاجتماعية اشهرها نادي الجريف غرب الذي تأسس عام ١٩٤٦م وقد انتقل إلى الدرجة الثانية في عام ٢٠٠٠م ومن ثَمَّ إلى الدرجة الأولى في عام ٢٠٠١م. ومن الأندية القديمة نادي شبرا بالحارة الخامسة ونادي الزهرة وناديي الإخلاص والتقدم بالحارة السادسة ونادي الفلاح بالحارة الثانية. ويوجد أيضاً مركز راشد دياب للثقافة والفنون.

كما ذكر أعلاه فإن حي الجريف غرب من أقدم أحياء مدينة الخرطوم إن لم يكن أقدمها وقد تولى شؤون الناس بهذا الحي منذ أن كان قرية تتبع لضواحي الخرطوم عدد من العمد والشيوخ نذكر منهم العمدة محمد نور ود حمد ود عبد اللطيف الملقب بقرنج وقد تولى العمودية في فترة العهد التركي، والعمدة التهامي ود الحسن وكانت عموديته أبان فترة الحكم الإنجليزي المصري، ومن ثم توالى على العمودية كل من العمدة عبد الماجد علي رحمة وجبر الدار والشيخ صباحي الأزرق والعمدة التهامي عبد الرحيم والعمدة عبد الرحيم محمد عبد الرحيم.

ومن الشخصيات البارزة في النصف الثاني من القرن الماضي في مجال التعليم موسى بشير إمام وإبراهيم بشير إمام وآدم علي أبو زيد، وممن ساعد في تأسيس المدارس عمر جلال بشير ومحمد علي أبو زيد. وفي مجال الإعلام المخرج محمد ياسين بابكر وزوجته ماما صفية مقدمة برنامج جنة الأطفال والمذيع يونس بشير. وفي مجال الهندسة المهندس حاج علي أبو لكيلك والدكتور مهندس

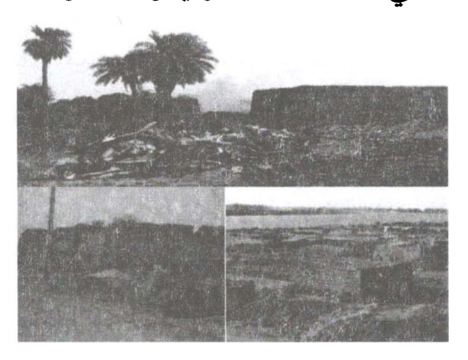
هاشم محمد قرشاب والدكتور البدري عمر إلياس والدكتور مصطفى عبد الباقي. وفي مجال القانون عبد الرحمن بشير المحامي وطارق النعمة المحامي. وفي مجال الأدب الشعراء الصادق إلياس ويونس أحمد يعقوب وأبو القاسم عثمان والأمين علي الجريفابي. وفي مجال الفن الملحن خليل أحمد والفنان عبد الرحمن بشير ابن الشاطئ والفنان مصطفى سيد أحمد.

وفي جانب السياسة والخدمة الوطنية نرصد مصطفى زكي والأمين الشايقي وأحمد محمد سعيد وعبد الله الرشيد والدكتور مصطفى الرشيد وشيخ إدريس عمر بركات وإبراهيم حسن عباس وإبراهيم حسن حجازي ومحمد إبراهيم نقد وعلي عبد الله يعقوب وبروفيسور أحمد علي الإمام والدكتور مجذوب الخليفة والدكتور التيجاني السيسي والدكتور عصام صديق وربيع حسن أحمد ومحمد علي الشيخ وعبد الوهاب عثمان والجيلي عمر حسن أمين وعبد الرحمن نور الدين. ومن شهداء عهد الإنقاذ أبو دجانة وإبراهيم شمس الدين وعلي السنجك وحسام الدين سلامة والصادق محمد أحمد والزمخشري وصلاح خالد وأحمد القمر.

وفي الرياضة من قدامى اللاعبين نرصد عمر النور وعوض شرف الدين والمليح إبراهيم، ومن المعاصرين خالد بخيت وعمر بخيت وسيف مساوي ومحمد علي دنيلسون وحمد عمر الزبير وحمد الجريف وإدريس الجريف ويحيى جنابو وجمال جبارة ويحيى بارود وعمر سليمان وحسن شنان. ومن الإداريين فضل عبد الله اللوري وطارق الشيخ إدريس.

ومن الشخصيات والأسر التي تسكن الحي نذكر أيضاً عثمان محمد أحمد مسيك والأمين الطيب جميل الله وشيخ إدريس بلول والسيد سحنون وبروفيسور محمد عبد المعطي عبد الغفور ومصطفى الكردفاني وزهير حسن بابكر والعميد

عبد العظيم الأمين محمد واللواء عمر محمد هجانة ومحمد مدني العماس (حاج المر) والسفير محمد آدم إسماعيل وآل أحمد مكي عبده وآل بروفيسور محمد سعيد القدال وآل محمود حامد البدوي وآل حسن عبد الله الجرافي وآل أحمد الطيب البشير وآل الجيلي رحمة الله مضوي وآل الدومة.



كمائن الطوب الأحمر

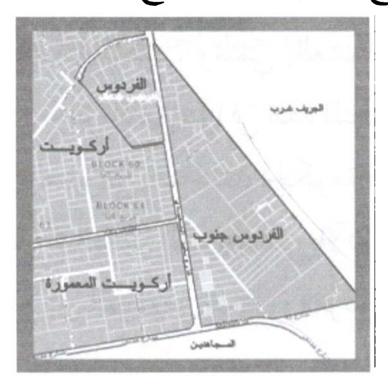
الفردوس

بدأ حي الفردوس عشوائياً إذ لم يتم توزيعه ضمن خطة إسكانية، فالمنطقة التي قام فيها الحي أرض زراعية امتلكها أهالي الجريف غرب بوضع اليد منذ زمن بعيد ويقومون بزراعتها في موسم الأمطار. إستغل أصحاب هذه الأراضي موقعها المميز لمتاخمتها لأحياء الرياض والطائف الفاخرين فقاموا ببيعها بواسطة سماسرة الأراضي، فنشأ ما يعرف بالسكن العشوائي الفاخر وكان ذلك في الثمانينيات من القرن الماضي. وسمي بالعشوائي الفاخر نسبة لمبانيه من الأسمنت المسلح، ومن أوائل الذين بنوا في هذه المنطقة الدكتور علي الحاج حيث اشتهر منزله بالقصر العشوائي. تدخلت الحكومة في وقت لاحق وقامت بتخطيط المنطقة وفتح شارع الستين الذي يسمى الآن بشارع بشير النفيدي ونتج عن ذلك تقسيم الحي إلى الفردوس شمال والفردوس جنوب.

الفردوس شمال

يقع حي الفردوس شمال إلى الغرب من شارع بشير النفيدي وجنوب شارع البلابل وشرق أركويت مربعي (٥٩ و٦٣) وشمال شارع جوبا، ويتكون الحي من الجزء الشمالي من مربع (٥٨). يشتمل حي الفردوس شمال على بعض المؤسسات الخدمية مثل مدرسة الفردوس شمال الابتدائية ومدارس الرؤية العالمية الخاصة وكلية اليرموك الطبية ومؤسسة مكة الخيرية ومركز شباب الفردوس شمال ومسجد الشيخ بابكر إبراهيم عبد الله ومسجد الفردوس شمال ومسجد القبب.

ومن شخصيات الحي المهندس الصافي جعفر والدكتور أبو بكر الأمين النور والأستاذ موسى وداعة ومجدي قرناص والدكتور علي الحاج والسفير عثمان درار والمهندس فضل أبو شوك وود الياس الخندقاوي وعرفة الحسين علي التوم والحاجة صفية النقيب ولطفي عثمان ترجمان ويحيى علي أحمد جفون وتاج السر محجوب الحسن والدكتور عثمان عبد الوهاب وتيسير مدثر المحامي والعميد (م) الفاتح عبدون حماد والفاتح شبو والرشيد أبو نائب والمهندس مختار التيجاني علي وهاشم بليل وعاصم جمال محمد أحمد وكمال حسن علي محمد الأمين والمهندس صلاح حسن وآل المصباح وآل دهنون.



الفردوس

الفردوس جنوب

يقع حي الفردوس جنوب إلى الشرق من شارع بشير النفيدي ويمتد جنوباً إلى شارع مدني ويحده من الشرق مربع (٧٩) الجريف غرب ومن الشمال الحارة الخامسة الجريف غرب. يعرف هذا الجزء من حي الفردوس بامتداد المعمورة إذ يفصلها عنه شارع بشير النفيدي. يتكون الحي من أربعة مربعات تبدأ من الجزء الجنوبي من مربع (٥٨) والمربعات من (٨١) إلى (٨٤)، وتعرف الناحية الجنوبية الغربية منه بالمثلث الذهبي وفيه العديد من المؤسسات والشركات التجارية. ويضم الحي مدرسة الجزيرة الخاصة ومدرسة الرياض الحديثة الخاصة ومسجد الفاتح (إمام وخطيب المسجد المرحوم البروفيسور أحمد عمر الإمام سابقاً) ومسجد محمد عثمان البرهاني ومسجد جمعية قطر الخيرية ومسجد حاج نور وشرطة الحياة البرية وميدان السلك.

من بين الذين يقطنون الحي طارق النعمة المحامي واللواء حمد عبد المنعم والدكتور فتحي عز الدين حمدتو والسفير محمد آدم إسماعيل والمهندس حاج علي أبو لكيلك وبانقا التوم وعبد المجيد الأمين البادرابي وعليش محمد كسار وسعد أبو قرون ومحمد الكامل فضل الله عيسى وأولاد الدومة وخليل محمد خليل المحامي والدكتور مهندس هاشم محمد قرشاب والدكتور عز الدين حسين عبد النبي والمهندس عبد الحليم الترابي وسارة قسم الله وفارس بابكر ود الجبل والدكتور محمد الفاتح محمد خير عبد الرزاق والمهندس عبد الكريم هرون.

امتداد ناصر

يعتبر امتداد ناصر امتداداً للبراري وسمي بامتداد ناصر لتزامن فترة توزيعه مع زيارة الرئيس المصري جمال عبد الناصر للسودان في عام ١٩٦٩م. وقد تم

توزيعه كحي شعبي ضمن خطة إسكانية اعتمدها الشريف حسين الهندي لأهالي بري والمقرن وتوتي. يقع الحي في المنطقة الواقعة جنوب بري المحس وبري الدرايسة وبري أبوحشيش وشمال حي الرياض، ويفصله حي الصفا عن شارع عبيد ختم في الناحية الغربية منه، بينما يفصله شارع الستين (شارع بشير النفيدي) من حي المنشية في الناحية الشرقية.



امتداد ناصر

يضم الحي ستة مربعات تبدأ بمربع (١) وتنتهي بمربع (٦). بالحي (١٣٠٠) منزل يبلغ مساحة الواحد منها (٤٠٠) متراً مربعاً. ويوجد بالحي ميادين لممارسة الرياضة منها ملعب الرابطة وأستاد ناصر بنجيله وإضاءته في مربع (١). كما يوجد بالحي سوقان سوق محطة (١٠) وسوق محطة (٨)، ذو الشهرة الواسعة إذ يؤمه بجانب سكان امتداد ناصر الكثيرون من سكان الأحياء المجاورة من البراري والرياض والمنشية. من مميزات حي امتداد ناصر على الكثير من الأحياء انتشار المدارس فيه إذ يوجد به ثمانية مدارس أساس حكومية، أربعة للأولاد وأربعة للبنات منها مدرسة صفية عبد العزيز للبنات ومدرسة مربع (١) للبنين ومدرسة ناصر للبنين بمربع (٢) ومدرسة ناصر للبنات بمربع (٣) ومدرسة عبد الله بن مسعود للبنين بمربع (٤) ومدرسة الشهيد معتصم حسين بركات للبنين

بمربع (٦). هذا بالإضافة إلى عدد من المدارس الثانوية منها مدرسة السلام الثانوية بنين ومدرسة محمد الطيب الحسن الثانوية ومدرسة الكويت الثانوية للبنين ومدرسة قرنفلي الثانوية، بجانب كلية قاردن سيتي للعلوم والتكنولوجيا.

أما من ناحية المؤسسات الصحية فنرصد مركز صحي السلمابي بمربع (٤) ومستشفى دريم التخصصي ومجمع طبي أنعام بجانب الكثير من الصيدليات التي تنتشر في الحي. وتنتشر المؤسسات الدينية في حي امتداد ناصر إذ يوجد به ما يربو على العشرة مساجد ومجمعات إسلامية يوجد بكل واحد منها دار لتحفيظ القرآن. نرصد منها مسجد مربع (١) ومجمع ومسجد ود الجبل ومسجد الهدى ومسجد مربع (٢) ومسجد أبوبكر الصديق ومجمع معاوية البرير الإسلامي وجامع محطة عشرة (جامع شيخ جابر) ومسجدي أبو دجانة والصحابة بمربع (٤) ومسجد عبد الله بن مسعود بمربع (٥) ومسجد مربع (٦) جنوب. هذا بجانب العديد من الزوايا.

يذخر الحي بالعديد من ميادين كرة القدم أشهرها ميدان ناصر بنَجيلِه وإنارته وميدان رابطة امتداد ناصر بمربع (٤). هناك أيضاً ميدان فريق المناضلين بمربع (٢) وميدان نادي الإخوة وملعب فريق النجوم (ميدان الأمية) وميدان فريق الثوار وميدان فريق السامبا وميدان فريق العاصفة وميدان نادي الشبيبة الرياضي بمربع (٤) وميدان فريق الهدف. كما يوجد عدد من الأندية الثقافية والاجتماعية والرياضية موزعة على المربعات.

ومن معالم الحي البارزة بجانب سوق محطة (٨) وسوق محطة (١٠)، نجد محطة أوماك التي سميت على بقالة أوماك وكانت أول ما يقابل الداخل إلى الحي من الناحية الجنوبية الغربية. نجد أيضاً مطعم الموناليزا الواقع في شارع مأمون البرير وفي وسط الحي نجد زرائب الحطب (أخشاب الحريق). كما تعج محطة

عشرة بالمؤسسات الخدمية منها المحكمة الشرعية وتسجيلات الأراضي وقسم للشرطة ومركزاً للمطافئ وحديقة عائلية. ويضم الحي الكثير من المؤسسات والشركات والمحال التجارية في جميع أطرافه.

لامتداد ناصر بصات أهلية لترحيل قاطنيه من وإلى وسط الخرطوم، وهي بنفس لون بصات بري أي اللونين الأزرق والأبيض، ولها ذات الموقف في الناحية الجنوبية الشرقية من ميدان الأمم المتحدة قبل أن ترحل جميعها إلى الناحية الجنوبية الغربية من ميدان أبو جنزير. وكان خط سيرها يبدأ من موقفها هذا عبر شارع القصر ثم شارع السيد عبد الرحمن إلى القيادة العامة، ومن ثم شارع الطابية حتى كبري بري لتعبره وتتجه شرقاً مروراً بصينية كبري القوات المسلحة. ثم تواصل في شارع بري اللاماب (شارع المعرض الحالي) إلى نهاية بري المحس حيث تنحرف جنوباً على الشارع المؤدي إلى سوق بري حيث محطة أربعة. ومن ثم تواصل في نفس الاتجاه عابرة للشارع الذي يفصل البراري عن امتداد ناصر (شارع مستشفى رويال كير الحالي) وفيه المجري الرئيسي لتصريف مياه الأمطار في تلك الناحية. بعد عبور المصرف تبدأ أول محطة في الامتداد، محطة واحد، وتقع في بداية ما كان يعرف بشارع مواصلات امتداد ناصر ويفصل في بدايته مربع (١) عن مربعي (٢ و٣). تستمر البصات في اتجاه الجنوب مروراً بمحطتي اتنين وتلاتة إلى أن تصل محطة أربعة حيث زريبة الحطب ومن بعدها محطة خمسة عند تقاطع الشارع الفاصل بين امتداد ناصر شمال (مربعات ١ و٢ و٣) وناصر جنوب (مربعات ٤ و٥ و٦) والمؤدي إلى المنشية. عند هذا التقاطع تنحرف البصات في اتجاه الشرق لتمر بمحطتي خمسة وستة، وعندما تصل محطة سبعة تنحرف مرة أخرى عند الشارع المؤدي إلى سوق تمانية في اتجاه الجنوب لتمر بمحطة سبعة ونص، ومن ثم محطة تمانية حيث سوق تمانية حيث تنحرف في اتجاه الغرب

إلى محطة تسعة ثم محطة عشرة في سوق عشرة والتي تقع في نهاية الخط.

سكن حي امتداد ناصر وما زال يسكنه العديد من الشخصيات السياسية والمهنية والمجتمعية والرياضية البارزة نذكر منهم الأستاذ علي عثمان محمد طه والدكتور عوض الجاز وعبد الوهاب محمد حمزة وجمال الوالي وزين العابدين محمد أحمد عبد القادر وبروفيسور إبراهيم غندور ومولانا الحسين الحسن والسفير عز الدين حامد ومنير الحكيم وجماع أحمد جماع والمرحوم الأستاذ فتحي خليل والفريق بكري الملك ومدير عام شرطة ولاية الخرطوم محمد الحافظ والدكتور الجنيد عبد العال والسفير عباس المعتصم ولاعب الفريق القومي النور عبد القادر ولاعبي المريخ جمال كافي وبكري مكين والفنان أحمد بركات والشاعر عبد الهادي هارون.

أيضاً من سكان الحي عبد العال خالد أحمد ومنصور فرج الله وعبد الله جمال الدين تكرون وإبراهيم تمساح ورمضان أحمد السيد والشيخ الطيب محمد أرباب والخليفة علي الخليفة بركات والعميد علي سر الختم عثمان والحاج أمين عبد اللطيف مقلد والكوتش ناصر قُطّية وميلاد سليمان تادرس والرحيمة ود فضل ومولانا علي الزاكي والحبر الشيخ ادريس وأحمد كمال الحميدي ومحمد حسن بهاقيل والشريف محمد الأغبش والشيخ محمد علي التوم والعميد عبد المنعم محمد خير والأستاذ صلاح عمر الشيخ والأستاذ سعيد عبد الله خير الله وإبراهيم أحمد الطاهر والشيخ أحمد الرشيد عشنوق وآل جاد الكريم عبد الله أحمد شمام وآل الله جابو عبد الله وآل أحمد بابا وآل أبو قناية وآل أبو علامة وآل علي الحسن باقير وآل عبد الفضيل صغير يوسف الشلالي وآل سليمان محمد بدري وآل بابكر عترة وآل عشيري.

توتي

تعتبر توتي أعرق مناطق مدينة الخرطوم بل الخرطوم نفسها كانت تعرف بها، إذ كانت تسمي «خرطوم توتي «.وقد ذكر المؤرخ انتوني آركل في بحث عن الخرطوم القديمة أن أول مستوطنة في العاصمة الحديثة أنشئت بجزيرة توتي في عام ١٤٨٠م.[١٨١] ويتفق المؤرخون والدارسون على أن محمد عجم وأولاده الأربعة شرف وسعد الله وكباني وعبودي هم أول من أسس هذه المستوطنة، وإليهم يرجع نسب محس وسط السودان، وكان ذلك في أوائل القرن الرابع عشر.[١٨٢] وفي قول آخر كان ذلك في القرن الخامس عشر.[١٨٣] يُرجع البعض اسم توتي إلى مقطعين في اللغة النوبية المقطع الاول لفظة «تو» وتعني كرش أو بطن، والمقطع الثاني «تي» وتعني بقرة،عليه يكون المعنى «كرش البقرة». وإذا صح هذا الزعم فسبب التسمية هو شكل الجزيرة،إذ تأخذ الجزيرة شكل هلال يقع أحد رأسيه على النيل الازرق قبالة جنينة السيد علي، بينما يقع الرأس الآخر على نهر النيل قبالة حي الملازمين بأم درمان. هناك رواية أخرى تقول أن الاسم يعود إلى امرأة من العنج عاشت في الجزيرة لفترة طويلة خلال فترة سيادة العنج على المنطقة. ولبروفسيور محمد إبراهيم أبو سليم زعم آخر أورده في كتابه «تاريخ الخرطوم» يقول فيه إنَّ الاسم مصدره كلمة «تؤتي أُكُلها»وذلك لخصوبة أراضيها وإنتاجها للخضروات والفواكه. يحيط بجزيرة توتي نهر النيل من الناحية الغربية والنيل الأزرق من ناحيتي الجنوب والشرق وقد وصفها ابنها الشاعر أبوشوقي أمين مصطفى خليفة قائلاً :

181 Arkell، A.J.، Early Khartoum، London، Cambridge University Press، 1949.

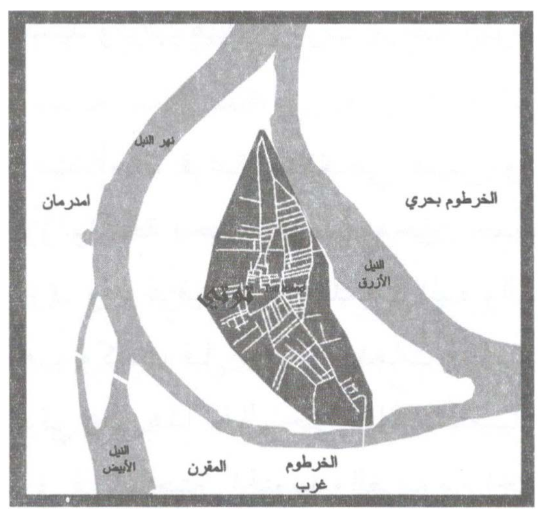
١٨٢ عبدالله شاهين ،العدد الخامس ،جزيرة توتي،٢٠٠٦م

183 Lobban، A Geneological & historical study of the Mahas of the Three Towns، Sudan، IVth International Conference of Nile Valley Countries، University of Khartoum.

هي درة النيـــل العظيـــم وبنتـــه   هي جنـــة محفـــوفة بجنـــان
قد مدت الخرطوم رونق سحرها   وزهت جمالاً فوق أم درمان
ورمال بحري أشرقـت بجنوبهـا   كالتبر يبرق نـــورها الربـــاني
وإذا وقفـــت هنيهـــة بجنوبهـــا لرأيت كيف تعانق النهران
وترى على أقصى الشمال برأسها النيل منحـدراً بكـل أمـان

وقد قال فيها التجاني يوسف بشير

يا درة حفها النيل واحتواها البر
صحا الدجى وتغشاك في الأسرة فجر
وصاح بين الربا الغر عبقري أغر
وطاف حولك ركب من الكراكي أغر



جزيرة توتي

تختلف توتي، وبعض الأحياء التي كانت تتبع لمجلس ريفي الخرطوم بحري وضُمت إلى مجلس بلدي مدينة الخرطوم في فترة السبعينيات من القرن الماضي مثل الجريف والبراري والرميلة والشجرة، عن بقية أحياء الخرطوم. فكل

هذه الأحياء يغلب فيها الطابع الريفي وتفتقر إلى التخطيط الحضري، إذ نجد خارطة الأرض(القطع)السكنية في أغلب المناطق الريفية دون تحديد للمنازل بالترقيم والتسجيل. وكانت البلدة القديمة الواقعة في الناحية الشرقية من وسط الجزيرة، ويفصلها عن الجروف والجنائن،أشبه بقرية منها إلى المدينة في نمط مبانيها والحياة العامة فيها رغم أنها تبعد عن قصر الحكم (القصر الجمهوري) ما لا يزيد عن كيلو متر واحد ونصف تقريباً. فقد كانت معظم مبانيها من الآجر والجالوص وسقوف منازلها من سوق (عروق) أشجار السنط وجريد النخيل والنال والتُمام،وللمنازل أسوار بجدران طينية مرتفعة مع ارتفاع نسبي لجدران البيوت.وتتسم شوارعها بالضيق والتعرج وهي في الغالب أزقة لايتعدى عرضها الأربعة امتار، وتنعدم فيها الطرق المرصوفة. وكانت بالجزيرة أربعة دروب رئيسية تصلها بالخارج عبر أراضي السواقي التي تحيط بها، وهي درب المسيد ودرب هليس ودرب عراضة ودرب الحاجة حليمة بت عبده.

تنقسم توتي إلى ستة أحياء فرعية عتيقة هي هليس وشاووش وبرقان والشكرتاب والجزر والمَلَجة (حي السوق)، وحيين حديثين هما الأقاليم والسادة (السواحير). وقد عَرِفت توتي خدمات المياه والكهرباء في عامي ١٩٦٤ و١٩٦٦م ، وكانت قبل دخول خدمات المياه تشرب من الآبار والنيل.استمرت توتي علي هذا الحال حتى نهاية السبعينيات تقريباً، حيث بدأ الامتداد العمراني في الناحيتين الجنوبية والغربية من الجزيرة يأخذا طابعاً حضارياً، إذ بنيت المنازل بالطوب الأحمر والأسمنت وبتخطيط ذي شوارع واسعة ومستقيمة. وتواصلت هذه النهضة الحضرية بعد أن ضُمت توتي إلى مجلس بلدي الخرطوم. وقد تميزت خريطة بناء منازل توتي بغرفتين متخالفتي الاتجاه جنوب غرب وشمال شرق مع برندة أمام كل منهما للسماح بمرور

الرياح صيفاً وشتاءً، بجانب ديوان الرجال والمطبخ (التكل) والأدبخانة.[184]
كان غالبية سكان جزيرة توتي يعملون في الزراعة وهناك منهم من يعمل في المصالح والمؤسسات الحكومية والأهلية في الخرطوم وقليل منهم من كان يعمل بالتجارة،هذا إلى وقت قريب من القرن الماضي. وببزوغ القرن الحالي نجد أنَّ نسبة من يعملون في الزراعة تضاءلت بمقدار كبير بينما تحولت الغالبية إلى الوظيفة والبعض إلى الأعمال الحرة.

تتميز جزيرة توتي عن غيرها من أحياء الخرطوم الأخرى بمتانة وقوة النسيج الاجتماعي الذي انعكس في حميمية التواصل والتعاون والتكافل بين سكانها، ويرجع هذا لعدة أسباب منها وحدة ديمغرافيا التركيبة السكانية إذ ترجع أصول أهل توتي إلى قبيلة المحس،هذا بجانب الطبيعة والتقاليد الريفية السائدة في توتي. هنا تجدر الإشارة إلى أنَّ فكرة زواج الكورة لتقليل التكاليف مورست في جزيرة توتي منذ العهد التركي، إذ كان يشرف عليها علماؤها أمثال الفقيه الأمين الضرير والفقيه محمد أحمد مضوي وابنه الفقيه الهادي ودار صليح والشيخ محمد البشير المكنابي والشيخ الشمباتي والشيخ الجلي والفقيه القاضي عبدالحميد عصملي وغيرهم من الفقهاء.[185]

كانت وسيلة الانتقال من الجزيرة وإليها عبر ثلاثة مشارع للمراكب الشراعية، هي مشرع أم درمان ومشرع الخرطوم ومشرع الخرطوم بحري. أُدخل الرفاس في الأربعينيات ويعتبر مكاوي ياسين أول من أدخله، أما المعدية (بنطون توتي الشهير) فقد أدخلت في العام ١٩٥٧م بواسطة النقل النهري، ومنذ ذلك العام أصبحت الوسيلة الرئيسية لربط الجزيرة بالخرطوم عند مرساها قبالة قاعة الصداقة إلى أن توقفت بإنشاء أول جسر وصل الجزيرة ببر الخرطوم والذي

---

١٨٤ محمد السيد حسن محمد أرباب، كتاب توتي، دار عزة للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م، صفحة ٢٤٢.
١٨٥ محمد السيد حسن محمد أرباب، كتاب توتي، دار عزة للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م، صفحة ٢٤٢.

افتتح في عام ٢٠٠٩م. أما وسيلة المواصلات داخل الجزيرة قبل إنشاء الجسر فقد كان هناك أحد البصات الأهلية بين مشرع المعدية والمحطة في وسط البلدة. عدا ذلك كانت الدواب هي الوسيلة الوحيدة للانتقال داخل الجزيرة. تجدر الإشارة أن سكان الجزيرة الذين كانوا يمتلكون سيارات يودعونها عند مشرع المعدية في ناحية الخرطوم عند عودتهم إلى الجزيرة بعد استغلالها داخل مدينة الخرطوم.

أول وآخر من عُمد على توتي هو أحمد إبراهيم علي وكان ذلك في عام ١٩٤٤م، ويساعده الشيخ خوجلي حامد النور المكنابي والشيخ إبراهيم بابكر علي بر الغردقابي. سبقهما في الشياخة إبراهيم علي موسى الغردقابي وخوجلي أحمد خوجلي المكنابي والأمين النور الأمين البادنابي وعبد القادر الفكي أحمد المكنابي. وتولى الشياخة بعد إبراهيم بابكر علي بر كل من أحمد علي الأحمر الشكرتابي وأبي عوف إبراهيم علي موسي.[١٨٦]

معالم توتي

عَرِفت توتي التعليم منذ زمن بعيد، لذا نجد أنَّ نسبة التعليم في توتي تقارب ١٠٠٪. فقد عَرِفت توتي الخلاوي منذ عهد السلطنة الزرقاء، وكانت أول الخلاوى خلوة أرباب العقائد الكائنة في حي المَلَجة في موقع مركز الشاووشاب (بيت الأمانة سابقاً). وكانت هناك خلوة المسجد العتيق (خلوة الفكي عامر) التي درس فيها الشيخ خوجلي أبو الجاز. وكانت هناك أيضاً خلوة الفقيه إدريس بن بركات وخلوة شيخ الإسلام الأمين الضرير. ومن خلاوى منتصف القرن الماضي خلوة شيخ أحمد وخلوة الفكي محمد مضوي وخلوة الفكي الهادي وخلوة الشيخ إبراهيم العباس. و لم يكن التعليم قاصراً

١٨٦ محمد السيد حسن محمد أرباب، كتاب توتي، دار عزة للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م، صفحة ٢٤٢.

علي الصبيان بل كان هناك العديد من الفقيهات يدرسن الفتيات والنسوة أمثال الفقيهة أم حداقة الضريرة والفقيهة رقية بنت عبدالقادر والحاجة عائشة بنت داؤود الشكرتابية والحاجة أم حريرة. وقد ذُكِرَ أنَّ نظام الخلاوى استمر في توتي إلى عام ١٩٥٧م حيث بدأ بعده أثر الخلاوي في تعليم النشء ينحسر بسبب إرسالهم إلى المدارس.[١٨٧]

تم إفتتاح أول مدرسة أولية للبنين في توتي عام ١٩١٧م، وأول ناظر لها هو بُر محمد أحمد ومن خريجيها أمين التوم ساتي وزير رئاسة مجلس الوزراء في حكومة عبدالله خليل(١٩٥٦–١٩٥٨م) ووزير الدفاع في حكومة محمد أحمد محجوب (١٩٦٦م) بعد ثورة أكتوبر ١٩٦٤م. بالنسبة للبنات فقد افتتحت أول مدرسة لهن عام ١٩٥٤م وسميت لاحقاً بمدرسة الزعيم مصطفي خالد. أما التعليم الأوسط فقد بدأ بمدرسة توتي المتوسطة للبنين في عام ١٩٦٩م (حالياً مدرسة أرباب العقائد)، ومن ثم أُنشئت المدرسة المتوسطة للبنات في عام ١٩٧٧م. وقد تحولت الأربع مدارس إلى مرحلة الأساس بعد تغيير السلم التعليمي في فترة حكومة الإنقاذ. وتضم توتي مدرستين ثانويتين هما مدرسة محمد حمزة الثانوية بنات (١٩٨٤م) ومدرسة الشيخ إبراهيم العباس الثانوية للبنين (٢٠٠٥م).

بدأت الخدمات الصحية في توتي بشفخانة في منتصف الثلاثينيات، ثم تحولت إلى مركز صحي في نهاية الستينيات. ويوجد اليوم في الجزيرة مركزان صحيان هما مركز توتي الصحي ومركز الأمل الصحي التابع لمجمع توتي الإسلامي وعيادة خاصة واحدة.

يعتبر مسجد توتي الكبير(العتيق) من أقدم المساجد في وسط السودان إذ أنشئ في عام ١٤٨٠م أي عند عمارة توتي بواسطة أسلاف أهلها الحاليين.

١٨٧ محمد السيد حسن محمد أرباب، كتاب توتي، دار عزة للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م.

وكان أول إمام له هو الفقيه موسى بن علي بن طاع الله الغردقابي، ومن ثم توارث الإمامة نسله. ويوجد بجانب المسجد الكبير سبعة مساجد موزعة على أحياء توتي هي مسجد الشكرتاب(مسجد الفقيه إدريس)، وقد أُسِسَ قبل أكثر من ١٠٠عام، ومسجد السارا ومسجد مجمع توتي الإسلامي ومسجد الشكرتاب الجديد ومسجد الخير ومسجد التوحيد(أنصار السنة). هذا بجانب ثلاثة مساجد تحت التشييد.

يحتل سوق المَلَجة وسط توتي حيث محطة المواصلات، وتوجد بالسوق ثلاثة دكاكين للخضار هي دكان عمر القوس ودكان البرعي ودكان حاج سعيد، وبه ثلاثة جزارات الأولى لأولاد السِراج والثانية لأولاد بدوي والثالثة لإبراهيم عابدين المشهور بإبراهيم عشة. وتوجد عند المحطة أيضاً قهوة ومطبخ أولاد الزين ومطبخ مصطفي علي ومطبخ أولاد عبدالجليل أحمد(ولد تلاتين). كما توجد طاحونتان ومخبزان (طابونتان) هي طاحونة محمد الشيخ إدريس وطاحونة عبد الجليل وطابونة الأمين مصطفي وطابونة عبد الله صالح (بابا صالح). ومن الدكاكين القديمة بتوتي بقالات خوجلي علي وأحمد المدني والحاج خوجلي وحاج النور وود الزين ودكان محمد عكاشة للموبيليا ودكان النعمان طلحة للإكسسوارات.

تضم جزيرة توتي عدداً من الأندية الثقافية والرياضية يأتي في مقدمتها نادي توتي الثقافي الاجتماعي الذى تأسس في العام ١٩٣٥م، ونادي توتي الرياضي تأسس عام ١٩٣٢م. وهناك أيضا أندية ثقافية اجتماعية منها نادي العمال تأسس عام ١٩٥٥م ونادي التعاون تأسس عام ١٩٥٧م، وأندية رياضية مثل نادي أبو حشيش ونادي الترسانة أسس عام ١٩٦١م ونادي الوطن تأسس عام ١٩٥٧م ونادي الجزيرة. وتقام الأنشطة الرياضية في ميدان المدرسة وميدان الوطن وميدان المولد.

تحيط الجنائن بتوتي من كل الجوانب إحاطة السوار بالمعصم بالإضافة إلى شاطئ رملي من الناحية الشرقية من الجزيرة، يقصده صبيان وشباب مدينة الخرطوم في الأعياد والعطلات بغرض الترفيه والسياحة والاستمتاع بموقعه الخلاب الذي يطل على مدينتي الخرطوم والخرطوم بحري. ومن ضمن معالم توتي هناك معلم تاريخي يتمثل في طابية توتي التي بنيت في عهد الدولة المهدية في منطقة الرويس شمال الجزيرة لصد القوات الغازية القادمة من الشمال.

يدفن أهالي توتي موتاهم منذ أن وطئت أقدام أسلافهم الجزيرة في مقبرة أبو نجيلة الواقعة قرب الشاطئ المقابل لتوتي بين حلة حمد وحلة خوجلي. وهناك قول شائع بأن المقبرة سميت على "علي أبو عشبة" جد السعدلاب.

أسماء من توتي (مشاهير توتي)

توارث العلم والفقه وحفظ القرآن الكثيرون من أهل توتي أباً عن جد، نذكر من الحفظة المعاصرين الحاج إبراهيم العباس وأحمد الحسن محمد الفقيه وأحمد المكنابي ومحمد الأمين سليمان طيب الأسماء ومحمد مصطفى البشير وعبدالحميد مصطفى خالد وحسان عبدالرحمن علي وأحمد المرتضى البدري ومختار الهادي محمد. ومن النساء نذكر صباح خوجلي محمد وهويدا علي عباس ونجاة النور سليمان ورميثاء هارون أحمد.

ساهمت توتي بقدر وافر من المعلمين الرواد الذين تقلدوا نظارة الكثير من المدارس في شتي أنحاء السودان، منهم علي سبيل المثال لا الحصر سيد أحمد غاندي وعبدالحميد علي الإمام ومحمد عطا المنان عثمان الجيلي والتيجاني محمد عصملي وعبدالوهاب محمد عبدالرحمن ومحمد النور إبراهيم خوجلي والقاسم الحبر المختار حماد والصادق عبدالرحمن الإمام وعلي

الإمام محمد الشيخ إدريس ومحمد أحمد عبدالقادر ومحمد حمزة علي طيب الأسماء وعبدالمنعم أحمد محمد الكامل. وهناك أيضا العديد من رواد التعليم في توتي ساهموا في إدارة العملية التربوية والتعليمية وتأليف كتب المقررات منهم عمر الصديق محمد مضوي وعبدالرحمن أحمد خوجلي.

كثير من الأسماء التي لمعت في مجالات السياسة والخدمة العامة والاقتصاد تنسب إلى توتي ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر في مجال السياسة إبراهيم الحسن أبو المعالي وإبراهيم عثمان إسحاق وأحمد الصديق دار صليح وأحمد الطاهر طيب الأسماء والهادي أبو بكر إسحاق وزين العابدين إبراهيم الإمام وعلي عبدالرحمن الضرير ومحمد حمزة علي طيب الأسماء ومحمد أحمد عبدالقادر وكل هؤلاء كانوا أعضاء في مؤتمر الخريجين. وممن تزعموا مقاومة الحكومة في عهد الاستعمار الإنجليزي المصري عند محاولتها نزع أراضي توتي بغرض الاستغلال السياحي نرصد مصطفى خالد وعبدالوهاب محمد سليمان والصديق الملك وإدريس أحمد أرباب والبشير أحمد سرار وفضل النور وعلي عثمان الجيلي وجبريل محمد علي وعبدالوهاب الأمين الضرير وعلي عبدالله عبيد الله وآخرين.

كما نرصد بعض الذين تقلدوا مناصب عليا مثل الشيخ علي عبدالرحمن الضرير وزين العابدين محمد أحمد عبدالقادر وعثمان مصطفى علي طيب الأسماء وزين العابدين البرعي وحسن أحمد يوسف والفريق فوزي أحمد فاضل والفريق حسان عبد الرحمن علي واللواء صلاح عبد المتعال وحسن عبدالوهاب الشيخ وعبد المنعم خوجلي عثمان والسفير الباقر زين العابدين إبراهيم والسفير فاروق مصطفى علي طيب الأسماء والسفير قريب الله الخضر الشيخ والسفير تاج الدين محمد الطاهر.

ونذكر من علماء توتي المعاصرين الشيخ عبد الله عبد الرحمن الأمين الضرير والبروفيسور الصديق محمد الأمين الضرير والبروفيسور داؤود مصطفى خالد والبروفيسور عزالدين عمر موسى والبروفيسور يونس الأمين محمد نور والدكتورة هبة صلاح الدين محمد مضوي والدكتور صديق عمر الصديق والبروفيسور عبدالحميد أحمد الفاضل والبروفيسور شاكر زين العابدين والبروفيسور عبدالله محجوب زكي والدكتور مضوي مختار. وفي مجال الآداب والفنون أنجبت توتي الأديب معاوية محمد نور والشعراء شيخ الإسلام الأمين الضرير وأحمد المرتضى البدري ومختار الهادي أحمد الهادي ومصطفى طيب الأسماء وبُر محمد نور وعثمان خالد وسيد أحمد غاندي وأمين مصطفى خليفة (أبو شوقي). وأنجبت من المسرحيين الشيخ عمر الضو ومنير عبدالوهاب محمد وعبدالتواب مصطفى خالد وسيد أحمد غاندي وعمر خالد الأمين، ومن المغنين حمد الريح وإبراهيم خوجلي وقسم الله طمبل وعبدالعزيز عبدالله إبراهيم وعابدين (عشة) علي عثمان والعازف أحمد محمد الشيخ إدريس والعازف خوجلي الفاضل ومحمد عثمان الطاهر.

ومن أسماء التواتة الذين كانت لهم إسهامات مقدرة في مجال الرياضة نورد لاعبي الهلال أمين زكي وحسن محمد عبدالرحيم الأحمر وميرغني بسطاوي، ولاعبي المريخ عمار خالد وحمد الريح علي حمد، ولاعبي الأهلي فاروق عبدالرحمن خالد والطيب خميس والله جابو فضل المولى وعبدالرحمن فضل المولى وزكريا محمد إسماعيل، ولاعب الموردة بابكر عبدالرضي علي كاردين، ولاعب بري معتصم محجوب زكي، ولاعبي توتي عمر أحمد إدريس وأبو عوف الصديق وعلي الله جابو وبابكر مبارك (كروت) وخوجلي الصديق بلال، والحكام عبدالرحمن الخضر علي الأحمر وأنس إبراهيم الحسن ومحمد زين العابدين حمد وأمين محمد الحسن وعبدالكريم مرحوم (سلك). وبرز

الكثيرون من أبناء توتي في مجال التجديف منهم محمد يوسف بدوي وجبريل محمد صديق ومصعب يوسف بدوي ومحمد علي الشيخ ومحمد عمر أحمد ومجاهد صلاح الدين الأمين وحسن عمر حسن عثمان وحمزة عبدالله أحمد وخالد عمر حسن عثمان وأسامة عمر حسن. وفي مجال الفروسية يوجد عدد من مالكي ومربي الخيول منهم الحسين محمد الفقيه أحمد وحاج الطيب إبراهيم بابكر والفكي الطاهر وأحمد عبدالقادر وكمال محمد العباس وصلاح الدائر.



مشرع توتي

المقرن

يعتبر حي المقرن من أحياء مدينة الخرطوم العريقة. وقد جاءت تسمية الحي بالمقرن لقربه من مقرن النيلين الأبيض والأزرق. تمت عمارة الحي في موقع حلة الريس عمر التي أنشئت كما سبق ذكره جوار ترسانة الخرطوم التي عرفت بالمنجرة نسبة لنجارة السفن، وكان ذلك في عام ١٨٣١م خلال حكمدارية خورشيد باشا. يقع الحي بين شارعي النيل في الناحية الشمالية والطابية (شارع محمد أحمد المهدي) في الناحية الجنوبية.ويحد الحي من الغرب النيل الأبيض،أمَّا من الشرق فيحده أستاد الخرطوم ومباني جامعة النيلين (جامعة

القاهرة فرع الخرطوم سابقاً). يمر خط السكة حديد بموازاة شارع الطابية إلى أن يلتقي بشارع النيل حيث يتجه شرقاً إلى مخازن الأسكلا (موقع قاعة الصداقة حالياً)، عليه نلحظ أنَّ الحي كان محاطاً بخط السكة حديد من كل الاتجاهات عدا اتجاه الشرق. يمر شارع الجمهورية بالجزء الشمالي من الحي، بينما يمر شارع البلدية بالجزء الجنوبي منه، هناك أيضاً شارع الجموعية يمتد من الشمال إلى الجنوب في الجزء الغربي من حي المقرن.



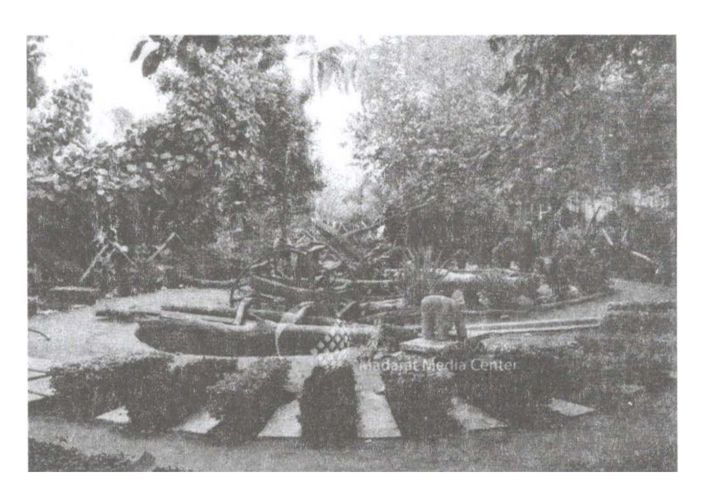
المقرن

تتسم تركيبة سكان حي المقرن الحالية بالتعددية فرغم أن أصول مؤسسي الحي ترجع إلى قبيلتي المحس والجموعية إلا أن جماعات ليست بالقليلة وفدت إلى الحي مع مرور الزمن من الجعليين والدناقلة والشايقية وغيرها من القبائل. وتجدر الإشارة إلى أنَّ سكان الناحية الشمالية من المقرن قد تم ترحيلهم بسبب تعرضهم لخطر الفيضان إلى منطقة الخرطوم جنوب في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، وأنشئت في تلك الناحية العديد من المؤسسات الحكومية والأهلية.

معالم المقرن

من أبرز معالم الحي الحديقة النباتية التي تحتل مساحة مقدرة في وسطه، وهي من أقدم الحدائق النباتية في العالم العربي والأفريقي وتضم أنواعاً نادرة من النباتات تمثل مخزوناً للأصول الوراثية النباتية. وفي شمال الحي نجد قاعة الصداقة وسينما قاعة الصداقة ومتحف السودان القومي وحدائق الشهيد. كذلك يقع بحي المقرن مقر البعثة المصرية ومقار أخرى للعديد من البعثات الدبلوماسية والمنظمات الأجنبية بجانب بعض المؤسسات الحكومية.يضم الحي أيضاً في الناحية الشرقية منه مباني القسم الغربي لجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا والمقبرة ومدرسة المقرن الثانوية بنين سابقاً، والتي تقع جغرافياً في حي الخرطوم غرب. ونجد في الناحية الغربية من الحي محطة مياه المقرن وعدداً من المباني الحديثة مثل مبنى بنك السودان الجديد وبرج شركة النيل الكبرى للبترول. وفي تلك الناحية وإلى الجنوب من شارع الطابية يوجد مشتل الهيئة القومية للغابات، كما توجد زريبة عبده وإلى الجنوب من هذين المرفقين نجد غابة السنط.أما المعالم الموجودة في وسط الحي فبجانب الحديقة النباتية نجد معهد البحوث والاستشارات الصناعية قبل انتقاله إلى شمبات، كما نجد مسجد المقرن ومركز صحي المقرن ونادي المقرن ونقطة بوليس المقرن وميدان الحي وميدان مكاوي ومدرسة رضا ومدرسة المقرن للأساس (الأولية سابقاً) ودكان أبو دقن وأبو دقن للفتة.

نرصد من سكان الحي أولاد خليل أحمد خليل وآل شمو وآل سنادة والتيجاني عامر وآل كمالي وآل هباني وأولاد علي بدر الدين وشيخ المقرن المرحوم عابدين عثمان والمؤذن بوش وأحمد عز العرب وآل ياسين وشعبان صالح والطيب إبراهيم جابر ومحمد زقزوق وعبد العزيز شدو والمحامي سيد محمد مكاوي والفنان إبراهيم ادريس (ود المقرن).



الحديقة النباتية

الخرطوم غرب

منذ منتصف القرن الماضي عرفت المنطقة الواقعة إلى الغرب من شارع الطيار جميل إلى مشارف حي المقرن العريق (الواقع إلى الغرب من امتداد شارع أرباب العقائد) بالخرطوم غرب. وتضم الخرطوم غرب بالإضافة إلى حي الترس وحي الخرطوم جديد كل المنطقة الممتدة إلى الغرب من هذين الحيين إلى حديقة الحيوانات (جنينة النزهة والتي شُيد مكانها برج الفاتح – فندق كورنثيا) في الناحية الشمالية وأستاد الخرطوم الدولي في الناحية الجنوبية. وفي داخل هذا الامتداد نجد الهيئة القومية للكهرباء والمياه (شركة النور) في الناحية الشمالية والبعثة المصرية إلى الجنوب منها ومباني وقشلاقات الشرطة. تعتبر هذه المنطقة ذات كثافة سكانية منخفضة وذلك لاحتشادها بالمؤسسات الخدمية من تعليمية وترفيهية ورياضية وغيرها. ويلاحظ أن غالبية السكان من موظفي القطاعين العام والخاص، ويمثلون خليطاً من أعراق مختلفة من بينهم وجود مقدر للأقباط.

معالم الخرطوم غرب

تضم منطقة الخرطوم غرب العديد من المنشآت الترفيهية والثقافية والرياضية التي يؤمها سكان الخرطوم وأم درمان والخرطوم بحري، فبجانب حديقة الحيوانات التي كانت تزدحم بزوارها خلال العطلات خاصة عطلتي العيدين الكبير (عيد الأضحى) والصغير (عيد رمضان)، نجد دار سينما الخرطوم غرب التي اشتهرت بتقديم الأفلام الغربية ذات المضامين الثقافية الراقية مثل ليلة الجنرالات بطولة عمر الشريف والدكتور زيفاجو بطولة عمر الشريف أيضاً وزوربا الإغريقي بطولة كينجز بيرجن وأنتوني كوين وصوت الموسيقى بطولة جولي أندروس وزنابقة الحقل بطولة سدني بوتيه والخيط الرفيع بطولة سدني بوتيه أيضاً وغيرها من الأفلام التي لا زال يذكرها مثقفو المدينة في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي. هناك أيضاً ستاد الخرطوم الذي شهد معظم مباريات ونهائي دورة كأس افريقيا لعام ١٩٧٠م التي تصدرها وأحرز بطولتها المنتخب السوداني. نجد أيضاً في المنطقة صالة غردون للموسيقى (GMH) التي اشتهرت بجلب الفرق الموسيقية الغربية خلال أعياد الميلاد ورأس السنة. وليس بعيداً عنها تقع المكتبة القبطية التي كانت بدورها تجلب الفرق والفنانين من جمهورية مصر العربية وتنظم العروض المسرحية والندوات الثقافية. هذا بجانب احتواء المنطقة على العديد من المطاعم والفنادق السياحية مثل فندق الحرية وفندق السفير. لكل هذا كانت منطقة الخرطوم غرب مركزاً ثقافياً وترفيهياً يؤمه سكان العاصمة المثلثة طيلة سنوات النصف الثاني من القرن الماضي.



الخرطوم غرب

تعتبر رابطة الخرطوم غرب من روابط الناشئين ذات الصيت إذ رفدت أندية الدرجة الأولى بلاعبين وإداريين مميزين كُثر منهم لاعبا النيل علي وعثمان شغيل ولاعبا الموردة الثعلب وقمر الدولة ومن الإداريين صلاح أحمد إدريس رئيس نادي الهلال الأسبق.

تذخر منطقة الخرطوم غرب بالمؤسسات التعليمية حيث كانت تضم مدارس البعثة المصرية فهناك الكلية القبطية الابتدائية والإعدادية للأولاد والبنات والكلية القبطية الثانوية بنات وفاروق الثانوية. هناك أيضاً المدرسة الإنجيلية للأولاد وكان موقع هذه الأخيرة إلى الشرق من ستاد الخرطوم، بينما تقع المراحل الابتدائية والإعدادية للكلية القبطية في نفس موقعها الحالي بجوار الكنيسة القبطية في شارع الجامعة. أمّا مباني المرحلة الثانوية للبنين (مدرسة فاروق الثانوية) ورئاسة البعثة المصرية وجامعة القاهرة فرع الخرطوم فتقع في المربع الذي تحتله الآن جامعة النيلين جنوب شارع الجمهورية وغرب شارع علي عبد اللطيف، وإلى الجنوب من هذا المربع تقع مدرسة الكلية القبطية الثانوية بنات. أما بالنسبة للمدارس الحكومية فهناك مدرسة الخرطوم غرب الأولية في الناحية الجنوبية

من شارع علي عبد اللطيف، والمدرسة الأميرية الابتدائية (المتوسطة) للبنين والبنات في الناحية الجنوبية من شارع الحرية، ومدرسة المقرن الثانوية للبنين في الناحية الجنوبية الغربية من ستاد الخرطوم.

نرصد من العوائل والشخصيات البارزة التي سكنت في الخرطوم غرب آل العمدة كرم الله وآل محمد بشير أرقولي وعبد الرؤوف حسن حسين بك طاهر ويحيى الفضلي ووديع فتح الله وأولاده وحكيم أندراوس وأولاده وباهر وأولاده وآل تادرس وآل فانوس وآل أسعد وصديق ركابي وآل سيحة والفريق كمال حسن وحسن فريد وعبد العزيز محمد حسن الجندي وآل نقد الله علي وآل حامد أحمد عيسى.



جنينة النزهة

البراري

البراري جمع بري وقد جاء في كتاب تاريخ الخرطوم للبروفيسور محمد إبراهيم أبوسليم أنَّ الكلمة ترجع إلى البر أي خلاف البحر وذلك لأن المنطقة المعنية هي البر الجنوبي لجزيرة توتي.[١٨٨] لذا كان يطلق على كل المنطقة الواقعة على شاطئ

١٨٨ محمد ابراهيم ابوسليم، تاريخ الخرطوم، دار الجيل - بيروت، ١٩٩١م.

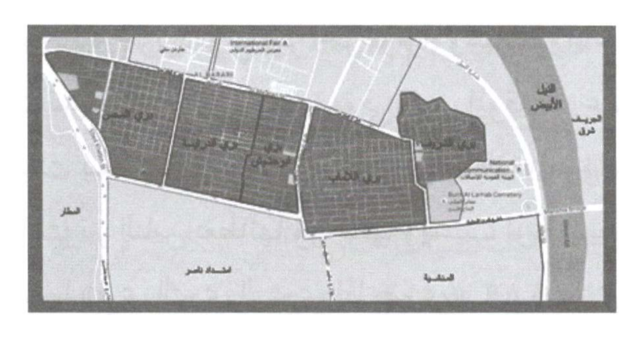
النيل الأزرق ومحاذية لجزيرة توتي «بر الخرطوم». وهناك روايات أخرى لأصل الكلمة منها أنَّ تسمية بَرِّي كانت لكنيسة في نفس الموقع من عهد مملكة علوة، ويُدلل على ذلك ببعض الآثار التي وجدت في المنطقة. ورواية أخرى تقول بأنَّ المنطقة كانت تُبِر الناس بعطائها ورخائها وينسب إلى الشيخ العبيد ود بدر القول في وصفها «بري التبري البشري الما بضري». [189]

تقع البراري في الناحية الشمالية الشرقية لمدينة الخرطوم حيث يحدها من الشرق النيل الأزرق عند منحناه، ومن الشمال مباني جامعة الرباط (كلية الشرطة سابقاً) وحي قاردن سيتي ومعرض الخرطوم الدولي والفلل الرئاسية، وكانت كل هذه المناطق أراضي زراعية (جروف) تخص أهل البراري قبل نزعها. وفي الناحية الشمالية من البراري كان هناك عدد من الجنائن بجانب غابة ود النور تفصل الأحياء عن النيل الأزرق وذلك قبل إنشاء حي قاردن سيتي ومعرض الخرطوم الدولي وفندق القرين فليدج والفلل الرئاسية، ومن هذه الجنائن جنينة أبو العلا وجنينة حاج سليمان وجنينة البدراوي وجنينة عبد الله صعوط وجنينة الشريف. أما من الناحية الجنوبية فيحدها حي امتداد ناصر (امتداد البراري) وحي المنشية، ومن الغرب يحدها نادي الشرطة ومنازل أساتذة جامعة الخرطوم وقشلاق الشرطة.

تعتبر البراري من أحياء الخرطوم الشعبية وتشتمل من الغرب الى الشرق على برى المحس ثم برى الدرايسة ثم برى أبو حشيش وفي أقصى الشرق برى اللاماب. وتجمع البراري الكثير من قبائل شمال ووسط وجنوب السودان إلا أن غالبية سكانها من المحس والجموعية.

---

١٨٩ الشيخ عبداللطيف المشرَّف خليفة، مدينة البراري الأسر والانساب، شركة المطابع السودانية للعملة، ٢٠١٣م.



البراري

ترتبط البراري بوسط الخرطوم بخط مواصلات للبصات الأهلية، تتميز باللونين الأزرق والأبيض. وكان موقفها في الناحية الجنوبية الشرقية من ميدان الأمم المتحدة أمام مخازن العامل والمغربي حتى الستينيات من القرن الماضي، ثم نقل إلى الناحية الجنوبية الغربية من ميدان أبو جنزير أمام عيادة الدكتور عبد الحليم محمد. يبدأ مسار البص بشارع القصر ثم شارع السيد عبد الرحمن ثم شارع الطابية عبر بوابة بري ليتجه شرقاً بشارع بري اللاماب، أي ما يعرف الآن بشارع المعرض، ثم ينحرف جنوباً عند بداية بري المحس حيث مساكن الجامعة وميز البوليس، ويتوقف عند محطة اللفة في أول شارع بري بالنص، ويتجه البص بعد ذلك شرقاً على طول شارع النص ليمر عبر بري المحس مع التوقف في محطات بري المحس واحد واتنين وتلاتة إلى أن يصل محطة أربعة عند سوق بري، ومن ثم يعبر بري الدرايسة ماراً بمحطاتها خمسة وستة وسبعة إلى أن يصل بري أبو حشيش ليتوقف في محطتيها ثمانية وتسعة حيث آخر محطة له في هذا الخط. هناك خط آخر يصل إلى بري اللاماب حيث يواصل البص مساره في شارع البراري ماراً بمحطات بابور موية (تعرف أيضاً ببابور حامد) وطاهر أفندي والشيخ الهادي وكل هذه المحطات في بري المحس، ثم يمر بمحطتي الشفخانة وود العطية في بري الدرايسة، ثم محطة بري أبو حشيش، ومن بعدها يدخل بري اللاماب ليتوقف في محطات شجرة مبارك أمان وقهوة

ود بخيت والصينية في وسط الحلة حيث يقفل راجعاً من حيث أتى. شهد هذا الخط الأخير أي خط بري اللاماب في فترة السبعينيات دخول بصات مواصلات العاصمة ماركة الفيات من نوع البلوبيرد بلونها الأزرق المميز.

بري المحس

تعتبر البراري خاصة برى المحس من أعرق أحياء الخرطوم القديمة،إذ يرجع تاريخ إنشائها إلى عام ١٥٧٥م على يد الشيخ حتيك قسومة كقرية صغيرة في المنطقة الواقعة بين المقرن وبري اللاماب.[١٩٠] ويروى البعض بأنَّ المنطقة المعنية تقع قرب القصر الجمهوري، ومنها تم ترحيلهم في بداية الحكم التركي المصري إلى منطقة مستشفى العيون ووزارة التربية والتعليم وذلك بغرض إقامة منشآت الدولة. نشأ في تلك المنطقة عدد من الفرقان هي فريق الشقلة ويمتد تقريباً من وزارة الخارجية إلى وزارة التربية والتعليم وغالبية سكانه من المحس البدناب، فريق الحليلة إلى الشرق من الشقلة وغرب مقابر بري وسكانها من محس أولاد المبارك وأولاد قسومة. وقد تجمع الفريقان في منطقة كلية الشرطة الحالية، ثم نقلوا منها إلى موقع بري المحس الحالي جنوب غرب مقابر بري في العقد الأول من القرن الماضي وذلك لبناء ثكنات الجيش الإنجليزي. هناك أيضا فريق قطعية وهو مكون من عدد قليل من المنازل الى الشرق من الحليلة وسكانه أيضاً من المحس. وقد ذكر حسن حتيكابي (مؤرخ بري) بأنَّ التهجير الأول لمحس بري كان في عهد ونجت باشا من موقعهم الأول في المنطقة الممتدة من وزارة الخارجية إلى وزارة النفط بهدف إنشاء المصالح الحكومية، حيث سكنوا شمال شارع المعرض. ثم رُحِلوا مرة أخرى في عاِم ١٩٠٤م إلى الموقع الحالي وذلك لتشييد معسكر الجيش البريطاني، وقد قام الكولونيل سامسون

١٩٠ ريتشارد لوبان، نسب وتاريخ محس الخرطوم، ١٩٤٣.

من سلاح الهندسة بتخطيط المنطقة. وقد تم الانتقال الثاني في عهد شيخ الحلة محمد حاج أحمد.[١٩١]

تولى شياخة بري المحس في موقعها الأول شيخ حاج الأمين والد عبيد حاج الأمين أحد أبطال ثورة ١٩٢٤، خلفه بعد ذلك أبن أخيه شيخ محمد حاج أحمد وهو الذي أشرف على انتقال الحلة إلى موقعها الحالي، ومن ثم خلفه ابنه شيخ عبد الرحمن وهو آخر شيخ لبري المحس.

تم تخطيط بري المحس في العقد الأول من القرن الماضي في مساحة شبه مستطيلة الشكل تقريباً، مقسمةإلى مربعات سكنية بواسطة أحد عشر شارعاً تتجه من الغرب إلى الشرق وثمانية شوارع تتجه من الشمال إلى الجنوب، لينتج عن ذلك تسعون مربعاً مع ملاحظة ضيق الشوارع عدا القليل منها. كانت معظم المباني ولعهد قريب من اللَّبَن (الجالوص) ولكن بدأ التحول إلى الطوب الأحمر بصورة ملحوظة منذ منتصف ستينيات القرن الماضي تقريباً.

كان لقرب البراري خاصة بري المحس والدرايسة وأبو حشيش من ثكنات الجيش الإنجليزي أثر واضح على حياة المواطنين فقد كانوا الأكثر احتكاكاً بالإنجليز، وبالتالي عرفوا الحياة المعاصرة قبل غيرهم من أحياء الخرطوم الشعبية الأخرى. إذ سنحت للكثيرين منهم فرص الالتحاق بمصالح الحكومة منذ عهد مبكر، وإرسال أبنائهم للتعليم فقد كانت مدرسة بري المحس الأولية ثاني مدرسة تفتح في الخرطوم بعد مدرسة الخرطوم شرق الأولية وكان ذلك في العام ١٩١١م. أدى هذا الوعي بمتطلبات الحياة المعاصرة منذ أوائل القرن الماضي إلى إنشاء شفخانة ونادٍ اجتماعي ومكتب بريد في بري المحس بجانب المدرسة الأولية للأولاد والتي أعقبها إفتتاح مدرسة أولية للبنات في عام ١٩٢٩م.

<u>معالم بري المحس</u>

١٩١ موقع منتديات بري المحس.

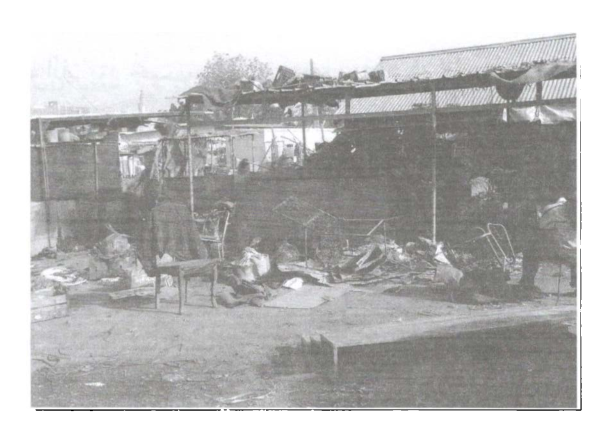
كما ذكرنا سابقاً عَرِفت بري التعليم منذ بدايات القرن الماضي حيث تم إنشاء مدرسة بري المحس الأولية بنين (١٩١١م)، والتي تغير اسمها في فترة متأخرة إلى مدرسة عبيد حاج الأمين، ومدرسة بري المحس الأولية بنات (١٩٢٩م). كما تم افتتاح مدرسة بري الأميرية المتوسطة في مطلع الستينات من القرن الماضي وهي ثاني مدرسة متوسطة حكومية في مدينة الخرطوم. أما الآن فهناك العديد من المدارس في بري المحس منها مدرسة البركة النموذجية ومدرسة عبيد حاج الأمين الواقعتين في الناحية الغربية من الحي ومدرسة بري المحس للبنات في وسط الحي ومدرسة حراء القرآنية في الناحية الجنوبية الغربية من الحي. وقد ورد في موقع توثيق أون لاين بأنّ أول روضة بالخرطوم تم افتتاحها ببري المحس في عام ١٩٤٩م بواسطة المعلمة زينب ياسين وقد تحولت هذه الروضة في فترة لاحقة إلى مدرسة السلمابي بحي كوريا ببري الدرايسة. وببري المحس حالياً عدد من رياض الأطفال منها روضة براعم بري المحس في وسط الحي وروضة أماني النموذجية في جنوب الحي. ومن معالم بري المحس جامع بري العتيق الذي شُيِّد عام ١٩٠٤م وأعيد بناؤه مع توسعته في الخمسينيات من القرن الماضي، ويتوسط الجامع الحي بالقرب من مدرسة بري المحس للبنات.

يوجد بالحي ناديان عريقان الأول هو نادي بري الرياضي الذي تأسس في العام ١٩١٨م والذي اشتهر بأسد البراري في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وموقع مبنى النادي في جنوب الحي بينما يقع الملعب في أقصى جنوب غرب الحي. أما النادي الثاني فهو نادي بري المحس الثقافي الاجتماعي المؤسس في عام ١٩٣٥، ويقع مبنى النادي في وسط الناحية الشرقية من الحي. كما أقام شباب الحي نادياً ثالثاً بمسمى نادي التعاون ظل يمارس نشاطه الثقافي والرياضي لسنوات عديدة إلى أن توقف في نهاية التسعينيات من القرن الماضي.



بري المحس في نهاية الستينيات

ومن معالم البراري سوق بري الواقع في الناحية الجنوبية بين بري المحس وبري الدرايسة حيث يقع جزء منه في بري المحس والجزء الآخر في الدرايسة. وقد أنشىء هذا السوق في الأربعينيات من القرن الماضي وكان يعرف بالجَزُّر لأن السكان كانوا يقصدونه في الغالب لشراء اللحوم نظراً لإكتفاء معظمهم بما يزرعونه من خضروات، كما عُرِف أيضاً بسوق محطة أربعة. تم تخطيط السوق لتحتوي مساحة منه على (١٠) مساطب لبيع اللحوم و(١٠) مساطب لبيع الخضار ومكان لبيع الطيور من دجاج وحمام ومكان آخر لبيع الأسماك، بجانب أماكن للنسوة لبيع البهارات والأغراض البلدية من منتجات السعف اليدوية لشئون المنزل. كما احتوى السوق على مساحة أخرى خصصت لثلاثة دكاكين وفرن وزريبة لبيع الفحم وخشب الحريق (الحطب). وعرف هذا السوق أيضاً بسوق الشجرة وسوق محطة أربعة، وقد جاءت تسمية سوق الشجرة نسبة لكثرة الأشجار فيه والتي كان يستظل بها الباعة لعرض بضاعتهم. أما تسمية سوق محطة أربعة فقد جاءت نسبة لوقوع محطة أربعة في وسطه. وقد ظل هذا السوق يقدم خدماته للبراري والامتدادات الجديدة حولها إلى أن تمت إزالته في عام ٢٠١٢م.



سوق الجزر قبيل إزالته

ومن العوائل التي تسكن بري المحس نذكر منها آل حتيكابي وآل البداني وآل قسومة وآل الفكي ود المبارك والهاشماب وآل محمد طنطاوي وآل عبد الرحمن أحمد وآل مرحوم وآل الكناني وآل أحمد شمام وآل دكين محمد أبو الروس وآل سوار الدهب وآل شين وغيرهم من الأسر.

يصعب حصر جميع الشخصيات البارزة التي أنجبها حي بري المحس، لذا نذكر منها عبيد حاج الأمين أحد أبطال ثورة ١٩٢٤م ومحجوب عثمان إسحق قاضي القضاة الأسبق وأحمد عثمان إسحق مدير جهاز الإحصاء المركزي الأسبق والرائد أبو القاسم محمد إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة لنظام مايو والرائد أبو القاسم هاشم عضو مجلس قيادة الثورة لنظام مايو والبروفيسور مصطفى حسن إسحق والدكتور سليمان مضوي والدكتور شيخ إدريس عبد الرحيم والبروفيسور سيد حامد حريز والبروفيسور محمد المهدي بشرى والفنانة التشكيلية كمالا إسحق والكابتن حسبو مرحوم (حسبو الكبير) والصحفي محمد إبراهيم حتيكابي والرحالة السوداني في منتصف القرن الماضي أحمد حسن مطر. كما سكن في بري المحس النقابي الشفيع أحمد الشيخ وزوجته

فاطمة أحمد إبراهيم والسموأل خلف الله وزير الثقافة السابق والفنان التشكيلي إبراهيم العوام والفريق نجيب الطيب مدير عام قوات الشرطة الأسبق والفنان حمد الريح.

بري الدرايسة

ترجع أصول سكان بري الدرايسة إلى الجموعية وينسبون إلى جدهم درياس الذي سُمى به الحي.[192] وفي رواية أخرى أنَّ الحي سُمي على الشيخ المرحوم الطيب شيخ إدريس. وكانوا يسكنون في قرية المنجرة بالمقرن، انتقلوا منها إلى الدرايسة التحتانية في موقع حي قاردن ستي ومعرض الخرطوم الدولي بعد فتح الإمام المهدي للخرطوم، ومن ثم انتقلوا إلى الدرايسة الفوقانية في العقد الثاني من القرن الماضي، وهو موقع بري الدرايسة الحالي الواقع الى الشرق من بري المحس.

خططت بري الدرايسة بواسطة مهندس مصري في عام ١٩١٧م في الجهة الشرقية لبري المحس لتأتي مكملة لمربعات الأخيرة بمواصفات متشابهة من حيث ضيقها واتجاهاتها. ويُعرف الجزء الجنوبي من الحي بحي كوريا وقد جاءت هذه التسمية في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي بعد إنتهاء الحرب الكورية في إشارة للتضامن مع شباب كوريا في نضاله ضد الاستعمار، حيث سميت العديد من الأحياء في مدن السودان المختلفة بكوريا مثل هذا الجزء من حي بري الدرايسة وكذلك الجزء من حي المزاد بالخرطوم جنوب الواقع إلى الجنوب من مقابر فاروق.

١٩٢ الشيخ عبداللطيف المشرَّف خليفة، مدينة البراري الأسر والانساب، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ٢٠١٣م.

ومن المعالم التربوية والتعليمية نرصد مدرسة بري الدرايسة بنات لمرحلة الأساس ومدرسة بري الدرايسة أولاد لمرحلة الأساس (مدرسة الطيب شيخ إدريس) والمدرسة الأميرية الثانوية بنين ومدرسة علي التلب الثانوية بنات. ومن الخدمات المتوفرة في الحي مسجد حي كوريا وقسم شرطة بري ومكتب البوستة ونادي حي كوريا. ومن معالم بري الدرايسة حتى الستينيات من القرن الماضي الشفخانة الواقعة على شارع المعرض، وقد أنشيء مركز صحي إلى الجنوب من موقعها، وشُيد لاحقاً في موقعها في مطلع الثمانينيات مستشفى الصادق أبوعاقلة. ويلاحظ أن معظم هذه الخدمات، عدا مستشفى الصادق أبو عاقلة والمركز الصحي، تقع في الناحية الجنوبية من الحي.

اشتهرت بري الدرايسة بفعاليتين سنويتين الأولى هي حولية الخليفة عبد الدافع وفيها يجتمع أهل الطرق الصوفية ببري بمختلف مذاهبهم، والثانية هي حولية المُشرف الشيخ إدريس بحي كوريا وتعقد في الليلة الختامية للمولد النبوي. وتجدر الإشارة إلى المنتدى الأدبي والفني الذي كان يُعقد بصفة منتظمة في منزل حاج المُشرف الشيخ إدريس في فترة السبعينيات من القرن الماضي والذي كان يؤمه الكثير من الشعراء والأدباء والفنانين.

من الأسر العريقة ببري الدرايسة أولاد ود قناوي وأولاد ود قلينج وأولاد قرجاج وأولاد شمام وأولاد حريز وكل هؤلاء ترجع أصولهم إلى قبيلة الجموعية. أيضاً هناك الكثير من الأسر التي أقامت بالحي وتصاهرت مع سكانه منهم أولاد محمد سليمان وأولاد أمبلِّي من قبيلة رفاعة وأولاد أبو قرجة من قبيلة الحلاوين وأولاد محمد أحمد الرفاعي وأولاد التكينة من قبيلة رفاعة البشاقراب وأولاد محمد الطاهر بابا من قبيلة المحس وأولاد أبوشوك من قبيلة العليقات وأولاد خليفة

محمد القتال من البطاحين وأولاد محمد أحمد مساعد من الجعليين وغيرهم كثير.

ومن الشخصيات البارزة في بري الدرايسة علي التلب وحاج المُشرف الشيخ إدريس واللواء (م) الخير عبد الجليل المُشرف ومحجوب سليم والمربي مصطفى عابدين والشيخ الطيب شيخ إدريس آخر شيوخ الحلة والحكم والفنان أحمد قنديل والفنان علي إبراهيم اللحو وسعد أحمد الشيخ صاحب وكالة الخرطوم للأنباء والإداري الرياضي مبارك أمان والسياسيون عثمان خالد مضوي وفاطمة أحمد إبراهيم والشفيع أحمد الشيخ، والداعية عطية محمد سعيد والمعلق الرياضي كمال حامد والأديب بدر الدين هاشم والخليفة عبد الدافع، والهادي النور، والهادي أبو الناس عازف الكمان وصاحب استديو محطة سبعة.

بري أبو حشيش

يعود تاريخ بري أبو حشيش حسب إفادات سكانها إلى مطلع القرن الماضي حيث نقل أسلافهم من ديم أبو حشيش الكائن آنذاك في المقرن حول الترسانة الحكومية القديمة (الأسكلا) وحي المنجرة إلى موقع بري أبو حشيش الحالي شرق بري الدرايسة، وكان ذلك في عام ١٩٠٣م. وقد تأثر الجزء الشمالي من الحي بفيضان ١٩٤٦م إذ دمر كل المساكن في ذلك الجزء.[١٩٣] وهناك رواية بأنهم انتقلوا أولاً إلى موقع الساقية (٦) على النيل الأزرق والمملوكة للشيخ أحمد فرح من برى اللاماب، أي إلى الشرق من المعرض حيث كان يوجد مصنع للطوب، وكان ذلك في مطلع القرن الماضي. ثم انتقلوا إلى موقع بري أبو

١٩٣ فاطمة بابكر محمود، سلسلة قضايا الإسكان في السودان: أعمال سعد الدين فوزي ٢، معهد الدراسات الأفريقية البديلة، لندن، ١٩٩٦.

حشيش الحالي بسبب فيضانات ١٩٤٦م. ويقال أنَّ تسمية أبو حشيش ترجع إلى المؤسس الأول لديم أبو حشيش وهو الشيخ مرسال أبو حشيش. ترجع أصول سكان بري أبو حشيش إلى القبائل النيلية والإفريقية، وقد كان أسلافهم جنودًا سابقين(رديف) في عهد الحكم التركي المصري، ومنهم من عمل في جيوش المهدية.ونتج عن تزاوج السكان مجتمع متجانس يصعب معه الرجوع إلى الأصول مما جعلهم وحدة مجتمعية لا تمييز بين أفرادها.

تخطيط بري أبوحشيش مثله مثل تخطيط بري المحس والدرايسة من حيث ضيق الشوارع، هذا بجانب ضيق المنازل إذ مساحة معظم منازلها تتراوح بين ٢٠٠ و٣٠٠ متراً مربعاً، وهناك عدد من المنازل لا تتعدى مساحة المنزل المائة متر مربع. وكان عدد جميع منازل أبوحشيش لا يتعدى ٢٠٠ منزلاً في منتصف القرن الماضي. عانت بري أبو حشيش في منتصف القرن الماضي من الرمال المتحركة إذ كان الجزء الجنوبي الشرقي من الحي مغطى بكثبان رملية مرتفعة ساهمت خلال تلك الفترة في هدم كثير من المساكن المبنية من الجالوص، وتغطية عدد كبير من أبواب ونوافذ المنازل في النواحي الجنوبية والشرقية من الحي. عند بداية نشأة الحي كان معظم ساكنيه يعملون في وظائف حضرية فهم في الغالب عمال في مؤسسات حكومية أو خاصة وهناك أعداد مقدرة منهم يكسبون عيشهم من الخدمة الذاتية. وكان في ذلك الزمان متوسط الدخل للفرد حوالي العشرة جنيهات.

معالم بري أبو حشيش

بالحي نادٍ اجتماعي يدور حوله النشاط الاجتماعي، بالإضافة إلى مسجد الطريقة العزمية الذي تقام فيه حلقات الذكر أسبوعياً. عدا ذلك يفتقر الحي إلى الخدمات الاجتماعية الأخرى من مشافي ومقاهي ويحصلون على هذه

الخدمات من أحياء بري المجاورة. أما مرافق التسوق فكانت محصورة في أربعة متاجر مرخصة، بجانب بعض النسوة اللائي يبعن الخُضر تحت ظلال الأشجار. أما بقية احتياجاتهم من لحوم ودقيق وحطب الحريق فيحصلون عليه من سوق الجَزَّر ببري المحس. وكان الحي يعتمد على خمسة آبار عامة وأربعة خاصة لسد احتياجات المياه قبل دخول الخدمة للمنازل. وقد رصد الدكتور سعد الدين فوزي في تقرير لمصلحة المساحة في عام ١٩٤٧م وجود ١٩ مرحاض بلدي (حفرة) بعضاً منها ممتلىء وغير صالح للاستعمال. ويستخدم السكان «ضروة» تسمى «حور» في ركن من أركان الحوش تنظف كل عدة أيام، وهناك البعض منهم يستخدم الفسحات الواقعة حول الحي لقضاء حاجاتهم.[١٩٤] ومن الملامح الريفية للحي تربية معظم السكان للأغنام في منازلهم لسد حاجة أسرهم من الألبان.

بعد السبعينيات من القرن الماضي طرأ تغيير معماري وحضاري على البراري بشكل عام وبري أبو حشيش بشكل خاص والمناطق التي حولها خاصة من جهة الشمال والجنوب. إذ شهد الحي عمارة في مبانيه بعد إعادة تخطيطه في النصف الثاني من القرن الماضي، إذ أصبح يَغلُّب عليها طابع الطوب الأحمر على الجالوص. وأنشئت العديد من المنشآت الخدمية مثل مدرسة بري أبو حشيش الابتدائية للبنين ومدرسة بري أبو حشيش الابتدائية للبنات. كما تم تحويل مدرسة الخرطوم الثانوية الحكومية القديمة إلى الناحية الشرقية من الحي بعد إزالة مبانيها القديمة عند مدخل البراري. كما تم تشييد مسجد بري أبو حشيش (مسجد الشهيد محمود شريف) ومجمع بوليس بري الجديد ومركز صحي الشهيد مزمل. وفي الناحية الشمالية من الحي أنشئ فندق القرين فيلدج

١٩٤ فاطمة بابكر محمود، سلسلة قضايا الإسكان في السودان: أعمال سعد الدين فوزي ٢، معهد الدراسات الأفريقية البديلة، لندن، ١٩٩٦.

والهابي لاند (مطعم الأمير)، وفي الناحية الجنوبية أنشئ في مطلع هذه الألفية مستشفى رويال كير العالمي.

من العوائل التي سكنت بري أبو حشيش عائلة مرسال محمد وعائلة الله جابو بلال وعائلة عبد الرحمن ريحان وعائلة خميس فرج وعائلة بشرى عبد المعبود وعائلة مرحوم عثمان وعائلة محمد فرج الله كُشيب وعائلة محمد سرور وعائلة منصور كوكو وعائلة عبد الخير ناصر وعائلة جمعة برنجي وعائلة جمعة مرجان وعائلة النور فرج الله وعائلة رضوان سالمين وعائلة عبد الله الجاك وعائلة حسن جمعة عبد الرجال وعائلة ناصر عبد الفراج وآخرين غيرهم.

ومن رموز بري أبو حشيش نذكر محمد عمر ريحان وسعد عبد الله الحاج حامد وصديق كوكو والحاج عبد الحي والمحامي أحمد موسى وأولاد موسى مرسال.هذا بجانب العديد من الرموز الفنية منهم منى الخير والرحمة مكي، والرياضية مثل كشيب وجنجا وجربان وعوض جولط وعبدالله لفت.

بري اللاماب

تم تأسيس بري اللاماب بواسطة الشيخ محمد اللام لذا نسبت إليه (اللاماب) وكان ذلك عام ١٨٩٨م، وعُمِدَ عليها ثم أصبح رئيساً للمحكمة الريفية وأخيراً ناظر خط لعموم الخرطوم وأريافها. عليه فإن بري اللاماب كانت تتبع لمجلس ريفي الخرطوم بحري حتى السبعينيات من القرن الماضي حين ضمت إلى مجلس بلدي الخرطوم. وتقع بري اللاماب إلى الشرق من برى أبو حشيش وحي الشاطئ الجديد الذي يضم الفلل الرئاسية، ويحدها النيل الأزرق من الشمال والشرق، وحي المنشية من الجنوب.

تجدر الإشارة إلى أنَّ الأراضي التي شيدت عليها الفلل الرئاسية كانت مملوكة

للعمدة حسين أحمد فرح عمدة برى اللاماب إلى قبيل منتصف القرن الماضي.
ارتبطت برى اللاماب بالشريف يوسف محمد الأمين الهندي بعد اختياره لها سكناً له عندما أجبرته حكومة المستعمر الإنجليزي في عام ١٩٠٥م بالإقامة داخل مديرية الخرطوم لمراقبته بعد اتهامه بتكوين حركة دينية لمقاومة السلطة الحاكمة، ومن ذلك التاريخ أصبحت منطقة بري اللاماب تعرف أيضا ببري الشريف. ترجع أصول سكان بري اللاماب إلى العديد من القبائل أهمها قبيلة الجموعية والرباطاب.

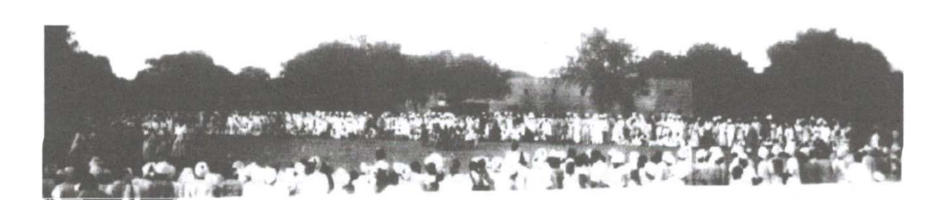
معالم بري اللاماب

ظلت بري اللاماب تحتفظ بطابعها الريفي حتى السبعينيات من القرن الماضي، إذ كانت مبانيها الطينية وطرقاتها المتعرجة والمتربة ونمط الحياة فيها يغلب عليها الطابع القروي، وهي تشابه في ذلك توتي والجريف غرب والرميلة. ولكن هنالك ملمح حضاري لا تخطئه العين ففي الطرف الشمالي الشرقي من الحي حيث دار (سرايا) الشريف يوسف محمد الأمين الهندي المكون من قصرين كبيرين أحدهما لضيافة عامة الزوار والآخر لضيافة الخاصة من زعماء الدين والسياسة والمجتمع. هذا بالإضافة إلى المسجد والقبة (الضريح) والملحقات من تكية (مكان للطعام) وقهوة (مقهى) وغيرها من مستلزمات الحياة.
كان يوجد ببري اللاماب عددٌ من الخلاوي منها خلوة الفكي عبد الرحمن والفكي البشير وخلوة الشيخ عابدين علي موسى. ومن الخلاوي الموجودة اليوم خلوة وزاوية الطريقة القادرية العركية التي أسسها محمد السماني أحمد العمدة، كما توجد خلوة عمر بن الخطاب. أما أول مؤسسة تعليمية حديثة قامت بالحي فهي مدرسة أهلية قام على نظارتها الأستاذ بلال أحمد فرح، ومن ثم تم تأسيس مدرسة أولية للبنين (حالياً مدرسة بري اللاماب لمرحلة الأساس

للأولاد) وأخرى للبنات (حالياً مدرسة نسيبة لمرحلة الأساس للبنات).

من معالم بري اللاماب لعقود خلت من القرن الماضي وحتى سبعينياته المحكمة الأهلية التي كانت تعرف أيضا بالقروية وكان مقرها عند الصينية في آخر محطة للموصلات. ورأس تلك المحكمة، التي يمتد نفوذها حتى جبل الأولياء جنوباً وأبو دليق شرقاً، العمدة حسين أحمد فرح، وعند وفاته في العام ١٩٤٦م تولاها عبدالرحمن حسين فرح ومن ثم محمد (عنكيب) حسين فرح العمودية ورئاسة المحكمة إلى أن تم إلغاء الإدارة الأهلية في عهد حكومة مايو. ويوجد بالقرب من مبنى المحكمة الجامع العتيق (أسسه الشيخ عبدالرحمن الأمين) والشفخانة (نقطة الغيار)، وذلك قبل إنشاء مركز صحي الشهيد مزمل الواقع في مربع ٥. ومَعلَم هذا المكان باتفاق كل سكان الحي هو شجرة العم خير الله التي كان يستظل تحتها لبيع البرسيم.

أما بالنسبة للمنتديات الثقافية والرياضية فيوجد نادي بري اللاماب الثقافي والرياضي ونادي وادي النيل والأخير يعتبر من أندية الدرجة الثانية العريقة. كما اشتهرت بري الدرايسة بحوليتي الخليفة عبدالدافع والشيخ المُشرف شيخ إدريس فقد اشتهرت بري اللاماب بحولية الشريف يوسف الهندي السنوية التي تستمر لعدة ليالي تختتم بليلة الوقفة حيث يأتي إليها الأحباب والمريدون من كل أنحاء الخرطوم ومن خارجها، وتكون هذه الليالي عامرة بالذكر ومديح المصطفى صلى الله عليه وسلم.وتجب الإشارة هنا إلى أنَّ حي بري اللاماب هو الحي الوحيد في مدينة الخرطوم الذي يمتلك نحاساً، ومازال يستخدم في المناسبات الدينية من حوليات وزفة المولد النبوي وزيارات شيوخ الطرق الصوفية وكذلك للإعلان عن الأفراح والأتراح.



النحاس يُضرب في حولية الشريف يوسف بمناسبة ذكراه السنوية

من أعرق الأسر التي سكنت بري اللاماب نرصد آل حماد عباس اللام وآل عبدالرحمن محمد فرح وآل سالم محمد سالم وآل الشكيري وآل الشريف يوسف الهندي. وأيضاً من الأسر الأخرى التي اشتهرت بالحي آل إبراهيم المهدي وآل أحمد صديق وآل أحمد محمد يوسف وآل بابكر مصطفى الصادق وآل حبيب الله وآل حسب الرسول الجاك وآل زكريا بلال وآل عبدالرحيم دفع الله العركي وآل مبارك أمان وآل يوسف المادح وغيرهم من الأسر.

ونذكر من شخصيات الأمس واليوم التي سكنت بري اللاماب المرحوم الشريف حسين الهندي والمرحوم الشريف زين العابدين والشريف عمر الهندي والعمدة عبدالرحمن حسين أحمد فرح وشقيقه العمدة محمد وبخيت العمدة رئيس مجلس مدينة البراري ومحمد عبدالرحمن العمدة معتمد محلية كرري وحاج سليمان حاج حسين، صاحب الفضل في بناء المدرسة الأولية، وحاج عبدالرحمن الأمين وإبراهيم الشكيري وسليمان العركي وأحمد عالم والفاضل الأمين الفنجري ومحمد البشير الحاج وبلال بابكر أحمد فرح وخضر البرجوب والأمين البدراوي والحاج سعيد باعوم والقمر حاج الحسن وعبدالباقي أحمد صديق والأمين بابكر العشاري وصديق مصطفى تمساح والنوراني الفاضلابي ومصطفى عبدالله أبو عاقلة وعبدالوهاب الباقر معوض وعبدالباقي أحمد صديق ومأمون مبارك أمان والفنان الشعبي حسون الله جابو وظريف بري اللاماب عبد الوهاب شخصية.

رابطة بري اللاماب

أنشئت رابطة بري اللاماب في منتصف الستينيات من القرن الماضي ضمن روابط الناشئين لكرة القدم.واتخذت من الساحة الواقعة بين بري اللاماب وبري أبو حشيش ملعباً لها. لم تقتصر الفرق المنضوية تحت لواء هذه الرابطة على فرق بري اللاماب فقط بل ضمت فرق من بري المحس والدرايسة وأبو حشيش وامتداد ناصر. ومن بين فرقها النهضة والجزائر ومانشستر واسبورتنق والأهلي وأبناء البشاقرة والجبال وسانتوس والاتحاد وقلب الأسد.

ومن لاعبي الرابطة كل من عمر محجوب ومحجوب أبو صلعة وعوض أبو دنة وعمر الدلبع وماجد الله جابو وعماد البدراوي ومحمد فضل تنقو، وكل هؤلاء لعبوا لفريق مانشيستر. ومن الذين لعبوا لفريق النهضة بابكر الساحر ومضوي وعامر قيرا وبكري حمزة وعبدالرحمن حمد النيل.وقد خَرَّجت هذه الرابطة الكثير من اللاعبين الذين أشتهروا بأندية الدرجة الأولى، منهم عبدالحكم عبدالسخي المعروف بعبده دبشك ولعب لفريقي وادي النيل وبري وسيف دقاش لعب لفريق المريخ وعز الدين عوض المعروف بعز الدين كلي ولعب لفريق الموردة ومحمد عبدالفراج المعروف بمحمد الدلبع ولعب لفريق بري ومتوكل عيسى المشهور بكولا ولعب لفريق بري أيضاً وهاشم العمدة لعب لفريق النيل.

شهد المجتمع الرياضي ببري اللاماب في نهاية الخمسينيات ومطلع الستينيات رموزاً في كرة القدم ظلت ذكراهم حاضرة منهم الأخوان عطا وعبدالفراج فضل السيد، الذي اشتهر بأبو فريج، وعبدالرحيم المدرة وصديق خضر وعبدالرحيم أحمد صديق وإسماعيل دقاش وخضر الطيب. ولعب معظم هؤلاء لفريق الدفاع الذي كان يعد بمثابة منتخب بري اللاماب في تلك الحقبة

خلفه بعد ذلك فريق وادي النيل. لعب أيضاً لهذا الفريق من حراس المرمى كل من إبراهيم أحمد الفكي والطيب عبدالرحمن سعيد وعوض نكير من بري أبو حشيش، ولعب له الأخوان علي وسيد الزبير (مدرباً فريق وادي النيل) وغريب الله عمر من بري الدرايسة ومبارك الأمين (سوسيوة) وكمال كبور من أبو حشيش وعبدالفتاح حمد (مدرب الفريق القومي السوداني).[١٩٥]



قصر الشريف يوسف الهندي(الضيافة الخارجي لعامة الزوار) رسم الفنانة قيريزالدة الطيب

195 http://jaafra.sudanforums.net/t62_topic

المحتويـــــــات

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الباب الثاني

الفصل السادس

الفصل السابع

كتاب الخرطوم الجديدة

رقم الايداع (2006/466)